

عصر المأمون

بقلم

الدكتور

أحمد فرید زفاعی

المفتش بوزارة الداخلية

المجلد الثالث

(حقوق الطبع محفوظة للؤلأ)

[الطبعة الثامنة]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م

فهرست

المجلد الثالث من عصر المأمون

ملحق الكتاب الثالث — عصر الأمين والمأمون

باب المنشور : صفة

- ١ نص كتاب الأمين والمأمون — نص كتاب الأمين إلى المأمون
- ٢ نص كتاب الأمين إلى أخيه صالح
- ٥ القول بحق القرآن (عائته المأمون إلى ولاته)
- ١٧ عهد طاهر بن الحسين
- ٢٦ رسالة الحميس (عائته المأمون إلى أهل حراسان)
- ٣٨ ما كتبه السبعة زيدة إلى المأمون — ما كتبه المأمون إليها
- ٣٩ رسالة أحمد بن يوسف

رسائل سهل بن هارون :

- ٤٨ وصفه وتاريخ حياته — ما كتبه له
- ٤٩ حكاية دعل الأراض السار
- ٥٠ كتبه وطريقته في الألب
- ٥٢ من كلام له ، كتابه ثلثه وعمره
- ٥٣ ما كتبه إلى صديق له أهل من ضعف — رسالته في الحظ
- ٥٧ نفي من شعره

رسائل عمرو بن مسعدة :

- ٥٩ وصفه وتاريخ حياته
- ٦١ من كلام له — ما كتبه إلى الحسن بن سهل — ما كتبه إلى المأمون
- ١٢٠ من حكاية

صفحة

٦٤	ما كتبه الى بعض الرؤساء
٦٥	له من شعره
٦٦	حكاية له
٧٠	ما قاله أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي فيه

رسائل الجاحظ :

٧٢	وصفه وتاريخ حياته — رساله في بنى أمية
٨٠	ما كتبه الى بعض إخوانه في ذم الزمان
٨٢	وصفه لتريش وبنى هاشم
٨٣	ما كتبه في الاعتذار — ما كتبه في الاستعطاف
٨٤	ما كتبه في ذم الحسد — دفاعه عن مؤلفاته
٩٢	ما كتبه في أخذ البرى، بذب الملتب
٩٨	ما كتبه في أقسام البيان
١٠١	ما كتبه في مدح الكتب
١١٥	ما كتبه في التريب في اصطناع الكتب

باب الرسائل :

١٢٨	الفصول المختبة من الرسائل المختارة في كل قرن — كتب رجل الى صديق له
١٣١	فصل لسعيد بن حميد
	فصل في هدية — فصل في تفاعلة — فصل لرجل عيسى — فصل لأحمد بن يوسف
١٣٣	فصل في الصفح لأبن علي — فصل لأحمد بن يوسف
١٣٤	فصل لمقال بن ثبة — فصل في التوديع — فصل في الصفح — جواب في صح
١٣٥	فصل في الصفح عن الجفاء — فصل في الاعتذار
١٣٦	الى المأمون من عامل — فصل لأبن الكلبي
١٣٧	فصل لآبراهيم بن اسماعيل بن داود
١٣٨	فصل لمعرون مسعدة
١٣٨	فصل لمعوى بن واضح الى الفضل بن ربيع — فصل لجبل بن يزيد
١٣٩	وله في الخطر — وله الى بعض إخوانه
١٤٠	فصل لأبن أعين كاتس الخدران — فصل لأبن الكلبي — فصل لعلى بن عبيدة الى ابن الكلبي
١٤١	فصل لمبارة — فصل لسعيد بن عبد الملك

صفحة

- ١٤٢ فصل بلبل بن يزيد الى بعض اخوانه — وله الى بعض اخوانه أيضا
 ١٤٤ فصل في شكر... ..
 ١٤٥ فصل في صفة الجنة
 ما كتبه جعفر بن محمد الأشعث الى رجل لم يكتبه — ما كتبه الفضل بن يحيى الى رجل
 يشاوه في أمر حدث — ما كتبه أحمد بن يوسف الى اسحاق بن ابراهيم الموصلي — توسل
 ما كتبه طاهر بن الحسين الى الفضل بن مهمل — ما كتبه محمد بن الجهم — ما كتبه
 محمد بن مسعر — ما كتبه ابن وهب في الاعتذار

التحامييد :

- ١٤٨ التحميد الأول — التحميد الثاني
 صدر تحميد مفرد — صدر تحميد آخر — تحميد مختار لكتاب خزينة بن خازم في فتح
 الصنارية — تحميد لأحمد بن يوسف الى الولاية عن التلخيف
 تحميد لابراهيم بن العباس في فتح اسماعيل بن اسحاق — التحميد الثاني — تحميد له مبتدأ
 مقام بين يدى التلخيف
 تحميد ثان — تحميد ثالث
 تحميد في فتح لابن العباس
 وله في فتح ابن البيهت لما ظفربه
 وله صدر كتاب الخليس في حميد الله وحميده
 تحميد لأحمد بن يوسف في صدر رسالة الخليس التي كانت تقرأ بخراسان
 تحميد للعباس في مقام له بين يدى المأمون — تحميد لعبد الحميد في أبي العلاء الحروري
 تحميد في فتح الى أمير لقامة — صدر تحميد لسان بن عبد الحميد في حلة موبرة — تحميد
 لعبد الحميد في فتح
 تحميد ثالث
 تحميد لأنس بن أبي شيخ — تحميد لعبد الحميد في فتح يعظم فيه أمر الاسلام
 تحميد لعبد الحميد أيضا
 تحميد لقامة — تحميد لزيد بن علي — تحميد في الاسلام
 تحميد لأبي عبيد الله
 صدر رسالة في الخليس لابراهيم بن المهدي
 تحميد في الاسلام وما امتن به على أهله
 تحميد في الجهاد وما ثبت به النبي صلى الله عليه وسلم

صفحة

- ١٦٨ محمد بن فتح سعيد بن حيد
١٦٩ محمد لابن المقفع ...
١٧١ عميد لقسان بن عيد الحميد — محمد لأحد بن يوسف في فتح السند ...
١٧٢ محمد لأبي عيد الله — محمد لسعيد بن حميد ...
١٧٣ فيا يقرظ به الخليفة ...
١٧٧ محمد لأبي عيد الله ...
١٨٠ ما يكتب به في مخالفين وقت الخزيمة ...
١٨١ ما يكتب به في صفة المخالفين ...
١٨٤ ما يكتب به في الصلاة — ما يكتب به في مدح قواد الجيوش وصفة الأولياء في أحوالهم ...
١٨٧ وصف الأولياء في الكتب ...
١٨٨ ما يقرظ به أمير المؤمنين في أواخر الكتب — سعيد بن حيد ...

التحاميد في أواخر الكتب :

- ١٨٨ محمد لسعيد بن نصر — محمد لابراهيم بن العباس — محمد لأبي عيد الله ...
١٩٢ الدعاء لأمر المؤمنين في أواخر الكتب ...

مختار ما كتب من باب التهانى في كل فن :

تهنئة خليفة بنظير — ماكتبه ابراهيم بن المهدي الى المتصم به بخروجه عن أرض الروم

- ١٩٣ بعد فتح عمورية ...
١٩٤ ما كتب أحمد بن يوسف الى عبد الله بن طاهر به بنظر — تهنئة خليفة بنحج ...
١٩٥ تهنئة بولاية — تهنئة لسعيد بن حيد الى بعض اخواته ...
١٩٧ ماكتبه محمد بن مكرم الى أحمد بن دينار ...
١٩٨ تهنئة بزل عامل عن عمله ...
١٩٩ ماكتبه محمد بن مكرم الى ابراهيم بن المدبر ...
٢٠٠ تهنئة بزديج وبناء بأهل ...
٢٠١ تهنئة بمولود كتبها العباس بن الحسن الطالبي الى المأمون ...
٢٠٤ ماكتبه ابن المقفع الى صديق له ولدت له حارية ...
٢٠٥ تهنئة لمحمد بن مكرم الى صبراني أسلم ...

باب المنظوم :

- ٢٠٦ أونواس ...
٢٤٩ النسيان ...

صفحة	
٢٥٥	دعبل
٢٦٥	حسن بن الصالح
٢٧٨	محمد بن عبد الملك الزيات
٢٨٣	ابن القواب
٢٨٦	الحسري
٢٩٥	عبد الله بن طاهر
٢٩٨	ما قبل في حياء الأمين وراثته
٣٠٣	هياء يحيى بن أكرم
٣٠٥	وصف ثورة بغداد وبقيةها

طَلْحُقُم

الكتاب الثالث

باب المشور

(١) نصوص كتب الأمين والمأمون

١ - نص كتاب الأمين الى المأمون؛ وهو الكتاب الذى أشرنا اليه فى الجزء الأول .
إذا ورد عليك كتاب أخيك - أعاده الله من - فقدك - عد حلول ما لا مرد له
ولا مدفع، مما قد أخلف وتناخى الأمم الخالية ، والقرون الماصية، بما عزاك الله به .
وأعلم أن الله جلّ شأنه ، قد آخى لأمر المؤمنين أفصل الدارين ، وأجرلّ الحظين ،
فبفضله الله طاهراً زائكاً، قد شكر سعيه، وغفر ذنبه ، إن شاء الله . فقم فى أمرك ميام
ذى الحزم والعزم، والناظر لأخيه ونفسه ، وسلطانة وعامة المسلمين . وإياك أن يغلب
عليك الجزع، فإنه يُحِيط الأجر، ويُغيب الوزر؛ وصلوات الله على أمير المؤمنين حياً وميتاً،
وإنّا لله وإنّا إليه راجعون . وخذ البيعة على من قبلك، من قوادك وجُندك، وخاصتك
وعامتك، لأخيك ثم لنفسك، ثم للقاسم ابن أمير المؤمنين ، على الشريطة التى جعلها لك
أمير المؤمنين : من نسخها له وإثباتها، فإنك مُقلد من ذاك ، ما قلّك الله وخليفته .
وأعلم من قبلك رأى فى صلاحهم ، وسدّ خلّتهم ، والتوسعة عليهم ؛ من أنكرته عند
بيعته، أو آتمته على طاعته، فاعث إلى رأسه مع خيره . وإياك وإقائته، فإنّ البار أولى

به . وأَكْتُبُ الى عُثْمَانَ ثَمُورَكَ ، وأُمَرَائِ أَجْنَادِكَ ، بما طَرَقَكَ من المصيبة بأمر المؤمنين ؛ وأُظهِرُهُمْ أَنَّ اللهَ لم يَرْضَ الدنيا لَهُ ثَوَابًا ، حتى قبضه الى رُوحِهِ وراحته وجنتِهِ ، مَغْبُوطًا مَحْمُودًا ، قائِدًا لجميع خُلفائِهِ الى الجنة إن شاء الله . ومُرِّهِمْ أَنَّ يَاحِلُوا البيعةَ على أَجْنَادِهِمْ ، وخَوَاصِهِمْ وعَوَامِهِمْ ، على مثل ما أَمَرْتُكَ بِهِ ، مِنْ أَخْذِهَا على مَنْ قَبْلَكَ ؛ وأَوْعِزْ إِلَيْهِمْ في ضَبْطِ ثَمُورِهِمْ ، والقُوَّةِ على مَدُومِهِمْ ، إِنِّي مُتَقَفِّدٌ حَالَتِهِمْ ، وَلَا أَمَّ شَعْتَهُمْ ، وَوَسَّعَ عَلَيْهِمْ ، وَلَا آخٍ في تَقْوِيَةِ أَجْنَادِي وَأَنْصَارِي . وَلَتَكُنْ كُتُبُكَ إِلَيْهِمْ كُتُبًا عَامَةً لِنُقْرَأَ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَا يَسْتَكُنُّهُمْ ، وَيَسْطُطُّ أَمْلَهُمْ . وَأَعْمَلْ بِمَا نَأْمُرُ بِهِ لِمَنْ حَضَرَكَ ، أَوْ نَأَى عَنْكَ مِنْ أَجْنَادِكَ على حَسَبِ مَا تَرَى وَتُشَاهِدُ . فَإِنَّ أَخَاكَ يَصْرِفُ حَسَنَ اخْتِيَارِكَ ، وَحِجَّةَ رَأْيِكَ ، وَبَعْدَ نَظَرِكَ ، وَهُوَ يَسْتَحْفِظُ اللهَ لَكَ ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَشُدَّ بِكَ عَضُدَهُ ، وَيَجْعَلَ بِكَ أَمْرَهُ ، إِنَّهُ لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ . وَكُتِبَ بِكَرْبِنِ الْمُتَمَيِّزِينَ يَدِيْ وَإِمْلَأْنِي فِي شَوَّالِ سَنَةِ ١٩٢ هـ

٢ — وهذا كتاب محمد الأمين الى أخيه صالح .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ كِتَابِي هَذَا ، عِنْدَ وَقُوعِ مَا قَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهِ ، وَفَقْدِ مَنْ قَضَائِهِ ، فِي خُلَفَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ ، وَجَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَالْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ ، فَقَالَ : (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) . فَاتَّخَذُوا اللهَ عَلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ عَظِيمِ ثَوَابِهِ وَمُرَافَقَةِ أَنْبِيَائِهِ ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ ، إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَإِلَيْهِ نَسْأَلُ أَنْ يُحَسِّنَ الْخِلَافَةَ عَلَى أُمَّةٍ نَبِيهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَدْ كَانَ لَهُمْ عِصْمَةٌ وَكَهْفًا ، وَبِهِمْ رَهْوَفًا رَحِيمًا .

فَسَمِّرْ في أَمْرِكَ ، وَإِبَاكَ أَنْ تُلْقَى بِيَدِكَ ، فَإِنَّ أَخَاكَ قَدْ أَخْبَارَكَ لِمَا آسَتْنَهَضَكَ لَهُ ، وَهُوَ مُتَقَفِّدٌ مَوَاقِعَ قُدْرَاكَ ، فَنَحْنُ طَنَهُ ، وَنَسْأَلُ اللهَ التَّوْفِيقَ . وَخَذَ الْبَيْعَةَ عَلَى مَنْ قَبْلَكَ ، مِنْ وَلَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَوَرَايِهِ وَحَاصِنَتِهِ وَعَامَنَتِهِ مُحَمَّدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ لَعَبَدَ اللهُ ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، نَمَّ لِقَاسِمِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . عَلَى الشَّرِيطَةِ الَّتِي جَعَلَهَا

أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — من فسحها على القاسم أو إثباتها . فإن السعادة واليمن في الأخذ بهذه المضي على مناهجه .

وأعلم من قبلك من الخاصة والعامة رأي في استصلاحهم ، ورد مظالمهم ، وتفقد حالاتهم ، وأداء أرزاقهم ، وأعطياتهم عليهم . فإن شغب شاغب ، أو نعر ناعر ، فأسطد به سطوة تجمله نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للتقين . وأنتهم إلى الميمون ابن الميمون الفضل بن الربيع ولد أمير المؤمنين وخدمه وأهله ، ومُرمه بالمسير معهم فيمن معه ، وجنده ورابطته ، وصير إلى عبد الله بن مالك أمر العسكر وأحداثه ، فإنه ثقة على ما يلي ، مقبول عند العامة ، وأنتهم إليه جميع جد الشرط ، من الروابط وغيرهم ، إلى من معه من جنده ، ومُرمه بالحد واليقظ ، وتقديم الحزم في أمره كله ، ليله ونهاره .

فإن أهل العداوة والفاق لهذا السلطان يقتنمون مثل حلول هذه المصيبة ، وأقر حاتم بن هرثمة على ما هو عليه ، ومُرمه بحراسة ما يحفظ به قصور أمير المؤمنين ، فإنه من لا يعرف إلا بالطاعة ، ولا يدين إلا بها ، بما قد من الله ، مما قلتم له من حال أبيه الحمود عند الخلفاء ، ومُرمه الخدم بإحضار روابطهم ، من يسد بهم وبأجنادهم مواضع الخلل من عسكرك ، فإنهم حد من حدودك وصير مُقمتك إلى أسد بن يزيد بن مزيد ، وسألتك إلى يحيى بن عاذ ، فيمن معه من الجنود ، ومُرمها بما وبنتك في كل ليلة .

وأزم الطريق الأعظم . ولا تعدون المراحل ، فإن ذلك أرفق بك ، ومُرم أسد بن يزيد ، أن يختير رجلا من أهل بيته أو قواده ، فيصبر إلى مقدمته ، ثم يصير أمامه ، لتبته المنازل ، أو بعض الطريق ، فإن لم يحضر في عسكرك بعض من سميت ، فاختر لمواضعهم من تبقى بطاعته ، ونصيحته وهيبته ، عند العوام ، فإن ذلك لن يعوزك ، من قوادك وأنصارك ، إن شاء الله .

وبالك أن تُنفذ رأيا ، أو تُرم أمرا ، إلا برأي شيخك ، وبقيّة آبائك ، الفضل بن الربيع ، وأقر جميع الخدم على ما في أيديهم من الأموال والسلاح والخزائن وغير ذلك ،

ولا تُخْرِجَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ، مِنْ ضَمَنِ مَا لِي، إِلَى أَنْ تَقْدِمَ عَلَيَّ . وقد أوصيت بكر بن المَعْتَمِر
بِمَا سَأَلْتَهُكَ ؛ وَأَعْمَلْ فِي ذَلِكَ بِقَدْرِ مَا تَشَاهَدُ وَتَرَى . وإن أمرت لأهل العسكر بَعْطَاءٍ
أَوْ رِزْقٍ فَلْيَكُنِ الْفَضْلُ بِنِ الْرَبِيعِ الْمُتَوَلَّى لِإِعْطَائِهِمْ، عَلَى دَوَاوِينَ يَتَّقُهَا لِنَفْسِهِ، بِمَحْضَرٍ
مِنْ أَصْحَابِ الدَّوَاوِينَ ؛ فَإِنَّ الْفَضْلَ بِنِ الْرَبِيعِ لَمْ يَزَلْ مِثْلَ ذَلِكَ لِمَهْمَاتِ الْأُمُورِ . وَأَنْفِذْ
إِلَيَّ عِنْدَ وَصُولِ كِتَابِي هَذَا إِلَيْكَ إِسْمَاعِيلَ بِنِ صَبِيحٍ ، وَبَكْرَ بِنِ الْمُعْتَمِرِ، عَلَى مَرَكَبَيْهِمَا
مِنَ الْبَرِيدِ ؛ وَلَا يَكُنْ لَكَ عُرْجَةٌ وَلَا مُهْلَةٌ ، بِمَوْضِعِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ، حَتَّى تُوجِّهَ إِلَيَّ
بِعَسْكَرِكَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْخِزَائِنِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . أَخُوكَ يَسْتَدْفِعُ اللَّهُ عَنْكَ، وَيَسْأَلُهُ لَكَ
حَسَنُ التَّائِيدِ بِرَحْمَتِهِ . وَكُتِبَ بِكَرْبِنِ الْمُعْتَمِرِينَ يَدَيَّ وَإِهْلَائِي فِي شَوَّالِ سَنَةِ ١٩٢ هـ .

(ب) القول بخلق القرآن

وهناك مثلاً مما كتبه المأمون إلى ولاته في الأخذ بمذهبه في القول بخلق القرآن، وهو ما أرسله إلى عاتل إصحاق بن إبراهيم وما يرويه لنا الطبري مما حصل .
أما الكتاب فهو :

أما بعد، فإن حق الله على أئمة المسلمين وخلفائهم الاجتهاد في إقامة دين الله الذي استحفظهم، وموارث النبوة التي أودعهم، وأثر العلم الذي استودعهم، والعمل بالحق في رعيته، والتشهير لطاعة الله فيهم؛ والله يسأل أمير المؤمنين، أن يوقه لعزيمة الرشد وصريحته، والإقساط فيما ولّاه الله من رعيته، برحمته ويمته؛ وقد عرّف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم، والسواد الأكبر، من حشو الرعية، وسفلة العاقبة، ممن لا نظر له ولا روية، ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته، ولا انسضاء بنور العلم وبرهانه، في جميع الأقطار والآفاق، أهل جهالة بالله وعمى عنه، وضلالة عن حقيقة دينه وتوحيده والإيمان به، ونكوب عن واضحاته وأعلامه وواجب سبيله، وقصور أن يقدروا الله حق قدره، ويعرفوه كنه معرفته، ويفترقوا بينه وبين خلقه، لضعف آرائهم، وقصص عقولهم، وجفائهم عن التفكير والتذكر؛ وذلك أنهم ساووا بين الله تبارك وتعالى، وبين ما أنزل من القرآن، فاطبقوا مجتمعين، وآتفقوا غير متباحين، على أنه قدّم أول، لم يخلق الله، ويحدثه ويتمتع به، وقد قال الله عز وجل في مُحْكَم كتابه، الذي جعله لنا في الصدور شفءاً، وللمؤمنين رحمةً وهدى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ۖ فَكُلِّ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ فَقَدْ خَلَقَهُ ۚ وَقَالَ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۚ وَقَالَ عز وجل : ﴿ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۖ ۚ فَأَخْبِرْ أَنَّهُ قَصَصُ لَأُمُورٍ أَحَدُهُ بَعْدَهَا ۚ وَتَلَا بِه مُقَدِّمَهَا ۚ وَقَالَ : ﴿ أَلَرَأَيْتُمْ أَنُحْيِيكُمْ آيَاتُهُ ثُمَّ قُضِلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ۚ ۚ وَكُلُّ مُحْكَمٍ مُفَصَّلٍ ۚ فَلَهُ مُحْكَمٌ مُفَصَّلٌ ۚ وَاللَّهُ مُحْكَمٌ كِتَابُهُ وَمُفَصَّلُهُ ۚ فَهُوَ خَالِقُهُ وَمُبْتَدِعُهُ ۚ

ثم هم الذين جادلوا بالباطل ، فدعوا إلى قولهم ، ونسبوا أنفسهم إلى السنة ، وفي كل فصل من كتاب الله قصص من تلاوته ، مبطل قولهم ، ومكذب دعواهم ، يرد عليهم قولهم ويخجلهم ، ثم أظهروا مع ذلك أنهم أهل الحق والدين والجماعة ، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر والفرقة ، فاستطالوا بذلك على الناس ، وغرروا به الجهال ، حتى مال قوم من أهل السنة الكاذب ، والتخشع لغير الله ، والتعسف لغير الدين إلى موافقتهم عليه ، ومواطنتهم على سيئ آرائهم ، تزيئاً بذلك عندهم ، وتصنعاً للرياسة والمداولة فيهم ، فتركوا الحق إلى باطلهم ، واتخذوا دون الله وليجة إلى ضلالتهم ، فقيلت بركبتهم لهم شهادتهم ، ونفذت أحكام الكتاب بهم ، على دفل دينهم ، ونقل أديبهم ، وفساد نياتهم وقيمتهم ؛ وكان ذلك غايتهم التي إليها جروا ، وإياها طلبوا في منابذهم ، والكذب على مولاهم ، وقد أخذ عليهم ميثاق الكتاب ، ألا يقولوا على الله إلا الحق ، ودرسوا ما فيه ، أولئك الذين أصبهم الله ، وأعمى أبصارهم ، **بِأَفْلا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ، أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** . فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأمة ، وروعس الضلالة ، المتقصون من التوحيد خطا ، والمختوسون من الإيمان نصيباً ، وأوعية الجهالة وأعلام الكذب ، ولسان إبليس الناطق في أوليائه ، والهاطل على أعدائه ، من أهل دين الله ، وأحق من يؤتم في صدقه ، وتطرح شهادته ، ولا يوثق بقوله ولا عمله ، فإنه لا عمل إلا بعد يقين ، ولا يقين إلا بعد استكمال حقيقة الإسلام ، وإخلاص التوحيد ، ومن عي عن رشده وحظه ، من أهل الإيمان بالله وبتوحيده ، كان عما سوى ذلك من عمله ، والقصد في شهادته ، أعمى وأضل سبيلاً ، ولعمراً أمير المؤمنين أن أحجى الناس بالكذب في قوله ، وتغوص الباطل في شهادته من كذب على الله ووجهه ، ولم يعرف الله حقيقة معرفته ، وأن أولاهم برد شهادته ، في حكم الله ودينه من رد تنهاده الله على كتابه ، وبهت حق الله بباطله ، فاجمع من يحضرك من القضاة ، وأقرا عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا إليك ، فأبداً بامتنانهم فيما يقولون ، وتكشيفهم عما يعتقدون ، في خلق الله القرآن وإحاديثه ، وأعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين في عمله ، ولا واثق

فَإِقْلَهُ اللهُ، وَاسْتَحْفَظَهُ مِنْ أُمُورِ رَجَيْتِهِ بَنَ لَا يُوثِقُ بَلِينَهُ، وَخُلُوصَ تَوْحِيدِهِ وَيَقِينَهُ، فَإِذَا أَتَوْا بِذَلِكَ، وَوَاقَفُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ، وَكَانُوا عَلَى سَبِيلِ الْهُدَى وَالنَّجَاةِ، فَرَّهْمَ بِنَصِّ مَنْ يَحْضُرُهُمْ مِنَ الشُّهُودِ عَلَى النَّاسِ، وَمَسْأَلَتِهِمْ عَنْ عِلْمِهِمْ فِي الْقُرْآنِ، وَتَرْكُ إِثْبَاتِ شَهَادَةِ مَنْ لَمْ يُقْرَأْ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ مُخَدَّثٌ وَلَمْ يَرَهُ، وَالِامْتِنَاعَ مِنْ تَوْعِيحِهَا عِنْدَهُ؛ وَأَكْتُبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يَأْتِيكَ، عَنْ قُضَاةِ أَهْلِ عَمَلِكَ فِي مَسْأَلَتِهِمْ، وَالْأَمْرَ لَهُمْ بِمِثْلِ ذَلِكَ، ثُمَّ أَشِيرُ عَلَيْهِمْ، وَتَهَقُّدُ آثَارِهِمْ، حَتَّى لَا تُنْفَذَ أَحْكَامُ اللهِ، إِلَّا بِشَهَادَةِ أَهْلِ الْبَصَائِرِ فِي الدِّينِ، وَالْإِخْلَاصِ لِلتَّوْحِيدِ، وَأَكْتُبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ . وَكُتِبَ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ٢١٨ هـ .

وَكُتِبَ الْمَأْمُونُ، إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، فِي إِشْخَاصِ سَبْعَةِ قَرَرٍ مِنْهُمْ : مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ كَاتِبِ الْوَاقِدِيِّ، وَأَبُو مُسْلِمٍ مُسْتَمْلِي يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، وَيُحْيَى بْنُ مُعِينٍ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ أَبُو خَيْثَمَةَ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ دَاوُدَ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي مَسْعُودٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ النَّوْزِقِيِّ، فَأَشْخَصُوا إِلَيْهِ، فَاثْنَحْنَهُمْ، وَسَلَّمَهُمْ عَنْ خَلْقِ الْقُرْآنِ، فَأَجَابُوا جَمِيعًا أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، فَأَشْخَصَهُمْ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ، وَأَحْصَرَهُمْ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ دَارَهُ، فَشَهَّرَ أَمْرَهُمْ وَقَوْلَهُمْ بِحَضْرَةِ الْمُقَهَّمَاءِ، وَالْمَشَاحِجِ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ، فَأَقْرَأُوا بِمِلِّ مَا أَجَابُوا بِهِ الْمَأْمُونُ فَنُحِّلَ سَبِيلَهُمْ، وَكَانَ مَا فَعَلَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ مِنْ ذَلِكَ بِأَمْرِ الْمَأْمُونِ .

وَكُتِبَ الْمَأْمُونُ مَعْدُ ذَلِكَ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ :

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ مِنْ حَقِّ اللهِ عَلَى خُلَفَائِهِ فِي أَرْضِهِ، وَأَمَلَاتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، الَّذِينَ ارْتَضَاهُمْ لِإِقَامَةِ دِينِهِ، وَحَمَلُهُمْ رِعَايَةَ خَلْقِهِ، وَإِمَاضَاءَ حُكْمِهِ وَسُنَنِهِ، وَالِاتِّمَامَ بِمِثْلِهِ فِي بَرِيَّتِهِ، أَنْ يَجْهَدُوا اللهُ أَنْفُسَهُمْ، وَيَتَصَحَّحُوا لَهُ فِيمَا أَسْنَحَفَظَهُمْ وَقَلَدَهُمْ، وَنَدَّوْا عَلَيْهِ — تَبَارَكَ اسْمُهُ — وَتَعَالَى — بِفَضْلِ الْعِلْمِ الَّذِي أَوْدَعَهُمْ، وَالْمَعْرِفَةِ الَّتِي جَعَلَهَا فِيهِمْ، وَجَدُّوا إِلَيْهِ مَنْ زَاغَ عَنْهُ، وَيُرِدُّوا مَنْ أَدْبَرَ عَنْ أَمْرِهِ، وَنَهَجُوا لِرَعَايَاهُمْ تَمَّتْ نَجَاتُهُمْ . وَيَقْفُوهُمْ عَلَى حُدُودِ إِيمَانِهِمْ، وَسَبِيلِ فُوزِهِمْ وَعَصَمَتِهِمْ، وَيَكْسُوا لَهُمْ عَنْ مُقْطِعَاتِ أُمُورِهِمْ، وَمُسْتَبْهَاتِهَا

عليهم ، بما يدفعون الرب عنهم ، ويعود بالضيء والبيئة على كآتهم ؛ وأن يؤثروا ذلك من إرشادهم وتبصيرهم ، إذ كان جامعا لفنون مصانهم ، ومستظلا لحظوظ عاجلتهم وأجلتهم ، ويتذكروا أن الله مُرْصِدٌ من مسألتهم عما حُمِّلوه ، ومجازاتهم بما أسلفوه ، وقتلوا عنده ؛ وما توفيقُ أمير المؤمنين ، إلا بالله وحده ، وحسبه الله وكفى به . ومما بينه أمير المؤمنين برويته ، وطالعه بفكره ، فتبين عظيم خطره ، وجليل ما يربح في الدين من وكفه وضرره ما ينال المسلمون بينهم من القول في القرآن الذي جعله الله إماما لهم ، وأثرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم باقيا لهم ، وأشتباهه على كثير منهم ، حتى حسن عندهم ، وترين في عقولهم ، ألا يكون مخلوقا ، فتمرضوا بذلك لدفع خلق الله ، الذي بان به عن خلقه ، وتهدد بجلالته من ابتداع الأشياء كلها بحكمته ، وإنشائها بقدرته ، والتقدم عليها بأوليته ، التي لا يُبلغ أولاهها ، ولا يدرك مداها ، وكان كل شيء دونه ، خلقا من خلقه ، وحدثا هو المُحدث له ، وإن كان القرآن ناطقا به ، ودالا عليه ، وقاطعا للاختلاف فيه ، وضاهوا به قول النصارى ، في أدعائهم في عيسى بن مريم أنه ليس بمخلوق ، إذ كان كلمة الله ، والله عز وجل يقول : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ . وتأويل ذلك : إنا خلقناه ، كما قال جل جلاله : ﴿ وَجَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ . وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ . ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ . فسوى عز وجل ، بين القرآن ، وبين هذه الخلائق ، التي ذكرها في شية الصنعة ، وأخبر أنه جاعله وحده ، فقال : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ . فقال ذلك على إحاطة اللوح بالقرآن ، ولا يُحاط إلا بمخلوق ، وقال أنبيي صلى الله عليه وسلم : : لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ تُجْعَلُ بِهِ : . وقال : ﴿ زَمَّا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ ﴾ . وقال : : فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ . وأخبر عن قوم ذمهم بكنبهم ، أنهم قالوا : : مَا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَى بَشِيرٍ مِنْ شَيْءٍ : . ثم أكنبهم على لسان رسوله ، فقال لرسوله : : فُلْ مِنْ أَنْزَلِ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى : . فسمى الله تعالى القرآن قرآنا وذِكْرًا . وإيمانا ونورا وهدى ومباركا وعرييا

وقصصا، فقال : (نَحْنُ قُصَّصٌ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقُصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ) .
 وقال : (قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ) .
 وقال : (قُلْ فَأْتُوا بِمِثْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُقْتَرَاتٍ) . وقال : (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
 وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) . بفعل له أولا وآخرا، ودل عليه، أنه محدود مخلوق، وقد عظم هؤلاء
 الجهلة بقولهم في القرآن، التلم في دينهم، والخروج في أمانتهم، وسهلوا السبيل لعدو
 الإسلام، وأعتفوا بالتبديل والإلحاد على قلوبهم حتى عرفتوا، ووصفوا خلق الله وفعله
 بالصفة التي هي لله وحده وشبهوه به، والإشباع أولى بخلقهم، وليس يرى أمير المؤمنين،
 لمن قال بهذه المقالة خطأ في الدين، ولا نصيبا من الإيمان واليقين، ولا يرى أن يُحْسَل
 أحدا منهم محل الثقة في أمانة ولا عدالة ولا شهادة، ولا صديق في قول ولا حكاية، ولا تولية
 لشيء من أمر الرعية؛ وإن ظهر قصد بعضهم، وعُرف بالسادس مُستد فيهم، فإن الفروع
 مردودة إلى أصولها، ومحولة في الحمد والذم عليها، ومن كان جاهلا بأمر دينه، الذي
 أمره الله به، من وحدانيته، فهو بما سواه أعظم جهلا، وعن الرشد في غيره أعمى وأضل
 سبيلا .

فأقرأ على جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن إسحاق القاضي كتاب أمير المؤمنين، بما
 كتب به إليك، وانصصهما عن عليهما في القرآن، وأعلمهما أن أمير المؤمنين لا يستعين
 على شيء من أمور المسلمين، إلا بمن وثق بإخلاصه وتوحيده، وأنه لا نوحيد لمن لم يُقَرَّ
 بأن القرآن مخلوق، فإن قالوا بقول أمير المؤمنين في ذلك فتقدم البهما في امتحان من يحضر
 مجالسهما، بالشهادات على الحقوق، ونصهم عن قولهم في القرآن، فمن لم يقل منهم إنه
 مخلوق، أبطلأ شهادته، ولم يقطعا حكما بقوله، وإن ثبت عفاقه بالقصد والسادس في أمره،
 وأفعل ذلك بمن في سائر عمالك من القضاة، وأشرف عليهم إشرافا يزيد الله به ذا البصيرة
 في بصيرته، ويمنع المراتب من إغفال دينه، وأكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون منك
 في ذلك إن شاء الله .

ثم لنتظر ما حصل بعد ذلك مما يرويه لنا الطبري قال :

فأحضر إسحاق بن إبراهيم لذلك جماعة من الفقهاء والحكام والمحدثين ، وأحضر
أبا حسان الزبائدي ، وبشر بن الوليد الكندي ، وعلى بن أبي مقاتل ، والفضل بن غانم ،
والذبال بن الهيثم ، وسجادة ، والقواريري ، وأحمد بن حنبل ، وثقبة ، وسعدويه الواسطي ،
وعلى بن الجعد ، وإسحاق بن أبي إسرائيل ، وأبن الهريش ، وأبن عتبة الأكبر ، ويحيى
ابن عبد الرحمن العمري ، وشيخا آخر من ولد عمر بن الخطاب ، كان قاضي الزرقعة وأبا نصر
التمار وأبا تممر القطيعي ، ومحمد بن حاتم بن ميمون ، ومحمد بن نوح المصروب ، وابن
الفرخان ، وجماعة منهم النضر بن شميل ، وابن علي بن عاصم ، وأبو العوام البزاز ، وابن
شجاع ، وعبد الرحمن بن إسحاق ، فأدخلوا جميعا على إسحاق ، فقرأ عليهم كتاب المأمون هذا
مرتين ، حتى فهموه ، ثم قال لبشر بن الوليد : ما نقول في القرآن ؟ فقال : قد صرفت
مقاتلي لأمر المؤمنين غير مرة ، قال : فقد تجد من كتاب أمير المؤمنين ما قد ترى ، فقال :
أقول القرآن كلام الله ، قال : لم أسألك عن هذا ، أخلق هو ؟ قال : الله خالق كل شيء ،
قال : ما القرآن شيء ؟ قال : هو شيء ، قال : فخلق هو ؟ قال : ليس بخالق ، قال : ليس
أسألك عن هذا ، أخلق هو ؟ قال : ما أحسن غير ما قلت لك ، وقد استعهدت
أمير المؤمنين ألا أتكلم فيه ، وأيس عندى غير ما قلت لك ، فأخذ إسحاق بن إبراهيم رقعة
كانت بين يديه ، فقرأها عليه ، ووقفه عليها ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله أحدا فردا
لم يكن قبله شيء ، ولا بعده شيء ، ولا يشبهه شيء من خلقه ، في معنى من المعاني ، ولا
وجه من الوجوه ، قال : نعم ، وقد كنت أضرب الناس على دون هذا ، فقال للكتاب :
أكتب ما قال .

ثم قال لعل بن أبي مقاتل : ما تقول يا علي ؟ قال : قد سمعت كلامي لأمر المؤمنين
في هذا غير مرة ، وما عندى غير ما سمع ، فامحنه بالرقعة ، فأتز بما فيها ، ثم قال : القرآن
خلق ؟ قال : القرآن كلام الله ، قال : لم أسألك عن هذا ، قال : هو كلام الله وإن
أمرنا أمير المؤمنين بنى سمعا وأطعنا ، فقال للكتاب : أكتب مقاله .

ثم قال للذيال نحو من مقالته لعل بن أبي مقاتل ، فقال له مثل ذلك . ثم قال لأبي حسان الزبائدي : ما عندك ؟ قال : سأل عما شئت ، فقرأ عليه الرقعة ، ووقفه عليها فأتى بما فيها . ثم قال : من لم يقل هذا القول فهو كافر ، فقال : القرآن مخلوق هو ؟ قال : القرآن كلام الله والله خالق كل شيء ، وما دون الله مخلوق ، وأمير المؤمنين إمامنا وبسببه سمعنا عامة العلم ، وقد سمع ما لم نسمع ، وعلّم ما لم نعلم ، وقد قلّده الله أمرنا ، فصار يُقيم حجتنا وصلاتنا ، ويُؤدّي إليه زكاة أموالنا ، ويُجاهد معه ، ونرى إمامته إمامة ، وإن أمرنا اتّممنا ، وإن نهانا أتينا ، وإن دمانا أجبتنا ، قال : القرآن مخلوق هو ؟ فأعاد عليه أبو حسان مقالته ، قال : إن هذه مقالة أمير المؤمنين ، قال : قد تكون مقالة أمير المؤمنين ولا يأمر بها الناس ، ولا يدعوهم إليها ، وإن أخبرني أنّ أمير المؤمنين أمرك أن أقول قلت ما أمرتني به ، فإنك النجعة ، المأمون عليه ، فيما أبلغتني عنه من شيء ، فإن أبلغتني عنه بشيء صرّث إليه ، قال : ما أمرني أن أبلغك شيئاً ، قال علي بن أبي مقاتل : قد يكون قوله باختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفرائض والموارث ، ولم يحملوا الناس عليها ، قال له أبو حسان : ما عندي إلا السمع والطاعة ، فمرني آتياً ، قال : ما أمرني أن أمرك ، وإنما أمرني أن أمتعنك .

ثم طرد إلى أحمد بن حنبل ، فقال له : ما تقول في القرآن ؟ قال : هو كلام الله ، قال : أم مخلوق هو ؟ قال : هو كلام الله لا أزيد عليها ، فامتنع بها في الرقعة ، فلما أتى إلى ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) وأمسك عن لا يشبهه شيء من خلقه ، في معنى من المعاني ، ولا وجه من الوجوه ، فاعترض عليه ابن البكاء الأصغر ، فقال — أصلحك الله — : إنه يقول : سمع من أذن ، بصير من عين ، فقال إسحاق لأحمد بن حنبل : ما معنى قوله سمع بصير ؟ قال : هو كما وصف نفسه ، قال : فما معناه ؟ قال : لا أدري هو كما وصف نفسه ، ثم دعا بهم رجلاً رجلاً كلهم يقول : القرآن كلام الله ، إلا هؤلاء نفر : قتيبة ، وعبيد الله بن محمد بن الحسن ، وابن عتبة الأكبر ، وابن البكاء . وعبد المنعم بن إدريس

ابن بنت وهب بن مُنْبَه ، والمُظَفَّر ابن مُرَجَّأ ، ورجلا ضريرا ليس من أهل الفقه ، ولا يُعرَف بشيء منه ، إلَّا أَنَّهُ دُثِرَ في ذلك الموضع ، ورجلا من ولد عمر بن الخطاب قاضي الرقة ، وابن الأحرر ، فأما ابن البكاء الأكبر فإنه قال : القرآن مجعول لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ۖ وَالْقُرْآنُ مُحَدَّثٌ لِّقَوْلِهِ : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ ﴾ ﴾ قال له إسحاق : فالمجعول مخلوق ؟ قال : نعم ، قال : فالقرآن مخلوق ؟ قال : لا أقول مخلوق ولكنه مجعول ، فكتب مقائسه ، فلما فرغ من امتحان القوم وكتب مقالاتهم أعترض ابن البكاء الأصغر فقال — أصلحك الله — : إن هذين القاضيين أئمة ، فلو أمرتهما فأعادا الكلام ! قال له إسحاق : هما من يقوم بحجة أمير المؤمنين ، قال : فلو أمرتهما أن يُسمِعانا مقالاتهما لنُحْكِي ذلك عنهما ! قال له إسحاق : إن شهدتهما عندهما بشهادة فستعلم مقالاتهما إن شاء الله ، فكتب مقالة القوم رجلا رجلا ووجهت الى المأمون ، فكث القوم تسعة أيام ثم دعا بهم . وقد ورد كتاب المأمون . جوابُ كتاب إسحاق بن إبراهيم في أمرهم . وهاك هو ما منجمله ختاماً لكلتنا .



بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك جوابُ كتابه ، كان اليك فيما ذهب إليه مُتَّصِعَةً أهل القبلة ، وملنمِسُوا الرئاسة فيما ليسوا له بأهل من أهل الملة ، من القول في القرآن ، وأمرَكَ به أمير المؤمنين ، من امتحانهم ، وتكشيف أحوالهم ، وإحلالهم محالهم . تذكر إحضارَكَ جعفر بن عيسى ، وعبد الرحمن بن إسحاق ، عند ورود كتاب أمير المؤمنين ، مع من أحضرت ممن كان ينسب الى الفقه ، ويُعرَف بالجلوس للحديث ، ويتَّصِب نفسه للفتيا بمدينة السلام ، وقراءتك عليهم جميعاً كتاب أمير المؤمنين ، ومساالتك إياهم عن اعتقادهم في القرآن ، والدلالة لهم على خطيئهم ، وإطباقهم على نفي التشبيه ، واختلافهم في القرآن ، وأمرَكَ مَنْ لم يقل منهم إنه مخلوق بالإمساك عن الحديث والفتوى ، في السر والعلانية ، وتهدُّمَكَ الى السُّنْدِي ، وعباس مولى أمير المؤمنين بما

تَهْدَمَتْ بِهِ فِيهِمْ إِلَى الْقَاضِيَيْنِ بِمِثْلِ مَا مِثْلُكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ أَمْتَحَانٍ مَنْ يَحْضُرُ
بِجَالِسِهِمَا مِنَ الشُّهُودِ ، وَبَثَّ الْكُتُبَ إِلَى الْقَضَاةِ فِي النُّوَاحِي مِنْ عَمَلِكَ بِالْقُدُومِ طَيْبِكَ ،
لِتَحْمِلَهُمْ وَتَمْتَحِنَهُمْ عَلَى مَا حَلَدَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَثْبِيْتُكَ فِي آثَرِ الْكُتُبِ أَسْمَاءَ مَنْ حَضَرَ
وَمَقَالَاتِهِمْ ، وَفَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا اقْتَضَصْتَ ؛ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَحْمَدُ اللَّهَ كَثِيرًا كَمَا هُوَ أَهْلُهُ ،
وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَصِلِّيَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ عَزَّ وَجَلَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَرْغَبَ إِلَى اللَّهِ فِي التَّوْفِيقِ
لِطَاعَتِهِ ، وَحَسَنِ الْمَعُونَةِ ، عَلَى صَالِحِ نَيْتِهِ بِرَحْمَتِهِ .

وَقَدْ تَدَبَّرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَتَبْتَ بِهِ مِنْ أَسْمَاءَ مَنْ سَأَلْتَ عَنِ الْقُرْآنِ ، وَمَا رَجَعَ
إِلَيْكَ فِيهِ كُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ ، وَمَا شَرَحْتَ مِنْ مَقَالَتِهِمْ ؛ فَأَمَّا مَا قَالَ الْمَغْرُورُ بِشَرِّ بْنِ الْوَلِيدِ
فِي تَقْيِ التَّشْبِيهِ ، وَمَا أَمْسَكَ عَنْهُ مِنْ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ ، وَأَدَّعَى مِنْ تَرْكِهِ الْكَلَامَ فِي ذَلِكَ
وَأَسْتَعْيَاذِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَدْ كَذَّبَ بِشَرِّ فِي ذَلِكَ وَكُفْرًا ، وَقَالَ الزُّورَ وَالْمُنْكَرَ ، وَلَمْ يَكُنْ
بَرَّيْ بَيْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَبَيْنَهُ فِي ذَلِكَ ، وَلَا فِي غَيْرِهِ ، عَهْدٌ وَلَا نَظَرٌ أَكْثَرَ مِنْ إِخْبَارِهِ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَعْتِقَادِهِ كَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ وَالْقَوْلَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ ، فَادَّعَى بِهِ إِلَيْكَ ،
وَأَعْلَمَهُ مَا أَعْلَمَكَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنْصَصَهُ عَنْ قَوْلِهِ فِي الْقُرْآنِ ، وَاسْتَنْبَهَ مِنْهُ ،
فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَرَى أَنَّ تَسْتَيْبَ مَنْ قَالَ بِمَقَالَتِهِ إِذْ كَانَتْ تِلْكَ الْمَقَالَةُ الْكُفْرَ الصَّرَاحَ وَالشُّرْكَ
الْمَحْضَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ تَابَ مِنْهَا فَأَشْهَرُ أَمْرِهِ ، وَأَمْسَكَ عَنْهُ ، وَإِنْ أَصْرَ عَلَى شُرْكَهِ ،
وَدَفَعُ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنَ مَخْلُوقًا بِكُفْرِهِ وَإِلْحَادِهِ ، فَاضْرِبْ عَقَبَهُ ، وَأَبْعَثْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
بِرَأْسِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَكَذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ فَامْتَحَنَهُ بِمِثْلِ مَا تَمْتَحِنُ بِهِ بَشَرًا ، فَإِنَّهُ كَانَ
يَقُولُ بِقَوْلِهِ ، وَقَدْ بَلَّغْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْهُ بِالْبَلِّغِ ، فَإِنْ قَالَ إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ ، فَأَشْهَرُ أَمْرِهِ
وَأَكْشَفُهُ ، وَإِلَّا فَاضْرِبْ عَقَبَهُ ، وَأَبْعَثْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِرَأْسِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي مُقَاتِلٍ فَقِيلَ لَهُ : أَلَسْتَ الْقَائِلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ تَحَالٌ وَتَحَرِّمُ
وَالْمُكَلِّمُ لَهُ بِمِثْلِ مَا كَتَبْتَهُ بِهِ ، مِمَّا لَمْ يَذْهَبْ عَنْهُ ذِكْرُهُ ؛ وَأَمَّا الذِّيَالُ بْنُ الْهَيْثَمِ ، فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ
كَانَ فِي الطَّعَامِ الَّذِي كَانَ يُسِيرُ فِيهِ فِي الْأَنْبَارِ ، وَفِيمَا يَسْتَوِي عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ مَدِينَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

أبي العباس ما يشقه، وأنه لو كان مقتضياً آثار سلفه، وسالكا مناهجهم، ومُتخذاً سبيلهم، لما خرج إلى الشرك بعد إيمانه، وأما أحمد بن يزيد المعروف بأبي العَوّام، وقوله إنه لا يُحسّن الجواب في القرآن، فأعلمه أنه صبيٌّ في عقله، لا في سنه، جاهل، وأنه إن كان لا يُحسّن الجواب في القرآن فسيُحسّنه، إذا أخذه التأديب، ثم إن لم يفعل كان السيف من وراء ذلك إن شاء الله.

وأما أحمد بن حنبل، وما تكتب عنه، فأعلمه أنّ أمير المؤمنين قد حرّف لقوى تلك المقالة، وسبيله فيها، وأستدلّ على جهله، وأفته بها، وأما الفضل بن غانم، فأعلمه أنه لم يَخَفْ على أمير المؤمنين ما كان منه بمصر، وما آكتسب من الأموال في أقلّ من سنة، وما تخبر بينه وبين المُطَلَب بن عبد الله في ذلك، فإنه من كان شأنه شأنه، وكانت رغبته في الدينار والدرهم رغبته، فليس بمُستكرأنّ يبيع إيمانه طمعا فيهما، وإيثارا لعاجل نعمهما، وإنه مع ذلك القائلُ لمليّ بن هشام ما قال، والمخالفُ له فيما خالفه فيه، فما الذي حال به عن ذلك، ونقله الى غيره، وأما الزّيادي، فأعلمه أنه كان مُتبعاً لأوّلِ دُعيّ كان في الإسلام خولف فيه حكمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان جديراً أن يسلك مسلكه فانكر أبو حسان أن يكون مولى لزيد، أو يكون مولى لأحد من الناس، — ودُكر أنه لما نُسب الى زيد لأمر من الأمور— وأما المعروف بأبي نصر التمار، فإن أمير المؤمنين شبه خسارة عقله بخسارة متجره، وأما الفضل بن الفرخان، فأعلمه أنه حاول بالقول الذي قاله في القرآن أخذَ الودائع التي أودعها إياه عبد الرحمن بن إسمحاق وغيره، تربصاً بمن استودعه، وطمعاً في الاستكثار لما صار في يده، ولا سبيل عليه عن تقادم جهده، وتطاول الأيام به، فقل لعبد الرحمن بن إسمحاق لا جزاك الله خيراً عن تهويتك مثل هذا، وإيمانك إياه، وهو معتقّد للشرك، منسلخ من التوحيد.

وأما محمد بن حاتم، وابن نوح، والمعروف بأبي مَعمر، فأعلمهم أنهم مشاغل بأكل الربا، عن الوقوف على التوحيد، وأنّ أمة المؤمنين لو لم يستحلّ محاربتهم في الله ومجاهدتهم،

إلا لإربابهم، وما نزل به كُتُب الله في أمثالهم، لاستحل ذلك، فكيف بهم وقد جمعوا مع الإرباء شركاً، وصاروا للنصارى مثلاً؛ وأما أحمد بن شجاع، فأعلمه أنك صاحبُه بالأمس، والمستخرج منه ما استخرجته من المال الذي كان استحلّه من مال عليّ بن هشام، وأنه ممن الدينار والدرهم دينه؛ وأما سَعْدَوِيّ الواسطيّ فقل له: قَبِّحَ اللهُ رجلاً بلغ به التصنع للحديث، والترين به، والحرصُ على طلب الرئاسة فيه، أن يمتنّى وقت المحنة فيقول بالتقرب بها: متى يُمتحنُ فيجلسُ للحديث؛ وأما المعروف بسجادة، وإنكاره أن يكون سميع من كان يجالس من أهل الحديث، وأهل الفقه، الدوّل بأن القرآن مخلوق، فأعلمه أنه في شغله بإعداد النوى، وحكّه لإصلاح سجّادته، وبالودائع التي دفعها إليه علي بن يحيى وغيره ما أذهله عن التوحيد وألهاه، ثم سلّه عما كان يوسف بن أبي يوسف، ومحمد بن الحسن، يقولانه إن كان شاهدهما وجالمهما؛ وأما القواريريّ فقيماً تكشف من أحواله، وقبوله الرشا والمصانعات ما أبان عن مذهبه، وسوء طريقته، وسخافة عقله ودينه، وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أنه يتولّى لجعفر بن عيسى الحسنيّ مسائله، فتقدّم إلى جعفر بن عيسى في رفضه، وترك الثقة به، والاستئانة إليه.

وأما يحيى بن عبد الرحمن العمريّ، فإن كان من ولد عمر بن الخطاب بغوايه معروف؛ وأما محمد بن الحسن بن علي بن عاصم فإنه لو كان مقتدياً بمن مضى من سلّمه لم يتحلّ النحلة التي حكيت عنه، وإنه بعدُ صبيّ يحتاج إلى تعلّم، وقد كان أمير المؤمنين وجه إليك المعروف بأبي مُشِير، بعد أن نصّه أمير المؤمنين عن محنته في القرآن، فجمّع منها، وبلّج فيها، حتى دعا له أمير المؤمنين بالسيف، فأقرّ ذمياً، فانصصه عن إقراره، فإن كان مقياً عليه فأشهر ذلك وأظهره إن شاء الله؛ ومن لم يرجع عن شركه ممن سميت لأُمير المؤمنين في كتابك، وذكره أمير المؤمنين لك، أو أمسك عن ذكره في كتابه هذا، ولم يقل إن القرآن مخلوق، بعد بئر بن الوليد، وإبراهيم بن المهدي، فأحلهم أجمعين، مؤثّقين

الى عسكر أمير المؤمنين مع من يقوم بحفظهم ، وحراستهم في طريقهم ، حتى يؤتيهم الى عسكر أمير المؤمنين ، ويُسلمهم الى من يُؤمر بتسليمهم اليه ، لينصّبهم أمير المؤمنين ، فإن لم يرجعوا ويتوبوا حملهم جميعا على السيف إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله ؛ وقد أنفذ أمير المؤمنين كتابه هذا في خريطة بُندارية ، ولم ينظر به اجتماع الكتب الخرائطية مُعجلا به ، تقربا الى الله عز وجل بما أصلر من الحكم ، ورجاء ما أحتمد ، وإدراك ما أمل ، من جزيل نواب الله عليه ، فأنفذ لما أتاك من أمر أمير المؤمنين ، وعجل لإجابة أمير المؤمنين بما يكون منك في خريطة بُندارية مفردة عن سائر الخرائط ، لتعرف أمير المؤمنين ما يعملونه إن شاء الله . وكتب سنة ٢١٨ هـ .

(ج) عهد طاهر بن الحسين

قال ابن طيفور : ولما عهد طاهر بن الحسين الى عبدالله ابنه هذا العهد ، تنازعه الناس وكتبوه وتدارسوه ، وشاع أمره حتى بلغ المأمون ، فدعا به وقرئ عليه ، وقال : ما أبى أبو الطيب شيئا من الدين والدنيا ، والتدبير والرأى ، وإصلاح الملك والرعية ، وحفظ البيعة ، وطاعة الخلفاء ، وتقوم الخلافة الا وقد أحكمه ، وأوصى به ، وتقدم فيه . وأمر أن يكتب بذلك الى جميع المال في نواحي الأعمال . ولما كان هذا العهد من الوثائق التاريخية التي لها قيمتها العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية أثرنا ذكره على ما فيه من طول رغبة منا في ألا يخلو كتابنا من هذا الأثر العظيم القيمة والخطير ، وهما كه :

« عليك بتقوى الله وحده لا شريك له ، وخشيته ومراقبته ومزايلة خطه ، وحفظ رعيته ، وأزمت ما ألبسك الله في العافية بالذكر لمعادك ، وما أنت صائر اليه ، وموقوف عليه ، ومستول عنه ، والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله ويُنجيك يوم القيامة من عذابه وأليم عقابه ، فإن الله قد أحسن اليك ، وأوجب عليك الرأفة بمن أسرتك أمرهم من عباده ، وألزمك العدل عليهم ، والقيام بحقه وحدوده فيهم ، والنزب عنهم ، والدفع عن حريمهم ويضمتهم ، والحقق لدمائهم ، والأمرن أسيلهم . وإدخال الراحة عليهم في معاشهم ، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك ، وموقفك عليه ، ومساثلك ، ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ، ففرغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك ورويتك ، ولا يهلكك عنه ذهل ، ولا يسغلك عنه شغل ، فإنه رأس أمرك وملاكك شامك ، وأول ما يوقفك الله به لرشدك ، وليكن أول ما يلزم به نفسك وتنسب اليه فعالمك ، المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس ، والجماعة عليها بالناس قبلك في موافقتها على سنتها في إسباغ الوضوء لها وأقتناح ذكر الله فيها ، وترنل في قراءتك ، وتمكن في ركوعك وسجودك وتسهدك ، ولتصدق فيها لربك نيتك ، وأحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك ، وأدأب عليها فإنها كما

قال الله تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ثم أتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمثابرة على خلافته، وأقتفاء آثار السلف الصالح من بعده، وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله وتوحيده، ولزوم ما أنزل الله في كتابه، من أمره ونهيه، وحلاله وحرامه، وإتمام ما جاءت به الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قم فيه بما يحق لله عليك، ولا تمل عن العدل فيما أحببت أو كرهت، لقريب من الناس أو بعيد، وأثر الفقه وأهله، والدين وسمّيته وكتاب الله والعاملين به، فإن أفضل ما ترين به المراءى الفقه في دين الله، والطلب له والحث عليه، والمعرفة بما يتقرب به إلى الله، فإنه الدليل على الخير كله، والقائد له، والآمر به، والنهى عن المعاصي والموبقات كلها، وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله، عز وجل، وإجلالا له ودركا للدرجات العلى في المعاد، مع ما في ظهوره للناس من التوفيق لأمرك والهيبة لسلطانك، والألفة بك والثقة بك. وعليك بالاعتصام في الأمور كلها فليس شيء أيقن فعا ولا أحضرا منا ولا أجمع فضلا من القصد، والقصد داعية إلى الرشده، والرشد دليل على التوفيق، والتوفيق متفاد إلى السعادة، ويقوم الدين والسنن الهداية بالاعتصام، فأثره في دنياك كلها، ولا تقصر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة، والسنن المعروفة ومعالم الرشده، فلا غاية للاستكثار من البر والسعي له، إذا كان يطلب به وجه الله ومرضاته، ومراقبة أوليائه، في دار كرامته.

وأعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز، ويحصن من الذنوب وأنك لن تحوط نفسك ومن يليك، ولا تستصليح أمورك، بأفضل منه، فاته، وأهتد به تم أمورك، وترد مقدرتك، وتصلح خاصتك وعاطتكم، وأحسن الظن بالله عز وجل، تستقم لك رعيته، والنسب الوسيلة إليه في الأمور كلها، تستمد به النعمة عليك، ولا تفيض أحدا من الناس، فيما توليه من عملك، قبل تكشف أمره بالتهمة، فإن إلقاء التهم بالبراء والظنون السيئة بهم مأثم، وأجعل من شأنك، حسن الظن بأصحابك، وأطرد عنك سوء الظن بهم، وأرقضه عنهم، يمتك ذلك على أصحابناهم ويبرأضهم، ولا يحدت عدو الله الشيطان في أمرك مغفرا،

فإنه انما يكتفى بالقليل من وَهْنِكَ فَيَدْخُلُ عَلَيْكَ مِنَ النِّعَمِ ، فِي سُوءِ الظَّنِّ ، مَا يُنْقِصُ عَلَيْكَ
لَذَّةَ عَيْشِكَ ، وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تَجِدُ بِحَسَنِ الظَّنِّ ، قُوَّةَ وَرَاحَةٍ ، وَتُكْفَى بِهِ مَا أَحْبَبْتَ كِفَايَتَهُ مِنْ
أُمُورِكَ ، وَتَدْعُو بِهِ النَّاسَ إِلَى مَحَبَّتِكَ ، وَالْإِسْقَامَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا لَكَ . وَلَا يَمْنَعُكَ حَسَنُ الظَّنِّ
بِأَصْحَابِكَ ، وَالرَّافَةُ بِرَعِيَّتِكَ ، أَنْ تَسْتَعْمَلَ الْمَسْئِلَةَ وَالبَحْثَ عَنْ أُمُورِكَ وَالمَبَاشِرَةَ لِأُمُورِ
الْأَوْلِيَاءِ ، وَالْحَيَاطَةَ لِلرَّعِيَّةِ ، وَالنَّظَرَ فِيهَا يُقِيمُهَا وَيُصْلِحُهَا ، بَلْ لِيَكُنِ الْمَبَاشِرَةُ لِأُمُورِ الْأَوْلِيَاءِ ،
وَالْحَيَاطَةُ لِلرَّعِيَّةِ ، وَالنَّظَرُ فِي حَوَائِجِهِمْ ، وَحَمْلُ مَوْثِقَاتِهِمْ ، آثَرَعَنَّكَ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ
أَقْوَمُ لِلدِّينِ ، وَأَحْيَا لِلسُّنَّةِ ، وَأَخْلَصُ نِيَّتِكَ فِي جَمِيعِ هَذَا ، وَتَفُزُ بِتَقْوِيمِ نَفْسِكَ ، تَفُزُ مِنْ
يَعْلَمُ أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَمَّا صَنَعَ ، وَجَزَى بِمَا أَحْسَنَ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الدِّينَ حِرْزًا وَعِزًّا ، وَرَفَعَ مِنْ
أَتْبَعَهُ وَعِزَّزَهُ ، فَاسْلُكْ بَيْنَ تَسْوِسِهِ وَتَرْعَاهُ ، نَهْجَ الدِّينِ ، وَطَرِيقَةَ الْهُدَى ، وَأَقِمْ حُدُودَ اللَّهِ
فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ ، وَمَا أَسْتَحَقُّوهُ ، وَلَا تُعْطِلْ ذَلِكَ وَلَا تَهَونُ بِهِ ، وَلَا
تُؤَنِّرْ عَقُوبَةَ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ ، فَإِنْ فِي تَفْرِيطِكَ فِي ذَلِكَ ، لَمَّا يُفْسِدُ عَلَيْكَ حَسَنَ ظَنِّكَ ،
وَاغْزَمْ عَلَى أَمْرِكَ فِي ذَلِكَ بِالسَّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَجَانِبِ الشُّبُهَةِ وَالبِدْعَاتِ ، يَسْلَمُ لَكَ دِينُكَ ،
وَتَقُمَّ لَكَ مَرْوَةُكَ ، وَإِذَا طَاهَدْتَ عَهْدًا قَبْلَ بِهِ ، وَإِذَا وَعَدْتَ الْخَيْرَ فَأَنْجِزْهُ ، وَأَقْبَلِ الْحَسَنَةَ ،
وَأَدْفَعْ بِهَا ، وَأَغْمِضْ عَنْ عَيْبِ كُلِّ دَى عَيْبٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ ، وَأَشَدُّ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ الْكُذْبِ
وَالزُّورِ ، وَأَبْنِضْ أَهْلَهُ ، وَأَقْصِ أَهْلَ النِّيمَةِ ، فَإِنْ أَقْبَلَ فُسَادَ أَمْرِكَ فِي طَاجِلِ الْأُمُورِ
وَأَجْلَهَا ، تَقْرِبُ الْكُذُوبَ ، وَالْجَرَازَةَ عَلَى الْكُذْبِ ، لِأَنَّ الْكُذْبَ رَأْسُ الْمَآثِمِ ، وَالزُّورَ
وَالنِّيمَةَ خَاتِمُهَا ، لِأَنَّ النِّيمَةَ لَا يَسْلَمُ صَاحِبُهَا ، وَقَاتِلُهَا لَا يَسْلَمُ لَهُ صَاحِبٌ وَلَا يَسْتَقِيمُ لِمَطِيعِهَا
أَمْرٌ ، وَأَحِبَّ أَهْلَ الصِّدْقِ وَالصِّلَاحِ ، وَأَعْنِ الْأَشْرَافَ بِالْحَقِّ ، وَوَاوِصِلِ الضُّعَفَاءَ ، وَصِلِ
الرَّحِمَ ، وَابْتَغِ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ . وَعِزَّةَ أَمْرِهِ ، وَأَتَمَسَّ فِيهِ نَوَابِهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ ، وَاجْتَنِبِ
سُوءَ الْأَهْوَاءِ وَالجُورَ ، وَأَصْرِفْ عَنْهَا رَأْيَكَ . وَأُظْهِرْ مِنْ ذَلِكَ لِرَعِيَّتِكَ ، وَأَنْهَهِم بِالْعَدْلِ
سِيَاسَتَهُمْ ، وَفَمِ الْحَقُّ فِيهِمْ ، وَبِالْمَعْرَةِ الَّتِي نَتَبَّهَى بِهَا إِلَى سَبِيلِ الْهُدَى ، وَأَمْلِكْ نَفْسَكَ عِنْدَ
الْغَضَبِ ، وَآثِرِ الْوَقَارَ وَالحِلْمَ . وَإِنَّكَ رَاحِلَةٌ وَالعَطِيشُ وَالْفُرُورُ فَمَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ ، وَإِنَّكَ أَنْ

تقول : إني مُسلِّطٌ أفعل ما أشاء فان ذلك سريعٌ فيك إلى نقص الرأي ، وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له ، وأخلص لله وحده النية فيه ، واليقين به ، وأعلم أن الملك لله ، يعطيه من يشاء ، ويترعه من يشاء ولن نحمد تغير النعمة ، وحلول القيمة ، إلى أحد أسرع منه ، إلى حيلة النعمة ، من أصحاب السلطان ، والمبسوط لهم في الدولة ، إذا كفروا بنعم الله وإحسانه وأستطالوا بما آتاهم الله من فضله ، ودع عنك شره نفسك ، ولتكن ذخارتك وكنوزك التي تتدبر وتكثر ، البر والتقوى ، والمعدلة ، وأستصلاح الرعية وعمارة بلادهم ، والتفقد لأموالهم ، والحفظ لسمائهم ، والإغاثة للملهوفهم ، وأعلم أن الأموال إذا كثرت ودُخِرَت في الخزائن ، لا تُثْمَرُ ، وإذا كانت في إصلاح الرعية ، وإعطاء حقوقهم ، وكف المؤونة عنهم ، تمت ودبت ، وصلحت به العامة ، وترينت به الولاة ، وطالب به الزمان ، وأعتقد فيه العز والمصلحة ، فليكن كثر خزائلك تفرق الأموال في عمارة الإسلام وأهله ، ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم ، وأوف رعيته من ذلك حصصهم ، وتعهد بما يصلح أمورهم ومعايشهم ، فإنك إذا فعلت ذلك قوت النعمة عليك ، وأستوجبك المزيد من الله ، وكنت بذلك على جباية نراجك ، وجمع أموال رعيته وعملك أقدر ، وكان الجميع لما شملهم من عدلك وإحسانك أسلَس لطاعتك ، وأطيب نفسا بكل ما أردت ، فاجهد نفسك ، فيما حدثت لك في هذا الباب ، ولتَعْظُم حُسْبُكَ فيه ، فلنما يبقى من المال ، ما أنفق في سبيل حقه ، وأعرف للشاكرين شكرهم ، وإيهم عليه ، وإياك أن تُنسيك الدنيا وغروها هَوْلُ الآخرة ، فتهاون بما يحق عليك ، فان التهاون يوجب التفريط والتفريط يورث البوار ، وليكن عملك لله ، وفيه تبارك وتعالى ، وأرجُ الثواب ، فإن الله قد أسبغ عليك نعمته في الدنيا ، وأظهر لديك فضله ، فاعتمد بالشكر ، وعليه فاعتمد ، يزدك الله خيرا وإحسانا . فان الله يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين ، وقضاء الحق فيما حمل من النعم ، وألبس من العافية والكرامة ، ولا تحتقرن ذنبا ، ولا تمالئن حاسدا ، ولا ترجمن فاجرا ، ولا نصبتن كفورا ، ولا تهاينن عدوا ، ولا تصدقن نماما ، ولا تأمنن غدارا ، ولا توالين فاسقا ، ولا تتبعن ظالما ، ولا تحمدن

مُرَائِيًا ، ولا تُحِقِرْنَ إِنْسَانًا ، ولا تَرُدْنَ سَائِلًا فَقِيرًا ، ولا تَجْهِنَ بِاطِلًا ، ولا تَلَاخِظْنَ
مُضْحِكًا ، ولا تُخْلِفْنَ وَعْدًا ، ولا تَذْهَبْنَ نَفَرًا ، ولا تَظْهَرْنَ غَضَبًا ، ولا تَأْتِينَ بِذَنْبًا ،
ولا تَمْسِينَ مَرَحًا ، ولا تَرْكَبِينَ سَفَهًا ، ولا تُضْرِبِينَ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ ، ولا تَدْفَعِ الْيَوْمَ عِيَانًا ،
ولا تُقِمِّضَنَّ عَنِ الظَّالِمِ رَهْبَةً مِنْهُ ، أَوْ خَافَةً ، ولا تَطْلُبِينَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ فِي الدُّنْيَا ، وَأَكْثَرَ
مُشَاوَرَةِ الْفُقَهَاءِ ، وَاسْتَعْمِلِ نَفْسَكَ بِالْحِلْمِ ، وَخُذْ عَنِ أَهْلِ التَّجَارِبِ وَذَوِي الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ
وَالْحِكْمَةِ ، وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ أَهْلَ الدَّقَّةِ وَالْبُخْلِ ، وَلَا تَسْمَعَنَّ لَهُمْ قَوْلًا ، فَإِنَّ
ضَرَرَهُمْ أَكْثَرَ مِنْ نَفْعَتِهِمْ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَسْرَعَ نَسَادًا لِمَا اسْتَقْبَلَتْ فِي أَمْرِ رِعْيَتِكَ مِنَ
الشُّعْخِ ، وَأَعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا كُنْتَ حَرِيصًا ، كُنْتَ كَثِيرَ الْأَخْذِ ، قَلِيلَ الْعَطِيَّةِ ، وَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ
لَمْ يَسْتَقِمْ لَكَ أَمْرُكَ إِلَّا قَلِيلًا ، فَإِنَّ رِعْيَتَكَ إِنَّمَا تَعْتَدُّ عَلَى مَحَبَّتِكَ بِالْكَفِّ عَنْ أَمْوَالِهِمْ ،
وَتَرْكِ الْجُورِ عَلَيْهِمْ ، وَيَدْوَمُ صِفَاءُ أَوْلِيَائِكَ لَكَ ، بِالْإِنْفِصَالِ عَلَيْهِمْ ، وَحَسَنَ الْعَطِيَّةِ لَهُمْ ،
فَاجْتَنِبِ الشُّعْخَ ، وَأَعْلَمْ أَنَّهُ أَوَّلُ مَا عَصَى بِهِ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ ، وَإِنَّ الْعَاصِيَ بِمُتَرَلِّئَةِ نَزْوَى ،
وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، ﴿ وَمَنْ يُوقِ نَفْسَهُ فَأُوقِيكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ فَسَهِّلْ طَرِيقَ الْجُودِ
بِالْحَقِّ ، وَاجْعَلِ لِلسَّامِعِينَ كُلِّهِمْ مِنْ يَتِكَ حِظًّا وَنَصِيبًا ، وَأَيِّقَنَّ أَنَّ الْجُودَ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ
الْعِبَادِ ، فَاصْبِرْ لِنَفْسِكَ خُلُقًا ، وَأَرْضَ بِهِ عَمَلًا وَمَذْهَبًا ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ الْجُنْدِ فِي دَوَائِرِهِمْ ،
وَمَكَاتِبِهِمْ ، وَأَدْرِ عَلَيْهِمْ أَرْزَاقَهُمْ ، وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي مَعَايِشِهِمْ ، لِيُحِبُّ بِذَلِكَ اللَّهُ فَاقْتِهِمْ ،
وَيَقُومَ لَكَ أَمْرُهُمْ ، وَيَزِيدَ بِهِ قُلُوبُهُمْ فِي طَاعَتِكَ وَأَمْرِكَ ، خُلُوصًا وَانْشِرَاحًا ، وَحَسَبُ
ذِي سُلْطَانٍ مِنَ السَّعَادَةِ ، أَنْ يَكُونَ عَلَى جَنْدِهِ وَرِعْيَتِهِ ، رَحْمَةٌ فِي عَدْلِهِ وَحِيطَةٌ وَإِنصَافُهُ
وَعَنَايَتُهُ ، وَشَفَقَتُهُ وَرَبِّهِ وَتَوْسِيعَتُهُ ، فَزَايِلْ مَكْرُوهَ الْبَلَاءِ ، بِاسْتِئْثَارِ تَكَلُّمِ الْبَابِ الْآخِرِ
وَلِزُومِ الْعَمَلِ بِهِ تَلَقُّ أَنْ شَاءَ اللَّهُ نَجَاحًا وَصَلَاحًا وَفَلَاحًا .

وَأَعْلَمْ أَنَّ الْقَضَاءَ مِنَ اللَّهِ ، بِالْمَكَانِ الَّذِي لَيْسَ مِثْلُهُ شَيْءٌ مِنَ الْأُمُورِ ، لِأَنَّهُ مِيزَانُ اللَّهِ الَّذِي
تَعْتَدِلُ عَلَيْهِ الْأَحْوَالُ فِي الْأَرْضِ ، وَبِقَامَةِ الْعَدْلِ فِي الْقَضَاءِ وَالْعَمَلِ تَصْلُحُ الرِّعْيَةُ ، وَتُؤَمِّنُ
السَّبِيلَ ، وَيُنْصِفُ الْمَظْلُومَ ، وَيَأْخُذُ النَّاسَ بِحُقُوقِهِمْ ، وَتَحْسُنُ الْمَعِيشَةُ ، وَتُؤَدَّى حَقُّ

الطاعة، ويرزق الله العافية والسلامة، ويقوم الدين، وتجري السنن والشرائع، وعلى تجارها
يتميز الحق والعدل في القضاء، وأشد في أمر الله وتوزع عن النطق وأمض لإقامة
الحدود، وأقل العجلة، وأبعد من الضجر والتناق، وأفتح بالقسم، وتُسكن ربحك،
وتقر جلتك، وانتفع بتجربتك، وانبه في صمتك، وأسدد في منطقك، وأنصف الخصم،
وقف عند الشبهة، وأبلغ في المحبة، ولا يأخذك في أحد من رعيته ثبابة ولا مجاملة،
ولا لوم لائم، وتثبت وثاق، وراقب وأنظر، وتدبر وتذكر، وأعتبر وتواضع لربك، وأزاف
بجميع الرعية، وساط الحق على نفسك، ولا تسرعن الى سفك دم، فإن الدماء من الله بمكان
عظيم اتهاكا لها بغير حقها، وأنظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية، وجعله الله
للإسلام عزًا ورفعة، ولأهله سمة ومنعة، ولعدوه وعدوه كبتًا وغيظًا، ولأهل الكفر
من معادتهم ذلًا وصغارًا، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية، والعُموم فيه،
ولا تدفن منه شيئًا عن شريف لشرفه، وعن غنى لغناه، ولا عن كاتب لك، ولا أحد
من خاصتك، فلا تأخذن منه، فوق الاحتمال له، ولا تكافن أمرًا فيه شطط، وأحمل
الناس كلهم على مر الحق، فإن ذلك أجمع لأفئتهم، وأزيم لرضى العامة، واعلم أنك جعلت
بوليتك خازنًا وحافظًا، وراعيا، وإنما سمي أهل عملك رعيته، لأنك راعيتهم، وقيمتهم،
تأخذ منهم ما أعطوك، من عفوم ومقدرتهم، وتنفقه في قوام أمرهم وصلاحهم،
وتقوم أودهم، فاستعمل عليهم في كور عملك، ذوى الراى والتدبير والتجربة والخبرة
بالعمل، والعلم بالسياسة والعفاف، ووسع عليهم في الرزق، فإن ذلك من الحقوق اللازمة
لك فيما تهللت، وأسند اليك، ولا يسفلنك عنه شاغل، ولا يصرفك عنه صارف، فإنك
مضى آثرته، وقتت فيه بالواجب، استدعيت به زياده النعمة من ربك، وحسن الأحداث
في عملك، واستجرت به المحبة من رعيته، وأعنت على الصلاح، فذرت الخيرات
بيلدك، وقشت العمارة بناحيته، وظهر انحصب في كورك، وكذ خراجك، وتوفرت
أموالك، وقويت بذلك على ارتباط جنسك، وإرضاء العامة، بإفاضة العطاء فيهم من

نفسك ، وكنت محمود السياسة ، مرضى العدل في ذلك عند صدوك ، وكنت في أمورك كلها ، ذاعل وقوة ، وآلة وصلة ، فإفص في هذا ، ولا تقدم عليه شيئا ، محمد مقبة أمرك ، إن شاء الله ، وأجعل في كل كورة من عملك أمينا ، يخبرك أخبار عمالك ، ويكتب اليك بسيرتهم وأعمالهم ، حتى كأنك مع كل عامل في عمله ، مُعَيْنٌ لأمره كله ، وإن أردت أن تأمره بأمر ، فانظر في عواقب ما أردت من ذلك ، فإن رأيت السلامة فيه والعافية ، ورجوت فيه حسن النفع ، والنصح والصنع فامض به ، وإلا توقف عنه ، وراجع أهل البصر والعلم ، ثم خذ فيه عدته ، فإنه ربما نظر الرجل في أمر من أمره ، قد واثقه على ما يهوى ، فقواه على ذلك وأعجبه ، وإن لم ينظر في عواقبه أهلكه ، وقُضِ عليه أمره ، فاستميل الحزم في كل ما أردت وباشره بعد عون الله بالقوة ، وأكثر استشارة ربك ، في جميع أمورك ، وأقرض من عمل يومك ، ولا تؤخر نفسك ، وأكثر مباشرة بنفسك ، فإن لفد أمورا وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي آخرت ، وأعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه ، وإذا آخرت عمله أجمع عليك أمر يومين ، فشغلك ذلك حتى تُعْرِض عنه ، فإذا أمضيت لكل يوم عمله ، أرحت نفسك وبدنك ، وأحكمت أمور سلطانك ، وانظر أحرار الناس وذوى الشرف منهم ، ثم استيقن صفاء طوبتهم ، وتهذيب مودتهم لك ، ومظاهرهم بالنصح والمحافظة على أمرك ، فاستخلصهم ، وأحسن اليهم ، وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة ، فاحمل مؤوتهم وأصلح حالهم ، حتى لا يبعدوا لخبتهم مسأ ، وأفرد نفسك للنظر في أمور الفقراء والمساكين ، ومن لا يقدر على رفع مظالمه إليك ، والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه ، فاسأل عنه أخفى مسألة ، ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيك ، ومُرهم برفع حوائجهم وحالاتهم اليك ، لتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم ، وتعاهد ذوى البأساء ويتألمهم وأراملهم ، وأجعل لهم أرزاقا من بيت المال اقتداءً بأمير المؤمنين أعزاه الله في العطف عليهم والصلة لهم ، ليصلح الله بذلك عيشتهم ، وبرزقك به بركة وزيادة ، وأجر للأمرءاء من بيت المال ، وقدم حملة

القرآن منهم، والحافظين لآثاره، في الحراية على غيرهم، وأُنصِبَ لمرضى المسلمين دُورا
تؤويهم، وقواما يرقون بهم، وأطباء يعالجون أَسقامهم، وأَسعفهم بشهواتهم، ما لم يُؤد ذلك
إلى سرف في بيت المال، وأعلم أن الناس إذا أُعطوا حقوقهم، وأفضل أمانيتهم لم يُرضهم
ذلك، ولم تَطِب أنفسهم، دون رَفَع حوائجهم إلى وُلّاتهم، طمعا في نيل الزيادة، وفضل
الرفق منهم، وربما يَرِم المتصَفِّح لأُمور الناس لكثرة ما يَرِد عليه، ويشغل فكره وذنه، ومنها
ما يناله به مؤونة ومشقة، وليس من يرضى في العذل ويعرف محاسن أموره في العاجل
وفضل ثواب الآجل، كالذى يستقبل ما يقتر به إلى الله، ويلتمس رحمته به، وأكثر الإذن
للناس عليك، وأبرز لهم وجهك، وسكّن لهم أحراسك، وأخفّض لهم جناحك، وأظهر لهم
بشرك، وإنّ لهم في المسألة والمنطق، وأعطف عليهم بحودك وفضلك، وإذا أعطيت فأعط
بسماحة وطيب نفس، وأتمس الصنيعة والأجر، غير مكدر ولا متأن، فإن العطية على ذلك
تجارة مُربحة إن شاء الله، وأعتبر بما ترى من أمور الدنيا، ومن مضى من قبلك، من أهل
السلطان والرياسة، في القرون الخالية والأهم البائدة، ثم اعتصم في أحوالك كلها بأمر الله،
والوقوف عند محبته، والعمل بشريعته وسنته وإقامة دينه وكتابه، وأجنب ما فارق ذلك
وخالفه، ودعا إلى سخط الله، وأعرف ما تجمع عمالك من الأموال، ويُنفقون منها،
ولا تجمع حراما، ولا تُنفق إسرافا، وأكثر مجالسة العلماء، ومشاورتهم ومخاطبتهم، ولكن
هواك أتباع السنن وإقامتها، وإيثار مكارم الأمور ومعاليها، ولكن أكرم دُخلائك وخاصتك
عليك من إذا رأى عيا فيك لم تمنعه هيبتك من إنهاء ذلك اليك، في سرّ، وإعلامك
ما فيه من النقص، فإن أولئك أنصح أوليائك ومُظاهريك، وأنظر عمالك الذين يحضرتك،
وكتّابك فوق لكل رجل منهم في كل يوم وقتا يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامراته
وما عنده من حوائج عمالك وأمر كورك ورعيّتك، ثم فرغ لما يُورده عليك من ذلك
سمّك وبصرك، وفهمك وعقلك، وكرّر النظر إليه والتدبر له، فما كان موافقا للحزم والحق
فامضه وأسخر الله فيه، وما كان مخالفا لذلك فاصرفه إلى التثبت فيه والمسألة عنه،

ولا تمنّ على رعيّتك ولا على خيّم بمعروف تأتيه اليهم ، ولا تقبل من أحد منهم إلا
 الوفاء والاستقامة والعون في أمور أمير المؤمنين ، ولا تصعّن المعروف إلا على ذلك ،
 وتفهم كتابي اليك ، وأكثر النظر فيه ، والعمل به ، وأستمن بالله على جميع أمورك وأستخره ،
 فإن الله مع الصّالح وأهله ، ولكن أعظم سيرتك ، وأفضل رغبتك ، ما كان لله رضا ،
 ولبيته نظاما ، ولأهله عزّا وتمكيناً ، وللجنة والملة عدلا وصلاحا ، وأنا أسأل الله أن يحسن
 عونك وتوفيقك ، ورشدك وكلامك ، وأن يترل عليك فضله ورحمته ، بتمام فضله عليك ،
 وكرامته لك ، حتى يصلح أفضل أمثالك نصيبا ، وأوفرهم حظا ، وأسأهم ذكرا وأمرا ، وأن
 يهلك عدوك ومن تأواك ونبي طيك ، ويرزقك من رعيّتك العافية ، ويحجز الشيطان
 عنك ووساوسه ، حتى يستعلى أمرك بالميز والقوة والتوفيق ، إنه قريب مجيب .

(د) رسالة الخميس

من عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين، الى المبشرين على الحق، والتأخريين للدين،
من أهل خراسان وغيرهم من أهل الإسلام : سلام عليكم ، فإن أمير المؤمنين يمدح اليكم
الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله .

أما بعد، فالحمد لله القادر القاهر، الباعث الوارث، ذى العز والسلطان، والنور
والبرهان، فاطر السموات والأرض وما بينهما، والمتقن بالمتن والطول على أهلها، قبل
استحقاقهم لمثوبيته، بالمحافظة على شرائع طاعته، الذى جعل ما أودع عباده من نعمته، دليلا
هاديا لهم الى معرفته، بما أفادهم من الألباب، التى يفهمون بها فصل الخطاب، حتى اقتنوا
علم موارد الاختبار، ووقفوا مصادر الاعتبار، وحكوا على ما بطن بما ظهر، وعلى ما غاب بما
حضر، واستدلوا بما أراهم من بالغ حكمته، ومثقتي صنعته، وحاجة مترايل خلقه ومتواصله،
الى القوم بما يلبه ويصلحه، على أن له بارئاً أنشاء وأبتدأه، ويسر بعضه لبعض . فكان
من أقرب وجودهم، ما يباشرون به من أنفسهم فى تصرف أحوالهم، وفنون انتظامهم،
وما يظهرون عليه من العجز عن التأتى لما تكاملت به قواهم، وتمت به أدواتهم، مع أثر
تدبير الله عز وجل وتقديره فيهم، حتى صاروا الى الخلقة المحككة، والصوره المعجبه،
ليس لهم فى شيء منها تلطف يتمونه، ولا مقصد يعتمدونه من أنفسهم ؛ فإنه قال تعالى
ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبُّكَ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا
شَاءَ رَبَّكَ﴾ . ثم ما يتفكرون فيه من خلق السموات، وما يجرى فيها من الشمس والقمر
والنجوم مسخرات، على مسير لا يثبت العالم إلا به من تصارييف الأزمنة التى بها صلاح
الحرث والنسل، وإحياء الأرض، وإفلاح النبات والأشجار، وتماور الليل والنهار، ومر الأيام
والشهور والسنين التى تمحصى بها الأوقات ؛ ثم ما يوجد من دلائل التركيب فى طبقات
السقف المرفوع، والمهاد الموضوع، باختلاف أجزائه وألوانها، ونحو الأنهار، وإرساء

الجبال . ومن البيان الشاهد ما أخبر الله عز وجل به من إنشائه الخلق ، وحدوثه بعد أن لم يكن متوقفاً في السماء ، ونبأته إلى أجله في البقاء ، ثم محاربه مُنْقِضِيا إلى غاية القناء . ولو لم يكن له مُفْتَسِحٌ عدد ولا مُنْقَطِعٌ أمد ، ما ازداد ينشوء ، ولا تخيفه نقصان ، ولا تفاوت على الأزمان ؛ لأن ما لا حد له . ولا نهاية ، غير ممكن الاحتمال للنقص والزيادة . ثم ما يوجد عليه متعمته من ثبات بعضه لبعض ، وقوام كل شيء منه بما يسر له ، في بده استمداده إلى منتهى قتاده ؛ كما أحسج الله عز وجل على خلقه ، فقال : ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ . وقال عز وجل : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا قَانٍ وَيَسَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ . وكل ما تهتم من الأخبار عن آيات الله عز وجل ودلالته في سمواته التي بقی ، وأطباق الأرض التي دحا ، وأتار صنمه فيما برأ وذرا ، ثابت في فكر العقول ، حتى يسخر أولى الزرع ما يخلون على أنفسهم من الشبهة فيما يحسبون له من الأضداد والانتاد . جل عما يشركون . ولولا توحيده بالتدبير ، عن كل معين وظهير ، لكان الشركاء جُدراء أن تختلف بهم إرادتهم فيما يخلقون ، ولم يكن التخلف في إنباته وإزالته ليجلو من أحد وجهه ، وأيهما كان فيه فالجز والنقص مما أتاه وبرأه . جل البديع خالق الخلق ومالك الأمر عن ذلك وتعالى طوا كبيرا ؛ كما قال سبحانه : ﴿ مَا آمَنَّا اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَبَّيْ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ . ثم من عظيم نعمة الله عز وجل على خلقه اقتفاده إياهم ، وأنه يستدحم ويكلم على مناقبهم ، ويحتبهم مضارهم ، ويهديهم لما فيه صلاحهم ، ويرغبهم في المحافظة على التمسك بدين الله عز وجل ، الذي جعله عِصْمَةً لم وحاجراً بينهم .

ولولا ما تهتم به من تلافهم واستدراكهم بفضل رحمته ، لاجتاحهم التلف ، لتصور معرفتهم عن التائي لأهواتهم ومعايشهم ، ولم يكونوا ليقصروا على حظوظهم وأقسامهم عما بنوا عليه من الجمع والرغبة ، ولتألكوا ابني بعضهم على بعض ، وعدوان قوتهم على ضعيفهم ، ولكنة بعد تعريضه إياهم ملك قدرته وجلالة عزته ، بعث إليهم أنبياء ورسله مبشرين ومنذرين ،

بِالْآيَاتِ الَّتِي لَا تَنَالُهَا أَيْدِي الظَّالِمِينَ ، فَرَضُوا بِمَا قَسَطَ بَيْنَهُمْ ، وَارْتَدَّوْا عَنِ التَّبَاغِي وَالنِّظَامِ ،
لَمَّا وَعِدُوا مِنَ الثَّوَابِ الْجَسِيمِ وَخُوفُوا مِنَ الْعِقَابِ الْأَلِيمِ ، وَلَمْ يَكُونُوا لِيُطِيعُوا أَمْرًا
لَا مَرَّ وَلَا نَهْيًا لِنَاهٍ ، إِلَّا بِحُجَّةٍ يَتَّبِعِينَ بِهَا الْحَقُّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنَ الْمُبْطِلِينَ ، وَتَخْوِيفٍ
يَتَّقُونَ بِهِ مُقَارَفَةً مَا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ ، وَرَجَاءٍ يَتَجَشَّسُونَ لَهُ مَوْثُومَةً مَا تُعْبَدُوا بِهِ . فَافْتَتَحَ اللَّهُ عِزَّ
وَجَلَّ بِأَيُّهِمْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَاعْلَمَهُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لَهُ -
كَمَا أَقْنَصَ فِي وَجْهِهِ الْمَنْزِلَ - وَكَرَّمَ وَلَدَهُ وَفَضَّلَهُمْ ، فَقَالَ جَلَّ وَعِزَّ : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا نَبِيَّ آدَمَ
وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْأَلْبَرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ .
وَجَعَلَ مَا قَطَرَهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعَطْفِ عَلَى ذُرِّيَّتِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ سَبَبًا لَمَّا أَرَادَ مِنْ بَقَائِهِمْ وَتَنَاسُلِهِمْ ،
وَمَا اخْتَصَمَهُمْ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ حُجَّةً عَلَيْهِمْ ، لِيَتَمَتَّعَ طَاعَتَهُمْ ، وَيَلُؤَّهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ
عَمَلًا . وَلَمْ تَزَلْ رِسَالُ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ إِلَى خَلْقِهِ تَتَرَى بِالنُّورِ السَّاطِعِ ، وَالْبَرَهَانِ الْقَاطِعِ ،
لَا يَجِدُونَ لَهَا يُورِدُونَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ الْقَاهِرِ مَرَدًّا وَلَا مَدْفَعًا ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ :
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاتَّقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا وَكَانَ
حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . فَلَمْ يَحِدِ الْمَكْتَبُونَ مَسَاغًا إِلَى دَفْعِ مَا أَقِيمَ عَلَيْهِمْ مِنْ لَازِمِ الْحُجَّةِ ،
إِلَّا الْمَعَانِدَةَ وَالْمُجَاهِدَةَ . وَكَانَ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، يُتَّبَعُونَ فِي أَصَارِ الْحَقِّ ،
تُذَرُّ لَلَامُ ، حَتَّى خَسِمَهُمُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ بِالنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَشَّهَ فُرْدًا
وَحِيدًا لَا عَاضِدَ لَهُ وَلَا رَافِدَ ، إِلَى قَوْمٍ يَعْبُدُونَ أَصْنَامًا بُمَجًا ، وَحِجَارَةً صَمًّا ، فَكَذَّبَ بِهِ
الْقَوْمُ الَّذِينَ يُبْعَثُ فِيهِمْ أَوَّلَ مَا دَعَاهُمْ ، وَرَامَهُ مَلُوكُ أَقْطَارِ الْبِلَادِ بِتَوْجِيهِ الْأَجْنَادِ ،
وَمُرَافِدَةِ الْقُوَّةِ وَالْعِتَادِ وَبَنَى الْغَوَائِلَ ، وَنَصَبَ الْحِبَائِلَ ، وَهُوَ يَدْعُو إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ
بِمَا أَمَرَهُ بِهِ ، إِذْ يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ . ثُمَّ جَاهَدَ بَيْنَ أَطَاعَةِ مَنْ عَصَاهُ ، وَبَيْنَ اتِّبَاعِهِ مَنْ خَالَفَهُ ، حَتَّى
أَعَزَّ اللَّهُ كَلِمَتَهُ ، وَأَظْهَرَ دَعْوَتَهُ ، وَأَكْمَلَ لِعِبَادِهِ دِينَهُمُ الَّذِي أَرْتَضَى لَهُمْ . فَلَمَّا اخْتَارَ اللَّهُ لَهُ
مَا لَدَيْهِ ، وَاخْتَصَمَهُ بِمَا عِنْدَهُ : مِنَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ ، وَالْجَزَاءِ الْكَرِيمِ ، بَعْدَ اسْتِقَامَةِ الدِّينِ

ودخول الناس فيه أفواجا، خلقه، إذ ختم به الأنبياء، بالبررة النجباء من أذانيه وحنته، لإقامة الشرائع المفترضة، وإنفاذ حكم الله المتزل، وأقتضاء السنة الماثورة وحفظها له في قرابته ومحبي دعوته، وإتماما لما أوجب له من الفضيلة، وقريب الوسيلة، وإنجازا لما وعده من إظهار ما بعثه به، من دينه الذي أصطفاه وأرتضاه. وكان اختيار أولى الفضل من حننه وعصبته لإرث خلافة، ومن عظيم الزلف التي رغب إلى الله فيها أنبيأوه، وبما اقتص في منزل وجهه، واختص تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما أمره به من مسألة أمته تصير مودته في القربى جزاءه ممن تبعه على الرسالة، وهداه من الضلالة؛ فكانت فضيلتهم عزيمة من الله عز وجل، دون طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألزمه تأديته إلى خلقه وألزمهم أدائه، فقال عز وجل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾. ودل بما أخبر به وأظهره من تطهيره ليأهم وإذها به الرجس عنهم، على أصطفائه لهم؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. وكان مما أوجب لهم به حق الورثة في حكم تزييله قوله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾. ثم قرآن طاعتهم بطاعته، فقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. وأحلهم من النباة والصيت بالمحل الذي أعل به أمرهم ورفع به ذكركم، لما أحب من النبيين في الدلالة عليهم، والهداية إليهم، فإنه يقول عز وجل: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾. ولو كان الأئمة المقلدون أمر عباده خاملة أنسابهم، متقطعة أسبابهم، غير مخصوصين بفضيلة يرونها بها دون غيرهم، لم تعد طليبتهم عقد الخلافة لهم، وأن تكون من المفترضات على كافة الأمة، أو على بعض دون بعض، فإن كان لأهل الشرق والغرب من ذوى النقص والكمال أن يختاروا لأنفسهم، فليس في أجتماع آرائهم مع تفرقهم واختلافهم طمع آخر أيام الدهر. وإن كان إلى خاصة دون عامة، فستحتاج العامة من طلب معرفة تلك الحال إلى مثل ما احتاجوا إليه في أممتهم، إذ لم يكن أهل الارتباب والطلب من أعلام الآفاق ليتواطؤوا على اتفاق،

لنفاذ أجالهم قبل بلوغهم غاية الاجتهاد في الفحص والتكشيف، وحاجتهم الى اختبار البلدان، وتخصيص أولى الفضائل بالامتحان، وما هو حاق عليهم من الشبه في اختيارهم، والاختلاف فيمن صوّوا أن يحبوه ويُقدّموه، حتى تهالك الرعية بتظالمها بينها، ويَطْرُق من يليها من الأمم إياها؛ إذ لا ذائد عنها ولا مُحامى. فإذا ألزمت الأمة الحاجة إلى نصب الحكام لإقامة الدين، وتقسيم الحقوق من المسلمين، ومُجاهدة عدوهم من المشركين، لم يكن لهم في الإمام عليهم بَحَازٌ إلى التلخص من حقه إليهم، ولا ريب عند المعرفة برأفة الله ورحمته، ولطفه وحكمه، في دفعه عن عباده ما لم يجعل في حيلتهم له وسعاً، ولا في حيلتهم له تذكراً، وكفايته إياهم ما يُعجزهم من البحث والتقيب عن ولاية أمرهم، بتنصيب إياهم، وما رفعهم إليه من الدرجة التي أعلاها وأساها، إذ وصل نسبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقرض موتهم على خلقه، ولم يشنهم جهلهم للغرض الذي لزمهم له، ولم يجب عليهم فرض في معرفة من سواهم. ولم يزل سباق أئمة الهدى مطّرداً، ونظامهم متصلاً، يتلقاه كابر عن كابر، ويؤديه أول إلى آخر، حتى تسامى إلى أمير المؤمنين، وهو حلال دار دعوته، وبين أنصاره من أهل ثراسان، فنظربه خيرهم، وعرفوا ما تصرفت به أحوالهم، وظهر لهم من بيان مُجته على من نازعه في الأمر، وشاهدوا من إبلاظه في العذر، واستظهاره بالتأني والصبر، ما أزاح عنهم الشبهة وكشط الحيرة، حتى استرأوا نهوضه بحقه، وخافوا الزيف على أديانهم فيما أعطوه من صفة أيمانهم، وهو ماض على عادته، مستديم للوادة، مُتَلَوِّمٌ على المراجعة، بالغ غابة ما في وسعه من الرخصة في دفع الولاية التي نهته بها الرعية، حتى ضاق عليه في دينه ترك القيام بما أنهضه الله به من قتلها وقتله من حملها، وخاف المخلوع فأنبعت بالشرّة والغيرة؛ فتناول أولياء الحق باغيا طاغيا، لما أراد الله من تأييدهم عليه بالبيان والحقبة التي يجب لها قلبه، ويُنْتِ بها في عضده، ويقبل الله ما شرفكم به من النصر والغلبة فيه التي جعلها الله للتقين. فاجتمع

لكم معشر أهل خراسان في دولة أمير المؤمنين ثلاث خلال اختصكم الله بفضيلتها، ومنى مراتبها، دون ثلاث شملتكم وغيركم .

أما الأولى من اللواتي خصكم الله بهنّ، فما تقدّم لأسلافكم من نصرة أهل بيت النبي، والقائمين بميراثه من آباء أمير المؤمنين .

وأما الثانية، فما آثركم الله به من نصرته في دعوته الثانية .

وأما الثالثة، فما تقدّم به من صحة صفاتكم، ومحض بُناصحتكم .

وأما الثلاث اللواتي حق لكم ولنغيركم :

فهنّ ما أكّد الله لأمر المؤمنين في أعناق المسلمين : من العهد الذي أخذ إصره، وألهمهم الوفاء به والتمسك بوثائق عصمته، عند محاولة الخلوغ ماحول من الإعلان بالردة، والتمس من تبديل معالم الدين وتعفيه آثاره، فلم يُفِر الرعية سُدى مهملين، لا جامع لأمرهم، ولا ضام لثغرهم .

ومنهنّ ما أفادكم الله وإياهم من العبر، عند حلول الغير بمن قدر وختر، تذكرة لأولي النهى، وحجة بالغة على من أدبر وتولى، ليهنّدى متعير ويتعظ مُزدجر، ﴿ وَيُخَصِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَحَقِّقَ الْكَافِرِينَ ﴾ . ومنهنّ أجتاع أهل الفضل من المسلمين : ممن لم يكن له نصر ولا أزر في الدعوة الأولى على المشايعة في الدعوة الثانية؛ فأصبح دعاة أمير المؤمنين من أهل الحرمين والمُصرّين ومدينة السلام والمشرق والمغرب ممن قار أو أنجد من المتمسكين بذمهم المُرفّين بنذورهم، من إخوانكم؛ وإن كان الله قد قلّمكم في الأمرين جميعا بتفوق حاكم على غيركم، يمتثلون من معاضدتكم ومكانتكم بما جعله الله عز وجل ألفة لكم ومودة بينكم، يبديها ما كان الشيطان يترغ به بين أهل التباعد في الأنساب، والتناث في الأوطان من إيقاع العداوة والبغضاء، والانتواء على الأحقاد والدمن، وطلب تهديم الإحسان، وصار أهل السمو إلى الدرجة العليا والاعتصام بالعرّة الوثقى من أولياء أمير المؤمنين وشيعته، منشحة صدورهم بمكافئته، مُنبطة أيديهم بمعاونته على حقّه،

منفسحة آمالهم في إذكاء ناره على ملوكه والإمخاض في بلاده وأقتلح تمتع حصونه، بما جمعهم الله عليه من الألفة، ورفع عنهم من الحمية والعصبية؛ راجعين عودتهم إلى أحسن ماضى عليه سلفهم، في عهد نبيه صلى الله عليه وسلم، من سلامة الصدور، وصلاح ذات البين، واجتماع القوى على مجاهدة من شاقهم؛ قد أفرد الله عنهم فترة التعارب والتجاذب، وجعل ما كان يسعى به بعضهم من الإعداد لبعض، زيادة في ريمهم، وحدًا في شوكتهم، لاسئلتهم في دولة أمير المؤمنين المجدودة المؤيدة بصدق الضمائر، ونفاذ البصائر. وإلى الله يرضى أمير المؤمنين في إعانتة على صالح نيته، وتبليغه منتهى سؤله وغاية همته، في اعزاز دينه وإذلال من صد عن سبيله؛ إنه سميع قريب.

ومن أقوى الأسباب إلى استدعاء الشكر على النعمة تذکر ما كانت عليه الحال قبلها، فاستدعوا الإفاضة فيما رفع الله من خصاصكم وأعلى من أقداركم، بنصرة أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وسلم، وما أبلاكم الله في الدعوة الأولى بما لا يؤدى حقه إلا بعون الله وتوفيقه، فإنه ارتاح لهم بلطفه وتوفيقه، فأنا لهم رغائب الأقسام ومنى الخطوات، ورفع درجاتهم ودرج خلوفهم وأعقابهم من بعدهم، بعد إذ هم مستضعفون يخافون أن يَحْفَظَهم الناس، مدعون بقهر صدورهم واستئثاره عليهم، ثم لم يلبثوا أن صاروا إلى الحال التي يرونهم بها من الغبطة والبهجة، إلا أنهم أخذوها بحقها، وكانت في أيدي الظلمة من أهل بيت اللعنة وأتباعهم بحسنه الباطل ومحنة الابتلاء، وليعلم الله من ينصره ورسله بالقياس إن الله قوي عزيز. وليس أحد منكم بخارج من المحنة بما أليس من النعمة، وإن كنتم أهلها الآخذين لها بحقها، بل الذى يلزمكم استدانتها والقيام بحفظها، على حسب ما أولاكم الله منها، فربما كان الذى يعقب أهلها من الغفلة والاعتقار ويلتهم بها من حيوورها وسرورها، أعظم إثما وخوبًا. مما يخاف على أهل البطالة والصبر من ضعف العزم وقلة الصبر، لما يستولى عليهم من استكانة الذلة، والاعتقار بالتقصير، والفرع إلى ربهم في تفتيس كرمهم، فإنه

تبارك وتعالى قد وصف أهل الطبقتين فقال : ﴿ وَإِذَا أُنْمِتْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَدُوْدُعَايَ حَرِيرِيضٍ ﴾ . فاجتكم اذا انجح الله سعيكم واظفركم ببطانتكم ، الى حياطة ما اودعكم الله من منته وحراسة ما آتاكم من فضله ، بالشكر المتحرى للزيد . فتمهدوا معشر شيعة أمير المؤمنين أنفسهم بتذكر ما سهل الله لكم من الحزونة ، وذلك لكم من الصعوبة ، وحكم لكم به من النصر ، على مُراق الملة ومُحالفى أهل القبلة ، وأباحكم من ديارهم وأموالهم ، فأصبحت بمَن الله عليكم حُماة الدين ، وأنصار الأئمة الراشدين ، وحِصونَ كافة المسامين ، بعد ما اجتث الله بكم قُرُونُ الفُقاق ، وأباد بكم صناديد الضلالة ، وشرد من لم تستعمله سيوفكم ، وأضرع اليكم مَنْ أذعن وأستسلم ، وقد استشر فكم معشر شيعة أمير المؤمنين أهل الشتان ، ولا حظكم بأعين الحسد والمنافسة ، قَيْن ذلك مُجْهَرُ مُعَالَيْن ، ومُسْتَسِيرُ مَدَاهِن ، وداخلٌ في صدادكم ، وواجٍ في سوادكم ، يرى أَمْنَهُ بين ظهوركم ، فطعنهُ عليكم في دولتكم بريسة التمويه وخُدَع التشبيه ، أيسرُ عليه كُلفَةٌ وأعظمُ فيكم جرْحاً ونكايَةً ، فتوقوا هذه الطبقة أشدَّ التوق ، فإنَّ أكثرَ مَنْ يلجأ الى استباحة الحيلة ، مَنْ عجز عن المباداة والإسهار ، وعند ظهور الحازم وغلبته يَحْتَرِزُ من لطيف الخُدَع وخفى الاستدراج .

وأحذروا معشر شيعة أمير المؤمنين من استمراء الطراوة ، والركون الى راحة الدعة ما قد رأيتم وباله عاد على أهله ، وأورثتهم عواقبه طول الندم والحسرة ؛ فإنكم قد كنتم في حال المراقبة لعدوكم ، والخوف لبائسته مُتَقِظِينَ مُنْحَفِظِينَ لما كان يروهم به من خُتْلِهِ وحيلِهِ ، ثم أنفضيتم الى الخلع وقد جهدكم السعى ومسكم النصب ، وسيلقى الشيطان في أمانيتكم أن قد اكتفيتم بسالف ما قاسيتم ، ويجد من ضَعْفِ العزائم مُعِيناً داعياً الى اغتنام الخفض ، والإخلاد الى الأرض ، ما لم تعتصموا بما عايتم من الاعتبار ، ومَنَتِلُوا مواضِي الآثار فيمن سلف من القرون الخالية ، وما أفضت به اليه العزة من زوال النعم ووقوع النير ، فإنَّ جميع ما خولكم الله وأفادكم مُرَّتَيْنِ بما ألزمكم من حياطته واستمائه ، فقد وجبت عليكم المُجْة بما حضكم الله

عليه ، وعظمت عليكم المنّة بما هداكم اليه ، وأراكم من آياته ومثله فيمن خلا قبلكم ما فيه أبلغ الإظهار والإنذار لكم . ومن أجمع له اقتناء صواب من تقلّمه الى ما يبعث من نفسه ، فكانته قد أختبر بالتجربة ، مع استعداده بما يستفيد ، ويستريد ما يفتح لّبه ورأيه ، وأيقنوا أنّكم لن تصلوا الى من سواكم ، ممن هو أعرس طاعة عليكم وأعدر بمعصيتكم ، حتى تبدموا باستصلاح أنفسكم ، وأنّه لن يرحى لكم القوة على مجاهدة عدوكم حتى تقووا على مجاهدة أهوائكم ، فإن على كل امرئ رية من أمره ، وغطاء من غية ، لا يكشفه إلا صحة المعرفة ، والإذعان بالنصنفة ، فهناك يؤمن عليه الجهل والمعاندة ، وإذا أنت هاتان الخلتان أنست ياذن الله تلم الآفات ، وتوق المكاره ، فإنه لا يخاف الضلال على من أهدى ، ولا اعتاد الجور على من أنتصف من هوى .

ولكن أؤل ما تتعهدون به أنفسكم ، وتنابرون عليه من صالح أدبكم تناصف الحق بينكم ، بتقديم أهل الفضائل والآثار المحموده منكم وتفضيخ أمركم ؛ فقد علمتم أنّ منكم المبرز القات الذي لا يدرك شأوه ولا يؤازى بلاؤه ، حين كشف الإبلاء ضمائر القلوب وجلا مشتهات الظنون ، فصرح بالمحاربة بعد التقلّم في الحجّة ، وفاء بمؤكّد العهد وركوبا منه هائل الخطر ، غير هائب مع محبة الحق ما برق لديه الناكس المخلوع ورعد ، ولا مستوحش فيما تهزده الى من تولى وأدبر ، حتى أتى الغاية التي أجرى اليها في الله عز وجل وفي خليفته ، ثم لرؤسائكم من أهل المشايعة والمكافئة والنصرة والحظ الجزيل والأمر المبين ، نوابئهم واجب وحققهم لازم ؛ ثم منكم من يحفظ اسلفه وأوله من الآباء الذين يحفظون ولايتهم ، فإن الله عز وجل يقول في ذكر اليمين : ﴿ وَأَمَّا الْحِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ الآية . وقال على لسان يعقوب لابنه يوسف : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ الآية . وأمير المؤمنين يرى توريث الحكمة والذمام سنة عليه في أخلاقه التي يرعاها ويحافظ عليها ؛ كما أنّه يرى ورائه التركة فريضة واجبة ، فيخلف السلف الصالح عنده من المزية والفضل ما يتلون به أهل الفناء بأنفسهم ، ثم

يتلوهم من أَعْدَى [بهم] وأَعْدَى بَهِيمِهِمْ . والسابق المتقدم من أَعْتَدَ بِلَاءَ نفسه الى بِلَاءَ سلفه، ثم يَبْقَعُه بعدُ المِيلِي بنفسه، ثم يتلوها المُتَوَسِّل بِآبَائِهِ، ثم الصاعد به هواه ورأيه، طبقةً فطبقةً ؛ فليَقْصِرْ كُلُّ أَمْرِيَّ مِنْكُمْ عَلَى الْمَرْبَةِ الَّتِي أَحَلَّهَا بِهَا مَعِيهِ ، وَلَيْسَ لَكَ إِلَى الْإِزْدِيَادِ فِيهَا بِالْإِزْدَادِ مِنْ نَفْسِهِ ؛ فَإِنْ مِنَ الْقُوَّةِ الْعَظِيمَةِ عَلَى أَهْلِ الدُّوَلِ مَا يَتَرَفَّعُ بِهِ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ، وَيَكْثُرُ عِنْدَهُمْ مَا يَكُونُ مِنْهُ، فَيُؤَافِقُ مِنَ الْحَيْفِ لِلْأَنْفُسِ مَا يَجِدُ بِهِ مَسَاغًا إِلَى مَا يَرُومُ مِنْ إِيقَاعِ الشَّعْنَاءِ بَيْنَهُمْ، وَتَثْبِيتِ الْإِحْسَنِ فِي صُدُورِهِمْ، بَعْدَ التَّأْزُرِ وَالتَّنَاصُرِ . وَمَتَى يَجْمَعُ الْمَرْءُ لِمَرْئَةٍ مِّنْ فَوْقِهِ، وَاغْتِبَاطَ مَنْ دُونَهُ كُفْيَ مَازَكِهِ . وَلَنْ تَخْلُصَ نِيَاتُكُمْ . وَتَسْلَمَ ضَمَائِرُكُمْ، حَتَّى تَمَحَضُوا شُكْرَ مَا أَوْلَاهُ إِخْوَانُكُمْ، وَتَعْتَلُوا مَا نَالَهُمْ شَامِلًا لَكُمْ، وَتُجَانِبُوا طَرِيقَةَ مَنْ اِقْتَصَرَ بِأَمْنِيَّتِهِ عَلَى خَاصَّتِهِ، وَتَعْتَبَ فِيهَا أَوْثَرُ بِهِ أَهْلُ الْفَضْلِ دُونَهُ . وَكُفِّي عِظَةً فِيهَا نَهَاكَمُ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ ؛ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ الْآيَةُ . وَلَا يَلْتَمِسَنَّ أَحَدٌ مَوَدَّةَ مَنْ سَوَاءَ نِيَّةٍ بِحَسَنِ مَدَارَاةٍ فِي طَاهِرٍ، فَإِنَّ اللَّهَ مُقَلِّدُ كُلِّ أَمْرِيٍّ رِيْقَةً عَمَلِهِ وَمُطَوِّقُهُ طَوِّقَ سِرِّيَّتِهِ . وَلَا يَغْدِرُكَ فِيهَا يُلْزِمُهُ لِإِمَامِهِ ؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَغْدِرُ فِي حِفْظِهِ وَيَخْصُ قِسْمَهُ، وَيَخْصُ نَفْسَهُ . ثُمَّ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى اسْتِصْلَاحِهَا حَتَّى يَتَنَاوَلَ مَنْ كَانَتْ مِثْلَتُهُ عَلَيْهِ مِنْ أَقْرَبِيهِ وَحُسْوِيهِ، فَإِنْ يَسِيرُ مَا هُوَ مُعَانٍ مِنْ نَادِيَتِهِمْ لَا يَنْشَبُ أَنْ يَتَجَاوَزَ أَدْنَى الْمَرَاتِبِ إِلَى أَقْصَايِهَا، وَقَرِيبَهَا إِلَى مُتَاهِيهَا، حَتَّى يَسْتَفِضَ شَامِلًا عُلَمَاءَ، بَعْدَ أَنْ بَدَأَ مُحَلًّا خَاصًّا .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُتَعَقِدٌ مِنْ تَفْهِيمِكُمْ وَتَقْوِيمِكُمْ عَلَى صَالِحِ الْأَدَبِ وَمَحْمُودِ السَّيْرِ، مَا لَا يَتَقَدَّرُ بِهِ مَنْ سِوَاكُمْ؛ فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ يُوجِبُ عَلَى نَفْسِهِ اسْتِصْلَاحَ الرِّعْيَةِ وَحِمْلَهُمْ عَلَى مَا فِيهِ رُشْدُهُمْ وَقِيَامُهُمْ، لِمَا يُلْزِمُهُ مِنْ فَضْلِ الْعِنَايَةِ بِالْأَخْصِ وَالْأَوْلَى فَالْأَوْلَى، فَإِنَّ فِي أَخْلَاقِكُمْ مِنَ التَّقْدِيمِ فِي التَّأْدِيبِ وَالتَّعْهَدِ، وَجُوهًا مِنَ الضَّرَرِ : مِنْهَا : أَنَّكُمْ أَوْلَى بِحَسَنِ الطَّاعَةِ وَسَرْمَةِ الْإِحَابَةِ، لَطَفَ مَحَلِّكُمْ وَقَرَبَ مَكَانِكُمْ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

ومنها : أنكم يأنس بكم المؤمنون ويقتدي بكم التابعون ؛ ففى قصرهم وأخلاقهم ، أفضى أثركم من نصيحتهم له أعلاما ، ثم لم يكن لكم أن تزدوا عليه ، ولا أن تأخذوا فوق يده ، بل كان قينا أن يكون يسومكم الرضا بمثل ما سمعتموه ، ثم تجرى هذه العادة فى الطبقات ، حتى يطرد السياق ، الى أن يستفيض الفساد فى حشوش الناس وعامتهم ، فلا تُغنى قوة ولا حزم ولا شدة ، إلا العجز والاضاعة ؛ ثم يجد الأعداء مساعا الى الطعن والعيب ، فلا يملكون أن يرهقوك ويستولي عليكم القشل ؛ فإن الأيدى إنما تُنسط بنماد العزائم ، والعزائم إنما تُنقذ بثبات الحجّة ، والحجّة إنما تهت إذا كانت عن الحق . وإذا أضيع أول هذه الرسوم ، التى رسم لكم أمير المؤمنين ، تبعته تواليه وشفعته لواحقه ، ووجد العدو الملاحظ مكان العورة ، مطمئا فى إهمال ما كان يعدله من العزة ، ويتوفق به من ماهرة الفرصة ، وليكن ما تُفرضون فيه وتمعدونه ظهيرا على طاعين إن طعن فى دولتكم ، ما ألهم الله أمير المؤمنين : من شمول رعيته بالعدل ، وفرش الأمر فى مضمراتها ومتقلّباتها ، ورفع به عنهم من سائر الجود ، وبسط به يده من إثابة أهل البلاء ، وتقدم الجرائم لأولى الزلل ، والإبلاغ فى دعاء من عاند وشاق الى التوبة والإثابة ، وإقالة العثرة بعد القدرة ، والحقن لمباح السماء ، فلم تعلموه صبر محملا ، ولا هتك لأحد ممن أنظره الله به ستر ، ولا وقفه على عورة . ثم نولى الله أمير المؤمنين ، فى حروبه شرقا وغربا ، التى أغناه الله عن الإطنا ب فى وصف صنع الله لكم فيها ، لاستفاضة أخبارها فى دعامتكم ، مع ما أحب من مطالعته إياكم ببالغ أدبه وشفاف عطفه ، أن ينتكب من الإصهاب ، فى غير ما حمده ورأى من تقريع اسماعكم وأذنانكم ، اوعى ما التمس أن تعوه من تبصيركم حقلكم ، وتبصيركم على رشدكم . وحسب أمير المؤمنين فى نفسه وفيكم الله ، وكفى به ميثا .

وإن أمير المؤمنين مع ما تقدّم به اليكم لملئ نقة من حيابة الله حلاقته التى جعلها عزرا لدينه وقواما لخلقّه ، وأنه ليس بها ممن أدبر عن حقها آفلا بل من خلق ربقتها وأضاع حفظه منها ، جلب الخلّة والحاجة وخسران الدنيا والآخرة . وإنما أتى

الْمُقْصِرُونَ فِي إِعْظَامِ حَقِّهَا مِنْ ضَعْفِ الرُّوْيَةِ عَنْ بُلُوغِ مَا تُقْضَى بِهِمْ إِلَيْهِ مَصَادِرُ الْعَوَاقِبِ ، وَتُؤَدِّيهِمْ إِلَيْهِ رَوَاجِعُ مَا قَدَّمُوا ، فَلَا يَكُونُونَ بِمَعْلَمٍ غَيْرِ مُتَجَاوِزِينَ بِهِمْهُمْ ، وَفِيهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ إِلَى مَا يَنْمُوهُ ^(١) .

وَأَسْتَدْبِعُوا مَعَشَرَ الْمُسْلِمِينَ سَائِغَ النِّعْمَةِ بِمُحَمَّدٍ مُوَلِّيَهَا وَالْمُتَطَوِّلَ بِهَا . وَقَدْ تَرَوْنَ مَا كُنْتُمْ فِيهِ قَبْلَهَا وَمَا آلَتْ إِلَيْهِ حَالٌ مِنْ سُلْبِهَا ، ثُمَّ يُعْقِبُ النَّدَامَةَ حِينَ لَا مُسْتَعْتَبٌ وَلَا نَفِثَةٌ يُمَكِّنُ فِيهَا اسْتِقَالَةَ الْفَارِطِ بِتَقْصِيرٍ وَلَا هَفْوَةٍ زَالٍ . وَتَقْوَا مِنْ رِيَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٍ آثَارَكُمْ ، وَمَا مَضَى مِنْ بَلَاءٍ كُلِّ أَمْرٍ مِنْكُمْ ، بَمَا نَطْمِشُونَ إِلَيْهِ وَتَتَوَقَّعُونَ عَادَتَهُ ، بِأَسَى مَا تَرْفَعُ إِلَيْهِ أَمَالَكُمْ وَتَسْمُو إِلَيْهِ هَمُّكُمْ ، إِلَى مَا يَذْخِرُ اللَّهُ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِدَاهُ ، وَاعْتَصَمَ بِتَقْوَاهُ ، وَجَاهَدَ عَنْ حَقِّهِ ، وَأَيَّامَ بَأْسِ عَهْدِهِ مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِهِ وَكَرِيمِ مَأْبِهِ ، إِلَى الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ : وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا .

أَحَبُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَمَهَّدَكُمْ بِعَظْمَةِ تَنْبِيهِكُمْ عَلَى حَقِّكُمْ ، وَتُنْهَتْ مِنْ بَصَائِرِكُمْ ، وَتَقْطَعَ مِنْ طَعْمِ الشَّيْطَانِ وَحَرِّهِ فِيكُمْ ، لِيَأْخُذَ بِعِلْبِهِ مِنْ إِرْشَادِكُمْ ، وَيَرْجُو مِنْ تَأْدِيَةِ حَقِّ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ فِيكُمْ ، وَلِيَأْخُذَ بِرَى مِنْ أَنْصَالِكُمْ بِجَبَلِهِ ، وَمَا بِشَمْلِهِ مِنَ الصَّنِيعِ فِيهَا وَلَا كَمُ اللَّهِ بِهِ ، وَتَوَلَّاهُ لَكُمْ .

وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِسَآلِ اللَّهِ الَّذِي دَلَّ عَلَى الدَّعَاءِ تَطَوُّلًا ، وَتَكَمُّلَ الْإِجَابَةِ حَتَّى ، فَقَالَ عِزَّ وَجَلَّ : ارْزُقُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، أَنْ يَجْمَعَ عَلَى رِصَاةِ الْفَتْحِ ، وَأَنْ يَصِلَ عَلَى الطَّاعَةِ حَبْلُكُمْ ، وَأَنْ يُتِمَّعَكُمْ بِأَحْسَنِ مَا أَوْدَعَكُمْ مِنْ مَسْ ، وَبِوَرَعِكُمْ عَلَيْهَا مِنْ شُكْرِ ، مَا يُوَاصِلُ لَكُمْ مِنْ بَدَنِهِ ، وَأَنْ يَكْفِيَكُمْ كَيْدَ الْكَافِرِينَ ، وَحَسَدَ الْبَاطِنِ ، وَيَحْفَظَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيكُمْ بِأَفْضَلِ مَا حَفِظَ بِهِ أَمَامَ هَدًى فِي أَوْلِيَائِهِ وَشَيْعَتِهِ ، وَيَجْعَلَ عَنْهُ هَلَّ مَا حَمَلَهُ مِنْكُمْ . وَبِاللَّهِ يَسْتَعِينُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، عَلَى مَا يَسُوءُ مِنْ حِرَائِكُمْ بِالْحُسْنَى ، وَحِمْلِكُمْ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُثَلَّى ، وَبِهِ يَرْضَى نَاصِرًا وَوَلِيًّا ، وَكُنْى بِاللهِ وَلِيًّا وَكُنْى بِاللهِ نَصِيرًا . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وللأُمون — لما كتبت إليه السيِّدة زُبَيْدة بعد مقتل ولدها الأمين خطاباً
الآتي تستعطفه :

كُلُّ ذَنْبٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ عَظُمَ صَغِيرٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ . وَكُلُّ زَلٍّ وَإِنْ جَلَّ
حَقِيرٌ عِنْدَ صَفْحِكَ . وَذَلِكَ الَّذِي عَزَّدَكَ اللَّهُ ؛ فَأَطَالَ مَدَّتَكَ ، وَتَمَّ نِعْمَتَكَ ، وَأَدَامَ بِكَ الْخَيْرَ ،
وَرَفَعَ بِكَ الشَّرَّ .

هذه رُقعة الوليِّ التي ترجوك في الحياة لنوائب الدهر ، وفي الممات بليل الذكر . فَإِنَّ
رَأَيْتَ أَنْ تَرْحَمَ ضَعْفِي ، وَاسْتَكْنَيْ ، وَقَلَّةَ حِيلَتِي ، وَأَنْ تَصِلَ رَجَائِي ، وَتَحْتَسِبَ فِيَّ جَعْلَكَ
اللَّهُ لَهُ طَالِباً وَفِيهِ رَاغِباً فَافْعَلْ ، وَتَذَكَّرْ مَنْ لَوْ كَانَ حَيًّا لَكَانَ شَفِيعِي إِلَيْكَ .

فكتب إليها المأمون :

وَصَلَّتْ رُقْعَتُكَ يَا أُمَاءَ ، أَحَاطَ اللَّهُ وَتَوَلَّىكَ بِالرَّعَايَةِ ، وَقَفَّتْ عَلَيْهَا وَمَسَانِي — شَهِدَ
اللَّهُ — جَمِيعُ مَا أَوْضَحْتَ فِيهَا ، لَكِنَّ الْأَفْدَارَ نَافِذَةٌ ، وَالْأَحْكَامَ جَارِيَةٌ ، وَالْأُمُورَ مُتَصَرِّفَةٌ ،
وَالْمَخْلُوقُونَ فِي قَبْضَتِهَا ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى دِفَاعِهَا ، وَالدُّنْيَا كُلُّهَا إِلَى شَتَاتٍ ، وَكُلٌّ حَتَّى إِلَى مِمَاتٍ ،
وَالْقَدَرُ وَالْبَقَى حَتْفُ الْإِنْسَانِ ، وَالْمَكْرُ رَاجِعٌ إِلَى صَاحِبِهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ بِرَدِّ جَمِيعِ مَا أَخَذَ
لَكَ ، وَلَمْ تَعْقِدْ تَمَنٍّ مَضَى إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا وَجْهَهُ . وَأَمَّا بَعْدُ ذَلِكَ لَكَ عَلَى أَكْثَرِ مَا
تَخَارَيْنِ ؛ وَالسَّلَامُ .

(٥) أحمد بن يوسف^(١)

رسالة ممتعة لأحمد بن يوسف ذكرها ابن طيفور في اختيار المنظوم والمشهور وهي :

أما بعد فالحمد لله القاهر القادر، الخالق الرازق، فاطر السموات والأرض، الذي أحاط بكل شيء علما، ونطق به خبرا، وأتقنه حكمة وعلماء، وألف بين مختلفه ومتفقته، ليبدل بقوام بعضه على بعض، على اتصال تدبير مشيئته ومبتدعه، وأنه أحد حمده، لا يضده له ولا ينده، إذ قدر له حاجته ثم شتتها ببلأخها الى الغاية التي جعلها، فقال جل وعز ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾. وحكى عن نبيّه موسى عليه السلام، ﴿قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾، وقال الله تعالى ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلَانَاهُ تَفْصِيلًا﴾ ثم لم يكلف العباد من شكره كفاء نعمته، بل رضى منهم باليسير، وقبل منهم العفو، وجعل طاعتهم إياه عائدة عليهم بيزيل الحظ في دينهم ودنياهم، ليناه عن عبادتهم، وأنساع قدرته بالتعزول عليهم، مُنْتَبِها وخاتما، وبدينا وعائنا .

والحمد لله الذى اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم ، نبيا لرسالته ، وأثمنه على وحيه ،
وأزل عليه كتابه العزيز، الذى لا يأتبه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، تزييل من
حكيم حميد ، فأذى الى خلفه الرسالة . واستنقذهم من الضلالة ، وصَدَعَ بأمر ربه وجاهد
فى مسيله ، ونصح لأمته حتى أتاه القيـم من ربه ، بعد أسناره الحق . وظهور الحقجة ،
فصلى الله عليه بتيـرا ونذيرا ، وداعيا الى الله بؤذنه وسراجا ميرا قد نلانى من المهلكة ، وجمع
الألفة بعد الفـرقة ، وأوضح الهدى بعد الدُّروس ، ومعالم الرشد بعد الطُّموس ، وكان
بالمؤمنين رحما .

والمحدثه الذى فنى على آثر المرسلين ، والأئمة الراشدين ، الهادى التقي ، الطاهر الزكى ، الإمام المأمون أمير المؤمنين ، أعز الله نصره ، فسد بامتهم ، ورأب صدعهم وقلده خلافتهم ، وجعله لكافة المسلمين غيايا ورحمة ، وجبل ، أئمة من العدل والإحسان

(١) راجع ما كتبه عنه في الفصل العاشر من الكتاب الأول في الجزء الأول .

اليوم، مِنَّة طيه ورحمة دَحَرها له ، دون الخلفاء قَبْلَه ، فيما أظهر من فضل زمانه على الأزمنة ، وسياسة مَنْ تَهْدَمُه ، ومنح الرِّبَا من عطفه ونَفَرَه ، ما لا يحل عنهم أوبه ولا يؤذى عنهم شكره ، الا هو لا شريك له ، وأحسن الله جَزَاءَ أمير المؤمنين ومَثُوبَتَه ، على صِلَةِ رَحِم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التي هي رَحِمه وقرباته ، وأختاره لولاية عهده الأمير الرضى على بن موسى ، حفظه الله ، حين أحمد سِيرَتَه ، ورضى محبته ، وعرف استقلاله ، بما قلده في هَدْيِه ، ودينه ووفائه ، بما أَسَدَ الله به عليه ، من عهد أمير المؤمنين أيده الله ، في أختيامة من ازره وأَسَاهَ بما شَقَّعَ رأيَه ، وأَفْعَدَ تديره ، حين هَمَّ لاستصلاح ما أَسْرَعاه الله ، من أمور عبادِه ، لما أتتقى القائم بدعوته ، ورئيس سِرِّعَتَه ، الأمير ذا الرِّبَاسِتين رحمه الله ، فاتَّخَذَه مَكَانًا ظهيرا ووزيرا دون من سواه ، فاتَّجَعَ مِنهاج أمير المؤمنين أيده الله ، وسار بسيرته ، شرقا وغربا ، وغَوْرًا ونَجْدًا ، مُوفيا بعهدِه ، قائما بدعوته ، مقتضيا لاثَرِه وسُتَّتَه ، فحَسَمَ الله به الأدواء ، وقَمَعَ به الإعداء ، من عُتَاة الأمم ، وطَوَّاعِيتِ الشُّرْكِ ، وأَبَادَ على يده ، أَهْلَ الشَّقَاقِ والْتِفَاقِ ، في كل أَفْقٍ وطَرْفٍ ، بِجِدِّ أمير المؤمنين أَعَزَّه الله ، وبركة سياسته ودولته ، ونَجَّحَ سَعَى من قام بُصْرَة من قام بِحَقِّه ، وأَنَارَ برهانه ، حتى تَوَقَّاه الله عز وجل ، حين بَلَغَ هَمَّتَه وفاقيتَه ، وحُمِّ أَجَلُه ، وأَنْفَطَعَت مَدَّتُه ، سعيدا محبدا ، شهيدا فقيدا ، عند إمامه أَكْرَمَه الله ، وعند الخاصَّة والعامة ، وكان من إجلال أمير المؤمنين ، الحادثُ الذى نَزَلَ به ، فأَحْيَا آثارَه ، بوصف محاسنه ، في مَشاهدِه وتَجامِعِه ، وترحمه عليه حد ذكره ، وحَفِظَه في مُنْتَهَى أَهْلِ حُرْمَتِه ، وفيمن كان يَحمِدُ الله على طاعه ونصيحته ، ما أُنِّمَ به سمته ، عندنا وعندكم معشر الشَّيْعَةِ ، فقد أَصْبَحَ أمرُه بكم مُتَصِلًا ، ومُوفِّعُه من جماعكم مُمْتَكِنًا ، نَفِضْكم ما قَبِضَه ، وبَسْطْكم ما بَسَطَه من لومة المِصْبِيَةِ ، وحسن العُقْبَى ، وقد عَلِمْتُم معشر أَهْلَ الجِجَا والنَّهْيِ ، والطاعة لله عز وجل وحابِيتَه ، ودوى الفناء والبلاء في دعوته من أَهْلِ خراسان وغيرهم ممن حضَرْتُم آمَنَحَ اللهُ قَلْبَه بوباء العهد والاسنبصار في حق أمير المؤمنين أَبْقاءَ الله ، والمجاهدة دونَه ، والصبر على مواطن الصَّدْقِ والآلِواءِ ، والدَّبَّ عن البَيَّضَةِ والحَرِيمِ ،

والمتمحلين للتصعب، والمصائب التي أنجحت، حتى كأن لم تكن، وبقي أجرها على الله عز وجل، ومجود ذكراها شامعا في الناس، إن نيم الله، قد جلت ولطفت، وخصت وعمت، وطت وسمحت، وتمت ودامت، حتى قصرنا عن موازينها، والإحاطة بأدائها، فإذا لم يكن لنا معشر إخواننا سبب إلى مكافأة بلائه بالعمل، فنحن جُدواء أن نجتهد في القول، ونطلب في الوصف إن شاء الله جل وعز، فقد جعل ذكر النعم من أسباب الشكر، وقد جئنا أمير المؤمنين أيده الله من الحياة والكرامة، وجزيل الحيلة، وسني الرتبة التي قرئ بها عليكم كتابه ما يستغفر جَهْدنا، ويستفرغ وسعنا، فغضب إلى الله عز وجل، ولي الرغبة، وموئى السؤال والطلبة، في إعادتنا على تأدية ما وجب له، فيا منحنا من فوائده ونحمله، ثم نستفيدكم ونستعينكم على شكره، وإمدادنا بما بَلَّغته طاعتكم في السعي له فقد آدنا قَل ما حملنا، ونقل ما طوقنا، وعظمت فافتنا إلى استعمال القوى من الأنفس والحامّة، والخاصة والعامة، في جزاء ما جَلل أمير المؤمنين فينا من سُنَّته، وشيئنا من تالذ أياديه وطارفها، وقديمها وحديثها، وكيف يُوجد إلى موازاة أمير المؤمنين سبيل يبذل جهد، أو بلوغ حشد، فأما نَقْدَى بهُداة، ونَعْشُو بنوره في ديننا، ولبس عَجْزنا عن أن نحزى حقه، بواضع عنا مؤونة الذُّوب في التحزى لتأديته، وإن الله عز وجل، قد أخبر فضائل الشكر ومباقبه، وجعله من أسمائه، **وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**، وقد قال تعالى: **« مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ تَشْكُرُوا وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا »**. وقال تعالى: **إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا بضاعته أَكْمَرُ وَبَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ شُكُورٌ حَلِيمٌ**. ولولا أن الله عز وجل رَضِيه لِمَسْه، لأجلنا عن التسمية إذ كان أكثر ما نستعمله، ونعرفه في مكافأة من مَنْ وَتَطَوَّل، ثم نحي بذكر فضله في العباد، فإن الله تبارك وتعالى أفتح أول ما علم خلقه بالحمد، وحمله بدء كتابه، وخاتمه دعوة أهل جنته، فقال عز وجل: **« وَاتَّخِذُوا لَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ رَبًّا عَالَمِينَ »**، وخلق الله السموات والأرض، ومن برآ وندراً في الحياه لِيَبْلُو عِبَادَهُ بِسُكُودِهِ، وأعد الجنة في الآخرة لمن شكره، والنار لمن كفره. وقال الله تعالى: **« وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكُرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لِلْكَافِرِينَ »**

كَفَرْتُمْ إِنَّ عِدَائِي لِشَدِيدٌ))، وقال الله تعالى : ((وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَآتَمَّ أَخْلَهُ فَأَقْبَحُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ))، بحمل التقوى واقعة، والشكر مرجؤا ليدل على أرضاع رتبته، وعلو درجته عنده، وقال لَنَجِيهِ موصى عليه السلام : ((إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِيسَالَتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)) . فلم يكلفه الا اخذ ما أعطاه، والشكر على ما آتاه، وأخبر بعزته في العباد، فقال تعالى : ((وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِيَ الشَّكُورُ))، فأية نعمة أجل قدرا، وأسنى أمرا، معشر الشيعة من نعمة أمير المؤمنين، أيده الله، عند الأمير ذى الرياستين، ومراتبه التي رتبها بها، فإنه أعطاه رياسة الحرب، ورياسة التدبير، وعقد له على رأسهما علما في رواية دعوته، وقلده سيفهما وختمه بخاتم الخلافة، وخاتم الدولة، وجعل صلته بين صاحب حرسه، وصاحب شرطته، ومسيره بين أمير المؤمنين وبينهما، أمامه وخلفه، وصير له الجلوس على الكرسي بمحضرة، في صدر كل مجلس جلس، الا أن يؤثر به من أحب من أبناء الخلفاء، وقدمه في دخول دار الأمير راجا الى أقصى مكان ينهى إليه أحد من بني هاتم، لأنه منهم، وأعظمهم غناء عنهم، فسماه صاحب دعوته وسيفه على عدوه وبابه الذي يدخل اليه منه، وولاه خيوله في أقطار الأرض، ومقدمته بمحضرة، وقلده من الثغور ما قد علمت، بما أفرد في عهده، الى ما أنفذ من أمره، في جميع سلطانه ومملكه، من مشارق الأرض ومغاربها، وأين يأتي الوصف على ما فضله به، وقدمه وشرّفه على الناس كافة، ولكنا نخطئ بذكره، ثم نكل السامعين الى ما يرجعون إليه من المعرفة التي لا تبلغها الصفة، ثم لم يكن ما أكرمه به في حياته بأعلى مما أكرمه به في وفاته، تولى غسله وتكفينه، ومباشرة لجهازه، الى حفرة بيده، وقامى من النقص، وبرحاء الحزن، وإدراء العبرة، وإراقة الدمة ما حال بينه وبين الكلام، وكاد يمنعه من القول والدعاء في صلته عليه، من الحكم، ويحفظ أهل الحرمة، به راية له فيهم، ووفاء بهده من بعده، وأقر خاصته، وقواده وعُمّاله . وكتابه على مرانهم، وحيد بمجده، ودّم بذقه، وجدد بلجده، ونل كرينه، نظرا وعطفًا، فلم يبق قلبه في إحياء ذكره، وبلوع كل ما يحبه في حياته غايه الا أتى من وراثتها

وأمر بقراءة قُتُوبه، كما كانت تُقرأ على عهده، وأضاف كل ما حَدَّث من بعده الى ما تقدم من مَنبِهِ، وأخبر أنه كان سبِّه، والمفتَّح به، ووليَّ محمد بن الحسن خِلافته، ونَصَبه مَنصِبِه، وأقامه مُقامه الى أن جَدَّد العهد لي، فاستخلفته على ما وليَّ بمحضرة، ثم تَابَعْتُ كَتَبُ أمير المؤمنين، أكرمه الله بعد مصاب الأمير ذي أُرْيَاسَتَيْن، بما لا يقارب التفضيل، والإطلاق والتفويض الذي كنتم سمعتم به وبلغتم، فلم يكن يرى وراءه جِجَارَة، ولا فوقه مَصْعَدًا، حتى جَدَّد لنا من كرامته، ما قد قُرئ عليكم في كتابه، فبلغ بنا ما لم تكن المهم تبْلُغه، والأمانى تُحِيط به، لولا ما منحنا الله عز وجل من الترقُّ في الفضل، الى ما تَحْصِر من دونه الأبصار، وتتقطع دونه الآمال، وإنما أَقْصَصناه وذَكَّرنا ما أبلانا وأصْطَنع عندنا من بلائه بدعائنا الى الله عز وجل، والى طاعته بالعدل والإحسان الى رعيته والنظر بالصفح، والأخذ بالفضل، والأمر بالمعروف، وصِلَة المروءة بالوفاء بالعهد، والشكر لِلَّهِ، ورعاية الأخلاق الحمودة، وإحْظَاء أهلها، وإقامة سوقها، حتى تنافسوها وتَسَاحَوْا فيها، وصارت هي الذرائع اليه، والوسائل عنده، فلو تأمل متأمل أهل الرِّفْقَة، والآثَرَة لديه، لو جَدَّ الأَخْصَ فالأَخْصَ، والأعلى قَدْرًا عنده هو الأفضل دِينًا ومروءة، فلو لم يكن في الحَقُولِ عنده إلا لِيُجَابِها لصاحبها مَحَبَّةُ المحبة، والزاهة عن كل غِلْظَة، لكان فيها أعظم العِبْطَة، وأعدل الشهادة والدلالة، وستَقْصَّ عليكم بما أخبرناكم عنه مالا سبيل الى بَحْثِه وإنكاره، بوضوح مَعَالِمِه ومَنَازِرِه، أو ليس المجاهد عن دين الله، والمحامى عن بَيْضَةِ المسالين، والمُؤَاتَى لأغلظ عدوهم شوكَة، وأخوفهم عداوة، والمنجِّص في بلادهم، بمن كان لا يرام، ولا يُحاول لاستصعابه وشِدَّة مُفَاسَاتِه، حتى أذعن جيفويه بالبُودِيَّة له، ثم أباح حرمة حين تَمَزَّد عليه، حتى بلغ السَّيِّ الى ولده، وحاربوا به، وغالغلت خيولُه، حتى توصَّلت الى قُبْتِه، ومتمَّتْ عِزُّه، أو ليس مُسَكِّن التَّهْيِج بالمسرف، حتى خَبَّت التبران فيه، وأذعن رؤساؤها وقادتها، أو ليس غازي بلاد بابل حين طغى أميرها، وبذل، ونَكَت ومهص، حتى أَجْثُثت أرومُهُ، وأباح حربِه، وأراح المسالين من مَعْرَتِه، أو ليس سَادَّ الثغور، ومُحَصَّن

عَوْرَاتِهَا ، وَالْمُبَاشِرِ تَدْيِيرِهَا ، وَالْمُسْعِنَا لِمُكَايَدَةِ الْمُتَجَمِّعِ فِيمَنْ أَرَادَهَا ، وَقَالَ الْعُنَاةُ ، مَنْ رَقَّ
 الْإِسَارُ ، وَنَاشِرَ الرَّحْمَةَ عَلَى قُرَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَضَعْفَائِهِمْ وَأَهْلِ الْمَسْكِنَةِ ، وَانْقَلَبَ مِنْهُمْ ، وَقَاسِمَ
 الصَّدَقَاتِ فِي أَهْلِهَا ، وَطَاصِرَ الْمَوْسَمِ وَمَحْصَنَهُ مِنَ الْآفَاتِ حِبَاطَةَ لِلْسَامِينَ فِي تَجَمُّعِهِمْ ،
 وَمَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى رَبِّهِمْ ، وَهَلْ أَقْرَنَ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ مَا أَقْرَنَ لَهُ فِي الْمَلِكِ وَالِدَيْنِ وَالْعَزَّ ،
 وَالتَّوَاضِعِ وَالسَّعَةِ ، وَالْبَذْلِ وَالْقُدْرَةِ ، وَالْعَفْوِ وَالْفُضْلَةِ ، وَاللِّبَاسِ فِي مَوَاضِعِهَا ، وَالنَّسْكِ مَعَ
 الْحِمَّةِ ، وَالسُّطُوَةِ مَعَ الْإِقَالَةِ ، وَهَلْ تَرَكَ مَعَشَرَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْإِخْوَانَ فِي الدِّينِ غَايَةً لَمْ يَسْمُ بِنَا إِلَى
 شَرَفِهَا ، وَعَلَى مَرَاتِبِهَا ، وَمُسْتَرَادِ الْخَطِّ فِي عَاجِلٍ وَأَجَلٍ ، لَمْ يَبْلُغْنَا وَنَخْتَارُ لَنَا خَاصَّ مَكْرَمَتِهِ ،
 وَمُدَّتْ حَاقِبَتُهُ . أَرْشَدَنَا إِلَى الدِّينِ ، وَسَلَّكَ بِنَا سُبُلَ الْجَنَّةِ ، حَازَنَا الْمَلِكُ ، فَلَمْ يَبْقَ وَرَاءَ
 مَا مَلَكَهَا غَايَةً ، وَوَرَدَ بِنَا الْحُرُوبَ وَسَاسَهَا لَنَا ، فَلَمْ يَدَعْ غَايَةً لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبَةِ ، سُلِّطَ عَلَيْنَا
 بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَمَّا هُ فَمِنْ يَدِ غَايَةٍ فِي التَّقْلِيدِ وَالْعَقْدِ ، فَكَمْ عَلَمًا الْفَضَائِلَ ، ثُمَّ فَضَّلْنَا بِهَا ،
 غَلَبَ لَنَا الْأَعْمَى ، ثُمَّ خَوَّلَنَا هَا . عَلَمًا طَرَائِقَ الشَّرَفِ ، ثُمَّ شَرَّفْنَا بِهَا . أَخْبَرْنَا عَنِ الْأَنْبَاءِ فَكَعَمَا
 مَوْئِدَةَ الْإِتْمَانِ ، وَأَغْنَانَا بِمَا عِنْدَهُ فِيهَا ، أَخَذَ عَلَى أَيْدِينَا الْخَيْرَ لِلرَّعِيَّةِ ، فَوَهَّبَ لَنَا شُكْرَهَا ، وَصَدَّقَ
 مَقَالَتَنَا عِنْدَ الشُّبْهَةِ ، وَأَتَقَدَّ أَمْرُنَا فِي التَّدْيِيرِ .

فِيهَا آيَةُ الْإِمَامِ الْمَنْصُورِ الْمَهْدِيِّ الرَّشِيدِ خُزْنَةِ فَضَائِلِ الْآبَاءِ ، وَأَعْتَدْتِ بِهِدَى
 الْأَنْبِيَاءِ . أُنْشِرَكَ عَنْ الْإِسْلَامِ ، فَانْتَ الْقَائِمُ بِهِ الدَّاعِي لَهُ ، وَالتَّائَصِرُ لِحَقِّهِ ، أَمْ نَشْكُرَكَ
 عَنِ الْأَمْصَارِ ، فَانْتَ الْمُفْتَحُ لِمَتَمَعِهَا عَنُودَ ، وَالْمُنْتَطَوِّلُ عَلَى أَهْلِهَا بِالرَّحْمَةِ ، وَالْمُنْتَظِفُ عَلَيْهِمْ
 بِحَسَنِ الْعَائِدَةِ بَعْدَ مَا هَيَّجَتْ مِنْكَ سُورَةُ الْغَضَبِ ، فَاطْفَافَ نَارِهَا . وَأَنْمَدْتَ لَهَا بِهَا ،
 وَعُدْتَ عَلَى مَنْ سَفِهَ ، وَأَضَاعَ حِفْظَهُ ، أَمْ نَشْكُرَكَ عَلَى الْمَسَاجِدِ ، فَانْتَ الَّذِي أَسَسْتُهَا عَلَى
 الْقَوَى ، وَعَمَّرْتَهَا بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَطَهَّرْتَ الْمَابِرَ وَرَوَّكِيَّتَهَا . سَلَّوْهَا صَائِمًا ، وَتَنَاطَقَ عَلَيْهَا
 صَادِقًا ، وَتَدْعُو إِلَى الرُّشْدِ عَلَيْهَا بِصَحْحٍ ، وَنَحْمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تَبْدَأَ بِهَا مَحْسَنًا ، وَتَتَلَوْنَ قَوَارِعَهُ ،
 مَا تَصِيغُ لَهُ الْأَسْمَاعُ وَتَلِينَ لَهُ الْقُلُوبُ ، أَمْ نَشْكُرَكَ عَلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ، وَالرَّكْنِ وَالْمَقَامِ ،
 وَالْجَحْرِ وَزَمْزَمَ ، وَشَاعَرَ الْحَجِّ ، وَأَنْتَ ذَبَنْتَ عَنْهَا ، وَأَعَدْتَ إِلَيْهَا عَهْدَهَا ، فِي مَبْعَثِ نَبِيِّهَا ،

صلى الله عليه وسلم ، فامنتَ النازع اليها ، من كل فج عميق ، والحالين بها من الركوع
والسجود ، أم نشرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حفظت فيه من عثرته ،
بعفوك عن مجرمهم ، ومضاعفتك نواب محسنهم ، وإحيائك من أسرهم ، ما كان قد أندوس
وأطمس ، بعد اللقاء بنبي الله صلى الله عليه وسلم ، وقد راعيت منه في قرابته وقرابتك ،
وفوى رحمه ورحمك ، ماضية الناس . ووصلت منهم ما كان وصله ، إذ كان الله عز وجل ،
قد قرَضَ صِلَةَ الأرحام . فكان أطوع خلق الله عز وجل فيما قرَضَ عليه . أم نشرك
عن العوام . فقد ألبست المسلمين ثوب الأمن ، وأذقتهم طعم السعة والرفاهة ، وصدلت
بينهم بالإنصاف ، وتوليت دونهم النصب ، وآثرتهم الراحة . أم نشرك عن الملوك والقواد
والأجناد ، فانت الذي رفست منازلهم ، ووقرت عددهم ، فلم يكن في دهر أحد من الخلفاء
أسعد ولا أحظى منهم في سلطانك ، بما بذلت لهم من المعاون ، ووليتهم من الثغور
والأمصار ، وأدررت عليهم من الأرزاق والخواص . أم نشرك عن الأحكام والسُنن ، فانت
الذي أنهجت سبيلها ، فأوجبت فرضها ، ونافست في أهلها ، أم نشرك عن الأعداء فانت
الذي بدأتهم بالهجرة ، ودعوتهم الى القِيئة والإِنابة ، ثم شئت معقبا بالعفو ، ونشئتهم بمد
البؤس ، وآسنتهم من الوحشة ، أم نشرك على مكارم الأخلاق . وانت الذي ثبتت وطنها ،
ونفيت عنها أضدادها ، ولو نطقت بالفضل ، لنطقت بشركك ، في إزالتك إياها عن اللثام ،
وإخطائك من آصرتى اليها . أم نشرك عن الثغور . فانت الذي تميمتها ، وحصنت عوراتها ،
أم نشرك عن السلف ، فانت الذي أشدت بفعالهم . وحفظتهم في أبنائهم ، أم نشرك عن
بُرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن الفضيب الذي شخص به . حتى جعلتها زينتك ،
وسموتَ بهما في أعيادك ، عند حشدك ، على الطهر والركاة ، والنسك والتقوى ، أم نشرك
عن المسلمين في رعايتك إياهم . وما ترعيتهم من جنابك ، وسخى عنهم من الآفات ، وعمل
عنهم من جباية الكفر . وتقص من جيوش الشرك والنكث ، ونفخ من ألحوص
المستصعبة . وتسهل من الطرق الوعرة . أم نشرك عن تواضعك لله عز وجل ولصالح

المسلمين طلبا للرفعة عند الله . أم نشكرك عن الدين وقد جعلت السلطان عبدا وقائدا ومتقدا . وكان مأمورا بفعلته آمرا ، وآلة للقوة بفعلت القوة له آله ، فيأمن أنصل شكره بشكركه عن وجل ، ونعمته بنعمة الله تعالى وطاعته ، بطاعة الله فوهب الله لك شرف المنازل ، ورقاك درج الفضائل ، وجزاك الله عنا وعن غيرنا ، مما شكر من ناطق أو صامت ، جزيل الثواب ورفع الدرجات ، وأمتك ما أتناك وأمتع الأمة ما آتاهم منك ، والحمد لله ذى الرغبات ، ومتم الصالحات ، شكرا لرب العالمين ، فإنه مبلغ طاعتنا ، ومتمم جهدنا ، وبه نستعين على تأدية فرائضه ، أنه لا يعين على ذلك إلا هو . أحببت أن نشكر اليك أمير المؤمنين أيده الله ، إذ ورد على من أنعمه وأفضاله ، مالا يبلغه بالفعل ، وأن يكون ما أقتصصنا عليكم ، داعيا لكم ، الى أن تشكروه عنا ، وعن أنفسكم ، وعن الإسلام والمسلمين ، ورجوت بها وقفا الله له ، فيما شرحنا وأوضحنا ، من الدلالة والبيان أن يكون مجتمعا يتنفع به من حضرنا ، ومن عسى أن يؤدي اليه الخبر عنا ، أو حدث بعدنا ، وضمنت بهذه المكرمة الرائعة ، والمائزة البارعة ، التي آدتها الله لأمر المؤمنين ، أعز الله نصره ، وأفرده بها ، دون الأمة والخلفاء ، أن تمر بالأسماع صفحا ، وتجتاز على القلوب سهوا ، حتى تؤكد بالشواهد والبرهان ، ليقب ذكرها ونفعها في الخلوفا والأعقاب ، ونحن نسأل الله عز وجل الذي جمع بأمر المؤمنين — مد الله في عمره — ألفتنا ، وعلى طاعته أهواءنا وضمائرنا ، وألنا من القبطة في دولته وسلطانه ، ما لم تحويه شيعة إمام ، ولا أنصار خليفة ، أن يتم نور أمير المؤمنين ، ويعل كعبه ، ويتمنا ببقائه ، حتى يبلغه سؤله وهمته في الاستكثار من البر وأدخال الأجر ، وأستجاب الحمد والشكر ، وأن يلتم به الشعث ، ويرأب به الصدع ، ويصلح على يديه الفساد ويرتق به فوق هذه الأمة ، ويؤرخ بسياسة ونكايته في عدوها ، ويتاج الفتن في بلدانهم حتى يؤتبه من تفتح السعي ، ورغائب الحظ في الدنيا ، ما يحزل عليه ثوابه في الآخرة ، وأرشد نجباء واصفياء ، الذين يقول لهم ، رَفَّاهُمْ اللهُ تَوَّابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ قَوَّابِ الآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ .

ومن توقيعاته قَلا عن كتاب الصُولي .

وَقَعَ الى عامل ظالم « الحقُّ طريق واضح لمن طلبه تَهْدِيهِ حَاجَتُهُ وَلَا تُخَافُ مَثَرَتُهُ
وَتُؤْمِنُ فِي السِّرِّ مَقْبَتَهُ فَلَا تَسْقِطَنَّ مِنْهُ وَلَا تَعْدِلَنَّ عَنْهُ فَقَدْ بَالَنْتُ فِي مُنَاصَحَتِكَ فَلَا تُحَوِّجْنِي
إِلَى مُعَاوَدَتِكَ فَلَيْسَ بَعْدَ التَّقْدِيمَةِ إِلَيْكَ إِلَّا سَطْوَةُ الْإِنْكَارِ عَلَيْكَ » .

وَوَقَعَ فِي عَنَايَةِ بِلَاسَانٍ إِلَى بَعْضِ السَّيَالِ « أَنَا بَهْلَانٌ تَامَ الْعِنَايَةُ وَلَهُ شَدِيدُ الرِّعَايَةِ وَكُنْتُ
أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مَا أَرَعَيْتَهُ طَرَفَكَ مِنْ أَمْرِهِ فِي كِتَابِي مُسْتَوْدَعًا يَتِمُّكَ مِنْ خَطَابِي فَلَا تَعْدِلَنَّ
بِعَنَائَتِكَ إِلَى غَيْرِهِ وَلَا تَتَمَنَّحَنَّ بِعَقْدِكَ سِوَاهُ حَتَّى تَنْيِلَهُ إِرَادَتُهُ وَتُتَجَاوِزَ بِهِ أُمْنِيَّتَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

وَفِي كِتَابِ أَبِي طَيْفُورٍ مِنْ تَوْقِيعَاتِ أَحْمَدَ بْنِ يَوْسُفَ الشَّيْءُ الْكَثِيرُ فَارْجِعْ إِلَيْهِ
إِنْ شِئْتَ .

(و) رسائل سهل بن هارون

من كلامه :

حكى الجاحظ قال : — لقي رجل سهل بن هارون فقال : هب لي ما لا ضررَ به عليك ؛ فقال : وما هو يا أحمى ؛ قال : درهم ؛ قال : لقد هونتَ الدرهم وهو طائع الله في أرضه

(١) هو من أباء العرب وكان من رجالات البلاطة والعلم والحكمة في دولتي الرشيد والمأمون ، وقد وضع كتابا حاكى به كتاب خليفة وخدمة وسماه « ثمة وصرة » . وكان في بيت الحكمة (مدير دار الكتب) في عهد المأمون . ولد سهل بن هارون في مدينة ميسان بين واسط والبصرة ، وفي رواية في دسيمان كورة بين الأهواز وواسط والبصرة ، في أوائل النصف الأول من القرن الثاني تقديرا ، ولا يعرف من نسبه إلا أنه سهل بن هرون بن راهبون (راهبون) وكنيته أبو عمرو ، فارسي الجنس ، أهوازي أو غوزي المولد ، عراقى المنشأ ، تحول إلى البصرة في سن لم تعرف ، وكانت البصرة إذ ذاك مدينة العلم في الدولة الإسلامية ، بل مدينة العلم في العالم كله ، أو كما قيل فيها « قبة الإسلام ، ونزاة العرب » حوت من العلم الإنساني أصوله وفروعه ، ومن القاميين على تجميع مصنفه ولغوه ، فعنى روحه بيان مجالسها وبجاسمها ، واستنارهة بما اقتضته من نور مدارها فتخرج بطلانها ، ولا شك أنهم كانوا طبقة طالية جدا ، في كل مطلب من مطالب الآداب . وقيل : أن سهل بن هارون كان شيعيا ، وشيعة العراق في زمة كانوا على الإطلاق معتزلة ، ولم يفرعه أنه تقص أحدا من الصحابة الكرام ، بل عرف بالأعتدال مع الأموات ، إعتداله مع الأحياء ، وما أثره أنه حاض عمار مباحث الكلام التي كانت على أشد حرارتها إذ ذاك ولا سيما في البصرة ودار السلام ببغداد ، وأتهموه بأنه كان مع الشيعيين الذين يصفرون شأن العرب ، ولا يرون لهم على العمى فضلا ، وإذا صحت هذه التهمة فن الصب أثبت في من مذهب من يقول بالشعبية ومن قول بالشيعة ، على أخصني القنى فسر به بعد قرون .

وصفه الجاحظ فقال : « كان سهل سهلا في همه ، عشيق الروح ، حس الشارة ، بعيدا من العدامة (العي) » . مدلل القامة ، مقبول الصورة ، يقضى له بالحكمة ، قليل الخبرة ، وبرقة الفطن ، قليل المخاطبة ، وبدقة المذهب ، قبل الامتحان ، وبالنيل ، قبل الكشف (الطهور) . وكان الجاحظ مازجه ورافقه . وقيل لعراقى ولعله إبراهيم بن ذكوان كاتب الهادي ووزير . يترك وبس سهل بن هارون صداقة قائمه لما كان يعرف ، فقال : « هو كالخير ، وازن العلم ، واسع العلم ، إن حدث لم يكذب ، وإن موزج لم يهضب ، كالنيت أين وقع ، فقع ، وكالتشمس حيث أولت ، أحييت ، وكالأرض ما ملحتها حلت ، وكالماء ظهور للشمس ، وتاقع لظه من أسر إليه ، وكأخواء القنى تقطف منه الحياة بالتشمس ، وكانوا إلى يمشي بها المرقور ، وكالبهاء التي قد حسنت بأصناف النور » . ٥٠١ . صورتان جيلتان في وصف سهل صقروهما مصقوران مبدعان طائفا بقرية ، وضهما بخلفه وخلفه .

وأتهموا سهل بن هارون بالحلل وأوردوا له قصصا ونوادير ، وربما كان أتهما به بالحلل ما لمنا فيه تراد به التكنة والعادة . ٥٠١ . من محاضرة الاستاذ الباحث السيد محمد كرجي ألقاها بالمجمع العلمي العربي بدمشق ونشرها بمجلتي المجمع والمتنصف .

لا يعصى ، وهو عشر العشرة ، والعشرة عشر المائة ، والمائة عشر الألف ، والألف دية المسلم ، ألا ترى الى أين انتهى الدرهم الذى هو تنسه ، وهل يبوت الأموال إلا درهم على درهم ! فانصرف الرجل ، ولولا أنصرافه لم يسكت .

وحكى دِمْحِيلُ الخِزَاعِيّ الشاعر قال : أَمَا يَوْمَا عِنْدَ سَهْلِ بْنِ هَارُونَ ، وَأَطْلُنَا الْحَلِيثَ حَتَّى أَضْرَبَهُ بِالْجَوْحِ ، فَعَدَا بِفِئْدَانِهِ فَأَتَى بِصَحْفَةٍ فِيهَا مَرَّقٌ تَحْتَهُ دِيكٌ هَرِيمٌ ، فَأَخَذَ كَسْرَةً وَتَفَقَّدَ مَا فِي الصَّحْفَةِ فَلَمْ يَجِدْ رَأْسَ الدِّيكِ فَبَقِيَ مَطْرَقًا ، ثُمَّ قَالَ لِلْغَلَامِ : أَيْنَ الرَّأْسُ ؟ قَالَ : رَمَيْتُ بِهِ ، قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لَمْ أَظُنْكَ نَاكِلًا ، قَالَ : وَلِمَ ظَنَنْتَ ذَلِكَ ! فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَمَقُّتُ مَنْ يَرِي بِرِجْلِهِ فَكَيْفَ بِرَأْسِهِ ! وَلَوْلَمْ أَكْرَهُ مَا صَنَعْتَ إِلَّا لِلطَّيْرَةِ وَالْقَالَ لَكْرِهْتُهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الرَّأْسَ رَيْسٌ يُتَقَاوَلُ بِهِ ، وَفِيهِ الْحَوَاسِ الْخَمْسُ ، وَمِنْهُ يَصْبِيحُ الدِّيكُ ، وَلَوْلَا صَوْتُهُ مَا أُرِيدُ ، وَفِيهِ فَرْقُهُ الَّذِي يُتَبَرَّكُ بِهِ ، وَجِئْتُهُ الَّتِي يَضْرِبُ بِصَفَائِهَا الْمَثَلُ فَيَقَالُ : شَرَابٌ كَمَيْنِ الدِّيكِ ، وَدِمَاغُهُ عَجَبٌ لَوْجِ الْكُثَيَّةِ ، وَلَمْ أَرَعْظَمًا قَطُّ أَهْشَ تَحْتَ الْأَسْنَانِ مِنْهُ ، وَإِنْ كَانَ بَلَغَ مِنْ تُبُّكَ أَنْكَ لَا نَاكِلَ ، فَعَسَدْنَا مَنْ يَاكُلُ ، أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ طَرَفِ الْجَنَاحِ وَبَيْنَ رِئْسِ الْعُنُقِ ! أَنْظُرْ أَيْنَ رَمَيْتَهُ ، نَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَدْرَى ، قَالَ : أَنَا وَاللَّهِ أَدْرَى ! إِنَّكَ رَمَيْتَ بِهِ ، وَاللَّهِ وَبِصْنِكَ ، وَاللَّهِ حَسْبُكَ .

ومن مؤلفاته كتابُ البخلاء .

ولما صَنَّفَ سَهْلٌ كِتَابَهُ فِي الْبُخْلِ أَحَدَاهُ إِذِ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ وَأَسْتَحَاةُ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ : قَدْ مَدَحْتَ مَا ذَمَّهُ اللَّهُ ، وَحَسَنْتَ مَا قَبَحَهُ اللَّهُ . وَمَا يَعُومُ بِمَسَادٍ مَعْنَاكَ صَلَاحُ لَفْظِكَ ، قَدْ جَعَلْنَا تَوَابَ مَدْحِكَ فِيهِ قُبُورَ قَوْلِكَ . فَمَا تُعْطِيبُ نَسِيتَا .

وَأَنَّهُمْ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ الْبُخْلُ وَارُودُ لَهُ فِي ذَلِكَ مِصَصٌ وَنَوَادِرٌ وَعَدَّةُ الْجَلَاظِ مِنْ "مُتَمَاهِلِ الْبُخْلَاءِ وَأَسْتَحَاةِ الْعِلْمَاءِ" قَالَ : "لَا يَجُودُ فِي الْبُخْلِ كَنَّا إِلَّا سَهْلُ بْنُ هَارُونَ ، وَأَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثَّوْرِيِّ . وَالْبُخْلُ فِي النَّرْسِ غَالِبٌ فِي الْجَمَلَةِ ، غَلْبَةُ الْكِرَامِ عَلَى

طباع العرب ، فاقضى ذلك التفریط الذى رآه سهل فى تبذير العرب ، أن يُنلّق لقومه بأدائه المفرطة فى الاقتصاد والإسك . وما شُهد قطّ تفریط آلا وإلى جانبه إفراط .

كتبه وطرقته فى التأليف :

كان سهل بن هارون مُتقطع القرنين فى صنوف العلم والآداب ، وناهيك بعالم كبير كالملاحظ كان يؤلف الكتابَ الكثيرَ المعانى ، الحسنَ النظم ، فينسبُه الى نفسه فلا يرى الأسماع تُصنّى اليه ، ولا القلوب تيمّم نحوه ثم يؤلف كما قال عن نفسه ، ما هو أنقصُ منه مرتبةً وأقلُّ منه فائدةً ، فينقلُه عبد الله بن المقفع ، أو سهل بن هارون ، فيُقبل الناس عليها ، ويسارعون الى نسخها .

ويقال إن طريقة سهل فى كتابته طريقةُ أمير المؤمنين على بن أبى طالب لا يتكلف لكلامه ، فلا يُشاهد فيه الناقد أثر التعمّل ، بل لا يكلف بغير إرسال النفس على سيجتها ، فهو وأبن المقفع والملاحظ على غيرِ واحد .

وقيل إن سهلاً كاتبُ سلاطين ، والملاحظ مؤلف دواوين . وكان كلامه نعمةً موسيقيةً تعرف آتباءَ جملة من رتبها بعد أن ملكت عليك مشاعرك ، لا يخفى بالأصباح إلا إذا جاءت حقواً لخطير ، شأن بقاء الصدر الأول . وكان يقول الشعر وأكثر شعره بما أمله قلبه ، فى غرض من أغراض المجتمع . وعده الملاحظ من الخطباء والشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار ، والكتب الكبار المجلدة ، والسير الحسان المولدة ، والأخبار المدونة . ولقبه مرةً بالكاتب ، ولعل لقب الكاتب فى شرفه أكبر من عالم . وذكره ابن النديم فى البلغاء وقال : إنه شاعرٌ مُقلٌّ ، وعده فى الشعراء الكتاب . وقال : إنه كان ممن يعمل الأمتار والخرافات على ألسنة الناس والطيور البهايم هو وعبدُ الله بن المقفع وعلى بن داود كاتب زبيده . وشعره نسمون ورقة . أما الدهشة ففى تأليفه ، فله ديوان رسائله ، وكتاب النمر والثعلب ، وكتاب اسباسيوس (أسانوس) فى اتخاذ الإخوان ، كتاب أسد بن أسد ، كتاب صحرة العقل ، كتاب مدير الملك والسياسة ، كتاب الى عيسى بن أبان

في القضاء، كتاب الفرس، كتاب الغزاليين، كتاب ندود وودود ولتود، كتاب الرياض، كتاب ثعلبة وعفراء، (وفي رواية ثعلبة وعفورة) على مثال كتاب كلبلة وديمثة، قلده في أبوابه وأمثاله .

وقال المسعودي : يزيد عليه أى على كلبلة وديمثة في حسن قلمه وقد صنفه للأمن .
ومن تأليفه : كتاب الهزلة والمخزومى ، كتاب الوامق والمدرامالى غير ذلك من المصنفات التي لم تبق الايام وبالأأسف على واحد منها فيما علمنا .

دخل سهل على الرشيد وهو يضاحك المأمون ، فقال : اللهم زده من الخيرات ، وأبسط له من البركات ، حتى يكون في كل يوم من أيامه مريضاً على أمسه ، مقصراً عن غده ، فقال الرشيد : يا سهل ، من روى من الشعر أحسنه وأرصنه ، ومن الحديث أفصحه وأوضحه ، إذا رام أن يقول لا يسجزه القول ؟ فقال سهل : يا أمير المؤمنين ، ما ظننت أن أحداً يهتدى الى هذا المعنى ، قال بل أعتى همدان حيث يقول :

رأيتك أميس خير بنى لوى . وأنت اليوم خير منك أميس

وأنت غداً تزيد الخير ضعفاً . كذلك تزيد سادة عبد شمس

وقد شهد مقتل البرامكة في سنة ١٨٧ هـ وحلت فيما كان عليه يحيى وجعفر من البلاغة فقال : إن تبجاعي انحطب ، ومجبرى القريض عيال على يحيى بن خالد بن برمك وجعفر بن يحيى ، ولو كان كلاماً يتصور درأ . ويحمله المنطق السرى جوهراً ، لكان كلامهما ، والمتقى من لفظهما ، ولقد كانا مع هذا عند كلام الرشيد في بديته وتوقيعاته في كتبه ، فذمين حين ، وجاهلين آتين ، ولقد عثرت معهم ، وأدركت طبقة المتكلمين في أيامهم ، وهم يرون أن البلاغة لم تستكمل الا فيهم ، ولم تكن مقصورة إلا عليهم ، ولا آهات الا لهم ، وأنهم محض الأنام . وبأبواب الكرام ، وبلغ الأيام ، عشت منظر وجوده مخبر . وجرالة منطق ، وسهولة لفظ ، ونزاهة نفس ، واكتمال خصال ، حتى لو فاحت الدنيا بقليل أيامهم ، والمناوير

من خصّالهم ، كثير أيام من سواهم من لئذ آدم أيهم الى التفخ في الصور ، وأبتعات أهل القبور ، حاشا أنبياء الله المكرمين ، وأهل وحيه المرسلين ، لما باهت إلّا بهم ، ولا حولت في الفخر إلّا عليهم ، ولقيد كانوا مع تهذيب أخلاقهم ، وكريم أعرافهم ، وسعة آفاقهم ، ورفق ميثاقهم ، وممسول مذاقهم ، وبهاء إشراقهم ، وقاوة أعرّاضهم ، وتهذيب أعرّاضهم ، واكتمال خلال الخير فيهم ، الى ملء الأرض مثلهم في جنب محاسن المأمون كالنقطة (التفلة) في البحر ، والخرجلة في المهمة القفر .

قيل : وهذا الكلام على ما فيه من حقيقة في بيان مجايا البرامكة والرشيد والمأمون لم يختم بالنصفة الحقة ، ومال به سهل الى المصاحبة ، ونحوه على نحو مبالغة الفرس ، في الإطراء والمآلق لولى الأمر .

وروى بعض الرواة أن المأمون كان أستقل سهل بن هارون ، وقد دخل عليه يوما والناس على مراتبهم ، تكلم للمأمون بكلام ذهب فيه كل مذهب ، فلما فرغ من كلامه أقبل سهل بن هارون على المجتمع فقال : ما لكم تسمعون ولا تتون ، وتُشاهدون ولا تفقهون ، وتفهمون ولا تتعجبون ، وتتعجبون ولا تُصِفون ! والله إنه ليعول ويفعل في اليوم القصير ما فعل بنو مروان في الدهر الطويل ، عربكم كجمكم ، وعجمكم كميدكم ، ولكن كيف يُعرف بالدواء من لا ينسحر بالداء . فرجع المأمون فيه الى الرأي الأول ؛ وعرف أنه الرجل كل الرجل ، فقرّبه وأدامه على النحو الذي كان عليه في عهد والده .

ومن كلام له في كتابه نعمة وعفوة :

”اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مُقَدِّمًا قبل الذي تجودون به من تفضلكم ، فإنّ تقديم النافلة مع الإبطاء في القربضة شاهد على وهن العقيدة ، وتقصير الرؤية ، ومُضِرٌّ بالتدبير ، ومخلّ بالاختيار . وإنس في دفع تمسّد به عوض من فساد المبيعة ، وازوم النقيصة “ .

وهذا مأخوذ من قوله في يحيى بن جعفر :

عَدُوُّ تِلَادِ الْمَالِ فِيمَا يَنْسُوهُ ۝ مَنُوعٌ إِذَا مَا مَتَعُهُ كَانَ أَحْزَمًا
مُدْلَلٌ نَفْسٍ قَدْ أَبَتْ غَيْرَ أَنْ تَرَى ۝ مَكَارِهِ مَا تَأْتِي مِنَ الْعَيْشِ مَغْنَمًا

وكتب الى صديق له أبل من ضعف :

” بلنى خبر الفتره فى المسامها وانحسارها ، والشكاة فى حلولها وآرتحالها ، فكاد يشغل
القلق بأوله عن السكون لآخره ، ونذهل الحيرة فى ابتدائه ، عن المسرة فى آنتائه ، وكان
تغيرى فى الحالين بقدرهما آرتياماً للأولى ، وآرتياحاً للآخرى “ .



وكتب فى البخل :

بسم الله الرحمن الرحيم

أصلح الله أمركم وجمع تتملك وعادكم الخير وجعلكم من أهله . فال الأحف بن قيس :
يا معشر بنى تميم ، لا تُسرعوا الى الفتنة فإن أسرع الناس الى القتال أقلهم حياء من الفرار .
وقد كانوا يقولون : اذا أردت أن ترى العيوب جمة فامل عيماً فإنه إنما يعيب الناس
بفضل ما فيه من العيب . ومن أعيب العيب أن يعيب العيب . وقبح أن تنهى
مرشداً وأن تغرى بمشفيق . وما أردنا بك قلاً إلا هدايتكم وتوحيدهم ، وإصلاح فاسدكم ،
 وإبقاء النعمة عليكم . وما أخطأ سبيل حسن النية فيما بيننا . وقد آمنون
أنا ما أوصيناكم إلا بما اخترناه لكم . ولأنفسنا قبلكم . وشهرنا به فى الآفاق دونكم ؛ ثم نقول
فى ذلك ما قال العبد الصالح لقومه : وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلِكَ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ
إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا آفَاقُهُ عَلَيْهِ وَكَلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ . ما كان آحقنا
منكم فى حرمةنا بكم أن نزعوا حق قضيداً بذلك اليكم على ما رغبناه من واجب حاكم ؛
فلا المذتر المبسوط بأنتم ولا بواجب الحرمة فتم . ولو كان ذكر العيوب يراد به نحرل رأينا
فى أنفسنا من ذلك شغل .

عَبْتُمُونِي بِقَوْلِي خَلَدِي : أَجِدِي السَّيِّئَ فَهُوَ أَطْيَبُ لَعَلَّمَهُ وَأَزِيدُ فِي رَيْبِهِ .^(١) وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَمْلِكُوا السَّيِّئَ فَإِنَّهُ أَحَدُ الرَّبَّيْنِ .^(٢)

وَعَبْتُمُونِي حِينَ خَسَمْتُ عَلَى مَا فِيهِ شَيْءٌ تَمَيَّنَ مِنْ فَاكِهِ رَطْبِيَّةٌ يَبِيَّةٌ وَمِنْ رَطْبِيَّةٍ غَرِيَّةٍ عَلَى عَبْدِ نَهْمٍ وَصَبِيٍّ جَشِيعٍ وَأَمَةٍ لَكَمَاءَ وَزَوْجَةٍ مُضْغِيَةٍ .^(٣)

وَعَبْتُمُونِي بِأَنَّنِي وَقَدْ خَسَمْتُ بَعْضَ الْأَيِّمَةِ عَلَى مِرْزُودٍ سَوِيْقٍ وَعَلَى كَيْسٍ فَارِغٍ . وَفَال : طَبِئَةً خَيْرٌ مِنْ طَبِيَّةٍ ، فَأَمْسَكْتُمْ عَمَّنْ خَسَمَ عَلَى لَأْشَيْءٍ وَعَيْنُهُ مِنْ خَسَمٍ عَلَى شَيْءٍ .^(٤)

وَعَبْتُمُونِي أَنْ قُلْتُ لِلْعَلَامِ : إِذَا زِدْتَ فِي الْمَرْقِ قَرْدٌ فِي الْإِنْفِصَاجِ لِيَجْتَمَعَ مَعَ النَّادِمِ بِالْقَلَمِ طَبِيبُ الْمَرْقِ .

وَعَبْتُمُونِي بِخَصْفِ التَّمَلِّ وَبِتَصْدِيرِ الْقَيْصِ وَحِينَ زَعَمْتُ أَنَّ الْخُصُوفَةَ مِنَ التَّمَلِّ ابْنِي وَأَهْوَى وَأَشْبَهَ بِالشَّدِّ وَأَنَّ التَّرْقِيعَ مِنَ الْحَزْمِ وَالتَّقْرِيطَ مِنَ التَّضْيِيعِ ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيُرْقِّعُ نَوْبَهُ وَيَقُولُ : لَوْ أَهْدَى إِلَى ذِرَاعٍ لَقَبِلْتُ ، وَلَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ . وَقَالَتِ الْحَكَمَاءُ : لَا جَدِيدَ لِمَنْ لَمْ يَلْبَسِ الْخَلْقَ . وَبَسَتْ زِيَادُ رَجُلًا يَرْتَادُ لَهُ عُذْدًا وَأَشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا فَأَمَّا بِهِ مَوَاقِفًا فَقَالَ لَهُ : أَكُنْتَ بِهِ دَا مَعْرِفَةٍ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُهُ فِي يَوْمٍ فَأَنْظَفَ يَلْبَسُ خَلْقًا وَيَلْبَسُ السَّاسَ جَدِيدًا ، فَتَفَرَّسْتُ فِيهِ الْعَقْلَ وَالْأَدَبَ . وَهَدَّاهُتُ أَنَّ الْخَلْقَ فِي مَوْضِعِهِ مِثْلَ الْجَدِيدِ فِي مَوْضِعِهِ . وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا وَسَمًا بِهِ مَوْضِعًا كَمَا جَعَلَ لِكُلِّ زَمَانٍ رَجُلًا وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا . وَقَدْ أَحْيَا اللَّهُ بِالسَّمِّ وَأَمَاتَ بِالْذَّوَاءِ وَأَقْصَى بِالْمَاءِ . وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْإِصْلَاحَ أَحَدُ الْكَاسِيْنَ كَمَا زَعَمُوا أَنَّ قِلَّةَ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارِينِ . وَقَدْ جَبَّرَ الْأَحْمَفُ بَنَ قَيْسٍ يَدَ عَتْرَ وَأَمَرَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ

(١) الرِّج : النِّعَامُ وَالرِّيَادَةُ . (٢) إِمْلَاكُ الْعَبِي : إِمَامُهُ . (٣) الْكَمَاءُ : الْخَمَاءُ .

(٤) الْمُرُودُ : وَهَاءُ الزَّادِ . وَالسَوِيْقُ : طَعَامٌ يَخْدَمُ مِنَ الْحَطَّةِ أَوْ الشَّعِيرِ . (٥) - سَبَّ الْمَلِّ : نَزَعَهَا .

(٦) تَصْدِيرُ الْقَيْصِ : أَنْ يَحْمِلَ لِمَدْرَةِ سَطَاةٍ .

يَفْرَكُ النَّعْلَ . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من أكل بَيْضَةً فقد أكل دَجَاجَةً .
ولبس سالم بن عبد الله جِلْدَ أُصْحِيَّةٍ . وقال رجل لبعض الحكماء : أريد أن أهدى إليك
دجاجة . فقال : إن كان لابد فاجعلها بَيْوْضًا .

وعبتمونى حين قلت : من لم يعرف مواضع السَّرَفِ في الموجود الرخيص لم يعرف
مواضع الاقتصاد في المُنْتَعِ الغالى . ولقد أُثْبِتُ بماء للوضوء على مبلغ الكِفَايَةِ وأَشَدَّ من
الكِفَايَةِ ، فلما صرت الى هزريق أجزائه على الأعضاء والى التوفير عليها من وَضِيعَةِ الْمَاءِ^(١)
وجدتُ في الأعضاء فَضْلاً عن الماء ، فعلمتُ أن لو كنتُ سَلَكْتُ الاقتصادَ في أوائله
لتخرج آخره على كِفَايَةِ أوْلهِ ولكن نصيبُ الأول كنصيب الآخر ، فعبتمونى بذلك وشنّتم
على ؛ وقد قال الحسن وذَكَرَ السَّرَفَ : أما إنه لِيَكُونُ في الماء والكَلَالِ فلم يَرْضَ بذكر
الماء حتى أَرَدَفَهُ الْكَلَالُ .

وعبتمونى أن قلت : لا يَفْتَرِّقُ أَحَدُكُمْ بطول عمره وتقويس ظهره وَرِقَّةَ عَظْمِهِ ووهن
قُوَّتِهِ وأن يرى نحوه أَكْثَرَ ذُرِّيَّتِهِ ، فبدعوه ذلك الى إخراج ما له من يَدِهِ وتحويله الى مِلْكِ
غيره والى تحكيم السَّرَفِ فيه وتسليط السهوات عليه ، فلعله يكون مُعْمِراً وهو لا يدري ،
وممدوداً له في السِّنِّ وهو لا يشعر ، ولعله أن يُرْزَقَ الْوَلَدَ على النَّاسِ وَيَحْتَدِثَ عليه من آفات
الدَّهْرِ ما لا يَحْطُرُ على بال ولا يُدْرِكُهُ عقل ، فيستزده ممن لا يرده ويُظْهِرُ الشُّكُوى الى من
لا يرجعه أَضْعَفَ ما كان عليه الطَّلَبُ وأَقْبَحَ ما كان به أن تَطْلُبَ ، فعبتمونى بذلك ؛
وقد قال عمرو بن العاص : ” اِعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ سَبَنْسُ أَدَا ، وَاَعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ
تَمُوتُ غَدًا “ .

وعبتمونى بأن قلت : مَن السَّرَفُ والبذر الى نال المواريت وأموال الملوك وأن
الحفظَ لئال المكتسب والغنى المحتل والى من لا يُعْرِضُ بِهِ نَهَابُ الدِّينِ وَاهْتِزَامُ
الْعَرَضِ وَنَصَبُ الْبَدَنِ وَاهْتِمَامُ الْقَلْبِ أَمْرٌ وَمَنْ لَمْ يَحْسَبْ نَفَقَتَهُ لَمْ يَحْسَبْ دَخْلَهُ

ومن لم يحسب النخل فقد أضاع الأصل . ومن لم يعرف الغنى قدره فقد أوزن بالفقر وطالب نفساً بالذل .

وعبتموني بأن قلت : إن كسب الحلال يضمن الإثاق في الحلال . وإن الخبيث يترع إلى الخبيث ، وإن الطيب يدعو إلى الطيب ، وإن الإثاق في الهوى حجاب دون الهدى ، فعبتم على هذا القول ، وقد قال معاوية : لم أرتبذيراً قط إلا وال جنبه حق مضجع . وقد قال الحسن : إن أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله فانظروا فيماذا ينفقه فإن الخبيث إنما يتفق في السرف . وقلت لكم بالشفقة عليكم وحسن النظر مني لكم وأتم في دار الآفات ، والجوائع غير مأمونات : فإن أحاطت بمل أحدكم آفة لم يرجع إلا إلى نفسه . فاحذروا النقم باختلاف الأمكنة فإن آفة لا تجرى في الجميع إلا بموت الجميع .

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العبد والأمة والشاة والبعير : ترقوا بين المنايا . وقال ابن سيرين لبعض البعريين : كيف تصنعون بأموالكم ؟ قالوا : نفقها في السفن فإن عطب بعض سلم بعض . ولولا أن السلامة أكثر ما حذنا أموالنا في البحر . قال ابن سيرين : " تحسبها خرقاء وهي صناع " .

وعبتموني بأن قلت لكم صد إشفاق عليكم : إن للغنى أسكراً وللإسكارة أن لا يحمض الغنى من سكره فقد أضاعه ، ومن لم يربط المال لخوف الفقر فقد أهمله .

فعبتموني بذلك وقد قال زيد بن جبلة : ليس أحد أقصر عقلاً من غنى ابن الفقراء وسكر الغنى أكثر من سكر الخمر . وقد قال الشاعر في يحيى بن خالد بن برمك :
وهوبُ زِلاد المال فيما ينزبه منوع إذا ما منه كان أحزما

وعبتموني حين زعمتم أني أنتم المل على المل ، من المال به بمقاد العلم وبه تقوم النفس قبل أن تعرف فضل العلم ، فهو أصل والأصل أحق بالمضلل من القرع ، فقلت :

كيف هذا ؟ وقد قيل لرئيس الحكماء : الأغنياء أفضل أم العلماء ؟ قال : العلماء . قيل له : فما بال العلماء يأنون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتى الأغنياء أبواب العلماء ؟ قال : ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال وجهل الأغنياء بحق العلم . فقلت : حالمها هي القاضية بينهما . وكيف يستوى شيء حاجة العامة اليه وشيء يغنى فيه بعضهم عن بعض .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء باتخاذ النعم والفقراء باتخاذ الدجاج . وقال أبو بكر رضى الله عنه : إني لأبغض أهل بيت يُفقون نفقة الأيام في اليوم الواحد . وكان أبو الأسود الدؤلى يقول لولده : إذا بسط الله لك الرزق فأبسط وإذا قبض فاقبض .

وعبتمونى حين قلت : فضل الغنى على الثبوت إنما هو كفضل الالة تكون في البيت إذا احتيج اليها استعميت وإن استغني عنها كانت علة . وقد قال الحصين بن المنذر : وددت أن لى مثل أحد ذهباً لا أنتفع منه بشيء . قيل له : فما كنت تصنع به ؟ قال : لكثرة من كان يخدمنى عليه لأن المال مخدم . وقد قال بعض الحكماء : عليك بطلب الفنى فلو لم يكن فيه إلا أنه عز في قلبك ودل في قاب صدرك لكان الحظ فيه جسيماً والنفع فيه عظيماً .

واسنا ندع سيرة الأنبياء وهايم الخلفاء ونأديب الحكماء لأعصاب الأهل . ولستم على تردون ولا رأيي تُفنون ، فهدموا النظر ببل العزم وأدركوا الكم قبل أن تدركوا الكم . والسلام عليكم .

وسهل هو القائل :

نَقَسْمِي هَمَانٍ قَدْ كَسَفَا بَالِي وَتَدَرَكَا نَبِيٍّ مَحَلَّةِ بَابَالِ
هَمَا أَذْرِيَا تَدْمَعِي وَلَمْ تُدْرِ عَبْرِي رَهِينَةُ خَذَا ذَاكَ سِمِطٍ وَخَلَعَالِ
وَلَا قَهْوَةَ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا سِوَى الذِّى عَلَى أَنْ تُحَاكِيَ النُّورَ فِي رَأْسِ ذِيَالِ

تَحَلَّ مِنْهَا جُرْمُهَا وَتَمَاسَكَتْ * لَهَا نَفْسٌ مَعْدُومٌ عَلَى الزَّمَنِ الْخَالِي
 وَلَكِنَّا أَبْيَى بَعِيْبٌ تَبَيَّنَتْ * عَلَى حَدِّ تَبَيَّنِي لَهُ عَيْنُ أَمْسَالِي
 فِرَاقُ خَلِيلٍ لَا يَقُومُ بِهِ الْأَمْسَى * وَخَلَّةٌ حُرٌّ لَا يَقُومُ بِهَا مَالِي
 فَوَاحِشْرِي حَتَّى مَتَى الْقَلْبُ مُوجِعٌ * لَتَقْرَ خَلِيلٍ أَوْ تَمُدُّ إِفْضَالِ
 وَمَا الْفَضْلُ إِلَّا أَنْ تَجُودَ بِنَائِلٍ * وَإِلَّا لِقَاءَ الْخَلِّ ذِي الْخُلُقِ الْعَالِي

وهو القائل :

إِذَا أَمْرٌ ضَاقَ عَنِّي لَمْ يَضِقْ خُلُقِي * مِنْ أَنْ يَرَانِي غَنِيًّا عَنْهُ بِالْيَاسِ
 لَا أَطْلُبُ الْمَالَ كِي أَغْنَى بِفَضْلِهِ * مَا كَانَ مَطْلَبُهُ فَقْرًا مِنَ النَّاسِ

(ز) عمرو بن مسعدة^(١)

كان كاتباً بليغاً، جَزَلَ العبارة وبيَّرها، سديد المقاصد، فضله شائع، ونُبله ذائع؛ أشهر من أن يُنسب عليه؛ أو يُدَّعى بالوصف إليه؛ قد ولى للأمون الأعمال الحليّة، وألحق بذي المراتب النيّلة، وممّاه بعضُ الشعراء وزيراً لعظم مقلته لا لانه كان وزيراً، وهو قوله:

لقد أسعد الله الوزير بن مسعدة • وبث له في الناس شُكراً ومحمد

(١) هو عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول بن صول - (بضم الصاد) كان رجلاً تركاً وكان ملكاً وأخوه فيروز بن جريان وبجسار بن التزكية وتسميا بالقرص .

بدأ عمرو بن مسعدة في خدمة العمرة حاملًا من المال فظهرت كفايته وبلاغته، وبالإضافة توصل إلى الخليفة فعَدَّ أحد أفراد قلائد في رجاله، قال أحمد بن يوسف الكاتب: دخلت يوماً على الأمون ويده كتاب يعاود قراءته تارة بعد أخرى، ويصعد فيه ويصوب، فلما مررت على ذلك مدة من زمانه التفت إلي وقال: يا أحد أراكَ مفكراً فلما تراءى مني، قلت: نعم، فقال: إن في هذا الكتاب كلاماً نظيراً ما سمعت الرشيد يقول في البلاغة، زعم أن البلاغة إنما هي التباحث عن الاطالة، والتعزُّب من معنى البنية، والاندالة بالقليل من القليل، على الكثير من المعنى، وما كنت أقوم أن أحداً يقدر على ذلك. وقال: هذا كتاب عمرو بن مسعدة الدنيا، فتكلمت فإذا فيه: «تكلّبي إلى أمير المؤمنين، ومن قبل من قواده، ورؤسا. أبحاده، في الاقتداء والطاعة، على أحسن ما يكون طاعة جند تأثرت أرزاقهم، واقتداء كفاة تراخت أعطياتهم، فاخذت ذلك أحوالهم، والثالث معه أولهم». فلما قرأته قال: إن استعانى إليك بنى أن أمرت ليجتد قبله بأعطياتهم لسبعة أشهر، وأما على مجازاة الكاتب بما يستحقه من محل محله في صناعته. وفي رواية أن الأمون أمر لعمرو بن مسعدة برزق مائة أسير وأنه قال لأحمد بن يوسف: قد در عمرو ما ألفت! ألا ترى إلى إدماجه المسألة في الأحبار، وإبعاده سلطاناً من الآثار.

وكان عمرو بن مسعدة وكنيته أبو الفضل أبيض أحر الوجه، وكان الأمون يسبه الرمي لياض وجهه وكان يخضب وتوفي بأذنة سنة سبع عشرة ومائتين. ولم تصرف منشأه وولاه وأمانته ونفاة ما عرفناه أنه كان أحد إخوة أربعة أحسن أبوه — وكان كاتباً أيضاً — تربيتهم كل الإحسان حتى جرت من أحدهم هذه البلاغة النادرة التي كان من أنزها أن أصبح عشير الأمون، وكان هو يوسف بن عباد نائب بني يحيى كاتب بني ديه وبجسار بن معه ويمازحانه. ولكن يصل الرجل إلى هذا المقام مع مثل هذا التلبس العظيم في كل شيء من غير أن ينطوي على صفات عالية يمتاز بها في الأعران والأثراب.

قال عمرو بن مسعدة: كنت أوقع بين يدي جعفر بن يحيى البجلي مرفوعاً له عليه ذمة يستردونه في روايتهم فرى بها إلى وقال: أجب عنها فكتبت: «قليل دائم خير من كثير منقطع» فغضب بيده على ظيبي وقال: =

فهو كما كتب الحسن بن سهل إلى محمد بن سماعة القاضي وقد احتاج إلى رجل يؤيِّله بعض الأعمال فقال: إنه يريد رجلاً جامعاً لخصال الخير، ذا عفة ونزاهة طمعة، قد هدَّبت الآداب، وأحكمت التجارب، ليس بظنين في رأيه، ولا بمطمون في حسبه إن أوتِن على الأسرار قام بها، وإن قلَّ مُهِمًّا من الأمور أجزأ فيه، له من مع أدب ولسان، تُعقده الرزانة، ويسكته الحلم، قد فُسر عن ذكاه وفطنة، وعض على قارعة من الكمال، تكفيه الحظَّة، وتُرشده السكنة، قد أبصر خدمة الملوك وأحكماها، وقام في أمور عُمد فيها، له أناة الوزراء، وصولة الأمراء، وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء، وجواب الحكماء، لا يبيع نصيب يومه بحرمان فده، يكاد يسترقِّ قلوب الرجال بحلاوة لسانه، وحُسن بيانه، دلائل الفضل عليه لاثمة، وأمارات العلم له شاهدة، مُضطِّلعا بما استنص، مستقيلاً بما حل .

== أى وزير في حذك . وقد تمهدهم من مسنده باللائحة أعيان الأيان في عصره ونهم الفصل س سهل فقال فيه : إنه ألع الناس ، ومن بلايته أن كل أحد إذا سمع كلامه ظن أنه يكذب مثله فإدراهم صد عليه . وهذا كافي لأحد العلماء : ما حده اللامعة * فقال : التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يقدر على مثلها ، فإدراهم استصمت عليه .

وله يؤثر من عمره أنه ألف في موضوع خاص وأمرد مسألة في التأليف ، وطه ابن الديلم في التمره الكتاب ولم يذكر إلا أن له ولأخيه محتات نحسب ورقة من التمره من الصالح أيضاً . والغالب أن مهام القولة لم تترك له وقتاً يصرفه في درس خاص ، أو وضع كتاب أو رسالة : وما تلمحه العلماء والأدباء ، من كلامه ، فهو مما صدره بالماسات ، ورواه له المحدثون به ، وما أعلم المحدثون منه . والمحدثون أن لو كانت تحت له رسائله على إيمانه لكان منها ديوان كبير ، لأن من صرف أعواماً طويلة وهو قابض على راسه يبالغ بها الموضوعات السياسية والإدارية في ذلك المجتمع العظيم لا تنك أنه يجمع له صفحات كنهه فيها كان مقلاً معروف بالانحياز . ١٠ من محاضره للأساد الباحث محمد كرد علي شرها بمجلة المجتمع العلمي العربي . وفي عمرو س مسنده قال محمد الينق وقد احتل :

قالوا أهر الفضل مثل فقلت لهم • حتى العداة له من كل محسود

يألت طنه في خير أنت له • أهر العليل ولحد غير مأحور

وتحد ترجمت في معجم الأدباء ، لياقوت (ح ٦ ص ٨٨) وأسر طلكان (ح ١ ص ٥٥٥) والوای الروات للصدى (ح ٥ ص ٥٠٢) قسم ثالث من الأصل المتنوع في المخطوط مدار الكتب المصرية .

(١) في الأساس : ومن المجال طلاب طيب الطعمة وحبب الطعمة (الكسر) وهي الجهة التي منها يرتقى (بوزن الحرفة) . (٢) أحرأني كذا : كفاي . (٣) عرعن ذكاه ، وعطه ، أى حرب واحتير مهما . (٤) وعض على قابضه ، كناه من طوعه درجة الكمال .

ومن كلام عمرو بن مسعدة :

أعظم الناس أحراراً، وأهمهم دُخراً، مَنْ لم ترَّصْ عيوب العدل في دولته، وطهور المحم
في سلطانه، وانصالح المنافع الى رعيته في حياته، وأسعد الرعاة من دامت سعادة الحق
في أيامه، وبعد وفاته واقرابه .

وقال : الخطَّ صُورُ الكُتُبِ تُرَدُّ اليها أرواحها .

وقال . الخطَّ صوره صُبله لها معانٍ حليه، وربما صاب عن العيون ، وقد ملا
احطار الصون .

وقال لا تسبِّح مَنْ يكون استمتاعه بمالك وحليك ، أكثر من إيمانه لك تسكر
إسائه وفوائده عليه، ومن كانت عايته الاحياء على مالك وإطرائك في وحكك، فإن هذا
لا يكون إلا ردىء العيب، سرماً الى الدم .

وكتب الى الحسن بن سهل :

أما بعد، إناك ممن اذا عَرَّسَ سَقَى، وإذا أَسَّسَ سَيَّ، أيسمَّ سيداً أُسِّيه، ويحتجى نَمَارَ
عَرَّسه، ونَبْأُوكَ عَمَى قد شارفَ الدروسَ ، وعَرَمَكَ مُنِيفٌ على اليوسَ ، مداركُ ساء
ما أَسَّسْتَ، وسَقَى ما عَرَّسْتَ إِنْ شَاءَ الله .

وكتب الى بعض أصحابه في محض عُرْطيه

أما بعد، هو سبل كالى اليك سالم والسلام . أراد هول الساعر

بدروي عن سالم وأدبرهم وحلته من العن والاثيب سالم

أى تحل من هذا المحل .

• كتب الى المأمون في رجل من بني صفة يسدع له الراده في ماله وحل كانه

مريضاً

أما بعد، بعد . اسدع في هلال ما امر المؤمنين لخلوك على . في إلحافه سطرانه من

الحافه فيما يرهون نا ، وأعلمته ان امر المؤمنين لم يحلى في مراتب المُسدعين .

وفي أسدانه بذلك بعدنى طاعه والسلام .

فكتب إليه المأمون : "قد عرفنا توطئتك له ، وتريضك لنفسك ، وأجبتك اليهما ، وواقفناك عليهما" . وقوله : "إن أمير المؤمنين لم يحطى في مراتب المستشفعين ، وفي ابتدائه بذلك تعدى طاعته" : من الكلام السرى الذى يُلَى على مبلغ أدب عمرو وبُعد غوره فى السياسة ووقوفه على رُوح عصره ونفسية الخلفاء .

قَدِمَ رجل من أبناء دَهَاقِينَ قَرِيشَ ، على المأمون لِعِدَّة سَلَفَتْ منه ، فطال على الرجل انتظارُ خروج أمر المأمون ، فقال لعمرو بن مسعدة : تَوَصَّلْ نِى رُقْعَةً الى أمير المؤمنين تكون أَمْتُ الذى تَكْتُبُها تَكُنْ لك على نَعْمَتان . فكتب : "إِن رَأَى أمير المؤمنين أَن يَفُكَّ أَمْرَ عَبِيدِهِ مِنْ رِبْقَةِ الْمَطْلِ بِقَضَاءِ حَاجَتِهِ ، أَوْ يَأْذَنَ لَهُ بِالنَّصْرَافِ إِلَى بِلَادِهِ فَعَلْ إِن شَاءَ اللَّهُ" .

فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عَمْرًا فَعَمِلَ يَتَجَبَّ مِنْ حَسَنِ لَفْظِهَا ، وَإِيجَازِ الْمُرَادِ . فقال عمرو : فما نَتِيجَتُهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قال : الكَلْبُ لَهُ فِي هَذَا الْوَقْتِ بِمَا وَعَدْتَاهُ ، لَثَلَا يَتَأَخَّرُ فَضْلُ اسْتِحْسَانَاتِنَا كَلَامَهُ ، وَبِجَارَةِ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، صِلَةٌ عَنْ دَنَاءَةِ الْمَطْلِ . وَتَمَاجِيهِ الْإِغْفَالِ .

وهذا مما يدل على سعة عقل المأمون وولوعه بالبلاغة وقدره أهلها حتى قدّره ، دَعَا مَا هُنَاكَ مِنْ نَفْسٍ مَا أَحْبَبْتَ إِلَّا الْجُودَ وَالْعَطَاءَ .

وَمِنْ حِكْمِ عَمْرِو بْنِ مَسْعَدَةَ :

الْعُبُودِيَّةُ عُبُودِيَّةُ الْإِخَاءِ . لَا عُبُودِيَّةُ الرَّقِّ . الْوَدَّ أُعْطِفَ مِنَ الرَّحْمِ . إِنْ الْكَرِيمُ آيَرَعَى مِنَ الْمَعْرِفَةِ مَا رَعَى الْوَحْلُ مِنَ التَّمَرُّبَةِ . عَلَيْكُمْ بِالْإِخْوَانِ فَإِنَّهُمْ زِينَةُ فِي الرَّخَاءِ ، وَعُدَّةٌ لِلْبَلَاءِ . سَلَّ الْإِخْوَانُ نَبْلَ النَّارِ ، نَلِيهَا مَتَاعٌ ، وَكَثِيرُهَا بَوَارُ النَّفْسِ بِالصَّدِيقِ ، آسُ مِنْهَا بِالْعَشِيقِ ، وَمَعَزَلُ الْمُودَةِ ، أَرْفَى مِنْ تَعَزُّلِ الصَّبَابَةِ . مِنْ حَقُوقِ الْمُودَةِ ، عَفْوُ الْإِخْوَانِ ، وَالْإِغْضَاءُ عَنْ فَضِيرٍ إِنْ كَانَ . ذَكَرَ رَجُلٌ رَجُلًا فَقَالَ : حَسْبُكَ أَنَّهُ خُلِقَ كَمَا تَسْتَهِي إِخْوَانُهُ . الْمُودَةُ قُرَابَةٌ

(١) الدهاقين : الرعا ، واب الأملك بالسواد ، وأحدم دهقان (يكسر الدال مرتب) .

مستفادة . ما تواصل اثنان فدام تواصلهما ، الا لفضلهما أو فضل أحدهما . أسرع الأشياء
 انقطاع مودة الأثرار . المحروم من حريم صالحى الإخوان . لقاء الخليل شفاء الغليل .
 قلة الزيارة ، أمان من الملائكة . إخوان السوء كشجر النار يحرق بعضه بعضا . علامة الصديق
 اذا أراد الفطية أن يؤثر الجواب ، ولا يتدنى بالكتاب . لا يفسدك الظن على صديق
 قد أصلحك اليقين له . من لم يقدم الامتحان قبل التهمة ، والثقة قبل الأئس ، أثمرت مودته
 تما . اذا قدمت الحرمة ، تسببت بالقرابة . العتاب حياة المودة . ظاهر العتاب خير من
 باطن الحقد . ما أكثر من يُعاتب لطلب علة ، ويتنقى الود ما بقى العتاب . تكون الحقد
 فى القواد ككئون النار فى الزناد . القريب بعيد بعداوته ، والبعيد قريب بمودته . لا تأمن
 عدوك وإن كان مقهورا ، واحذر وإن كان مفقودا ، وإن حاد السيف فهو إن كان معمودا
 لا تتعرض لعدوك فى دولته ، فإنها اذا زالت كفتك مؤونته . نصح الصديق تأديب ، ونصح
 العدو تأنيب .

روى البيهقي قال : أخبرنا بعض أصحابنا قال : شهدت المأمون يوما وقد خرج من
 باب البستان ببعداد فصاح به رجل بصري : يا أمة المؤمنين إلى تروحت امرأة من
 آل زياد وإن أبا الرازي حوى بينا وقال : هي امرأة من هريس ؟ قال : فأمر عمرو بن
 مسعدة فكتب الى أبي الرازي :

إنه قد بلغ أمر المؤمنين ، ما كان من الزيادة وحملك إياها إذ كالم من قربس . فنى
 حاكمت اليك العرب ، لا أتم لك فى أساسها . ومضى وكلتك عرس اس الحياء بأن تلصق
 بها من ليس منها ؟ حلت بين الرجل وامرأه ، فاش كان راد من قرس ، إنه لأين سمية
 بفتى طاهره ، لا يفسح ، بهرابها ولا يتناول مولدها . ولئن كان آس عبيد ، لقد به بأمر
 عظيم ، اد ادعى الى غير أبه . لخط متهمة . وملك قهره .

وأمر المأمون عمرو بن مسعدة أن يكتب لرجل له عابه الى بعض النبال فى وصاء
 حقه ، وأن تحصر كتابه ، ما أمكه . حتى يكون ما يكتبه فى سطر واحد . لا يراده عليه .
 فكتب عمرو :

كاتب اليك كتاب واتي بمن كتب اليه ، معنى بمن كتب له ، ولن يصيب بين الثقة والعناية حامله .

وكتب الى بعض الرؤساء ، وقد تزوجت أمه فساءه ذلك ، فلما قرأها ذلك الرئيس تسلى بها ، وزهد عنه ما كان يجهده . وقيل : إن هذه الرسالة من إنشاء ابن العميد وهي :

الحمد لله الذى كشف عنا ستر الحيرة ، وهدانا لستر العورة . وجدع بما شرع من الحلال أنف القنيرة ، ومنع من عضل الأمهات ، كما منع من وأد البنات ، استزالا للنفوس الأبية ، عن الحية حمية الجاهلية ، ثم عرض لجزيل الأجر ، من استسلم لواقع قضائه ، وعوض جليل الذن من صبر على نازل بلائه ، وهناك الذى نرحم لتقوى صدرك ، ووسع فى البسوى صبرك ، والملك من التسليم لمشيئه ، والرضا بقضيته ، ما وفقك له من قضاء الواجب فى أحد أبوابك ، ومن عظم حقه طلبك ، وجعل الله تعالى جثته ما تجزعه من أنف ، وكظمته من أسف ، ممدودا فيما يعظم به أجرك ، ويميز عليه ذنرك ، وقرن بالحاضر من امتناعك بفعالها ، المنتظر من ارتماضك بدفنها ، فستوفى بها المصيبة ، وتسهل عنها المثوبة ، فوصل الله لسيدي ما استنصره من الصبر على عثرتها ، بما يكتسبه من الصبر على قسمها ، وعوضه من أيمرة فترتها ، أعواد نعمتها ، وجعل تعالى جثته ما ينم به عليه بعدها من نعمة ، معرى من قومه ، وما يريته بعد قبصها . من منحه ، مبرا من محنة ، فأحكام الله تعالى جثته ، وهتست أسماؤه ، جارية على خير مراد الخلوطين ، لكنه تعالى يختار لعباده المؤمنين ما هو خير لهم فى الساعية ، وأبقى لهم فى الآجلة ، اختار الله لك فى قبصها اليه . وفدومها حله . ما هو أنفع لها ، وأولى بها ، وجعل العبر ، كثره لما رالسلام .

ومال عبد العزير بن يعقوب المكي ، الذى ناطق بمرين عياب الميرسي بحضرة امير المؤمنين فى .سأله خلق القرآن :

جاءني حليمة سرور مسجده . به .يع من الارساد والرجال الخالي مكرها على ناسه
حي صار الى باه . أيرام ير . ريق . سحر . المير بن ولحل بانس وى شجرة

التي كان يجلس فيها ثم أذن لي بالدخول عليه فدخلت فلما صيرت بين يديه أجلسني ثم قال لي : أنت مقيم على ما كنت عليه أو قد رجعت عنه ؟ قلت : بل مقيم على ما كنت وقد ازددت بتوفيق الله تعالى إيماني بصيرة في أمري ؛ فقال لي عمرو بن مسعدة : أيها الرجل ، قد حملت نفسك على أمر عظيم ، وبلغت الغاية في مكروهاها ، وتعرضت لما لا قوام لك به في مخالفة أمير المؤمنين ، وادّعت بما لا يثبت لك به حجة على مخالفتك ، ولا لأحد غيرك ، وليس ورائك بعد الحجّة عليك إلا السيّف ، فانظر لنفسك وبادر أمرك ، قبل أن تقع المناظرة وتظهر عليك الحجّة ، فلا تنفك الندامة ولا يقبل منك معذرة ولا يقال لك عثرة ، فقد رحمتك وأشفقت عليك مما هو نازل بك ، وأنا أستقبل لك أمير المؤمنين وأسأله الصنح عن جرمك ، وعظيم ما كان منك إذا أظهرت الرجوع عنه والندم على ما كان ، وأخذ لك الأمان منه والجائزة ، فإن كانت لك ظلامة أزلتها عنك وإن كانت لك حاجة قضيتها لك ، فانما جلست رحمة لك مما هو نازل بك بعد ساعة إن أفت على ما أنت عليه ورجوت أن يخلصك الله تعالى على يدي من عظيم ما أوقعت نفسك فيه .

شعره :

قلنا أمثلة قليلة من نثر عمرو بن مسعدة ، أما شعره فعليل جدا . ذكر المترجون له أنه كان له فرس أدهم أغر ، لم يكن لأحد مثله فراحته وحسنا . فبلغ المأمون خبره ، وبلغ عمرو ابن مسعدة ذلك . فخاف أن يأمر بقتله إليه فلا يكون له فيه تجمده ، فوجه به إليه هدية وكتب معه :

يا إماما لا يدا	بيد ادا عدا إمام
فضل الناس كما يقد	فضل قصا إمام
قد بشتا يحواد	مثل له ليس يرأم
فرس يزهي به لا	حسن سرح وبلأم
دونه الخيل كما مش	لك في الفضل الأمام

وَجْهَهُ صُبُحٌ وَلَكِنْ * سَاثِرُ الْجَسَمِ ظِلَامٌ
وَالَّذِي يَصْلُحُ لِلرَّو * لَى عَلَى الْعَبْدِ حَرَامٌ

وعمره هو القائل :

وَمُسْتَعِيبٌ لِلْهَجْرِ وَالْوَصْلِ أَعْدَبُ * أَكَاثِمُهُ حُسْبَى فَيَنَائَى وَأَقْرَبُ
إِذَا جَدْتُ مَنِي بِالرِّضَا جَادَ بِالْجَفَا * وَيَزُحْمُ أُنَى مُذْنِبٌ وَهُوَ أَذْنِبُ
تَعَلَّمْتُ أَلْوَانَ الرِّضَا خَوْفَ هَجْرِهِ : وَعَلِمَهُ حُسْبَى لَهُ كَيْفَ يَفْضَبُ
وَلَى غَيْرُ وَجْهِهِ قَدْ عَرَفْتُ طَرِيقَهُ * وَلَكِنْ بَلَاقِي إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ

ووقع مرة في ظهر رُقْمَةَ لرجل :

أَعْرِزْ عَلَى بَأْسِي أَنْتَ طَالِبُيْهُ * لَمْ يُمَكِّنِ النُّجْحُ فِيهِ وَأَقْضَى أَمْدَهُ

ولعمرو بن مسعدة حكايات منها ما حكاها القاضي التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة: قال عمرو بن مسعدة : كنتُ مع المأمون عند قدومه من بلاد الروم حتى إذا نزلت الرُقْمَةُ قال : يا عمرو، ما ترى الرَّجِيحِيَّ قَدْ احْتَوَى عَلَى الْأَهْوَازِ، وَهِيَ سَلَةُ الْخَيْرِ وَجَمِيعُ الْمَالِ قَبْلَهُ وَطَمَعُ فِيهَا، وَكُتْبُهُ مُتَّصِلَةٌ بِجَمَلِهَا، وَهُوَ يَتَعَلَّلُ وَيَتَرَبَّصُ بِالدَّوَائِرِ؟ فَقُلْتُ : أَمَا أَكْفَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا، وَأَنْفَذَ مَنْ يَضْطَرُّهُ إِلَى حَمْلِ مَا عَلَيْهِ، فَقَالَ : مَا يَقْنَعُنِي هَذَا، فَقُلْتُ : فَيَأْمُرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَمْرِهِ، فَقَالَ : فَانْخُرُجْ إِلَيْهِ بِنَفْسِكَ حَتَّى تُصَفِّدَهُ بِالْحَدِيدِ، فَتَحْمِلْهُ إِلَى بَنْدَادٍ وَتَقْبِضَ عَلَى جَمِيعِ مَا فِي يَدِهِ مِنْ أَمْوَالِنَا، وَتَنْظُرَ فِي أَعْمَالِنَا وَتَرْتَّبَ لَهَا عُمَالًا، فَقُلْتُ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، فَلَمَّا كَانَ فِي غَيْدٍ دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ : مَا فَعَلْتَ فِيمَا أَمَرْتُكَ بِهِ ؟ قُلْتُ : أَنَا عَلَى ذَلِكَ، قَالَ : أَتُرِيدُ أَنْ تَجِيءَ فِي غَيْدٍ مُودَعًا؟ قُلْتُ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، فَلَمَّا كَانَ فِي غَيْدٍ جِئْتُهُ مُودَعًا، فَقَالَ : أَرِيدُ أَنْتَ تَحْلِفَ لِي أَنَّكَ لَا تَقِيمُ بِيَقْدَادٍ إِلَّا يَوْمًا وَاحِدًا، فَاضْطَرَبْتُ مِنْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ حَضَنِي وَأَسْتَحْلِفَنِي أَلَّا أَقِيمَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَخَرَجْتُ

حتى قدمت بغداد ، فلم أقم بها إلا ثلاثة أيام وأتحدت في زلالي أريد البصرة وجعل لي في الزلالي خيش واستكثرت من التلج لشدة الحر .

فلما صرت بين جرجان وجبل سمعت صوتا من الشاطئ يصيح : يا ملاح ، فرفعت سيف الزلالي وإذا بشيخ كبير السن جالس حاسر الرأس حافي القدمين خلق القميص . فقلت للغلام : أجبه ، فأجابه ، فقال : يا غلام ، أنا شيخ كبير السن على هذه الصورة التي ترى ، وقد أحرقتني الشمس وكادت تنلني ، وأريد جبل ، فاحملوني معكم فإن الله يحسن أجر صاحبكم ، قال : فشمته الملاح وأشهره ، فأدركني رقة عليه وقلت : خذوه معنا ، فتقدمنا الشط وصحنا به وسملناه ، فلما صار معنا في الزلالي وأعذرنا نتقدم فدفعنا إليه قميصا ومنديلا وغسل وجهه واستراح وكأنه كان ميتا وعاد الى الدنيا فحضر وقت الغداء وتقدمت وقلت للغلام : هات يا كل معنا ، فجاء وقعد على الطعام ، فاكل أكل أديب نظيف غير أن الجوع أثر فيه ، فلما رفعت المائدة أردت أن يقوم ويقل يده ناحية كما تفعل العامة في مجالس الخاصة فلم يفعل ، ففسأت يدي وتذممت أن آمر بقيامه ، فقلت : قدموا له الطشت ففعل بده ، وأردت بعدها أن يقدم لأنام فلم يفعل ، فقلت : يا شيخ ، أى شيء صناعتك ؟ قال : حائك أصالحك الله ، فقلت في نفسي : هذه الحياكة علمته سوء الأدب ، فتناومت عليه ومددت رجلي فقال : قد سألتني عن صناعتى وأنت أعزك الله ما صناعتك ؟ فأكبرت ذلك وقالت : أنا جئت على نفسي هذه الحياكة ولا بد من احتياها . أتراه الأحق لا يرى زلالي وغلمانى ونعمتى وأنى لا يقال له هذا ! فقلت : كاتب . فقال : كاتب كامل أم كاتب ناقص فإن الكتاب خمسة ، وفيهم أنت ؟ فورد على قولك لائق موردا عظيما وسمعت كلاما أكبرته وكنت متكا بغلست . ثم قلت : فعمل خمسة قال :

نعم ، كاتب خراج يحتاج أن يكون عالما بأشريط والطبوت والحساب والمساحة والبنوق والفتوق والرتوى . وكاتب أحكام يحتاج أن يكون عالما بالحلال والحرام

والاحتجاج والإجماع والأصول والفروع . وكاتبٌ معونةٌ يحتاج أن يكون عالماً بالقصاص والحدود والجراحات والمواثبات والسياسات . وكاتبٌ جيشٌ يحتاج أن يكون عالماً بجمل الرجال وشيآت الدوابِّ ومُداراة الأولياء وشيئا من العلم بالنسب والحساب . وكاتبٌ رسائلٌ يحتاج أن يكون عالماً بالصدور والفصول والإطالة والإيجاز وحُسن البلاغة والخط ، قال : فقلت : إني كاتبٌ رسائل ، قال : فأسألك عن بعضها ، قلت : قل ، فقال لي :

أصلحك الله ، لو أنَّ رجلا من إخوانك تزوج أمتك فأردت أن تكتبه مهنتا فكيف كنت تكتبه ؟ فكرتُ في الحال فلم يخطر ببالى شيء ، فقلتُ : ما أرى للتهنته وجهاً ، قال : فكيف تكتب إليه تمزييه فكرت فلم يخطر ببالى شيء ، فقلت : اعفنى ، قال : قد فعلت ، ولكك لست بكتابٍ رسائل ، قلت : أنا كاتبٌ خراج ، قال : لا بأس ، لو أنَّ أمير المؤمنين ولّاك ناحية وأمرَكَ فيها بالعدل والإنصاف وهفضى حاجة السلطان فيتظلم اليك بعضهم من مساحيك وأحضرتهم للنظر بينهم وبين رعيتك ، لحلف المسّاح بالله العظيم لقد أنصفوا وما ظلموا ، وحلفت الرعية بالله إنهم لقد جاروا وظلموا ، وقالت الرعية : قف معنا على ما مسحوه وأنظر من الصادق من الكاذب ، فخرجت لتقف عليه ، فوقفوا على براح شكّله قاتل قتا ، كيف كنتَ تمسحه ؟ قلت : كنت أخذ طولهُ على أنعراجهِ وعرضه ثم أضربه في مثله ، قال : إنَّ شكل قاتل قتا أن يكون زاويتاه محدودتين وفي تحديده تقويس ، قلت : فأخذ الوَسَط فأضربه في العَرْض ، قال : إذا يثنى عليك العمود ، فأسكنى ، فقلت : ولستُ كاتبٌ خراج ، قال : فإذا ما أنت ؟ قلت : أنا كاتبٌ قاض ، قال : أرايتَ لو أنَّ رجلا توفى وخلف امرأتين حاملتين إحدهما حُرّة والأخرى سريّة ، فولدت السريّة غلاما والحرة جارية ، فعَدت الحرة الى ولد السريّة فأخذته ، وتركّت بدله الجارية فاخصما في ذلك ، فكيف الحكمُ بينهما ؟ قلتُ : لا أدري ، قال : فلست بكتابٍ قاض ، قلتُ : فأنا كاتبٌ جيش ، فقال : لا بأس ، أرايتَ لو أنَّ رجلين جاءا اليك لتُحلّيهما وكلّ واحد منهما اسمه وأسم أبيه كاسم الآخر إلا أنَّ أحدهما مشقوق الشفة العليا ، والآخر مشقوق

الشفة السفلى ؟ كيف كنتَ تحملهما ، قال : قلتُ : فلانُ الأظفح وفلانُ الأعم ، قال : إنَّ رزقهما مختلفان وكلُّ واحدٍ منهما يحىء في دعوة الآخر ، قلتُ : لا أدري ، قال : فليست بكتاب جيس ، قلتُ : أنا كاتبُ معونة ، قال : لا تبالي ، لو أنَّ رجلين رُفعا إليك قد نَجَّ أحدهما الآخرُ شجرةً مؤمجةً^(١) ، وشج الآخرُ شجرةً مأمونة ، كيف كنتَ تفصل بينهما ؟ قلتُ : لا أدري ، قال : لستَ إذاً كاتبَ معونة ، اطلب لنفسك أيها الرجل شغلا غير هذا ، قال : فصَفَرْتُ إلى نفسي وعاظني ، قلتُ : قد سألتُ عن هذه الأمور ويحوز ألا يكون عندك جوابها كما لم يكن عندى ، فإن كنتَ عالمًا بالجواب فقل ، فقال :

نعم ، أما الذى تزوج أمك فتكتب اليه : أما بعد ، فإنَّ الأمور تجري من عند الله بنير حبة عباده ولا اختيارهم ، بل هو تعالى يختار لهم ما أحب ، وقد بلغنى تزويج الوالدة خا الله لك في قبضها ، وإنَّ القبور أكرم الأزواج وأسر الميوب والسلام .

وأما براحُ قاتل قتا فتمسح العمود حتى اذا صار عددا في يدك ضربته في مثله ومثل ثلثه فما خرج فهو المساحة .

وأما الجارية والغلامُ فيوزَنَ بين الاثنين ، فأيهما كان أخفَ فالجارية له .

وأما الهنديان المتفقا العسمين ، فإن كان الشقُّ في الشفة العليا قيل فلانُ الأعم ، وإذا كان في الشفة السفلى قلتُ فلانُ الأظفح .

وأما صاحبُ الشجتين فلصاحب الموصحة ثلثُ الدية ، ولصاحب المأمونة نصف الدية ، فلما أجاب بهذه المسائل تعجبتُ منه وامتنعته بأشياء كثيرة غيرها فوجدته ماهرا في جميعها حاذقا بليفا ، فقلتُ : أليستَ زعمتَ أنك حائك ، فقال : أنا أصلحك الله حائك كلام وليست بحائك نساجة ، وأنشأ يقول :

ما مرَّ برؤس ولا نسيمٍ * إلا ولى فيهما نصيبُ
فدقتُ حلواً ودقتُ مرأً * كذاكَ عيشُ الفقى ضروبُ
نوابِ الدهر أدبني . وإنما يُوعَظُ الأديبُ

(١) الموصحة : الشفة التى تبدي وضع النظام .

قلت : فما الذي بك من سوء الحال ؟ قال : أنا رجلٌ كاتبٌ دامت عطلتي ، وكثرت
صَلَتِي ، وتواصلتِ مَحَنِي ، وقلتِ حِلَّتِي ، فخرجتُ أطلبُ تَصَرُّفاً فُطِعَ على الطريقِ فصرْتُ
كما ترى ، فشببت على وجهي ، فلما لاح لي الزَّلالُ استغثتُ بك ، قلتُ : فإني قد خرجتُ
إلى مُتَصَرِّفٍ جليلٍ أحتاجُ فيه إلى جماعةٍ مثلك ، وقد أمرتُ لك بِمِخْلَةٍ حَسَنَةٍ تصلحُ لِمِثْلِكَ
وخمسةِ آلافِ درهمٍ تُصَالِحُ بها أَمْرَكَ ، وتُفِيدُ منها إلى عِيَالِكَ ، وتُقَوِّيَ نَفْسَكَ بِبَاقِهَا ،
وتصيرَ معي إلى عَمَلِي فأولِّيكَ أَجَلَهُ ، فقال : أحسنَ الله جزاءَكَ إذا تجددني بحيثَ أَسْرَكَ ،
ولا أقومُ مقامَ معذِرِ اليك إن شاء الله ، وأمرتُ بتَقْيِضِهِ ما رَسَمْتُ له قَبْضُهُ ، وانحدر إلى
الأهوازِ معي ، بغلته الماظر للرحى والمحاسبَ له بمحضرقى ، والمستخرجَ لِمَا عليه ، فقام
بذلك أحسنَ قيامٍ وعظمت حاله معي ، وعادتْ نعمته إلى أحسنَ ما كانت عليه .

وفي عمرو بن مسعدة يقول أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي :

أَعْنَى عَلَى بَارِقٍ مُضِيبٍ . خَفِيَ كَوَحِيكَ بِالْحَاجِبِ
كَأَنَّ تَأَلُّفَهُ فِي السَّمَاءِ . يَدَا كَاتِبٍ أَوْ يَدَا حَاسِبٍ
فَرَوَى مَنَازِلَ تَذَكُّرُهَا . يُبَيِّجُ مِنْ شَوْفِكَ الْغَالِبِ
غَرِيبٌ يَمِينٌ لِأَوْطَانِهِ . وَيَسْكِي عَلَى عَصْرِهِ الزَّاهِبِ
كَفَاكَ أَبُو الْفَضْلِ عَمْرُو النَّدَى . مَطَالِمَةُ الْأَمَلِ الْكَاذِبِ
وَصَدَقُ الرِّجَاءِ وَحُسْنُ الْوَفَاءِ . لِعَمْرَوِ بْنِ مَسْعَدَةَ الْكَاتِبِ
عَرِضُ الْفِتْنَاءِ طَوِيلُ الْبِنَا . فِي الْمِزِّ وَالشَّرَفِ النَّاقِبِ
بَنَى الْمَلِكُ طَوْدَهُ لَهُ يَبُوءُهُ . وَأَمَلُ الْخِلَافَةِ مِنْ غَالِبِ
هُوَ الْمَرْجِيُّ لِهَرُوفِ الرِّمَانِ . وَمُعْتَصِمُ الرَّاغِبِ الرَّاهِبِ
جَوَادٌ بِمَا لَمْ يَكُنْ كَثُهُ . عَلَى الضَّيْفِ وَالْجَارِ وَالصَّاحِبِ
بَادِمُ الرِّكَابِ وَوَسْوَى الْبِيَا . يَبِ وَالطَّرْفِ وَالطُّفْلَةِ الْكَاعِبِ
وَوَسْلُهُ لِحَسَامِ الْأُمُورِ . وَنَزْجُهُ لِلْبَلَلِ الْكَارِبِ

خَصِيْبُ الْجَنَابِ مَطِيرُ السَّحَابِ . . بِشِيْمَتِهِ لَيْزُ الْجَنَابِ
 يُرَوِّى النَّفْسَ مِنْ نَحْوِ الْعَدَا ■ وَيُفْرِقُ فِي الْجُودِ كَالْأَعْبِ
 إِلَيْكَ تَبَلَّتْ بِأَكْوَارِهَا ■ حَرَجِجُ فِي مَهْمِهِ لِأَحِبِّ
 كَأَنْتَ نَعَامًا تَبَارَى بِنَا * بِوَايِلٍ مِنْ بَرْدِ عَاصِبِ
 يَرِدُّنَ نَدَى كَفِّكَ الْمُتَمَجِّى . وَيَقْضِيْنَ مِنْ حَقِّكَ الْوَاجِبِ
 وَفَقَّ مَا أَنْتَ مِنْ خَابِرِ ■ بِسَجِلِ اقْصُومِ وَمِنْ خَارِبِ
 قَسَقَى الْعَدَا بِكَؤُوسِ الرَّدَى . . وَتَسْقِىْ مَسْئَلَةَ الطَّالِبِ
 وَكَمْ رَاضٍ تَلْتَبِهَ بِالْعَطَا . . وَكَمْ نَلَتْ بِالْعَطْفِ مِنْ هَارِبِ
 وَتِلْكَ الْخَلَائِقُ أُعْطِيَتْهَا * وَفَضْلُ الْمَانِعِ الْوَاجِبِ
 كَسَبَتْ الثَّنَاءَ وَكَسَبُ الثَّنَا * أَفْضَلُ مَكْسَبَةِ الْكَاسِبِ
 يَقِينُكَ يَحِلُّو سِتُورَ الدُّجَى * وَظَنُّكَ يُخَدِّرُ بِالْغَائِبِ

رسائل الجاحظ

رسائله في بني أمية

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ^(١) : أطال الله بقاءك ، وأتم نعمته عليك ، وكرامته لك . أعلم أرشد الله أمرك ، أن هذه الأمة قد صارت بعد إسلامها ، والخروج من جاهليتها ، الى طبقات متفاوتة ، ومنازل مختلفة : فالطبقة الأولى عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر وعمر ، رضى الله عنهما ، وست سنين من خلافة عثمان رضى الله عنه ، كانوا على التوحيد الصحيح ، والإخلاص المحض ، مع الأئمة واجتماع الكلمة على الكتاب والسنة ، وليس هناك عمل قبيح ، ولا بدعة فاحشة ، ولا ترعُّ يد من طاعة ، ولا حسد ولا غل ولا تأكل ، حتى كان الذى كان : من قتل عثمان ، رضى الله عنه ، وما أنشك منه ، ومن خبثهم لإياه بالسلاح ، وبسج بطنه بالحرايب ، وفقرى أوداجه بالمشاقص ، وشذخ

(١) هو إمام الأدب أبو عثمان عمرو الجاحظ بن يحرير محبوب النخافى البصرى صاحب التصانيف الممتعة والرسائل المبدعة . وقد تقدم الكلام عليه في الجهد الأول من هذا الكتاب (ص ٤٢١) .

وله حوالى سنة ١٦٠ هـ بمدينة البصرة ونشأ بها فتاوى كل فن . ومارس كل علم عرف في زمانه مما وضع فى الاسلام أو نقل عن الأمم الأوائل فأصبح له مشاركة فى علم كل ما يقع عليه الحس أو يضطر بالبال فهو راوية . متكلم . فيلسوف . كاتب . مصنف . مترجم . شاعر . مؤرخ . عالم بالحیوان والنبات والموت . وصاف لأحوال الناس ووجوه معاشهم واضطرابهم وأخلاقهم وحيلهم إلا أنه غلب عليه أمران : الكلام على طريقة المعتزلة فهو بذلك إمام الطائفة الجاحظية من المعتزلة والأدب المزوج بالقلمسة والفكاهة فهو أول من ألف الكتب الجسامنة لغتونه ككتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان وغيرها .

وكان طاية فى الدكاء ودقة الحس وحسن الفراسة إلى دعاية فاشية ، وقلة اعتداد بما يأخذ به الناس أقصم ويشتطونه من الرسوم والمبادئ وأنواع الصبغة المذهبية وعدم مبالاة بوقوع المتوهمين فيه . وكان سمياً بجوادا كثير المراساة لإخوته وكان على دماثة خلقه وتناقض خلقه خفيف الروح ، فكذلك المجلس ، غاية فى الظرف وطبيب الفكاهة وحلاوة الكلام وهو على الجملة أحد أئداز العالم وأحد هجج اللسان العربى . توفى سنة ٢٥٥ هـ ببغداد بمقبرة الخيزران . وتجد ترجمه فى معجم الادباء لياقوت (ج ٦ ص ٥٦ — ٨٠) وابن خلدون (ج ١ ص ٥٥٣) .

(٢) فى الأصل : « المختص » .

هامته بالعمد، مع كفه عن البسط، ونبيه عن الامتناع، مع تعريفه لم قبل ذلك : من كم وجه يجوز قتل من شهد الشهادة، وصلى القبلة، وأكل الذبيحة؛ ومع ضرب نسائه بمحضرة، وإلحاق الرجال على حرمة، مع انتهاء نائلة بنت الفرافصة عنه بيدها، حتى أطنوا^(١) إصبعين من أصابعها، وقد كشفت عن قناعها، ورفعت عن ذيلها ليكون ذلك رادعا لهم، وكاسرا من غريبتهم ؛ مع وطئهم في أضلاعه بعد موته، وإلحاقهم على المزلّة جسده مجودا بعد محبه، وهي الجزرة التي جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم كفنا لبناته وأياماه وعقائله، بعد السب والتعطيش والحصر الشديد، والمنع من القوت، مع احتجاجة طليهم وإلحاقه لهم، ومع اجتماعهم على أن دم الفاسق حرام، كدم المؤمن، إلا من ارتد بعد إسلام، أوزنى بعد إحصان، أو قتل مؤمنا على عمد، أو رجل عدا على الناس بسيفه فكان في امتناعهم منه عطبه ؛ ومع اجتماعهم على ألا يقتل من هذه الأمة، ولا يُجهز منها على جريح ؛ ثم مع ذلك كله ذمروا^(٢) عليه وعلى أزواجه وحريمه وهو جالس في محرابه ومُصحفه يلوح في حجره، لن يرى أن موحدا يقدم على قتل من كان في مثل صفته وحاله .

لأجرم لقد احتلبوا به دما لا تطير رغوته، ولا تسكن فورته، ولا يموت نأثره، ولا يكل طالبه، وكيف يُضجّع الله دم وآية، والمستقم له، وما سمعنا بدم بعد دم يحيى بن زكريا طليهما السلام، غلا غليانه، وقيل ساحفه، وأدرك بطائله، وبلغ كل محبته، كدبه رحمة الله عليه .

ولقد كان لهم في أخذه، وفي إقامته للناس، والاقتصاص منه، وفي بيع ما ظهر من رباعه، وحدائقه، وسائر أمواله، وفي حبسه بما بقي عليه . وفي طمّره حتى لا يُحس، بذكره، ما يُقنهن عن قتله إن كان قد ركب كل ما قد ذنوبه به، وأدعو عليه، وهذا كله بمحضرة جلة المهاجرين والسلف المقدمين، والأَنْصار والتابعين .

(١) قال في شرح الاموس : كل ما في العرب من هذا الاسم «فراقصة» هو جسه، معاء الارفاصة أبا نائلة فهو بالفتح لا غير . (٢) أطنوا : قتلوا . (٣) حض بعضهم بضاً عليه منهذين .

ولكن الناس كانوا على طبقات مختلفة، ومراتب متباينة : من قاتل ومن شاذ على عضده، ومن خاذل عن نصرته، والعاجز ناصر بإرادته، ومطيع بحسن نيته، وإتباع الشك متأففة، وفي خافله، ومن أراد عزله والاستبدال به؛ فأما قاتله، والمعين على دمه، والمريد لذلك منه، ففصل لا شك فيهم، ومراق لا امتراء في حكمهم؛ على أن هذا لم يعد منهم الفجور : إنما على سوء تأويل، وإتقا على تعمد لأشياء، ثم ما زالت الفتن متصلة، والحروب مترددة، كحرب الجبل، وكوقائع صفين، وكيوم النهروان، وقبل ذلك يوم الزابوقة^(١) وفيه أسرا بن حنيف، وقتل حكيم بن جبلة، إلى أن قتل أسقاها على بن أبي طالب رضوان الله عليه، فأسعده الله بالشهادة، وأوجب لقاتله النار واللعنة؛ إلى أن كان من اعتزال الحسن عليه السلام الحروب وتخليته الأمور، عند انتثار أصحابه، وما رأى من الخلل في عسكره، وما عرّف من اختلافهم على أبيه، وكثرة توليهم عليه؛ فعندها استوى معاوية على الملك، واستبد على بقية الشورى، وعلى جماعة المسلمين، من الأنصار والمهاجرين، في العام الذي سمي عام الجماعة، وما كان عام جماعة، بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وظلمة، والعام الذي تحولت فيه الإمامة ملكا كسرويا، والخلافة غصبا قيصريا، ولم يعد ذلك أجمع الضلال والفسق. ثم ما زالت معاصيه من جنس ماحكينا، وعلى منازب مارتينا، حتى رد قضية رسول الله صلى الله عليه وسلم ردا مكشوقا، وبمحمد حكمة بمحمد ظاهرا، في ولد الفرس وما يجب للعاهر، مع اجتماع الأمة أن تسميه لم تكن لأبي سفيان فراشا، وأنه إنما كان بها عاهرا. فخرج بذلك من حكم الفجار إلى حكم الكفار، وليس قتل مجرب عدي، وإطعام عمرو بن العاص نرج مصر، وبيعة يزيد الخليل، والاستئثار بالنبي، واختيار الولادة على الهوى، وتعطيل الحدود بالشفاعة والقرباة، من جنس محمد الأحكام المنصوصة، والشرائع المشهورة، والسنن المنصوبة، وسواء في باب الاستحقاق من الكفار بمحمد الكتاب، ورد السنة إذا كانت السنة في شهرة الكتاب وظهوره، إلا أن أحدهما

(١) الزابوقة : موضع قرب من البصرة كانت فيه وقعة الجبل أول الهار .

أعظم ، وعقاب الآخرة عليه أشد ، فهذه أول كفره ، كانت من الأئمة ، ثم لم تكن إلا يمين
يَدعى إمامتها ، والخلامة طليها ، على أن كثيرا من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك إكفاره ،
وقد أُرْبِتْ عليهم مابنة عصرنا ، ومُبْدَلَةُ دهرنا ، فقالت : لا تَسْبُوهُ ، فإن له محبة ، وسب
معاوية بدعة ، وَمَنْ يُفْضِضْهُ فَقَدْ خَالَفَ السُّنَّةَ ، فزعمت أن من السنة ترك البراءة ، فمن
جحد السنة ، ثم الذي كان من يزيد ابنه ، ومن عماله ، وأهل نُصْرته ، ثم غزو مكة ، ورمى
الكعبة ، واستباحة المدينة ، وقتل الحسين عليه السلام ، في أكثر أهل بيته ، مصايح
الظلام ، وأوتاد الإسلام ، بعد الذي أعطى من نفسه ، من هربى أتباعه ، والرجوع إلى
داره وحره ، أو اللُحَاب في الأرض ، حتى لا يُجَسَّ به أو المُقَام حيث أُمِرَ به ، فأبوا إلا
قتله ، والتزول على حكمهم ، وسواء قتل نفسه بده ، أو أسلمها إلى عدوه ، وخير فيها من
لا يرد غايكه إلا بُشِّرَ دمه ، فاحسبوا قتله ليس بكفر ، وإباحة المدينة ، وهتك الحرمه ،
ليس بمحبة ، كيف نقولون في رمي الكعبة ، وهدم البيت الحرام ، وقبلة المسلمين ؟ فإن قلتم
ليس ذلك أرادوا بل إنما أرادوا المتحيز به ، وانحصر محطاه ، أما كان في حواليت وحريمه
أن يحصروه فيه ، إلى أن يُعْطَى بيده ! وأى معنى يَبْقَى من رجل ، قد أُحْدِثَ عليه الأرض
إلا موضع قدمه ! واحسبوا ماروا عليه من الأسعار ، التي قولها سِرْك ، والمثل لها كفر ،
سيئا مصوبا ، كيف تصبح بتقرر القضيب من نيتي الحسن عليه السلام ، وحمل بنات
رسول الله صلى الله عليه وسلم حواسر على الأفتاب العارية ، والإيل الصعاب ، والكشف
عن عورة علي بن الحسين عند السك في بلوغه ! على أنهم إن وحدوه ، وقد آتت قنلوه
وأن لم يكن ألت حملوه ، كما يصنع أترجس المسلمين ، لدرارى المسركين ، وكف
تقول في قول عُيَيْدُ الله بن زياد لإخوته وحاضمه . دعوى أمله . فإنه بقيه هذا السبل ،
فأحسب به هذا القرن ، وأُسب به هذا الداء ، وأقطع به هذه المادة !

خبروا علام مثل هذه النسوة ، وبعدها طه ! بعد أن شعوا أنهم قتلهم ، وراوا
ما أحبوا فيهم ، ألدل على حب ، وسوء رأي وحن ، وعضة وهاق ، وعلى قتي مدحول

وإيمانٍ مخروج ! أم تدلّ على الإخلاص ، وعلى حبّ النبي صلى الله عليه وسلم ، والحفظ له ، وعلى براعة الساحة ومهنة السرية ! فإن كان على ما وصفنا لا يمدو التسقي والضلال ، وذلك أدنى منازل ؛ فالناسق ملعون ، ومن نهى عن نهى الملعون فلعون .

وزعمت ثابتة عصرنا ، ومبتدعة دهرنا ، أت سبّ ولادة السوء فتنّة ، ولنّ الجورّة بدعة ، وإن كانوا يأخذون السميّ بالسعيّ ، والوليّ بالوليّ ، والقريب بالقريب ، وأخافوا الأولياء ، وأمتوا الأعداء ، وحكوا بالشفاعة والهووى ، وإظهار الغدوق والتهاون بالأمة ، والقمع للزعية ، وأنهم في غير مداراة ولا حقبة ، وإن منا ذلك إلى الكفر ، وجاوز الضلال إلى الجحْد ، فذاك أضلّ ممن كفّ عن شتمهم ، والبراءة منهم ، على أنّه ليس من استحقّ اسم الكفر بالقتل كنّ استحقّه برّة السنة وهدم الكعبة ، وليس من استحقّ اسم الكفر بذلك كنّ شبه الله بخلقه ، وليس من استحقّ الكفر بالتشبيه كنّ استحقّه بالتجوير ، والثابتة في هذا الوجه أكفر من يزيد وأبيه ، وابن زياد وأبيه ، ولو ثبت أيضا على يزيد أنّه يمثل بقول بن الرُّمَيْري :

ليت أشياخي يبديّ شهدوا * جزع الخوارج من وقع الأسل
لاستطاروا واستهلّوا قرحاً * ثم قالوا يا يزيد لا تسل
قد قتلنا الثّر من ساداتهم * وعدلناه ببديّ فاعسل

كان تجويزُ الباقي لربه ، وتشبيهه بخلقهِ ، أعظم من ذلك وأقطع ، على أنهم يُجمعون على أنّه ملعون من قتل مؤمناً ، متعمداً أو متأولاً ؛ فإذا كان القاتل سلطاناً جائراً ، أو أميراً طامعياً ، لم يستحلوا سبّه ، ولا خلعهُ ، ولا نفيه ، ولا عيه ، وإنّ أخاف الصلحاء ، وقتل الفقهاء ، وأجاع الفقير ، وظلم الضعيف ، وعطلّ الحدود والثغور ، وشرب الخمر ، وأظهر الفجور ؛ ثم ما زال الناس يتسكعون مرة ، ويلذّهونهم مرة ، ويقاربونهم مرة ، ويشاركونهم مرة إلا بقيّة ممن عصمه الله تعالى ذكره ، حتى قام عبد الملك بن مروان ، وابنه الوليد ،

وطمهما الجحاج بن يوسف ، ومولاه يزيد بن أبي مُسلم ، فأعادوا على البيت بالهدم ، وطمسوا المدينة بالقرى ، فهدموا الكعبة ، واستباحوا الحرم ، وحولوا قبلة واسطاً ، وأتروا صلاة الجمعة ، إلى مُغيّر بن الشمس ، فإن قال رجل لأحدهم : اتق الله فقد أحرقت الصلاة عن وقتها ، قتله على هذا القول يجهارا غير خيل ، وعَلانية غير سر ، ولا يُعلم القتل على ذلك إلا أقيح من إنكاره ، فكيف يكفر العبد بشيء ، ولا يكفر بأعظم منه !

وقد كان بعض الصالحين ربما وعظ الجبارة ، وخوفهم العواقب ، وأراهم أن الناس بقية يَهْنُون عن الفساد في الأرض ، حتى قام عبد الملك بن مروان ، والجحاج بن يوسف ، فزجرا عن ذلك ، وعاقبا عليه ، وقتلا فيه ، فعصاروا لا يَتَنَاهَوْنَ عن منكر فعلوه ، فاحسب تحويل القبلة كان خطأ ، وهدم البيت كان تأويلا ، واحسب ما رَوَوْا من كل وجه ، أنهم كانوا يزعمون أن خليفة المرء في أهله أرفعُ عنه من رسوله اليهم ، باطلا ومسموما مولدا ، واحسب ومم أيدى المسلمين وتقتس أيدى المسلمات ، وردهم بعد الهجرة إلى قُرَام ، وقتل الفقهاء ، وسب أئمة الهدى ، والنصب لعترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يكون كفرا ، كيف تقول في جمع ثلاث صلوات فيهن الجمعة ، ولا يُصلَّون أولاهن ، حتى تعبير الشمس على أطلى الجُذران ، كالملاء المعصفر ، فإن نطق مسلم ، خبط بالسيف ، وأخذته العمد ، وشك بالزجاج ، وإن قال قائل : اتق الله أخذته العزة بالإثم ، ثم لم يرض إلا بترديماغه على صدره ، وبصلبه حيث تراه عياله ، ومما يدل على أن القوم لم يكونوا إلا في طريق التمرّد على الله عز وجل ، والاستخفاف بالدين . والتهاون بالمسلمين ، والابتدال لأهل الحق ، أكل أمرائهم الطعام ، وشربهم الشراب على منابرهم أيام جمعهم وجموعهم ، فَعَلَ ذلك حُيَيش بن دُبَلَّة ، وطارق مولى عثمان ، والجحاج بن يوسف ، وغيرهم ، وذلك إن كان كفرا كله فلم يبلغ كفر ثابتة

(١) يشير بذلك إلى ما ورد من إجحاح أنه قال في كلامه : ويحك خليفة أحدك في أهله ، أكرم عليه أم رسوله اللهم ، يريد بذلك تعصيل مقام الخلافة على مقام الرسالة ، يدل هذا على إجحاح بالكفر وقد عُد أن يحذر به في العقد الفريد فصلا فيمن زعم أن إجحاح كان كافرا راجع العقد الفريد ج ٣ ص ٢٣

(٢) في الأصل : « حسن » وهو حصا وهدياب ما أتيقاه كما في شرح التماموس والطبري .

حصرتا، وروافض دهرنا، لأت جنس كفر هؤلاء غير كفر أولئك. كان اختلاف الناس في القدر على أن طائفة تقول كل شيء بفضاء وقدر، وتقول طائفة أخرى كل شيء بفضاء وقدر إلا المصاحي، ولم يكن أحد يقول إن الله يعذب الأبناء ليغيظ الآباء، وإن الكفر والإيمان مخلوقان في الإنسان، مثل العمى والبصر، وكانت طائفة منهم تقول إن الله يرى، لا تريد على ذلك، فإن حافت أن يُفان بها التشبيه قالت يرى بلا كيف تهززا من التجسيم والتصوير، حتى نبئت هذه النابتة، وتكلمت هذه الرافضة، فقالت جسيما، وجعلت له صورة وحدئا، وأكفرت من قال بالرؤية على غير التجسيم والتصوير، ثم زعم أكثرهم أن كلام الله حسن وبين وحجة وبرهان، وأن التوراة غير الزبور، والزبور غير الانجيل، والانجيل غير القرآن، والبقرة غير آل عمران؛ وأن الله تولى تأليفه، وجعله برهانه على صدق رسوله، وأنه لو شاء أن يزيد فيه زاد، ولو شاء أن ينقص منه نقص، ولو شاء أن يبدله ببله، ولو شاء أن ينسخه كله بغيره نسخا، وأنه أنزله تنزيلا، وأنه فصله تفصيلا، وأنه بالله كان دون غيره، ولا يقدر عليه إلا هو، غير أن الله مع ذلك كله لم يخلقهم؛ فأخطوا جميع صفات الخلق، ومنعوا اسم الخلق.

والعجب أن الخلق عند العرب إنما هو التقدير نفسه، فإذا قالوا: خلق كذا وكذا، ولذلك قال: (أحسن الخالقين). وقال: (وتخلقون إنكأ)، وقال: (وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير). فقالوا: صنعه وجعله وقدره، وأنزله وفصله وأحدثه، ومنعوا خلقه، وليس تأويل خلقه أكثر من قدره، ولو قالوا بدل قولهم: قدره ولم يخلق خلقه ولم يقدره بما كانت المسألة عليهم إلا من وجه واحد؛ والعجب أن الذي منعه بزعمه أن يزعم أنه مخلوق، أنه لم يسمع ذلك من سلفه، وهو يعلم أنه لم يسمع أيضا من سلفه أنه ليس بمخلوق، وليس ذلك بهم، ولكن لما كان الكلام من الله تعالى عندهم على مثل خروج الصوت من الجوف، وعلى جهة تقطيع الحروف، وإعمال اللسان والشفنتين، وما كان على غير هذه الصورة والصفة فليس بكلام، ولما كنا عندهم على غير هذه الصفة،

وكنا لكلامنا غير خالقين ، ويجب أن الله عز وجل لكلامه غير خالق ؛ إذ كنا غير خالقين
لكلامنا ، فإتما قالوا ذلك ، لأنهم لم يجدوا بين كلامنا وكلامه فرقا ، وإن لم يُقرأ بذلك
بالستهم فذلك معناه وقصدهم .

وقد كانت هذه الأمة لا تتجاوز معاصيها الإثم والضلال ، إلا ما حكيت لك عن بنى أمية ،
وبنى مروان ، وعملهم ، ومن لم يدين بكفارهم حتى نجت النوايت ، وتابعتها هذه العوام ،
فصار الغالب على هذا القرن الكفر ، وهو التشييه والخبر ، فصار كفرهم أعظم من كفر من
مضى في الأعمال التي هي الفسق ، وشركاء من كفر منهم بتوليهم ، وترك إكفارهم ، قال
الله عز وجل من قائل : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ .

وأرجو أن يكون الله قد أغاث المحققين ، وريحهم وقوى ضعفهم ، وكثر قلتهم ، حتى
صار ولادة أمرنا في هذا الدهر الصعب والزمن الفاسد أشد استبصارا في التشيه من
عليتنا ، وأعلم بما يلزم فيه منا ، وأكشف للقناع من رؤسائنا وصارفوا الناس وقد انتظموا
معان الفساد أجمع ، وبلغوا غايات البدع ، ثم قرئوا بذلك العصية التي هلك بها عالم بعد
عالم ، والحية التي لا تنقي دينا إلا أفسدته ، ولا دنيا إلا أهلكتها ، وهو ما صارت إليه العجم
من مذهب الشعوبية ، وما قد صار إليه الموالى من الفخر على العجم والعرب . وقد نجت
من الموالى ناجحة ، ونبتت منهم نابتة ، تزعم أن المولى بولائه قد صار عربيا ، لقول النبي
صلّى الله عليه وسلم : « مَوَى القوم منهم » ولقوله : « الولاء لمحمة كحمة النسب لا يباع
ولا يوهب » .

قال : فقد علمنا أن العجم حين كان فيهم الملك والنبوة كانوا أشرف من العرب ،
ولما حوّل ذلك الى العرب صارت العرب أترف منهم ، قالوا : فبحر معاصر الموالى
بقديمتا في العجم أشرف من العرب ، وبالحديث الذي صار لنا في العرب أترف من العجم ،
والعرب القديم دون الحديث ، ولنا خصلتان جميعا وإمرتان فينا ، وصاحب انحصاريتين

(١) كذا في الأصل ، ولعله : وصاروا شركاء الخ . (٢) معناه صحب الله والعرب : الماء والمزبل .

أفضل من صاحب الخصلة ، وقد جعل الله المولى بعد أن كان عجمياً عربياً بولائه ، كما جعل حليف قُرَيْش من العرب قرشياً بحلفه ، وجعل اسماعيل بعد أن كان أعجمياً عربياً ولولا قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اسماعيل كان عربياً » ما كان عندنا إلا أعجمياً . لأنَّ الأعجمي لا يصير عربياً ، كما أنَّ العربي لا يصير أعجمياً ، فإنما صلينا أنَّ اسماعيل صيرَه الله عربياً بعد أن كان أعجمياً ، بقول النبي صلى الله عليه وسلم ، فكنكلك حكمُ قوله « مولى القوم منهم » وقوله : « والولاءُ لِمَنَّة » . قالوا : وقد جعل الله إبراهيم عليه السلام أباً لمن لم يلد ، كما جعله أباً لمن ولد ، وجعل أزواج النبي أمَّهات المؤمنين ، ولم يلدنَّ منهم أحداً ، وجعل الجار والد من لم يلد في قول غير هذا كثير قد أتينا عليه في موضعه ، وليس أدعى إلى الفساد ، ولا أجلب للشتم من المفارقة ، وليس على ظهورها إلا نقور (الآ قليل) وأى شيء أُخِيطَ من أن يكونَ عبدك يزعم أنه أشرف منك ، وهو مُقَرَّ أنَّهُ صارَ شريكاً بِعَيْتِكَ لِيَاَهُ .

وقد كتبتُ — مدَّ الله في عمرك — كتباً في مُفارقة خطَّان ، وفي تفضيل عدنان ، وفي ردِّ الموالى إلى مكانهم من الفضل والنقص . وإلى قدر ما جعل الله تعالى لهم بالعرب من الشرف ، وأرجو أن يكون عدلاً بينهم ، وداعيةً إلى صلاحهم ، ومُنْهيةً عنهم ؛ ولهم ؛ وقد أردتُ أن أرسل بالجزء الأول اليك ثم رأيتُ ألا يكونَ إلا بعد استئذانك ، واستئارك ، والاتِّهاء في ذلك إلى رَغبتك ، فأراك في موقِّق إن شاء الله عز وجل وبه الثقة .

وكتب الى بعض إخوانه في ذم الزمان

بسم الله الرحمن الرحيم

حَفِظَكَ اللهُ حَفِظَ مَنْ وَفَّقَهُ لِلْفَنَاءَةِ ، وَأَسْتَعْمَلَهُ بِالطَّاعَةِ ؛ كَتَبْتُ إِلَيْكَ وَحَالِي حَالٌ مِنْ كَثُفَتْ غُموهُ ، وَأَشْكَتْ عَلَيْهِ أُمُورُهُ ، وَأَشْتَقُّهُ عَلَيْهِ حَالُ دَهْرِهِ ، وَخَرَجَ أَمْرُهُ ، وَقَلَّ عِنْدَهُ مِنْ يَثِقُ بَوَفَائِهِ ، أَوْ يَجِدُ مَغْبَةَ إِخَائِهِ ، لَأَسْتَحَالَةَ زَمَانَتَا ، وَفَسَادِ أَيَامِنَا ، وَدَوْلَةِ أَنْذَالِنَا ؛ وَقَدْ مَا كَانَ مَنْ قَلَمَ الْحَيَاءِ عَلَى نَفْسِهِ ، وَحَكَّمَ الصَّدْقَ فِي قَوْلِهِ ، وَأَثَرَ الْحَقِّ فِي أُمُورِهِ ، وَنَبَذَ الْمُشْتَبَهَاتِ عَلَيْهِ مِنْ شُؤُونِهِ ، تَمَّتْ لَهُ السَّلَامَةُ ، فَغَارَ بَوُفُورُ حَقِّ الْعَافِيَةِ ، وَحَمِدَ مَغْبَةَ مَكْرُوهِ

العاقبة ؛ فنظرنا إذ حال عندنا حكمه ، ونحولت دويثه ؛ فوجدنا الحياء متصلا بالحِرمَانِ والصدق آفة على المال ، والقصد في الطلب بترك استعمال القصة ، وإخلاق العِرض من طريق التوكل دليلا على سخافة الرأي ، إذ صارت الخطوة البالغة ، والنعمة السابعة ، في لزوم المشيئة ؛ وسناء الرزق من جهة عماشاة الرضاء ، وملابسة معزة العار ؛ ثم نظرنا في تمقب المتعقب لقولنا ، والكاشر مُجْتَنَأ ؛ فألقنا له علما واحضا ، وشاهدا قائما ، ومتارا بيننا ؛ إذ وجدنا مَنْ فيه السُّقُولِيَّة الواضحة ، والمتالب الفاضحة ، والكذب المُبْتَرَج ، والخلف المصريح ، والجهالة المُقَرَطَة ، والزكاة المُسْتَحَقَّة ، وضعف اليقين والاستنبات ، وسرعة الغضب والحِرمَة ، قد استكمل سروره ، وأحسدت أموره ، وفاز بالسهم الأغلب ، ولحظ الأوفر ، والقدر الرفيع ، والجواز الطامع ، والأمر النافذ ؛ إن زلَّ قيل حكمٌ ، وإن أخطأ قيل أصاب ، وإن هَدَى في كلامه وهو يقظان قيل رؤيا صادقة من نَسَمَة مباركة ؛ فهذه مُجْتَنَأ والله على من زعم أن الجهل ينقيض ، وأن التوكُّل يُرْدِي ، وأن الكذب يضرُّ ، وأن الخلف يُزْدِي ؛ ثم نظرنا في الوفاء والإمانة والنبل والبلاغة وحسن المذهب وكل المرومة وسعة الصدر وقلة الغضب وكرم الطبيعة ، والفائق في سعة علمه ، والحاكم على نفسه ، والغالب لمواه . فوجدنا فلان بن فلان ؛ ثم وجدنا الزمان لم يُنصفه من حقه ، ولا قام له بوظائف قرضه ، ووجدنا فضائله القائمة له قاعدة به ؛ فهذا دليل أن الطلاح أجدى من الصلاح ، وأن الفضل قد مضى زمانه ، وعفت آثاره ، وصارت الدائرة عليه كما كانت الدائرة على ضده ؛ ووجدنا العقل يشقى به قرينه ، كما أن الجهل والحق يحظى به خليفته ؛ ووجدنا الشعر ناطقا على الزمان ، ومُعْزَا عن الأيام حيث يقول :

تَحَاقَّقَ مَعَ الْحَقِّ إِذَا تَقَيَّتِهِمْ وَلَا قِيَمَ الْجَهْلَ هَلْ أُنْحَى الْجَهْلُ
وَحَاطَّ إِذَا لَاقِيََتْ يَوْمًا مَخْلُطًا يَخْلُطُ فِي قَوْلٍ صَحِيحٍ وَفِي هَزَلٍ
لَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَرْءَ يَسْقَى بَعْتَهُ كَمَا كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يَسْعَدُ بِالْعَقْلِ

فَبَقِيْتُ — أَبَاكَ اللهُ — مَثَلٌ مِنْ أَصْبَحَ عَلَى أَوْفَازٍ، وَمِنْ الثَّقَلَةِ عَلَى جِهَازٍ، لَا يَسُوغُ لَهُ نِعْمَةٌ، وَلَا تَعْلَمَ حَيْثُ غَمَضَةٌ، فِي أَهْوَائِلَ بَيَاكِزِهِ مَكْرُوهُهَا، وَيُرَاوِحِهِ عَقَابِهَا، فَلَوَاقَتْ الدُّعَاءَ أَجِيبَ، وَالتَّضَرُّعَ يُجِيبُ، لَكَانَتْ الْعِلَّةُ الْعَظِيمَى، وَالرَّحْفَةُ الْكَبِيرَى؛ فَلَيْتَ أَيْ أُنْحَى مَا أَسْتَبْلُغُهُ مِنَ الْغَنَةِ، وَمِنْ بَقَاةِ الصَّبِيحَةِ، قُضِيَ لِحَانٌ، وَأُذِّنَ بِهِ فَكَانَ؛ فَوَاللهُ مَا عُدْبَتْ أُمَّةٌ بِرَبِّفَةٍ، وَلَا رِيحٌ وَلَا تَحْطَلَةُ، عَذَابَ عَيْنِي بِرُؤْيَا الْمُنَاطِلَةِ الْمُتَدَمِّنَةِ، وَالْأَخْبَارِ الْمَهْلِكَةِ، كَانَ الزَّمَانُ يُؤَكِّلُ بَعْدَانِي، أَوْ يُنْصَبُ بِأَيَّامِي، فَمَا عَيْشٌ مِنْ لَا يُسَرِّبُخَ شَفِيقٍ، وَلَا يَصْطَلِجُ فِي أَوَّلِ نَهَارِهِ، إِلَّا بِرُؤْيَا مِنْ يَكْرَهُهُ، وَيَنْمُو بَطْلَمَتُهُ؛ فَقَدْ طَالَتِ الْغَمَةُ، وَوَاظَلَّتِ الْكُرْبَةُ، وَأَدْلَهَمَتِ الظُّلْمَةُ؛ وَنَحَدَ السَّرَاجَ، وَتَبَاطَا الْأَفْرَاجَ .

وصف الجاحظ لقريش وبني هاشم

قَدْ عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ كَرُمُ قُرَيْشٍ وَتَعَفَاؤُهَا، وَكَيْفَ عَقُولُهَا وَدَعَاؤُهَا؛ وَكَيْفَ رَأْيُهَا وَذِكَاؤُهَا، وَكَيْفَ سِيَاسَتُهَا وَتَدِيرُهَا، وَكَيْفَ لِيحَازِهَا وَتَحْسِيرُهَا، وَكَيْفَ رَجَاحَةُ أَحْلَامِهَا إِذَا خَفَّ الْحَلِيمُ، وَحِجَّةُ أَذْهَانِهَا إِذَا كَلَّ الْحَدِيدُ؛ وَكَيْفَ صَبْرُهَا عِنْدَ اللَّقَاءِ، وَثَبَاتُهَا فِي الْأَوَاءِ؛ وَكَيْفَ وَفَاؤُهَا إِذَا اسْتَحْسَنَ الْغَدْرُ؛ وَكَيْفَ جُودُهَا إِذَا حُبَّ الْمَالُ؛ وَكَيْفَ ذِكْرُهَا لِأَحَادِيثِ قَدٍ، وَقَلَّةُ مَسْدُودِهَا عَنْ جِهَةِ الْقَصْدِ؛ وَكَيْفَ إِقْرَارُهَا بِالْحَقِّ وَصَبْرُهَا عَلَيْهِ؛ وَكَيْفَ وَصْفُهَا لَهُ وَدُعَاؤُهَا إِلَيْهِ؛ وَكَيْفَ سِمَاحَةُ أَخْلَاقِهَا، وَصَوْنُهَا لِأَعْرَاقِهَا؛ وَكَيْفَ وَصْلُهَا قَدِيمَهُمْ بِجَدِّهِمْ، وَطَرَفَهُمْ بِتَلِيدِهِمْ؛ وَكَيْفَ أَشْبَهَ عَلَانِيَتَهُمْ سَرَّهُمْ، وَقَوْلَهُمْ فَعْلَهُمْ، وَهَلْ سَلَامَةُ صَدْرِ أَحَدِهِمْ إِلَّا عَلَى قَدْرِ بَعْدِ غَدِيرِهِ، وَهَلْ غَفْلَتُهُ إِلَّا فِي وَزْنِ صِدْقِ ظَنِّهِ، وَهَلْ ظَنُّهُ إِلَّا كَيَقِينٍ خَيْرِهِ .

وكتب في الاعتذار :

أما بعد فنعلم البديل من الزلة الاعتذار، وبئس البؤس من التوبة الإصرار، وإن أحق من عطف عليه بحلمك من لم يستشفع إليك بفيرك، وإنى بمعرقى بمبلغ حلمك وعاية عفوك، ضمنت لضمي العفو من زلتها عندك، وقد سئى من الألم ما لم يشفه غير مواصلاك .

وله في الاستعطاف :

ليس عندي أعزك الله سبب ولا أقدر على شفع إلا ما طبّع الله عليه من الكرم والرحمة والتأميل الذي لا يكون إلا من نتائج حسن الفطن وإثبات الفضل بحال المأمول وأرجو أن تكون من الشاكرين فتكون خير معتب، وأكون أفضل شاكر، ولعل الله يصل هذا الأمر سببا لهذا الإنعام، وهذا الإنعام سببا للانقطاع إليكم والكون تحت أجنتكم، فيكون لأعظم بركة، ولا أنمى بقية من ذنب أصبحت فيه . وبمثلك — جعلت فداك — عاد الذنب وسيلة، والسيدة حسنة، ومثلك من أقلب به الشر خيرا والفهم غنا .

من عاقب فقد أخذ حظه، وإنما الأحرى الآخرة، وطيب الذكر في الدنيا، على قدر الاحتمال وتجرع المرار وأرجو، ألا أضيع وأهلك فيما بين كرمك وعقلك، وما أكثر من يعو عن صغر ذنبه وعظم حقه، وإنما الفضل والثناء العفو عن عظم الجرم ضعيف الحرمة، وإن كان العفو عظيما مستطرقا من غيركم فهو تلاد فيكم، حتى ربما دعا ذلك كثيرا من الناس إلى مخالفة أمركم، فلا أتم عن ذلك تتكلمون، ولا على سالف إحسانكم تتدمون . وما ملكم إلا كمثل عيسى بن مريم عليه السلام حين كان لا يترك بطلا من بني إسرائيل إلا أسمعوه شرّا وأسمعهم حيرا، فقال له شتمون الصفا : ما رأيته كاليوم كلما أسمعوك شرّا أسمعهم حيرا فقال : كل أمرى يُنفق تما عنده وليس عندكم إلا الخبر ولا في أوعيتكم إلا الرحمة ” وكل إناء بالذى فيه ينضح “ .

وله في ذم الحسد :

الحسد - أبقاك الله - داء يهلك الحسد، علاجه صبر وصاحبه يحجر وهو باب ضامض، وما ظهر منه فلا يؤوى وما بطن منه فلدأويه في عتاء، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « دَبَّ اليك داء الأمم من قبلكم : الحسد والبغضاء » . الحسد عقيد الكفر، وحليف الباطل، وضد الحق منه تتولد العداوة وهو سبب كل قطيعة ومفرق كل جماعة، وقاطع كل رحم من الأقرباء ومحدث التفريق بين القرناء، وملقح الشر بين الحلفاء .

دفاع الجاحظ عن مؤلفاته :

وقد ذكر الجاحظ جل مؤلفاته في كتاب "الحيوان" ودافع عنها بعد أن وصفها فقال: ^(١) جنبك الله الشبهة، وعصمك من الحيرة وجعل بينك وبين المعرفة تسبا، وبين الصديق سببا، وجبب اليك التثبت، وزين في عينك الإنصاف، وأذاقك حلاوة التقوى، وأشعر قلبك عز الحق، وأودع صدرك برد اليقين، وطرد عنك ذل الطمع، وعرفك ما في الباطل من اللثة، وما في الجهل من القلّة، ولتعمري لقد كان غير هذا الداء أصوب في أمرك، وأدق على مقدار وزنك، وعلى الحال التي وضعت نفسك فيها، ووسمت عرضك بها، ورضيتها لدينك حظا، ولمرؤءتك شكلا؛ فقد انتهى الى ملك على أبي إسحاق، وحملك على، وطعنك على معبد، وتقصصك له في الذي كان جرى بينهما في مساوى الديك ومحاسنه، وفي ذكر منافع الكلب ومضاره؛ والذي نرجوا اليه من استقصاء ذلك وجميعه، ومن نفعه ونظمه، ومن الموازنة بينهما، والحكم فيهما .

ثم عيبتى بكتاب حيل اللصوص، وكتاب غش الصناعات؛ وعيبتى بكتاب الملح والطرف، وما حرّ من النواذر وبرد، وعاد باردتها حارًا بفرد برده، حتى أمتع بأكثر من أمتاع الحار؛ وعيبتى بكتاب أحجاجات البخلاء، وما فضضهم للسمطاء، والقوي في الفرق بين

(١) اعتمادنا في تصحيح هذه المصاحف على الأصل المتوفر في المخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٨٥

آداب، لأن النسخة المطبوعة من كتاب الحيوان يطبعه السامد بمصر في عامه التحرير وملأ بالأخطاء .

الصدق اذا كان ضارا في العاجل ، والكذب اذا كان نافعا في الآجل ، ولم جعلنا الصدق أبدا محمودا ، والكذب أبدا مذموما ، والفرق بين الغيرة وإضاعة الحرمة ، وبين الإفراط في الحمية والأفقة ، وبين التقصير في حفظ حق الحرمة ، وقلة الأكرات بسوء القالة ؛ وهل الغيرة اكتساب وعادة ، وبعض ما يعرض من جهة الديانة وبعض التريث فيه والتحسين به ، أو يكون ذلك شيئا في طبع الحرية وحقيقة الجوهرية ، ما كانت العقول سليمة ، والأفان متينة ، والأخلاق متينة ؛ وعبتي بكتاب الصرخاء والهجاء ، ومفاحرة السودان والمجران ، والموازنة بين حق الخوالة والعمومة ؛ وعبتي بكتاب الزرع والنخل ، والزيتون والأعناب ، وأقسام فضول الصناعات ، ومراتب التجارات ؛ وبكتاب فضل ما بين الرجال والنساء ، وفرق ما بين الذكور والإناث ، وفي أى موضع يتلين ويفضّلن ، وفي أى موضع يكنّ المفلوبات والمفضولات ، ونصيب أيهما في الولد أوفر ، وفي أى موضع يكون حقهن أوجب ، وأى عمل هو بين أليق ، وأى صناعة هن فيها أبلغ ؛ وعبتي بكتاب القحطانية وكتاب العدنانية في الرد على القحطانية ، وزعمت أنّي تجاوزت فيه حد الحمية ، الى حد العصبية ، وأنّى لم أصل الى تفضيل العدنانية إلا بتقص القحطانية ؛ وعبتي بكتاب العرب والموالى ، وزعمت أنّي بحثت الموالى حقوقهم ، كما أنّي أعطيت العرب ما ليس لهم ؛ وعبتي بكتاب العرب والعجم ، وزعمت أن القول في فرق ما بين العرب والعجم هو القول في فرق ما بين الموالى والعرب ، ونسبتي الى التكرار والترداد ، والى التكثير والجهل بما في المعاد من الخطل ، وحمل الناس المؤن ؛ وعبتي بكتاب الأصنام ، وبذكر اعتلالات الهند لها ، وسبب عبادة العرب لإياها ، وكيف أختلفا في جهة العلة مع اتفاقهما على جملة الديانة ، وكيف صار عبّاد البدّة^(١) والمتمسكون بعبادة الأوثان المنحوتة ، والأدنام المنجورة ، أشد الناس إلفا لما دانوا به ، وشعفا بما تعبّدوا له ، وأظهرهم حذا ، وأشدّهم على من خالفهم ضغنا ، وبما دانوا صباة وعجبا ، وما الفرق بين البدّ والوثن ، وما الفرق بين الوثن والصنم ، وما الفرق

(١) البدّة جمع بدّ ، وهو يت فيه الصنم أو الصنم كما قال ابن جرير .

بين الثَّمينة والجَنَّة ، ولم صَوِّروا في عَمَاريهم وبيوت عِبَادَتِهِمْ صُورَ عَظَمَائِهِمْ وَرِجَالِ دَعْوَتِهِمْ ، ولم تَأْتَوْا في التَّصَوُّيرِ ، وَتَجَرَّدُوا في إِقَامَةِ التَّرَكِيبِ ، وَبَالِغُوا في التَّحْسِينِ وَالتَّضَعُّفِ ، وَكَيْفَ كَانَتْ أَوَّلِيَّةُ تِلْكَ الْعِبَادَاتِ ، وَكَيْفَ اقْتَرَفَتْ تِلْكَ النَّعْلَ ، وَمِنْ أَىِّ شَيْءٍ كَانَتْ خُدْعُ تِلْكَ السُّنْدَةِ ، وَكَيْفَ لَمْ يَزَالُوا أَكْثَرَ الْأَصْنَافِ عِدْدَا ، وَكَيْفَ شَمِلَ ذَلِكَ الْمَذْهَبُ الْأَجْنَاسَ الْخَتْلَفَةَ !

وَعَبْتِي بِكَلَابِ الْمَعَادِنِ ، وَالْقَوْلِ فِي جَوَاهِرِ الْأَرْضِ ، وَفِي اخْتِلَافِ أَجْنَاسِ الْفِلَازِ ، وَالْإِخْبَارِ عَنْ ذَائِبِهَا وَبِجَامِدِهَا ، وَمَخْلُوقِهَا وَمَصْنُوعِهَا ، وَكَيْفَ يُشْرَعُ الْاَهْلَابُ إِلَى بَعْضِهَا وَيُطْعَمُ عَنْ بَعْضِهَا ، وَكَيْفَ صَارَ بَعْضُ الْأَلْوَانِ يَصْبِغُ وَلَا يَنْصَبِغُ ، وَبَعْضُهَا يَنْصَبِغُ وَلَا يَصْبِغُ ، وَبَعْضُهَا يَصْبِغُ وَيَنْصَبِغُ ، وَمَا الْقَوْلُ فِي الْإِكْسِيرِ وَالتَّلْطِيفِ ؟ وَعَبْتِي بِكَلَابِ فَرْقِ مَا بَيْنَ هَاشِمٍ وَعَبْدِ شَمْسٍ ، وَبِكَلَابِ فَرْقِ مَا بَيْنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ ، وَفَرْقِ مَا بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْجَنِّ ، وَكَيْفَ الْقَوْلُ فِي مَعْرِفَةِ الْمُتَعَدِّدِ وَأَسْتَطَاعَةِ الْغَفْرِ ، وَفِي الَّذِي كَانَ عَنْدهُ عِلْمٌ مِنَ الْكَلَابِ ، وَمَا ذَلِكَ الْعِلْمُ ، وَمَا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ : كَانَ عَنْدهُ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمِ ، وَعَبْتِي بِكَلَابِ الْأَوْفَاقِ وَالرِّيَاضَاتِ ، وَمَا الْقَوْلُ فِي الْأَرْزَاقِ وَالْإِنْفَاقَاتِ ، وَكَيْفَ أَسْبَابُ التَّشْمِيرِ^(١) وَالتَّرْقِيعِ وَكَيْفَ تَجْتَلِبُ التَّجَارُ الْحُرَفَاءُ ، وَكَيْفَ الْاِحْتِيَالُ لِلْوَدَائِعِ ، وَكَيْفَ التَّسَبُّبُ إِلَى الْوَصَايَا ، وَمَا الَّذِي يَوْجِبُ لَهُمُ التَّعْدِيلَ ، وَيَصْرِفُ إِلَيْهِمْ بَابَ حُسْنِ الظَّنِّ ، وَكَيْفَ ذَكَرْنَا غَشَّ الصَّنَاعَاتِ وَالتَّجَارَاتِ ، وَكَيْفَ التَّسَبُّبُ إِلَى تَعَرُّفِ مَا قَدْ سَتَرُوا ، وَكَشَفِ مَا مَوَّهُوا ، وَكَيْفَ بَابُ الْاِحْتِرَاسِ مِنْهُ وَالسَّلَامَةِ مِنْ أَهْلِهِ ! وَعَبْتِي بِرِسَائِلِي ، وَبِكُلِّ مَا كَتَبْتُ بِهِ إِلَى إِخْوَانِي وَخُلَطَائِي مِنْ مَرْحٍ وَبَيْدٍ ، وَمِنْ إِفْصَاحٍ وَتَضَرُّعٍ ، وَمِنْ تَعَاوُلٍ وَتَوْقِيفٍ ، وَمِنْ هَيْاءٍ لَا يَزَالُ وَشْمُهُ بَاقِيَا ، وَمَدِيحٍ لَا يَزَالُ أَثَرُهُ نَاصِيَا ، وَمِنْ مَلَحٍ ، تُضْهِكُ ، وَمَوَاعِظٍ تَبْكِي ، وَعَبْتِي بِرِسَائِلِ الْهَاشِمِيَّاتِ ، وَاجْتِجَاجِي فِيهَا ، وَأَسْتَقْصِي مَعَانِيهَا ، وَنُصُورِي لَهَا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، وَإِظْهَارِي لَهَا فِي أَمِّ حَلِيَّةٍ ، وَزَعَمْتُ أَنِّي قَدْ خَرَجْتُ بِذَلِكَ مِنْ حُدِّ الْمُعْتَرِلَةِ إِلَى حُدِّ الزُّبَيْدَةِ ،

(١) التَّشْمِيرُ وَالتَّرْقِيعُ : نَقْضُ الْمَالِ وَاصْلَاحُهُ .

ومن حدّ الاعتدال في التشيع والاقتصاد فيه الى حدّ السرف والإفراط فيه، وزعمت أن مقالة الزيدية خطبة مقالة الرافضة ، ومقالة الرافضة خطبة مقالة الغالية ، وزعمت أن في أصل القضية ، والذي جرت عليه العادة أن كلّ كبير فأوله صغير ، وأن كلّ كبير فأولما هو قليل يُجمع الى قليل ، وأنشدت قول الراجز :

قد يلحق الصغير بالجليل * وإنما القرم من الأفيـل^(١)

* وضحى النخل من القسـيل *

وأنشدت قول الشاعر :

رُبّ كبيرٍ هاجه صغير * وفي البحور تفرق البُحورُ

وقلت وقال يزيد بن الحكم :

وأعلم بُنى فأنه * بالعلم يتفجع العليم

إت الأمور دَقِيقُها * مما يبيح له العظم

وقلت وقال الآخر :

صار جِداً ما مَرَحْتُ به * رُبّ جدٍ ساقه اللَّـبُ

وأنشدت قول الآخر وهو عترة^(٢) :

ما تَنْظُرُونَ بِحَقِّ وَرْدَةٍ فَيْكُمْ * تُقْضَى الْأُمُورُ وَرَهْطُ وَرْدَةٍ غَيْبُ

قَدْ يَبْعَثُ الْأَمْرَ الْكَبِيرَ صَغِيرُهُ * حَتَّى تَقْلَلَ لَهُ الدِّمَاءُ تَصَبُّبُ

وقالت كَهْشَةُ بنت معديكرب :

جَدَّعُمُ يَبْغِدُ اللهَ أَنْفَ قَوْمِهِ * بَنَى مَا زَيْنَ أَنْ سُبَّ رَاغِي الْمُخْزِمِ

وقال الآخر :

أَيَّةُ نَارٍ قَدَحَ الْقَادِحُ * وَأَيُّ جِدٍّ بَلَغَ الْمَارِحُ

(١) الأفيـل : صنر الإبل .

(٢) والصواب أن البيتين لطرفة ومما من جملة أبيات ذي دهراته .

وتقول العرب : « المعنى من العُصْبَةِ ولا تِلْد الحية للاحية » ؛ وعبت كتابى فى خلق القرآن ، كما عبت كتابى فى الرد على المُشَبِّهة ؛ وعبت كتابى فى أصول الفُتَيَّا والأحكام ، كما عبت كتابى فى الاحتجاج لفظ القرآن ، وغريب تاليفه ، وديع تركيبه ، وعبت مُعَارَضَتِي الزُّيْدِيَّة ، وتفضيل الاعتزال على كلِّ نَحْلَةٍ ، كما عبت كتابى فى الومد والوعيد ، وكتابى على النصارى واليهود ، ثم عبت بحملة كتى فى المعرفة ، وأتمست تهجينها بكلِّ حيلة ، وصغرت من شأنها ، وحططت من قدرها ، واعتصمت على ناصيتها والمتفيعين بها .

وعبت كتاب الجوابات وكتاب الرسائل ، وكتاب الرد على أصحاب الإلهام ، وكتاب المُجَنَّة فى تثبيت بُتُوَّة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكتاب الأخبار ؛ ثم عبت كتابى لإنكارى بِصِيَرَةِ عَيَّامِ الْمُرْتَدَةِ ، وبصيرة كلِّ حاحد ومُلْحِد ، وتفرقى بين أصرام الفُتُوَّةِ (١) وبين استبصار الحُقِّق ؛ وعبت كتاب الرد على الجُمُوحِيَّة فى الإدراك ، وفى قولهم فى الجهالات ، وكتاب الفرق ما بين النبى والمُنْتَفَى ، والفرق بين الحيل والمخاريق ، وبين الحقائق الظاهرة والأعلام القاهرة ؛ ثم قصدت الى أبى هذا بالتصغير لقدره ، والمهجين لظلمه ، والأعتراض على لفظه ، والتحقيق لمعانيه فزرت على نحته وسبكه ، كما زرت على معناه ولفظه ، ثم طعنت فى الفرض الذى اليه تزعا ، والغاية التى اليها أجريا ، وها كتاب معناه أنه من اسمه ، وحقيقته أنق من لفظه ، هو كتاب يحتاج اليه المتوسط العايم ، كما يحتاج اليه العالم الخامع ، ويحتاج اليه الرئىص ، كما يحتاج اليه الحادى .

أما الرئىص فالتعلم والنزعة ، وللدريب والراصة ، وللتمرين وبمكين العادة ، اذ كان حليله متقدم دقيقه ، واد كان مقدما مهترته ، وطبقات معانيه مُرْتَلَّة ، وأما الحادى فليكمابه المؤوبه ، ولأن كلَّ من التقط كتابا حامعا ، وبما من أمهات العلم مجوعا كان له عنمه ، وعلى مؤلفه غرته ، وكان له دمه ، وعلى صاحبه كته ، مع معرضه لمطاعى البُعاه ، ولاعراض

(١) المرمطة العين : من لم يحبر الأبو ، والجاهل الأله .

(٢) أحرما : قصدا .

المماسن، ومع غرضه عنه المكود على العقول العارضة، ومعانيه على الخهاينة، وتحكيمه
 فيه المتأولين والحسنه، ومضى طمرا، له صاحب علم، أو هم عليه طالب فقه، وهو وادع
 رافه، وبسيط حام، ومؤلفه مُعَب مكود، قد كُنِيَ مؤوبه جمع، وحره وبتعه، وطلبه،
 وأعاه ذلك عن طول التفكير، واستعداد العمر، وقل الحَدِّ، وأدرك أقصى حاجيه، وهو
 مُتَمَتِّع القوه، وعلى أن له حد ذلك أن يجعل مُحْصَمَه عليه صرنا من التوفيق، وطقره به
 أبا من السديد .

(وهذا كتاب) نستوى فيه رَعَه الأمم، ونُتَاسَه فيه العرب والحكم، لأنه وإن كان عربيا
 أعربا، وإسلاميا جماعيا، فقد أخذ من طرف الفلسفة، وجمع بين معرفه السماع وعلم
 التحريه، وأمرك بين علم الكتاب والسنة، وبين وحدان الحاشه وإحساس المريرة،
 وبسببه الغيتان كما يستبهِ السبوح، وبسببه هاتك كما يسبهِ الناسك . ويستبهِ اللاعب
 ذو اللهو كما يسبهِ الحَدِّي ذو الحرم، ويستبهِ الأهل كما يسبهِ الأديب، وبسببه العن
 كما يسبهِ القطن، وصلى بحكاية قول العمايه والصّرارة وأب تستمعي أقول في أول
 كتابي: وقالت العمايه والصّرارية، وكما سمعني أقول: وقالت الراضه والريذيه، حكمت
 على بالنص لحكاية قول العمايه، فهلا حكمت على التسع لحكاية قول الراضه، وهلا
 كتبت عندك من الداليه لحكاية مُحْجِ العالاه، كما كتبت عندك من الدصه لحكاية قول
 الناصه، وقد حكيت في كتابي قول لاناويه والصّفريه . كما حكيت أبا بل الأزارقه
 والحدية، وعلى هذه الأركان الأرضه نُتَ خارجيه . وكل أسم سواها فاعسا هو فرع
 ويندحه وأستفاد منها، ومجول سلما، بـ كما عندك من المحكمه الخارجه، كما صرنا عندك
 من الصّرارة، والناصه وكيف رديت أن يكون السبهِ في عناصر الناس أسرع
 من المارقه، اللهم إلا أن تكون رديت سكاية عن المعنا الضرريه أمتع وأجمع،
 وأتم وأحكم وأجود صفه، وأبسه عمة ورأيدي قد وقفت حراً أو أكت هدر ما توثيت
 ما طلل أعدائك، ولو كان ذلك لك لكان ساهلك من الكتاب حاصرا، ورمالك على
 ما آذمت وأصحا .

وعبتي بكباب العباسية فهلا عبتى بحكاية مقالة من ادعى وجوب الإمامة ، ومن يرى الامتناع من طاعة الأئمة الذين زعموا أن ترك الناس سُدى بلا قيم أرد طيهم ، وهؤلاء بلا راج أريج لهم ، وأجدر أن يجمع لهم ذلك بين سلامة العاجل ، وغنيمة الآجل ، وأن ترزقهم نشر لا نظام لهم أبعد لهم من المفاسد ، وأجمع لهم على المرشد بل ليس ذلك بك ، ولكنه لما بهرك ما سمعت ، وعلا صدرك الذى قرأت ، وأبلاك وأبطرك فلم تقهه للجنة وهى لك معترضة ، ولم تعرف المقاتل وهى لك إبدية ، ولم تعرف باب الخرج إذ جهلت باب المدخل ، ولم تعرف المصادر إذ جهلت الموارد ، ورأيت أن سب الأولياء أشقى لعدائك ، وأبلغ فى شفاء سقمك ، ورأيت أن إرسال اللسان أحضر لذة ، وأبعد من النصب ، ومن إطالة الفكرة ، ومن الاختلاف الى أرباب هذه الصناعة ، ولو كنت حين فطنت اجزك وصلت قصصك بتمام غيرك ، وأستكفيت من هو موقوف على كفاية مثلك ، وحبيس على تقويم أشباهك ، كان ذلك أزين فى العاجل ، وأحق بالمشوبة فى الآجل ، وكنت إن أخطأتك الغنيمة لم تخطئك السلامة ، ولقد سلم عليك الخالف ، بقدر ما أبطل به منك الموافق ، وعلى أنه لم يُبطل منك إلا بقدر ما ألزمته من مؤونة تنقيفك ، والتشاغل بتقويمك ، وهل كنت فى ذلك إلا كما قال العربى : « وهل يضّر السحاب نبح الكلاب » ؟ وإلا كما قال الشاعر :

هل يضّر البحر أمسى زانرا * أن رعى فيه غلامٌ بمجر

وهل حالنا فى ذلك إلا كما قال الأول :

ما ضر تغلب وائل أهجوتها * أم بليت حيث تناطح البحران

وقال حسان :

ما أبلى أنب بالحزن تيس * أم لحانى بظهر غيب لئيم

وما أشك أنك قد جعلت طول إعراضنا عنك مطية لك ، ووجهت حامتنا عنك الى الخوف منك ، وقد قال زفر بن الحارث لبعض من لم يرحق الصفح بفصل العفو سببا الى سوء القول :

فَإِنْ طَلَّتْ وَاقِهِ الَّذِي فَوْقَ عَرْشِهِ * مَسْحُوكٌ مَسْنُونٌ الْغَرَّارِينَ أَرْزَقَا
فَإِنَّ دَوَاءَ الْجَهْلِ أَنْ تُضْرَبَ الطَّلِي (١) * وَأَنْ يُنَمَّسَ الْعَرِيضُ حَتَّى يُفَرَّقَا (٢)

وقال الأول :

وما نقي عنك قوما أنت خائفهم * كمثل وفك جهالا يجهل
فاقص إذا حيدبوا وأحذب إذا قيسوا * ووازين الشر متقالا بمقال

وقال الآخر :

وضغائني دوايتها بضغائني * حتى يمتن وبالحقود حقودا

وإني وإن لم يكن عندي سنان زفر بن الحارث، ولا معارضة هؤلاء : الشر بالشر،
والجهل بالجهل، والحق بالحق، فإن عندي ما قال المسعودي :

فَسَا تَرَابَ الْأَرْضِ مِنْهَا خُلُقْتُمَا * وَفِيهَا الْمَعَادُ وَالْمَصِيرُ إِلَى الْخُسْرِ
وَلَا تَحْجَبَا أَنْ تَرِيْعَا قُسْلُمَا * فَاحْشِي الْأَقْوَامُ شَرًّا مِنَ الْكِبَرِ
فَلَوْ شِئْتُ أَذِلُّ فَيْكَا ضِرُّ وَاحِدٍ * عَلَانِيَةً أَوْ قَالَ عِنْدِي فِي سِتْرِ
فَإِنْ أَنَا لَمْ أَمْرُ وَلَمْ أَنَّهُ عَنَّا * ضَحِكْتُ لَهُ حَتَّى يَلْجَ وَيَسْتَشْرِى (٣)

وقال التبر بن تولب :

جزى الله عني حزمة بنه توفيل * جزاء مغفل بالأمانة كاذب
بما خبرت عني الوشاة ليكذبوا * علي وقد أوليتها في النوائب

يقول : أخرجت خبري الى من يشتهي أن أعاب عندها .

ولو شئنا لعارضناك من القول بما هو أقيح أثرا، وأيق وشما، وأصدق قبلا، وأعدل
شاهدا، وليس كل من ترك المعارضة فقد صفع، كما أنه ليس كل من عارض فقد انتصر،

(١) الطلي : الأعاق .

(٢) المريض : الذي يتعرض للناس بالشر .

(٣) كذا في الأصل، وفي المتن في مادة لجج : تذاحكت حتى يلعج ويستشري .

وقد قال الشاعر قولاً إن فهمته كُفينا مؤونة المعارضة ، وكفيت نفسك لزوم العار ، وهو قوله :

إِنْ كُنْتَ لَا تَرْهَبُ ذِمِّي لِمَا * تَعْرِفُ مِنْ صَفِيحِي مِنَ الْجَاهِلِ
فَاخْشَ سَكُونِي إِذَا مُنِصَّتَا * فَبِكَ لِمُسْمُوجِ خَنَا الْقَائِلِ
فَالسَامِعُ النَّمَّ مُقَرَّبُهُ * كَالْمَطْعَمِ الْمَاكُولَ لِلْآكِلِ
مَقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا * أَسْرَعُ مِنْ مُتَحَدِّدِ سَائِلِ
وَمَنْ دَعَى النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ * ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ
فَلَا تَهْجُ إِنْ كُنْتَ ذَا لِرَبِّهِ * حَرْبَ أُنْحَى الصَّجَرَةِ الْعَاقِلِ
فَإِنَّ ذَا الْعَقْلِ إِذَا هَجَّنَهُ * هَجَّتْ بِهِ ذَا خَبَلِ خَابِلِ
يُنْصَرُ فِي طَاجِلِ شِدَائِهِ * عَلَيْكَ غِبُّ الضَّرْرِ الْآجِلِ

وقد يقال : إنَّ العفو يُفسدُ من اللِّيم بقدر إصلاحه من الكريم ؛ وقد قال الشاعر :

وَالْعَفْوُ عِنْدَ كَيْبِ الْقَوْمِ مَوْعِظَةٌ * وَبَعْضُهُ لَسَعِيهِ الْقَوْمِ تَكْرِيبُ

فإنَّ تكادُ أساناً في هذا التقرُّع والتوقيف ، فالذي لم يأخذ فينا بِحُكْمِ القرآن ، ولا بأدب الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولم يفرِّع إلى ما في الفِطْنِ الصحيحة ، أو إلى ما توجبُه المقاييسُ المطَّردة ، والأمثالُ المضروبة ، والأشعارُ الساترة ، أو إلى بالإساءة ، وأحقُّ باللائمة ، قال الله جلَّ شأوه : ﴿ وَإِذْ يَرْاهِمُ الَّذِي وَفَى الْآتِزُّ وَآزِرَةٌ وَزَّرَ أُخْرَى ﴾ وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : " لا تَجْنِي يَمِينَكَ عَلَى شِمَالِكَ " وهذا حُكْمُ الله جلَّ وعزَّ ، وآدابُ رسوله ، والذي أُنزل به الكتاب ، ودلَّ عليه في مُجْمَعِ العقول .

أَخَذُ الْبَرِيءِ بِذَنْبِ الْمَذْنَبِ

ثم قال في أخذ البريء بِذَنْبِ الْمَذْنَبِ : فَأَمَّا مَا قَالُوا فِي الْمَثَلِ الْمَضْرُوبِ ، "رَمَتْني بِدَانِيَا وَاتَّسَلْتُ " . وَأَمَّا قَوْلُ الشَّعْرَاءِ وَذُمُّ الْخَطِيئَةِ لِمَنْ أَخَذَ إِنْسَانًا بِذَنْبِ غَيْرِهِ ، وَمَا ضَرَبُوا فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَمْثَالِ ، كَقَوْلِ النَّابِغَةِ حَيْثُ يَقُولُ فِي شَعْرِهِ :

وَكَلَّفَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكَنِي * كَلَّفَنِي الْعَرِيَّ كَوِيَّ غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعٌ

وكانوا إذا أصاب لهم المُرْكُورُ السليم لينهب المرء عن السقيم فأسقموا الصحيح من غير أن يُرثوا السقيم، وكانوا إذا كثرت إبل أحدهم بلغت الألف فقتوا عين الفحل، فإن زادت الإبل على الألف فقتوا عينه الأخرى، فذلك المَفْقَأُ والمُعْمَى اللذان سمعت بهما قال الفرزدق :

غلبْتُكَ بِالْمَفْقَأِ وَالْمُعْمَى * وَبِئْسَ الْمُجْتَبَى وَالْخَافَقَاتِ^(٢)

وكانوا يزعمون أن المَفْقَأَ يَطْرُدُ عنها العين والسواف^(٣) والغارة فقال الأول :

فَقَاتُ لَهَا عَيْنَ الْفَحِيلِ تَمِيقًا * وَفَيْنَ رَعْلَاءِ الْمَسَامِيعِ وَالْحَامِ

الرَّعْلَاءُ : التي تُسْقَى أذنُها وتترك مُدَلَّاةً لكرمها .

وكانوا يقولون في موضع الكفارة والأمنية، كقول الرجل إذا بلغت إبل كذا وكذا، وكذلك غنمى ذبعت عند الأونان كذا وكذا صبرة، والعتيرة : من نُسِكَ الرَّحِيَّةُ، والجمع عتائر، والعتائر من الشاة، فإذا بلغت إبل أحدهم أو غنمه ذلك العدد استعمل التأويل وقال : إنما قلت : إني أذبح كذا وكذا شاة، والظباء : شاة، كما أن الغنم شاة، فجعل ذلك القربان كله مما يصيد من الظباء، فلهذا يقول الحارث بن حِزَّةَ الشُّكْرَى :

عَتَا بِاطِلَا شُدُوخًا كَمَا تَعْدُ * تَرَعْنُ مُجْرَةَ الرِّبَاصِ الظُّبَاءِ

بعد أن قال :

أَمْ عَلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةٍ أَنْ يَقْدُ * نَحْمُ غَازِيَهُمْ وَمَا الْجَزَاءُ

وكانوا إذا أوردوا البقر فلم تنرب، إما لكدر الماء، وإما لقلة العطش، ضربوا الثور

ليقتحم الماء لأن البقر تتبعه كما ينبع الثور الفحل، وكما ينبع أثنى الوحش الجمار، فقال

في ذلك عوف بن الحريج :

تَمَنَّتْ طَيْءٌ جَهْلًا وَجُبْنًا * وَفَدَّ حَالِيَهُمْ فَبَوَّأَ حِلَانِي

هَجُونِي أَنْ هَجَوْتُ جِبَالَ سَلَمَى * كَصَرِبِ السَّوْرِ لِلْبَقْرِ الظُّبَاءِ

(١) في اللسان مادة « قَأ » « المني » . (٢) كما في لأصم في اسنان « معتبر » .

بالحاء المهملة . (٣) السواف : مرض الإبل . (٤) كذا في لأصم في اللسان « مادد » « وصح » .

وقال في ذلك أنس بن مُدْرِكة في قتله سُلَيْك بن السُّلَكَة :

لَأَنِّي وَقَعْتُ سُلَيْكًا ثُمَّ أَغْفَلُهُ * كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لِمَا عَافِيَ الْبَقْرُ
أَهَتْ لِرَّءٍ إِذْ تُغَشَّى حَلِيلَتُهُ ^(١) * وَإِذَا يُسَدُّ ^(٢) حَلَّ وَجَعَاتِهَا الْغَفْرُ ^(٣)

وقال الهَيْيَانُ الْفَهْمِيُّ :

كَمَا ضُرِبَ الْيَسُوبُ أَنْ عَافَ بَاقِرُ * وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتْ الْمَاءَ بَاقِرُ

ولما كَانَ الشَّوْرُ أَمِيرَ الْبَقْرِ، وَهِيَ تَطِيْعُهُ كَطَاعَةِ إِمَائِهِ الْفَحْلُ لِلْيَسُوبِ سَمَاءَ بِأَسْمِ أَمِيرِ

الْفَحْلِ .

وكانوا يَزْعُمُونَ أَنَّ الْجَنَّ هِيَ الَّتِي تَصْنَعُ الْبَرَّانَ عَنِ الْمَاءِ حَتَّى تُمَسِكَ الْبَقْرُ عَنِ الشَّرْبِ حَتَّى تَهْلِكَ ؛ وَقَالَ فِي ذَلِكَ الْأَعْمَشِيُّ :

وَأَنِّي وَإِنْ كَلَفْتُمُونِي وَرَبِّكُمْ * لِأَعْلَمُ مَنْ أَمْسَى أَحَقُّ وَأَحْوَا
لِكَالْثَّوْرِ وَالْجَنِّي يُضْرَبُ ظَهْرُهُ * وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتْ الْمَاءَ مَشْرَبَا
وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتْ الْمَاءَ بَاقِرُ * وَمَا إِنْ تَعَافَى الْمَاءُ إِلَّا لِيُضْرَبَا

كَأَنَّهُ قَالَ : إِذَا كَانَ يُضْرَبُ أَبَدًا لِأَنَّهُ عَافَتْ الْمَاءَ، فَكَأَنَّهُ لَا مَا عَافَتْ الْمَاءَ لِيُضْرَبَ ؛

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَنْصُورٍ النَّحْلِيُّ فِي ذَلِكَ :

لِكَالْثَّوْرِ وَالْجَنِّي يُضْرَبُ وَجْهُهُ * وَمَا ذَنْبُهُ إِنْ كَانَتْ الْجَنُّ ظَالِمَةً

وَقَالَ نَهْشَلُ بْنُ بَجْرَةَ :

أَتَرَكْتُ عَارِضٌ وَبَنُو عَدِيٍّ * وَتَقَرَّمُ دَارِمٌ وَهُمْ بُرَاءُ
كَدَابُ الثَّوْرِ يُضْرَبُ بِالْمَرَاوِي * إِذَا مَا عَافَتْ الْبَقْرُ الظَّمَاءُ
وَكَيْفَ تَكَلَّفُ الشَّعْرَى سُهَيْلًا * وَبَيْنَهُمَا الْكَوَاكِبُ وَالسَّهَاءُ

(١) فِي السَّانِ : « عَصَب » . (٢) فِي الْأَصْلِ « وَإِنْ » وَالتَّصْوِيبُ عَنِ السَّانِ .

(٣) الْغَفْرُ : السِّرْدَانِي فِي مَوْثَرِ السَّرْجِ .

وقال أبو نُؤَيْرَةَ بن حُصَيْنٍ حين أَخَذَهُ الْحَكَمُ بْنُ أَيُّوبَ ذَنْبَ الْمَطْرُوقِ :

أبا يَوْمَيْفٍ لو كُنْتَ تَعْلَمُ طاعِنِي * ونُصَحِي إِذَا مَا بَعَثَنِي بِالْمُحَلَّقِ
ولا ساقَ سَرَّاقِ السُّرَّافَةِ صَالِحُ * بَنِيَّ وَلَا كُفِّتُ ذَنْبَ الْمَطْرُوقِ

وقال خَدَّاشُ بْنُ زُهَيْرٍ حين أَخَذَ بِدِمَاءِ بَنِي عَجَارِبَ :

أَكْلَفْتُ قَتْلِي مُشِيرَ لِسْتُمْ مِنْهُمْ * ولا دارهم دارِي ولا نَصْرهم نَصْرِي
أَكْلَفْتُ قَتْلَ الْعَبِيسِ عَيْصَ شُواحِلِ * وذلك أَمْرٌ لَمْ تُشَفِّ لَهُ قِندَرِي

وقال الآخر :

إِذَا عَرَكْتُ عَجَلُ بَنِي ذَنْبٍ طَيِّرُ * عَرَكْنَا بَنِي اللَّاتِ ذَنْبَ بَنِي عَجَلِ

ولما وجد اليهوديُّ أَخَا حَنْصِصِ الضَّبَابِيَّ فِي مَنْزِلِهِ نَحْصَاءَ فَمَاتَ، وَأَخَذَ حَنْصِصُ بْنُ عَبْسٍ
بِمَنَافَةِ الْيَهُودِيِّ قَالَ فَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ : أَتَأْخُذُنَا بِذَنْبِ غَيْرِنَا، وَتَسْأَلُنَا الْعَقْلَ، وَالْقَاتِلُ يَهُودِيَّ
مِنْ أَهْلِ تَيْمَاءَ؟ قَالَ : وَاقِهِ لَوْ قَتَلَهُ هَيْفَ الرِّيحِ لَوَدَّيْتُمُوهُ، فَقَالَ قَيْسُ بْنُ عَبْسٍ : الْمَوْتُ
فِي بَنِي دُبْيَانَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْحَيَاةِ فِي بَنِي طَامِرٍ، ثُمَّ أَنَسْنَا يَقُولُ :

أَكْلَفْتُ ذَا الْخُصْمَيْنِ إِنْ كَانَ ظَالِمًا * وَإِنْ كُنْتُ مَظْلُومًا وَإِنْ كُنْتُ شَاطِئًا
خَصَاءَ أَمْرٍ مِنْ أَهْلِ تَيْمَاءَ طَائِرٍ * وَلَا يَسُدُّمُ الْإِنْسِيُّ وَالْجَنُّ طَائِفًا
فَهَلَّا بَنِي دُبْيَانَ أُمُّكَ هَابِلُ * رَهَنْتَ رَيْفَ الرِّيحِ إِنْ كُنْتُ رَاهِنًا
إِذَا قُلْتُ قَدْ أَقْلْتُ مِنْ شَرِّ حَنْصِصٍ * أَتَانِي بِأُخْرَى شَرُّهُ مُتَبَاطِنًا
فَقَدْ جَعَلْتُ أَكْبَادُنَا تَجْتَوِيكُمْ * كَمَا تَجْتَوِي سُوقَ الْعِضَاءِ الْكَرَازِنَا

وَلَمَّا قَتَلَ لَقْمَانَ بْنُ عَادِ ابْنَتَهُ وَهِيَ مُحَرَّرُ بِنْتُ لَقْمَانَ قَالَ حين قَتَلَهَا : أَلَسْتُ أَمْرَأَةً ؟
وَذَلِكَ أَنَّهُ تَزَوَّجَ عِدَّةَ نِسَاءٍ وَكُلُّهُنَّ خُنَّ فِي أَنْفُسِهِنَّ، فَلَمَّا قَتَلَ أَتْرَافَهُنَّ وَزَلَ مِنْ الْجَبَلِ كَانَ
أَوَّلَ مَنْ تَلَقَّاهُ مُحَرَّرُ ابْنَتِهِ، فَوَثَبَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا، وَقَالَ وَأَنْتِ أَيْضًا أَمْرَأَةٌ رَكَانٌ قَدْ ابْتُلِيَ أَيْضًا
بِأَنَّ أَخْتَهُ كَانَتْ مُحَرَّرَةً، وَكَذَلِكَ كَانَ زَوْجُهَا، فَقَالَتْ لِأَحَدِي نِسَاءَ لَقْمَانَ : هَذِهِ لَيْلَةُ طَهْرِي

وهي ليلتك، فدعني أتم في مضجعتك، فإن لقمان رجلٌ مُنجِبٌ، فمسي أن يقع على فائِجِبٍ،
فوقع على أخته فعملت بَلَقِيمٍ وفي ذلك قول الثمّرين تولّب :

لَقِيمُ بْنُ لَقْمَانَ مِنْ أَخِيهِ * فَكَانَ ابْنُ أَخِي لَهُ وَابْتِمَا
لِيَالِي حَقٍّ فَاسْتَحْصَنْتُ * عَلَيْهِ ففُزِرَ بِهَا مُظْلِمًا
فَأَجْلَاهَا رَجُلٌ عَمَّكُمُ ^(١) * بَغَامَتْ بِهِ رَجُلًا مُحْكَمًا

فضررت العربُ في ذلك المثل بقتل لقمان بنته مُحْمَرًا فقال خُفَافُ بْنُ نَدْبَةَ في ذلك :
وَعِبَاسٌ يُدَبُّ لِي الْمَنَايَا * وَمَا أَذْنَبْتُ إِلَّا ذَنْبَ مُحْمَرٍ

وقال في ذلك أَبُو أُذَيْنَةَ :

أَجْتَمَعُ تَيْسَامَا بِلَيْلى إِذَا نَأَتْ * وَهِيَرَانَهَا ظُلَمًا كَمَا ظَلِمَتْ مُحْمَرٌ

وقال الحارث بن عباد :

قَرَّبَا مَرِيضَ النِّعَامَةِ مِنِّي * اقْتَحَتْ حَرْبٌ وَائِلٌ عَنْ حَيَايِ
لَمْ أَكُنْ مِنْ جَنَاتِهَا عِلْمُ الدَّ * وَإِنِّي بِمَحْرَمِ الْيَوْمِ صَالِي

وقال الشاعر وأظنه أَبُو الْمُقَفَّع :

فَلَا تِلْمِ الْمَرْءَ فِي شَأْنِهِ * فَرَبِّ مَلُومٍ وَلَمْ يُذْنِبِ

وقال آخر :

لَعَلَّ لَهُ عَذْرَا وَأَنْتَ تَلُومُ * وَكَمْ لَاتِمَ قَدْلَامٌ وَهُوَ مُلِيمٌ

وقال بعض العرب في قتل بعض الملوك سِيفَارِ الرُّومِيِّ : فَإِنَّهُ لَمَّا عَلَا الْخَوَرْتَقُ ، وَرَأَى
بُنْيَانًا لَمْ يَرِ مِثْلَهُ ، وَرَأَى ذَلِكَ الْمُسْتَشْرِفَ ، وَخَافَ إِنَّهُ هُوَ أَسْبَقَاهُ أَنْ يَمُوتَ فَيَبْنَى مِثْلَ ذَلِكَ
الْبُنْيَانِ لِمَلِكٍ آخَرٍ ، فَأَمَرَ بِهِ فَرُمِيَ مِنْ فَوْقِ الْقَصْرِ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ الْكَلْبِيُّ فِي شَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
بعض الملوك :

جزائي جزاه الله شرَّ جزائه * جزاء سنيار وما كان ذا ذنب
يسوى رصه البنيان سبعين حجة * يصل عليه بالقراميد والسكبي
فلما رأى البنيان تمَّ تحوُّقه * وأض كمثل الطود ذي الباذخ الصعب
فقلن سنيار به كلَّ حبة * وفاز لديه بالموتة والقُرب
فقال اقدفوا بالعُج من رأس شاهي * فذلك لعمركم من أعظم الخطي

وجاء المسلمون يروى خلف عن سلف، وتابع عن سابق، وأترعن أول، أنهم
لم يختلفوا في عيب قول المجتاج : لآخذت، السمي بالسمي والولي بالولي، والجار بالجار،
ولم يختلفوا عن لمن شاعرهم حيث يقول :

إذا أخذ البريء بغير جريم * تجنب ما يُحاذره السقيم

قال : وقيل لعمرو بن عُبيد إن فلانا لما قتم رجلاً يضرب عنقه قتل له : إنه
جنون، قال : لولا أن المجنون يلد ما قتل نخلت سبيله ، قال فقال عمرو : وما خلق الله النار
إلا بالحق .

ولما قالت التغلبيّة للجفاف بن حكيم في وقعة الدير : فصر الله عمادك ، وأطال سهادك ،
وأقل رمادك ، فوالله إن قتلت إلا نساء أسافلهن دمي . وأعالين ندي ، فقال لمن حوله : لولا
أن تلد هذه مثلها نخلت سبيلها ، فبلغ ذلك الحسن فقال : إن الجفاف جُدوة من نارجهم .
قال وقم رجل عند الأحف بن قيس الكأبة السمن ، فقال عند ذلك الأحف : رب
مكروم لا ذنب له ، فهذه السيرة سرت فينا ، وما أحسن ما قال مسعيد بن عبد الرحمن
ابن حسان :

وإن أمرأ يسمى ويصبح سالا * من الناس إلا ما جنى أسيد

وقلت : وما بال أهل العلم والنظر ، زاحباب الفكر والعبر . وأرباب التحل ، والعلماء
بخارج الملل ، وورثة الأبياء ، وأعوان العلماء ، يكتبون كتب الفُرقة والمُلطاء ، وكتب
الفراغ والعلماء ، وكتب الملاحى والفكاهات . وكتب أصحاب الحصومات والمرا . وكتب

أصحاب العصبية، وحمية الجاهلية، حتى كأنهم لا يحاسبون أنفسهم، ولا يوازنون بين ما عليهم ولم، ولا يخافون تصفح العلماء، ولا لائمة الأدياء وشنف الأكفاء، ومساءة الجلساء؛ فهلاً أمسكت رحمك الله عن عينا، والطنن عليها، وعن المشورة والموعظة، وعن تخويف ما فيه سوء العاقبة الى أن تبلغ حال العلماء، ومراتب الأكفاء .

أقسام البيان

وبعد أن تكلم في تقسيم العالم الى ثلاثة أقسام، وذكر أقسام الحيوان، قال في أقسام البيان :

ووجدنا الحكمة على ضربين : شئٌ جعل حكمة وهو لا يعقل الحكمة ولا عاقبة الحكمة، وشئٌ جعل حكمة وهو يعقل الحكمة وعاقبة الحكمة، فاستوى بذن الشئ العاقل وغير العاقل في جهة الدلالة على أنه حكمة، واختلفا من جهة أن أحدهما دليل لا يستدل، والآخر دليل يستدل، فكل مستدل دليل، وليس كل دليل مستدل، فشارك كل الحيوان سوى الإنسان جميع الجساد في الدلالة وفي عدم الاستدلال، واجتمع للإنسان بأن كان دليلاً مستدلاً، ثم جعل للاستدل سبب يدل به على وجوه استدلاله، ووجوه ما نتج له الاستدلال، وتمموا ذلك بيانا، وجعل ذلك البيان على أربعة أقسام : لفظ وخط وعقد وإشارة، وجعل بيان الدليل الذي لا يستدل تمكنه المستدل من نفسه واقتياده كل من فكر فيه الى معرفة ما استخزن من البرهان، وحشى من الدلالة، وأودع من عجيب الحكمة؛ فالأجسام الخرس الصامتة ناطقة من جهة الدلالة، ومُعْرِبَةٌ من جهة صحة الشهادة، على أن الذي فيها من التدبير والحكمة تلوحان لمن استعبرهما، وينطقان لمن استنطقهما كما ينخر الحزال ويكود اللون عن سوء الحال، وكما ينطق السمن والنصرة عن حسن الحال، وقد قال الشاعر :

فاجوا فأتوا بالدى أت أهله ولوسكوا أنت عليك الحطاب

وقال آخر :

مَنى بك في مدو أو حديدني نعبرك العيون عن الملوب

وقد قال المثلّي في صدق شمه الذئب ، وفي شدة حسه وأسترواحه :

يستخبر الريح إذا لم يسمع * بمثل مقرع الصفا الموقع

وقال عترة وهو يصف نعيم غراب :

حرق الجنّاح كأن لحى رأسه * جلمان بالأخبار هشّ مولع

وقال الفضل بن عيسى بن أبان في قصصه : مل الأرض قتل : من شق أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ، فإن لم تجبك حوارا ، أجابتك اعتبارا ، فوضوع الجسم ونصبتك دليل على ما فيه ، وداعية اليه ومنبهة عليه ، فالجماد الأبكم الأخرس من هذا الوجه قد شارك في البيان الإنسان الحى الناطق ، فن جعل أقسام البيان خمسة فقد ذهب أيضا مذهبا له جواز في اللغة ، وشاهد في العقل ، فهذا أحد قسمي الحكمة ، وأحد معني ما استخزنها الله تعالى من الوديسة .

القسم الأخرى ما أودع صدور صنوف سائر الحيوان من ضروب المعارف ، وفكرها على غريب الهدايات ، وسخر حناجرها له بضرب النغم الموزونة ، والأصوات الملحنة ، والمخارج الشجية ، والأغاني المطربة ، فقد يقال : إن جميع أصواتها معدلة ، وموزونة موقعة ، ثم الذي سهّل لها من الرفق العجيب في الصنعة مما ذلله الله تعالى لمناكيرها وأكفّها ، وكيف فتح لها من باب المعرفة على قدر ماهاها من الآلة ، وكيف أعطى كثيرا منها من الحس اللطيف ، والصنعة البديعة عن غير تأديب وتثقيف ، وعن غير تقويم وتلقين ، وعن غير تدريج وتمرين ، فبلغت بعفوها ومقدار قوّى فطرتها من البديهة والارتجال ، ومن الابتداء والاقتضاب ، ما لا يقدر عليه حدائق رجال الرأي ، وفلاسفة علماء الإشرية ولا آلة ، بل لا يبلغ ذلك من الناس أكلهم خصالا ، وأتمهم حلالا ، من جهة الارتجال والاقتضاب ولا من جهة التسف والاقتدار ، ولا من جهة التقديم فيه ، والتأني له . والترتيب لمقتداه ، وتمكين الأسباب المعينة عليه فصار جهد الإنسان الثاقب الحس ، الجامع القوي ، المنصرف في الوجوه المعدم في الأمور يتجر عن عو كثير منها ، زينظر ان نظر

الى ضروب ما يحى منها كما أعطيت المنكوت ، وكما أعطيت السرقة ، وكما علم النحل ، بل عرّف التوتُّوت من بديع المعرفة ، ومن غريب الصنعة في غير ذلك من أصناف الخلق ثم لم يوجدهم العجز في أنفسهم في أكثر ذلك إلا عما قوى عليه الحمج والحشاش ومصار الحشرات ، ثم جعل الإنسان ذا العقل والتمكن ، والاستطاعة والتصرف ، وذا التكلف والتجربة ، وذا التآني والمنافسة ، وماحب الادخار والمتفقد لشان العاقبة متى أحسن شيئا كان كلُّ شيء دونه في الغموض عليه أسهل ، وجعل سائر الحيوان وإن كان يُحسِّن أحلها ما لا يُحسن أحذق الناس متى أحسن شيئا عجيبا لم يمكنه أن يُحسن ما هو أقرب منه في الظن ، وأسهل منه في الرأي ، بل لا يحسن ما هو أقرب منه في الحقيقة ، فلا الإنسان جعل نفسه كذلك ، ولا شيء من الحيوان اختار ذلك ، فأحسنّت هذه الأجناس بلا تعلم ما يتمتع على الإنسان ، وإن تعلم فصار لا يحاوله اذ كان لا يطمع فيه ، ولا يحسده اذ كان لا يأمل الخاق بها ، ثم جعل تعالى وعز هاتين الحكمتين إزاء عيون الناظرين ، وتجاه اسماع المعبرين ، ثم حث على التفكير والاعتبار ، وعلى الاحتياط والأزدجار ، وعلى التعرّف والتمييز ، وعلى التوقف والتذكر ، فجعلها مذكّرة منبهة ، وجعل الفطر تنشئ الخواطر ، وتجول بأهلها في المذاهب ، ذلك رب العالمين ، سبحان الله رب العالمين .

وهذا كتاب موعظة وتعريف ، وتفقيه وتبهي ، وأراك قد عبثه قبل أن تحف على حدوده ، وتنفكر في فصوله ، وتذكر آثره بأوله ، ومصادره بموارده ، وقد غلطك فيه بعض ما رأيت في أشائه من مزيج لم نعرف معانيه ، ومن بطلالة لم تترك غورها ، ولم تدرك ما آجتليت ولائى علة تكلف ، وأى معنى أربع بها ، ولائى جد احتمل ذلك الهزل ، ولائى رياضة نجشمت تلك البطالة ، ولم ندر أن المزاج جد اذا اجتلب لأن يكون علة للجد ، وأن البطالة وقار وزمانه اذا تكلفت لتلك العاقبة ، ولما قال الخليل بن أحمد : لا يصل أحد من علم النحو الى ما يحتاج اليه حتى يتعلم ما لا يحتاج اليه ، قال أبو شمر : اذا كان لا يصل الى ما يحتاج اليه إلا بما لا يحتاج اليه فقد صار ما لا يحتاج اليه يحتاج اليه ، وذلك

مثل كتابنا هذا، لأننا إن حملنا جميع من يتكلف قراءة هذا الكتاب على مرّ الحق، وصعوبة الجهد، وقيل المؤونة وحقيقة الوقار، لم يصبر عليه مع طوله إلا من قد تجرد للعلم وفهم معناه، وفاق من قمرته، وأستشعر من عزّه، ونال من سروره على حسب ما يورث الطول من الكد، والكثرة من السامة، وما أكثر من يقاد إلى حفظه بالسواجير، وبالسوق العنيف، وبالإخافة الشديدة .

مدح الكتب

ثم ذكر فقرات حسناً في مدح الكتب فقال :

ثم لم أرك رضىً بالظمن على كلّ كتاب لى بعينه ، حتى تجاوزت ذلك ، الى أن عبت وضع الكتب كيفاً دارت بها الحال ، وكيف تصرف بها الوجوه ؛ وقد كنت أعجب من عيبك البعض بلا علم ، حتى عبت الكلّ بلا علم ؛ ثم تجاوزت ذلك الى التشجيع ، ثم تجاوزت التشجيع الى نصب الحرب ، فعبت الكتاب ونعم الذخر والمعدة ، ونعم الجليس والعمدة ، ونعم النشوة والتزعة ، ونعم المشتغل والحرفة ، ونعم الأئیس ساعة الوحدة ، ونعم المعرفة ببلاد الغربة ، ونعم القرين والذخيل . ونعم الوزير والتزيل ؛ والكتاب وطاء ملئ علماً ، وظرفٌ حثي ظرفاً ، وإناءٌ تُخَنّ مزاحاً وجداً ؛ إن شئت كان أئين من سبحان وإئل ، وإن شئت كن أحياناً باقلاً ، وإن شئت ضحكك من بواده . وإن شئت عجبت من غرائب فوائده ، وإن شئت ألهسك زائده ، وإن شئت شجعتك مواعظه ، ومن إك بواعظ مله ، وبزاجر مغرٍ ، وبناسك فانيك ، وبناطقي أنوس . وبنايرد حارّه وفي البارد الحارّ يقول الحسن بن هاني :

قُلْ لزهير إذا أُنقِصَ وسدا فإن أُرأسير ذنب مَهْدَارُ
سُخِنَتْ مِنْ شَدِّ لَمُودَةٍ حَتَّى صَرَتْ عِنْدِي كَكَاثِكَ ثَلَاثُ
لَا يَجِبُ السَامِعُونَ مِنْ صَفِي كَدِّكَ الصَّحُّ إِرْدُ حَارُّ

وَمَنْ لَكَ بِطَبِيبٍ أَصْرَابِيٍّ ، وَبِرُومِيٍّ هِنْدِيٍّ ، وَبِفَارِسِيٍّ يُونَانِيٍّ ، وَبِقَدِيمٍ مَوْلَدٍ ،
وَبِمَيِّتٍ مُتَمِّعٍ ، وَمَنْ لَكَ بِنَشْءٍ يَجْمَعُ لَكَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ ، وَالنَّاقِصَ وَالْوَافِرَ ، وَالْخَفِيَّ وَالظَّاهِرَ ،
وَالشَّاهِدَ وَالغَائِبَ ، وَالرَّفِيعَ وَالْوَضِيعَ ، وَالنَّثَّ وَالسَّمِينَ ، وَالشَّكْلَ وَخِلَافَهُ ، وَالْجُلُسَ وَرِضْدَهُ .
وبعد ، فمَنى رأيتَ بستاناً يَحْمِلُ فِي رُؤْدُنْ ، أَوْ رَوْضَةً تَنْقَلِبُ فِي حِجْرٍ ، وَتَاطِقًا يَنْطِقُ عَنْ
الْمَوْتِ ، وَيُتَرِّجِمُ كَلَامَ الْأَحْيَاءِ ، وَمَنْ لَكَ بِمُؤْنِسٍ لَا يَنَامُ إِلَّا بِنَوْمِكَ ، وَلَا يَنْطِقُ إِلَّا بِمَا
تَهْوَى ، آمِنٌ مِنَ الْأَرْضِ ، وَآكِمٌ لِلْمَرْءِ مِنْ صَاحِبِ الْمَرْءِ ، وَأَضْبَطُ لِلْوَدِيعَةِ مِنْ أَرْبَابِ
الْوَدِيعَةِ ، وَاحْفَظْ لَهَا أَسْخَفَظَ مِنَ الْأُمِّيِّينَ ، وَمَنْ الْأَعْرَابِ الْمَعْرِيْنَ ، بَلْ مِنْ الصَّبِيَّانِ
قَبْلَ اعْتِرَاضِ الْأَشْغَالِ ، وَمَنْ الْعُمَيَّانِ قَبْلَ التَّمَتُّعِ بِتَمَيِّزِ الْأَشْخَاصِ ، حِينَ الْعَيْنَايَةُ تَأْتِي لَمْ تَقْصُصْ ،
وَالْإِذْهَانُ فَارِغَةٌ لَمْ تَقْتَسِمْ ، وَالْإِرَادَةُ وَافِرَةٌ لَمْ تَسْتَعِبْ ، وَالطَّبِئَةُ لَيْتَهُ فَهِيَ أَقْبَلُ مَا تَكُونُ لِلطَّاعِ ،
وَالْقَضِيبُ رَطْبٌ فَهُوَ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنَ الْعُلُوقِ ، حِينَ هَذِهِ الْخَصَالُ لَمْ يَسْلَ جَدِيدُهَا ،
وَلَمْ يَقْلَ غَرِبُهَا ، وَلَمْ تَتَفَرَّقْ قُوَاهَا ، وَكَانَتْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى * فَصَادَفَ قَلْبًا فَارِغًا فَفَضَحْنَا
وَقَالَ عَبْدَةُ بْنُ الطَّبِيبِ ^(١) :

لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشِبُّ صَبِيَّهُمْ * بَيْنَ الْقَوَابِلِ بِالْعَدَاوَةِ يَنْشَعُ
هَذَا مَعَ قَوْلِهِمْ : التَّعَلُّمُ فِي الصِّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْجَمْرِ ، وَقَالَ جِرَانُ الْعَوْدِ :
تُرَكِّبْنِي بِرَحْلَةِ الرُّوحَاءِ حَتَّى * تَتَكَرَّرَ الدِّيَارُ عَلَى الْبَصِيرِ
كَوْحِي فِي الْمَجَارَةِ أَوْ وَشُومٍ * بِأَيْدِي الزُّوْمِ بِأَقْيَةِ الثُّورِ
الثُّورُ : شَيْءٌ كَانَ يُسَلُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِثْلَ الْخَضِرَةِ الْيَوْمِ .

وَقَالَ آخَرُهُ وَهُوَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقَدُوسِ :

وَلَمَّا مَنَ أَذْبَتَهُ فِي الصَّبَا * كَالْعُودِ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرَمِهِ
حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا أَخْضَرَا * بَعْدَ الَّذِي أَبْصُرْتَ مِنْ يُسَبِّهِ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَلَهَا : « نَطَقَ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « تَمَرَّة » . وَهُوَ حَلًّا صَوَابُهُ مَا أُشْتَاءَ عَنِ الشَّعْرِ وَالشَّرَاءِ لَا نَاقِصَةٌ .

وقال آخر :

يَقُومُ مِنْ مِيلِ الْفَلَامِ الْمُؤَدَّبُ * وَلَا يَنْفَعُ التَّادِيْبُ وَالرَّأْسُ أَشْيَبُ

وقال آخر :

أَدَّبْتُ عِرْمِي بَدْمَا هِرْمْتُ * وَمِنْ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرِيمِ

وقد قال ذو الرقة لميمى بن عمر : اَكْتُبْ شِعْرِي فَالْكَاتِبُ أَعْجَبُ إِلَى مِنَ الْخَفْظِ ،
إِنَّ الْأَعْرَابِيَّ يَنْسِي الْكَلِمَةَ قَدْ سَهَرَتْ فِي طَلَبِهَا لَيْلَةً ، فَيَضِعُ فِي مَوْضِعِهَا كَلِمَةً فِي وَزْنِهَا
ثُمَّ يُشْدِّعُهَا النَّاسَ ، وَالْكَاتِبُ لَا يَنْسِي ، وَلَا يُبَدِّلُ كَلَامًا بِكَلَامٍ ؛

وعبت الكاتِبَ وَلَا أَعْلَمُ جَارًا أَبْرَ ، وَلَا خَلِيطًا أَنْصَفَ ، وَلَا رَفِيقًا أَطْوَعَ ، وَلَا مَعْلَمًا
أَخْضَعَ ، وَلَا صَاحِبًا أَظْهَرَ كَفَايَةً ، وَلَا أَقْلَ جَنَانِيَّةً ، وَلَا أَقْلَ إِمْلَالًا وَإِرَامًا ، وَلَا أَقْلَ
خِلَافًا وَإِحْرَامًا ، وَلَا أَقْلَ غِيْبَةٍ ، وَلَا أَبَدَ مِنْ حَضِيَّةٍ ، وَلَا أَكْثَرَ عَجُوبَةً وَتَصَرُّفًا ، وَلَا أَقْلَ
صَلَفًا وَتَكَلُّفًا ، وَلَا أَبَدَ مِنْ مِرَاءٍ ، وَلَا أَتْرَكَ شَفِيَّ ، وَلَا أَزْهَدَ فِي جَدَالٍ ، وَلَا أَكْفَ
مِنْ قَتْلٍ ، مِنْ كِتَابٍ ؛ وَلَا أَعْلَمُ قَرِينًا أَحْسَنَ مَوَاتَاةً ، وَلَا أَعْجَلَ مَكَافَاةً ، وَلَا أَحْضَرَ
مُعَوْنَةً ، وَلَا أَخَفَّ مَوْوَنَةً ، وَلَا شَجَرَةً أَطْوَلَ عُمرًا ، وَلَا أَجْمَعَ أَمْرًا ، وَلَا أَطْيَبَ ثَمَرَةً ،
وَلَا أَقْرَبَ مُجْتَى ، وَلَا أَسْرَعَ إِدْرَاكًا ، وَلَا أَوْجَدَ فِي كُلِّ إِيَّانٍ مِنْ كِتَابٍ ؛ وَلَا أَعْلَمُ نِتَاجًا
فِي حَدَاثَةِ سَنَةٍ ، وَقُرْبِ مِيلَادِهِ ، وَرُخْصِ ثَمْنِهِ ، وَإِمْكَانِ مَوْجُودِهِ ، يَجْمَعُ مِنَ التَّنَادِيرِ
الْعَجِيبَةِ ، وَالْعُلُومِ الْغَرِيبَةِ ، وَمِنْ آثَارِ الْعُقُولِ الصَّحِيحَةِ ، وَمَجُودِ الْأَذْهَانِ اللَّطِيفَةِ ، وَمِنْ
الْحِكْمِ الرَّفِيعَةِ ، وَالْمِثَاقِ الْقَدِيمَةِ ، وَالتَّجَارِبِ الْحَكِيمَةِ ، وَمِنْ الْأَخْبَارِ عَنِ الْقُرُونِ
الْمَاضِيَةِ ، وَالْبِلَادِ الْمُتَرَاخِيَةِ ، وَالْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ ، وَالْأَنْثَمِ الْبَائِدَةِ مَا يَجْمَعُ لَكَ الْكَتَابُ .

وقد قال الله عز وجل لَنُبَيِّنَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ : إِفْرَأْ وَرَتِّكْ أَلَا كَرَّمَ الَّذِي عَمَّ
بِالْقَلَمِ ، وَصَفَ نَفْسَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَدُّهُ بِذَنْ عَمِّ الْقَلَمِ ، كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْكَرَمِ ، وَأَعْتَدَ
ذَلِكَ فِي نِعْمَةِ الْعِظَامِ ، وَفِي أَيَادِيهِ الْحِسَاءِ ، وَقَدْ قَالَتْ : الْقَلَمُ أَحَدُ الْأَسَانِينِ ،
وَقَالُوا : كُلُّ مَنْ عَرَفَ فَضْلَ النِّعْمَةِ فِي بَيَانِ الْإِنْسَانِ كَانَ فَضْلَ النِّعْمَةِ فِي بَيَانِ الْقَلَمِ

أعرف ، ثم جعل هذا الأمر قرآنا ، ثم جمعه في أول التزويل ، ومُستفتح الكتاب ، ثم آمل - يرحمك الله تعالى - أن حاجة بعض الناس الى بعض صفة لازمة لطبائعهم ، وخلقهم قائمة في جواهرهم ، وثابتة لا تزالهم ، ومحيطة بجماعتهم ، مشتملة على أديانهم وأقاصيهم ، وحاجتهم الى ما غاب عنهم ، مما يعيشهم ويحييهم ، ويأخذ بأزماقهم ، ويصلح باطم ، ويجمع شملهم ، والى التعاون على درك ذلك ، والتوازر عليه كحاجتهم الى التعاون على معرفة ما بحضرتهم ، والتوازر على ما يحتاجون من الارتفاق في أمورهم التي لم تنب عنهم ، لحاجة الغائب موصولة بحاجة الشاهد ، لاحتياج الأدنى الى معرفة الأقصى ، واختلال الأدنى الى معونة الأقصى ، معاني متضمنة ، وأسباب متصلة ، وحبال متقيدة ، وجعل حاجتنا الى معرفة أخبار من كان قبلنا حاجة من كان قبلنا الى أخبار من كان قبلهم ، وحاجة من يكون بعدنا الى أخبارنا ، ولذلك تهلت في الكتب البشارات بالرسل ، ولم يُسخر لهم جميع خلقه إلا وهم يحتاجون الى الارتفاق بجميع خلقه ، وجعل الحاجة حاجتين : إحداهما قوام وقوت ، والآخرى لذة وإمتاع ، وازدياد في الآلة ، وفي كل ما أجلل النفوس ، وجمع لهم العتاد ، وذلك المقدار من جميع الصفتين وفق لكثرة حاجتهم وشهواتهم ، وعلى قدر آساع معرفتهم ، وبعد غورهم ، وعلى قدر احتمال طبع البشرية ، وفطرة الإنسانية ، ثم لم يقطع الزيادة عنهم إلا لعجز خلقهم عن احتمالها ، ولم يميز أن يفرق بينهم وبين العجز إلا بعدم الأعيان ، إذا كان العجز صفة من صفات الخلق ، وتعتا من نعمت العبيد ، ولم يتحقق الله تعالى أحدا يستطيع بلوغ حاجته بنفسه دون الاستعانة ببعض من يُفخر له ، فإدناهم مُسخر لأقصاهم ، وأجلهم مُيسر لأدقهم ، وعلى ذلك أحوج الملوك الى السوق في باب ، وأحوج السوق الى الملوك في باب ، وكذلك الغنى والفقير ، والعبد وسيدّه .

ثم جعل الله تعالى كل شيء للإنسان خولا وفي يده مُدلا مُيسرا ، إما بالأحبال له ، والتألف في إراغته واستمائه ، إما بالصولة عليه والفتك به ، وإذا أن أتته سبوا ورهوا ، وعلى أن الإنسان أولا حاجته بها لما احتال لها ، ولما صال عليها ، إلا أن الحاجة تفرق

في الجنس والجهة، وفي الحظ والتقدير، ثم تعبد الإنسان بالفكر فيها، والنظر في أمورها،
وبالاعتبار بما يرى، ووصل بين عقولهم، وبين معرفة تلك الحكم الشريفة، وتلك الحاجات
اللازمة بالنظر والتفكير، والتعقب والتقدير، والتثبت، والتوقف، ووصل معارفهم بمواقع
حاجاتهم اليها، وتشاعرهم بمواضع الحكم فيها بالبيان عنها، وهو البيان الذي جعله الله تعالى
سببا فيما بينهم، ومُعبرا عن حقائق حاجاتهم، ومُعزقا لمواضع سد الخلة، ودفع الشبهة،
ومداواة الحيرة؛ ولأن أكثر الناس عن الناس أفهم منهم عن الأشياح المائلة، والأجسام
الجامدة، والأجرام الساكنة التي لا يُتَعَرَف ما فيها من دقائق الحكم وكنوز الأدب،
ويتابع العلم، إلا بالعقل اللطيف الثاقب، وبالنظر التام النافذ، وبالأداة الكاملة،
وبالأسباب الوافرة، والصبر على مكروه الفكر، والاحتراز من وجوه الخدع، والتحفظ من
دواعي الهوى، ولأن الشكل أفهم عن شكله وأسكن إليه وأصب به، وذلك موجود
في أجناس البهائم وضروب السباع، والصبي عن الصبي أفهم وله آلف، وإليه أنزع،
وكذلك العالم والعالم، والجاهل والجاهل، وقال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام :
(وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا لَأَنَّ الْإِنْسَانَ عَنِ الْإِنْسَانِ أَفْهَمُ، وَطَبَاعَهُ بَطِيعُهُ آتُسُ،
وعلى قدر ذلك يكون موقع ما يسمع منه؛ ثم لم يرض من البيان لم يصنف واحد، بل جمع
ذلك ولم يفزق، وكثر ولم يقل، وأظهر ولم يُخَفِّف، فجعل أصناف البيان التي بها يتعارفون
معانيهم، والترجمان الذي إليه يرجعون عد اختلافهم في أربعة أشياء وفي خصلة خامسة،
وإن قصصت عن بلوغ هذه الأربعة في جهاتها، فقد تكمل بحسنه الذي وضع له،
وصرف إليه .

وهذه الخصال الأربع : هي اللفظ والخط والإشارة والعقد، والخصلة الخامسة :
ما أوجد من حجة الدلالة، وصدق الشهادة . ووصوح البرهان في لأجرام الجامدة الصامتة،
والساكنة الثابتة، التي لا تتيسر ولا تفهم . ولا ينس وتحتك ألا : دخل دخل عليها . أو عند
ممسك خلى عنها بعد تقييده كان ضا . ثم قسم لأقسامه . ورتب المحسوسات . وحصل

الموجودات ، فجعل اللفظ للسامع ، وجعل الإشارة للناظر ، وأشرك بين الناظر واللامس ، في معرفة العقْد إلا بما فضّل الله به نصيب الناظر في ذلك على نصيب اللامس ، وجعل الخط دليلاً على ما غاب من حوائجهم عنه ، وسبباً موصولاً بينه وبين أعوانه ، وجعله خازناً لما لا يأمن نسيانه مما قد أحصاه وحفظه ، وأتقنه وجمعه ، وتكلف الإحاطة به ، ولم يجعل للشام والذائق في ذلك نصيباً .

ولولا خطوط الهند لضاع من الحساب الكثير البسيط ، ولَبَطَلَت معرفة التضاعيف ، ولَمَدِمُوا الإحاطة بالباورات ، وباورات الباورات ، ولو أدركوا ذلك لما أدركوه ألا بعد أن تَنَلَّظَ المؤونة ، وتنقص المنة ، ولصاروا الى حال مَعَجَزَةٍ وحُصور ، الى حال مضية وكلال حدّ ، مع التشاغل بأمور لولا فَقْدَ هذه الآلة لكان أربح لهم ، وأردّ عليهم أن يهرفوا ذلك الشغل في أبواب منافع الدّين والدنيا ، وتقع الحساب معلوم ، والخلة في موضع فَقْدِهِ معروفة ، قال الله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ثم قال : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ وبالبيان عرّف الناس القرآن ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ ﴾ فأجرى الحساب تجرى البيان وألحق البيان بالقرآن ، وبحُسْبَانِ منازل القمر عرفنا حالات المَدَد والجَزَر ، وكيف تكون الزيادة في الأهلة وأنصافِ الشهور ، وكيف يكون النقصان في خلال ذلك ، وكيف تلك المراتب وتلك الأقدار .

ولولا الكُتُب المدقّنة ، والَاخبار المُخلّدة ، والحِكَم المخطوطة التي تَحْصُرُ الحساب وغير الحساب ، لَبَطَلَ أَكْثَرُ الْعِلْم ، ولَغَلَبَ سُلْطَانُ النِّسيان سُلْطَانُ الذِّكْر ، ولما كان للناس مَفَرٌّ الى موضع أَسْتَدْكَار ، ولو تم ذلك لَحُرِمْنَا أَكْثَرُ النِّع ، اذ كما قد علمنا ان مقدار حِفْظِ الناس لعواجل حاجاتهم وأواجلها لا يبلغ من ذلك مبلغاً مذكوراً ، ولا يغني فيه غناء محموداً ، ولو كُتِفَ عامة من يطلب العلم ، وَيَضْطَنِعُ الكُتُب ، ألا يزال حافظاً لفهرس كُتُبِهِ لا يحجزه ذلك ، وَلَكُتِفَ شَطَطاً ، وَلَشَغَلَهُ ذلك عن كثير مما هو أوّلَى به ، ففهمك

لمعانى كلام الناس يتقطع قبل انقطاع فهم من الصوت مجزأ ، وأبعد فهمك لصوت صاحبك ومعاملك ، والمعاين لك ما كان صياحا ضرقا ، وصوتا مضمنا ، ونداء خالصا ، ولا يكون مع ذلك ألا وهو بعيد من المفاهمة ، وعطل من الدلالة ، بفعل الله جل وعز اللفظ لأقرب الحاجات ، والصوت لأنفس من ذلك قليلا ، والكتاب للنازح من الحاجات .

فأما الإشارة فأقرب المفهوم منها رفع الحواجب ، وكسر الأجفان ، ولئى الشقاء ، وتحريك الأعناق ، وقبض جلدة الوجه ، وأبعدها أن تلوى بثوب على مقطع جبل ثجاء حين الناظر ، ثم يتقطع عملها ، ويدرس أثرها ، ويموت ذكرها ، وتصير بعد كل شئ ففصل عن انتهاء مدة الصوت ، وتنتهى الطرف فى الحاجة ، الى التفاهم بالخطوط والكتيب ، فأى نفع أعظم ، وأى مرفق أحسن من الخط ، والحال فيه كما ذكرنا !

وليس للمعقد حفظ الإشارة فى بعد الناية ، ولا للإشارة حفظ الخط فى بعد الناية ، فلذلك وضع الله عز وجل القلم فى المكان الرفيع ، وتوه بذكره فى المنصب الشريف حين قال : **(نَبِّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)** فاقسم بالقلم كما أقسم بما يحيط بالقلم إذ كان اللسان لا يتعامل شأوه ، ولا يشق غباره ، ولا يحيرى فى حليته ، ولا يتكلف بعد غايته ، ولكن لما كانت حاجات الناس بالحضرة أكثر من حاجاتهم فى مائر الأماكن ، وكانت الحاجة الى بيان اللسان حاجة دائمة رأكدة ، وراينة نائمة ، وكانت الحاجة الى بيان القلم أمرا يكون فى النية وعند النائمة ، ألا ما أخصت به الدواوين ، فإن لسان القلم هناك أبسط ، وأثره أعم ، فلذلك قلموا اللسان على القلم ، فاللسان الآن أتم هو فى منافع البد والمراقب التى فيها ، والحاجات التى تلبثها ، فن ذلك حفظها وقسطها من منافع الإشارة ، ثم نصيبها فى تقويم القلم ، ثم حفظها فى التصوير ، ثم حفظها فى الصناعات ، ثم حفظها فى التمدد ، ثم حفظها فى الدفع عن النفس ، ثم حفظها فى إيصال الطعام والشراب الى القم ، ثم النوض والامسح ، ثم انتقاد الدناير والدرهم ، ثم لبس الثياب ، وفى الدفع عن النفس أصناف أربع : وأصناف الصرب ، وأصناف الطعن ، ثم الضرب الثقل بالعود وتحريك الوتر ، ولولا ذلك لبطل الطرب كله أو دامت به ، وكيف

لا تكون كذلك ولما ضرب الطبل والدف وتحريك الصفاقيين ، وتحريك غمارق خرواق المزامير ، وما في ذلك من الإطلاق والحبس ؛ ولو لم يكن في اليد إلا إمساك العنان والزام والخطام ، لكان ذلك من أعظم الحفظ .

وقد اضطربوا في الحكم بين العقْد والإشارة ، ولولا أن مَرَّنا في هذا الكتاب سوى هذا الباب لقد كان هذا مما أحب أن يعرفه إخواننا وخطاؤنا ، ولا ينبغي لنا أيضا أن نأخذ في هذا الباب من الكلام إلا بعد الفراغ مما هو أولى بنا منه ، إذ كنت لم تنازعني ، ولم تعب كُتُبِي من طريق فضل ما بين العقْد والإشارة ، ولا في تمييز ما بين اللفظ وبينهما ؛ وأما قَصْدنا بكلامنا الى الإخبار عن فضل الكتب .

والكتاب هو الذي قيد على الناس كُتُبَ علم الدين ، وحساب الدواوين ، مع خفة ثقله ، وصغر حجمه ، صامت ما أمسكته ، وبلغ إذا استنطقته ، ومن لك بمسامر لا يتبدل في حال شغلك ، ويدعوك في أوقات نشاطك ، ولا يحوجك الى التجميل له ، والتذم منه ، ومن لك بآثر أن شئت جعل زيارته غيبا ، ووروده نمسا ؛ وإن شئت لزمك لزوم ظلك ، فكان منك مكان بعضك .

والقلم مكتف بنفسه ولا يحتاج الى ماعد غيره ، ولا بد لبيان اللسان من أمور ، منها : إشارة اليد ، ولولا الإشارة لما فهموا منك خاص الخاص ، اذا كان أخص الخاص قد يدخل في باب العام ، إلا أنه أدنى طبقاته ، وليس يكفي خاص الخاص باللفظ عما آذاه ، كإكتفاء عام العام ، والطبقات التي بينه وبين أخص الخاص .

والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك ، والصديق الذي لا يفرك ، والرفيق الذي لا يملك ، والمستمع الذي لا يستريدك ، والجار الذي لا يستبطنك ، والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالأتق ، ولا يعاملك بالمكر ، ولا يخذلك بالنفاق ، ولا يحتمل لك بالكذب .

والكتاب هو الذى إن نظرت فيه أطال إمتاعك ، وشجذ طباذك ، وبسط لسانك ،
وجود بلسانك ، ونغم أفاذك ، ويصح نفسك ، وعمر صدرك ، ومنحك تعظيم العوام ،
وصداقة الملوك ؛ وعرفت به فى شهر ما لا تعرفه من أفواه الرجال فى دهر ، مع السلامة
من الثرم ، ومن كد الطلب ، ومن الوقوف بباب المتكسب بالتعليم ، وبالجلوس بين يدي من
أنت أفضل منه خلقا ، وأكرم عرفا ، ومع السلامة من مجالسة البغضاء ، ومقارنة
الأغبياء .

والكتاب هو الذى يطيعك بالليل كطاعته بالنهار ، ويطيعك فى السفر كطاعته فى الحضر ،
ولا يعتل بنوم ، ولا يعتريه كلال السهر ، وهو المعلم الذى إن أفقرت لم يحقر ، وإن
قطعت عنه المائدة لم يقطع عنك القائمة ، وإن عزلت لم يدع طاعتك ، وإن هبت ريح
أعدائك لم يتقلب عليك ؛ ومتى كنت منه متعلقا بسبب ، أو متعصما بأدنى جبل ، لم تضطرك
معه وخشة الوحدة الى جليس السوء ؛ ولو لم يكن من فضله عليك ، وإحسانه اليك ،
إلا منعه لك من الجلوس على بابك ، والنظر الى آسائة بك ، مع ما فى ذلك من التوض
للحقائق التى تلزم ، ومن فضول النظر ، ومن عادة الخوض فيما لا يعينك ، ومن ملابس
صغار الناس ، ومن حضور ألفاظهم الساقطة ، ومعانيهم الفاسدة ، وأخلاقهم الرديئة ،
وجاهلاتهم المذمومة ، لكان فى ذلك السلامة ثم الغنيمة ، وإحراز الأصل مع استفادة الفرع ،
ولو لم يكن فى ذلك إلا أن يتسفلك عن تخف المتى ، وعن اعتياد الراحة ، وعن اللعب ،
وكل ما أشبه اللعب ، لقد كان فى ذلك على صاحبه أسع النعمة ، وأعظم المنة ؛ وقد علمنا
أن أمتل ما يقطع به الفزع نهارهم ، وأصحاب الكاهن ساعات ليالهم ، هو النسيء الذى
لا ترى له فيهم مع النيل أثرا فى ازدياد فى تجربة ولا فى عقل ، ولا فى مروءة ولا فى صون
عرض ، ولا فى إصلاح دين ، ولا فى تخير مال ، ولا فى تربية صبيعه ، ولا فى ابتداء بإنعام .

قال أبو عبيدة قال المهلب ابنه فى وصيته : ما نبي لا يحفوا فى الأسواق إلا على

زاد أووزاق .

وحديثي صديق لي قال : قرأت على شيخ شامي كتابا فيه ما أثر غطفان ، فقال لي : ذهبت المكارم إلا من الكتب ؛ وسمعت الحسن اللؤلؤي يقول : عبرت أربعين عاما ما قلت ولايت التكات إلا والكتاب موضوع على صدرى ؛ وقال ابن الجهم : اذا غشيتي الناس في غير وقت نوم وبئس الشيء النوم الفاضل عن الحاجة ، تناولت كتابا من كتب الحكم فاجد أهرتازي للفوائد ، والأريحية التي تمريني عند الظفر ببعض الحاجة ، والذي يشقى قلبي من سرور الاستبانه ، وصرّ التيقن ، أشد إيقاظا من نهي الجهر ، وهذه المسألة .

وقال ابن الجهم : اذا استحسنيت الكتاب واستجذبت ، ورجوت منه الفائدة ، ورأيت ذلك فيه ، فلو تروني وأنا ساعة بعد ساعة أبصركم بقي من ورقه غافة استغاده ، وأقطع المسادة من قبله ، وإن كان المصحف في عظيم الحجم ، وكان الورق كثير العدد ، لرأيت كيف تم عيشي ، وكل سروري .

وذكر القيني كتابا لبعض القدماء فقال : لولا طوله ، وكثرة ورقه ، لنسخته ؛ قال ابن الجهم : لكنني ما رغبني فيه إلا الشيء الذي زهدك فيه ، وما قرأت كتابا قط كبيرا فأخلاني من فائدة ، وما أحصى كم قرأت من صغار الكتب فخرجت منها كلما دخلت .

وقال القيني ذات يوم لابن الجهم : ألا تتعجب من فلان ! نظر في كتاب الإقليدس مع جارية سميوية في يوم واحد وساعة واحدة ، فقد فرغت الجارية من الكتاب وهو بعد لم يحكم مقالة واحدة ، على أنه حرّ غير وتلك أمة مقصورة ، وهو أحرص على قراءة الكتب من سميوية على تعليم جاريته ؛ قال ابن الجهم : قد كنت أظن أنه لا يفهم منه شكلا واحدا ، وأراك تزعم أنه قد فرغ من مقالة ؛ قال القيني : وكيف ظننت به هذا الظن كله وهو رجل ذو لسان وأدب ؟ قال : لأنني سمعته يقول لأبنته : كم أنفقت على كتاب كذا وكذا ؟ قال : أنفقت كذا وكذا ؛ قال : إنما رغبني في العلم أني ظننت أني أفق قليلا وأكتسب كثيرا ، فاما اذ صرت أفق الكثير وليس في يدي منه إلا المواعيد فاني لا أريد

العلم بشئ . والإنسان لا يعلم حتى يَكْتَفِرَ بمآثمه ، ولا بُدَّ من أن تصير كُتُبُه أكثر من مآثمه ، ولا يعلم ولا يجمع ولا ينفك حتى يكون الإهراق عليه من ماله الله عنده من الإهراق من مال صدقه ، ومن لم تكن ثقته التي تخرج في الكُتُبِ الله عنده من عشاق القيان ، والمستترين بالبُذيان ، لم يبلغ في العلم مبلغاً رَضِيّاً . وليس ينفع برأفائه حتى يؤثّر لذة أخذ الكُتُبِ إشار الأهرابي قمره باللبن على عياله ، وحتى يؤمّل في العلم مالا يؤمّل الأهرابي في فرسه .

وقال إبراهيم بن السّديّ مرّة : وِدِدْتُ أَنْ الزّنادقة لم يكونوا حُرّصاء على المغالاة بالورق النقي الأبيض ، ولا على تحيّر الجبر الأسود البراق ، ولا على استعادة الخطّ والإرتقاب لمن يخطّ ، فإنّ لم أذكر ورق كتبهم ورقاً ، ولا كالخطوط التي فيها خطأ . وإنّي غرمت مالا عظيماً مع حتى لئال وبضئ للفرم ، لأنّ سقاء النفس بالإهراق على الكُتُبِ دليل على تعظيم العلم ، وتعظيم العلم دليل على شرف النفس وعلى السلامة من سُكْرِ الآفات . وقلت لإبراهيم : إن إضفاق الزنادقة على الكُتُبِ كإضفاق النصارى على البيع ، ولو كانت كتب الزنادقة كُتُبَ حِكْمَةٍ ، وكتب فلسفة ، وكانت مقاييس تبيين ، أو لو كانت كتبهم كتباً تعرف الناس أبواب الصناعات ، أو سبل الحُكْمِ والتجارات ، أو كتب إرفاق ورياضات ، أو بعض ما يتعاطاه الناس من الفطن والأدب ، أو كان ذلك لا يُقَرَّب من غنى ، ولا يباعد من مآثم ، لكانوا ممن قد يجوز أن يُظنّ بهم تعظيم البيان والرغبة في التبيين ، ولكنهم ذهبوا فيها منذهب الديابة على طريق مغرٍ الملة فأتوا إهراقهم في ذلك كإضفاق الجحوش على بيت النار ، وكإضفاق النصارى على صُلبان الذهب . أو كإضفاق الهند على سدنة البُدّ ، ولو كانوا العلم أرادوا لكان العلم لهم معرضاً ؛ وكتب الحكمة لهم مبدولة ، والطرق إليها سهلة معروفة ؛ فما بالهم لا يصنعون ذلك إلّا بكتب ديانهم كما يُزَعِّف النصارى بيوت عبادتهم ؛ ولو كان هذا المعنى مستحسناً عند المسلمين ، وكانوا يؤمنون أنّ ذلك داعية إلى العبادة وباعثة على الخشوع ، لآلَفُوا في ذلك بقرهم ؛ لا يبالغه النصارى بقاية الجُهد .

وقد رأيتم مسجد دمشق حين استجاز هذه السبيل ملك من ملوكها ، ومن رآه فقد علم أن أحدا لا يرويه ، وأن الروم لا تسخو أنفسهم به ؛ فلما قام عمر بن عبد العزيز جلّه بالحلل ، وغطاه بالكرايس^(١) ، وطبخ سلاسل القناديل حتى ذهب عنها ذلك التلألؤ والبريق ، وذهب الى أن ذلك الصنيع بجانب لسنة الاسلام ، وأن ذلك الحسن الرام والمحسن الدقاق مدحلة للقلوب ، مشغلة دون الخشوع ، وأن البال لا يكون مجتمعا وهناك شيء يفترقه ويعترض عليه .

والذى يدلنا على ما قلنا أنه ليس في كتبهم مثل سائر ، ولا خبر طريف ، ولا صنعة أدب ، ولا حكمة غريزية ولا فلسفية ، ولا مشكلة كلامية ، ولا تعريف صناعة ، ولا استخراج آلة ، ولا تعليم فلاحه ، ولا تدبير حرب ، ولا مقارعة عن دين ، ولا مناضلة عن نحلة ؛ وجله ذكر النور والظلمة ، وتناطح الشياطين ، وتسافد المغاريت ، وذكر الصنيد والتهويل بعمود السخ ، والاخبار عن شقون وعن المهامة والمهمة ، وهذروعي ودعوى وخرافة وصحف وتكذب ، لا ترى فيه موعظة حسنة ، ولا حديثا موثقاً ، ولا تدبير معاش ولا سياسة عامة ، ولا ترتيب خاصة ؛ فأى كتاب أجهل ، وأى تدبير أفسد من كتاب يوجب على الناس الطاعة والبُخوع بالديانة على جهة الاستبصار والمحبة ، وليس فيه صلاح معاش ، ولا تصحيح دين ، والناس لا يميّنون إلا دينا أو دنيا .

فأما الدنيا فاقامة سُوقها وإحضار نفعها . وأما الدين فأقل ما يُطمع في استجابة العامة واستمالة الخاصة ، أن يصور في صورة مُغلطة ، ويؤوه تمويه الدينار البهرج والدرهم الزائف الذى يغلط فيه الكثير ويعرف حقيقة القليل . فليس اتفاقهم عليها من حيث ظننت . وكل دين يكون أظهر اختلافا وأكثر فسادا يحتاج من التزيق والتمويه ومن الاحتشاد له والتغليظ فيه الى أكثر من غيره .

(١) الكرايس جمع كرايس : ثوب من القطن الأبيض وقيل : الثوب الخشن ، فارسي معرب .

وقد علمت أن النصرانية أشد انتشاراً من اليهودية تبعاً ، فعلى حسب ذلك يكون تزديدهم في توكيده ، واحتفالهم في إظهار تعظيمه .

وقال بعضهم : كنتُ عند بعض العلماء فكنتُ أكتبُ عنه بعضاً وأدع بعضاً ، فقال لي : اكتبْ كلَّ ما تسمع ، فإنَّ أخس ما تسمع خير من مكانه أبيض . وقال الخليل بن أحمد : نكثتُ من العلم لغيري ، وتقلَّ منه ليحفظ . وقال أبو إسحاق : القليل والكثير للكتب ، والقليل وحده للصدر ، وأشد قول ابن يسير :

أَمَا لَوْ أَعَى كُلُّ مَا أَسْمَعُ * وَأَحْفَظُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَجْمَعُ
وَلَمْ أَسْتَفِدْ غَيْرَ مَا قَدْ جُمِعْتُ لِقِيلِ هُوَ الْعَالِمُ الْمُتَّقِعُ
وَلَكِنْ قَفِي إِلَى كُلِّ نَوْ * عِجْ مِنْ الْعِلْمِ تَسْمَعُهُ تَتَرَعُ
أَشَاهِدُ بِالْعَمَى فِي تَجَلِي * وَعِلْمِي فِي الْبَيْتِ مُسْتَوْدَعُ
فَلَا أَنَا أَحْفَظُ مَا قَدْ جُمِعَتْ وَلَا أَنَا مِنْ جَمِيعِهِ أَشْبَعُ
وَمَنْ يَكُ فِي عِلْمِهِ هَكُنَا * يُكُنْ دَهْرُهُ الْقَهْقَرَى يَرْجِعُ
إِذَا لَمْ تُكُنْ حَافِظًا وَإِعْيَا * بِجَمْعِكَ لِلْعِلْمِ لَا يَنْفَعُ

قال أبو إسحاق : كلف ابن يسير الكتب ما أبس عليها . إن الكتب لا تُحْيى الموتى ، ولا تُنَحْوِلُ الأحمق عاقلًا ، ولا البليد ذكيًا ، وذلك أنَّ الطبيعة إذا كان فيها أدنى قبول فالتكتبُ تَسَحِّذُ وَتَهَيِّجُ وَتُزِيلُ وَتُسْفِي ، ومن أراد أن يعلم كلَّ شيء فينبغي لأهله أن يدأبوا . فإن ذلك إنما تصوُّره لتيء أعزاه . فمن كان عاقلًا ذكيًا حافظًا يُلْقِصِدُ اني تبتين أو ثلاثة أشياء : فلا يترع عن الدرس والمطارحة ، ولا يدع أن يترع على سمعه وعلى بصره وعلى ذهنه ما قدر عليه من سائر الأصناف فيكون علمًا بغواص ويكون غير غفل من سائر ما يجري فيه الناس ويخوضون فيه ، ومن كان مع الدرس لا يحفظ سبيل إلا نسي أكثر منه فهو من الحفظ من أقواء الرجال أبعد .

وحدثني موسى بن يحيى قال : ما كان في خزانة كتب يحيى وفي بيت مدرسه كتاب إلا وله فيه ثلاثُ نسخ .

وقال أبو عمرو بن العلاء : ما دخلت على رجل قط ولا مررت ببابه فرأيتَه ينظر في دفتر جليسه فارغ اليد إلا اعتقدت أنه أعقل منه وأفضل .

قال أبو عمرو وقيل لنا يوماً : إن في دار فلان ناساً قد اشتملوا على سوعة ، وهم جلوس على نُعمية لم وعندهم طُنبور ، قال : قدَّمَرنا عليهم في جماعة من رجال الحى ، فلذا تقى جالس في وسط الدار وإذا أصحابه حوله ، وإذا هم بيضُ القى ، وإذا هو يقرأ عليهم كتاب شعر ، فقال الذى كان سعى بهم : السوعة في ذلك البيت ، وإن دخلتموه عثرتُم بها ، قال قلت : والله لا أكشف تقى أصحابه شيوخ وفي يده دفتر علم ولو كان في ثوبه دم يحيى بن زكرياء . قال وأشد رجل يونس النحرى قوله :

أُسودِعَ العلمُ قرطاساً فقَبيعه * فيئس مُسودِعُ العلمِ القراطيسُ

قال فقال يونس : قاتله الله ، ما أشد صبايته بالعلم وأحسن صبايته له ! إن علمك من رُوحك ، ومالك من بدنك ، فضعه منك بمكان الروح ، وضع مالك بمكان البدن .

وقيل لابن داعة وأخرج كتاب أبي الشَّمَقِ وإذا هو في جلود كوفية ودفتين طائفتين ومخطَّ عجيب ، فقيل له : لقد ضيعَ درهمه من تجوِّد لشعر أبي الشَّمَقِ ، قال : لا جرم والله إن العلم ليُعطيك على حساب ما تُعطونه ، ولو استطعت أن أودعه سُويِّدَاء قلمي وأجعله مخطوطاً على ناظرى لعلت .

ولقد دخلت على إسماعيل بن سليمان في إضرته ، فرأيت السامعين بين يديه والرجال مُثولاً كأنهم على رموسهم الخيزر . ورأيت قُرْبته ^(١) وقرْبته ، ثم دخلت عليه وهو معزول ، وإذا هو في بيت كتبه وحواليه الأسفاط والرفوف والناظر والمدفاتر والمساطر والمحابر ، فما رأيته قط أنتم ولا أنبل ولا أهيب ولا أجزل منه في ذلك اليوم . إلا أنه جمع مع المهابة المحبة ، ومع النخامة الحلاوة ، مع اسودد الحكمة .

(١) كما في الأصل ، وله ١٠٠ . (١٠) العرشة : أهيه

وقال ابن داحية : كُتِبَ عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يُجالس الناس ، وتزل مقبرة من المقابر ، وكان لا يكاد يرى إلّا وفي يده كتاب يقرؤه ، فسئل عن ذلك وعن نزوله المقبرة ، قال : لم أر أَوْعظَ من قبر ، ولا أمتع من كتاب ، ولا أسلم من الوحدة ؛ قيل له : فقد جاء في الوحدة ما قد جاء ، قال : ما أفسدها للجاهل وأصلحها للعامل !

وضروب من الخطوط بعد ذلك تكل على قدر متعة الخط ، قال الله تبارك وتعالى : زَكَاةً كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ ، وقال الله عز وجل : (فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ) وقال : (فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ) وقال : (وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ) وقال : (أَفَرَأَيْتَ لَكَ كُفًى يَنْفُسِكَ الْيَوْمَ طَلَيْكَ حَسِيًّا) .

الترغيب في اصطناع الكتب

(وبعد أن تكلم عن الخط في الأرض عند التفكير وما قيل في ذلك من الأشعار ، وذكر الخط ومقدار الحاجة إليه ، ونازع الشرف في الإسلام . وبيان أن فضيلته مقصورة على العرب ، أسطرد القول بالترغيب في اصطناع الكتب) فقال :

« إِنْ عَلَى مَنْ شَكَرَ الْمَعْرِفَةَ بِمَقَارِي لِنَاسٍ وَصَرَ سَيْمٍ وَخَضَارِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ . أَنْ يَحْتَمِلَ ثَقُلَ مَوْزَنِهِمْ فِي مَعْرِفَتِهِمْ . وَأَنْ يَتَوَخَّى إِشْرَاقَهُ وَأَنْ جَرِيْلًا فَصًّا مَا يَسْدَى إِلَيْهِمْ . وَلَنْ يُصَانِ الْعِلْمُ بِمِثْلِ بَذَلِهِ ، وَلَنْ تُسْتَقْبَلَ الزُّمَّةُ بِهِ بِمِثْلِ سِرِّهِ . عَلَى أَنَّ عَرَاءَةَ الْكِتَابِ تُنْعَمُ وَإِشْرَاقُهُ مِنْ تَلَاقِهِمْ ، إِذْ كَانَ مَعَ التَّلَاقِ يَسْتَدِ الْعَمْعُ رِيَّكَزًا لِحُظَا . وَتَقْرِطُ الْعَصِيَّةُ ، وَتَقْوَى الْحِمِيَّةُ . وَعِنْدَ الْمَوَاجَهَةِ وَالْمُقَابَلَةِ يَسْتَدْحِبُ الْإِثْمُ ، وَزُهْوَةُ الدِّعْوَى وَاسْتِعْبَاءُ مَنَ اِرْجُوعِ ، وَالْإِثْمَةُ مِنَ الْخُصُوعِ ، وَرِغْبُ جَمِيعِ ذَلِكَ تَحْدُثُ الْفَضْلُ . نَزْغِيْرُ الْبَيَانِ . إِذَا كُنْتَ الْقُلُوبِ عَلَى هَذِهِ الصَّبْعَةِ ، عَلَى هَذِهِ الصَّبْعَةِ ، أَسْتَمِعُ لِمَعْرِفَةٍ ، وَتَعَيَّنَتْ عَنْ مَوْضِعِ الدَّلَالَةِ . وَلَيْسَتْ لِلْكِتَابِ نِيَّةٌ تَمُتُ مِنْ دَرَجَةِ الْفَيْحِ . وَاحِدًا بِهَاجَتِهِ . وَنَزْغِيْرُ الْمَشْوَحَةِ بِرِسْمِهَا ، مُتَقَرِّدٌ

بفهم معانيها ، لا يُباهى نفسه ، ولا يُقالب عقله ، وقد علم من له يباهى ، ومن أجله يغالب ، والكتاب قد يفضل صاحبه ويتقدم مؤلفه ، ويرجع قلبه على لسانه بأمور :

منها ، أن الكتاب يُقرأ بكل مكان ، ويظهر ما فيه على كل لسان ، ويوجد مع كل زمان على تفاوت ما بين الأعصار ، وتباعد ما بين الأمصار ، وذلك أمر يستحيل في واضح الكتاب ، والمنازع بالمسألة والجواب ، ومناقلة اللسان وهدايته لا تجوزان تجلس صاحبه ، ومبلغ صوته ، وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه ، ويفنى العقل ويبقى أثره . ولولا ما تسمت لنا الأوائل في كتبها ، وخلدت من عجيب حِكمتها ، ودوت من أنواع سيرها ، حتى شاهدنا بها ما غاب عنا ، وفتحنا بها كل مُستغلق كان علينا ، بجمعنا الى قليلنا كثيرهم ، وأدرنا ما لم نكن نُدرُكه إلا بهم ، لقد خسر حفظنا من الحكمة ، وضعف سبيلنا الى المعرفة ، ولو أُلحِثنا الى قدر قوتنا ، ومبلغ خواطرنا ، ومنهى تجربتنا لما تُدرُكه حواسنا وتشاهده نفوسنا ، لقد قلت المعرفة ، وقصرت الحجة ، وانتقصت المنّة ، وعاد الرأي عقيا ، وانحاط فاسدا ، ولكل الحدّ ، وتبدل العقل . وأكثر من كتبهم نفعاً ، وأشرف منها خطراً ، وأحسن موقفاً ، كتب الله تعالى التي فيها الهدى والرحمة ، والإخبار عن كل عبرة ، وتعريف كل سيئة وحسنة . وما زالت كتب الله تعالى في الأثر والصحف والمهارف والمصاحف . فقد قال الله عز وجل : **رَأَيْتُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ** ، وقال : **مَا فَرَطُوا فِي الْكِتَابِ مِنْ تَنْبِيْهِ** ، ويقال لأهل التوراة والإنجيل : **أهل الكتاب** . وينبغي أن يكون سبيلنا لمن بعدنا كسبيل من كان قبلنا فينا . على أننا نجد من العبرة أكثر مما وجدنا ، كما أنّ من بعدنا يجد من العبرة أكثر مما وجدنا . فيما يتنظر العالم باظهار ما عنده ، وما يمنع الناصر للحق من القيام بما يلزمه ، وقد أمكن القول ، وصالح الدهر ، وهوى نجم التمسّة ، وهبت ريح العلماء ، وكسد البغي والجهل . وقامت سوى البيان والعلم . والإنسان ليس يجد في كل حال إنسانا

(١) المهارف جمع مهارف ، وهو مصدر راسى بالفتح وعمل ثم كتب فيه مرسى .

يُدرِّسه وَيُقَوِّمُهُ بِتَقْوَاهُ، وَالصَّبْرَ عَلَى إِهْوَائِ الرِّجْزِ شَدِيدٍ، وَصِرْفَ النَّفْسِ عَنْ مُغَالِبَةِ الْعَالَمِ أَشَدُّ مِنْهُمَا.

والتعلم يمدى كل مكان الكتاب عتيداً، وما يحتاج إليه فانما . وما أكثر من حوط
في التعلم أيام نحول ذكره وأيام حادثة يسه . ولولا جِياذ الكتب وحسنها ، ومُهيئها
ومُخصرها ، ثم تحوكت هم هؤلاء لطلب العلم ، وارتعت الى حب الأدب ، وأهت من حال
الجهل وأن تكون في عمار الحشو لتحل على هؤلاء من الصرر والمصره والجهل وسوء
الحال ما عسى ألا يمكن الإحراز عن مقداره إلا بالكلام الكثير .

ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه : تَمَقَّهوا قَبْلَ أَنْ تُسَوِّدُوا . وقد يجد الرجل يطلب الآثار وتاويل القرآن ومحالس العقبا حَمِيسَ سَنَةٍ ، ولا يعدد فيها ولا يحعل قاصيا ؛ وما هو إلا أن يتنظر في كسب أبي حنيفة وأشباهه ، ويحفظ كتب الشروط في مقدار سنة أو سنتين حتى تترسأه فتعلم أنه مات بمص العيال ، والحرى ألا يتر عليه من الأيام إلا السرح حتى يصير حاكما على مصر من الأمصار . أو لَّه من اللُّذُن .

وَيَسِيءُ لِمَنْ كَتَبَ كَمَا أَلَا يَكُ إِلَّا عَلَى أَنْ لَسَاسَ كُلِّهِمْ لَهُ أَمَدٌ ، وَكُلُّهُمْ عَالِمٌ
بِالْأُمُورِ ، وَكُلُّهُمْ مُتَعَرِّعٌ لَهُ ، مِمَّا لَا رِصَى بِذَلِكَ حَتَّى رَحَّ كَاهُ يَسْتِ وَتَحْتِمِرُ . وَلَا يَتَّقُ
بِالرَّأْيِ الْعِطَرُ ، فَإِنْ لَأَسَدَاءُ الْكَلَابِ قِتْنَةً وَغَنَاءُ ، إِذَا سَكَنَتِ الطَّبِيعَةُ وَهَذَا الْخُرُوكَةُ ،
وَرَأَحِبُ الْأَحْلَاطِ ، وَطَابَتِ الْعَيْنُ وَأَفْرَهُ ، أَعَدَّ الْمَعْرِفَةَ وَبَوَّغَتْ عِنْدَ قُصُولِهِ نَوَاقِفَ
مَنْ يَكُونُ وَزْنَ طَمَعِهِ فِي السَّلَامَةِ أَمْصَصَ مِنْ رِيحِ حَوْفِهِ مِنَ الْحَبِّ . وَهِيَ مَعِيَ قَوْلُ
السَّامِعِ

إِنَّ الْحَلَبَ مِنْ الْقُوَّةِ حَلَوُهُ حَتَّى كَوَى بِهِ عَيْنِي وَكَارَ

ويُفَعِّلُ عَيْنَهُ فِي الْمَلِكِ "يُكَلِّمُهُ رَجُلًا" - أَيْ أَيْدِيهِ مَعْرِي
 مِنْ أُخْرَى قَوْلِهِ "وَأَمَّا أَهْلُ صِلَاحِهِ" - وَأَمَّا أَهْلُ صِلَاحِهِ
 وَيُكَلِّمُ أَنْصَارَهُ - أَيْ يَكَلِّمُهُمْ بِأَمْرِهِمْ - وَيُكَلِّمُهُمْ بِأَمْرِهِمْ

عشرة أسواط فيضربُ مائة، لانه ابتدا الضرب وهو ساكن الطباع فأراه السكون أن الصواب في الإقلال، فلما ضرب تحرك دمه فأشاع فيه الحرارة وزاد في غضبه، فأراه الغضب أن الرأي في الإكثار؛ وكذلك صاحب القلم، لما أكثر من ابتدئ الكتاب وهو يريد مقدار سطرين فيكتب عشرة. والحفظ مع الإقلال أمكن، وهو مع الإكثار أبعد.

واعلم أن العاقل إن لم يكن بالمشبع فكثيراً ما ينتر من ولده ويحسن في عينه منه القبيح في عين غيره، فليعلم أن لفظه أقرب إليه نسباً من ابنه، وحركته أمش به رجا من ولده؛ لأن حركته شيء أحدثه من نفسه وبذاته، ومن عين جوهره فصلت، ومن نفسه كانت، وأما الولد كالخطئة يمتخطها، وكالتخامة يذفها، ولا سواء إخراجك من نفسك شيئاً لم يكن منك، وإظهارك حركة لم تكن حتى كانت منك؛ ولذلك نجد فتنة الرجل بشعره وقتنه بكلامه وكتبه، فوق ثنته بجميع نعمته.

وليس الكتاب إلى شيء أحوج منه إلى إفهام معانيه حتى لا يحتاج السامع بما فيه إلى الروية فيه. ويحتاج من اللفظ إلى مقدار يرتفع به عن ألفاظ السفلة والحشو، ويحطه عن غريب الأعراب، ويوحش الكلام. وليس له أن يهذب جدّاً ويُنقحه ويصقيه ويُرّقه حتى لا ينطق إلا باللبّ والسّر، واللفظ الذي قد حذف فضوله وتفرّق زوائده، حتى عاد خالصاً لا شوب فيه؛ فإنه إن فعل ذلك لم يفهم عنه إلا بأن يتحدث لهم إفهاماً وتكراراً، لأن الناس كلهم قد تعودوا البسوط من الكلام، وصارت أفهامهم لا ترد على عاداتهم إلا بأن تعظم دأباً، وتؤخذ بساً؛ ألا ترى أن كتاب المنطق الذي قد وسم بهذا الاسم أو قرأه كل جميع خفايا الأرواح والأفكار، لما فيه من أكثره؛ وفي كتاب إقليدس، كلام بهور بهور، يردّ ويذهب، من مذهب من مذهب، من أصول من أصول، من أفعمة من أفعمة، إلا بأن يفهمه من يريد بعينه؛ لا ينتاج أن يكون قد مرّ به الأعراب، وعود اللفظ المنطوق الذي استخرج من جميع الكلام.

وقد قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما لصحار العبدى : ما الإيماز ؟ قال أن نجيب فلا تبطل ، وتقول فلا تخطئ ؛ قال معاوية : أو كذاك تقول . قال صحار : أظني يا أمير المؤمنين ، لا تخطئ ولا تبطل . فلو أن سالك عن الإيماز قلت : لا تخطئ ولا تبطل وبحضرتك خالد ابن صفوان لما عرّف بالبدية وعند أول وهلة أت قولك لا تخطئ مضمن بالقول ، وقولك لا تبطل مضمن بالجواب . وهذا حديث — كما ترى — قد ارتضوه ورووه ؛ ولو أن قالنا قال لبعضنا : ما الإيماز ؟ اظننت أنه كان سيقول الاختصار والإيماز ، ليس ينبغي به قلة عدد الحروف واللفظ . وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما يسمع بطن طومار فقد أوجز ، وكذلك الإطالة . وإنما ينبغي أن يحذف بقدر ما لا يكون سببا لإغلاظه ولا يردّد وهو يكفى في الإفهام بسطره ، فما فضل من المقدار فهو الخطل .

وقلت لأبي الحسن الأخفش : أنت أعلم الناس بالنحو ، فلم لا تجعل كتبك مفهومة
كلها ؟ وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها ، وما بالنا تقدم بعض المويص وتؤخر بعض
المفهوم ؟ قال : أنا رجل لم أضع كتبى هذه فقه ، وليست هى من كتب الدين ، ولو وضعتها
هذا الوضع الذى تدعونى إليه قلأت حاجاتهم إلى فيه . وأما غايى المألة ، فإذا أضع
بعضها هذا الوضع المفهوم استدعوا حلالة ما نعيموا إلى التماس فهمه ، لم يفهموا . وأما
قد كسبت فى هذا البدير اذ كنت إلى التكبب دحبه ، والى ما بل براسم النظام رفلان
وفلان يكتبون الكتب لله بزعمهم ، ثم أحدهما من . موافقه بحسن ذرر يشذ عن عيانه .
فلا يفهم أكثرها ؟

وأقول أما أن وصف السخفي كـ... مـ... حـ... سـ... ربيعة
مـ... نـ... فاعلم أنهم يتقدموا إليه وجنوداً ويا رب...
ذلك خطلاً ولغوياً وإليك في عشر أسئلة... ربيعة

وجَهلاً بالسياسة وما يصلح لكل دهر؛ ووجدنا الناس اذا خطبوا في صلح بين العشائر
أطالوا ، وإذا أئسدوا الشرع بين الساطين في مدح الملوك أطالوا؛ فلا إطالة موضع وليس
ذلك بحط، والإقلال موضع وليس ذلك من عجز .

ولو لا أني أتكل على أنك لا تمل بلب القول في البير حتى تخرج الى القيل، وفي الذرة
حتى تخرج الى البعوضة ، وفي العقرب حتى تخرج الى الحية، وفي الرجل حتى تخرج الى
المرأة، وفي الذبان والنمل حتى تخرج الى الغربان والعقبان ، وفي الكلب حتى تخرج الى
الديك، وفي الذئب حتى تخرج الى الضبع، وفي الظلف حتى تخرج الى الحافر، وفي الحافر
حتى تخرج الى الخف ، وفي الخف حتى تخرج الى البئرث ، وفي البئرث حتى تخرج
الى الخلب؛ وكذلك القول في الطير وطامة الأصناف ، رأيت أن ذلك يُوجب الملل،
ويُغيب الفترة الساعية من البلوغ في الفهم ، وتُعرف ما يُحتاج منه الى التعرف، فرأيت أن
جملة الكتاب وإن كثر عدد ورقه، أن ذلك ليس مما تمل من كثرة قراءته أبدا وتعتد على
فيه بالإطالة ، لأنه وإن كان كتابا واحدا فإنه كُتب كثيرة، وكل مصحف منها أم على
حدة . فإن أراد قراءة الجميع لم يكل عليه الباب الأول حتى يهجم على الثاني ، ولا الثاني
حتى يهجم على الثالث ، فهو أبدا مُستفيد ومُستطيرف ، وبعضه يكون جاما لبعض ،
ولا يزال نشاطه زائدا ، ومتى خرج من آي القرآن صار الى أثر ، ومتى خرج من أثر
صار الى خبر، ثم يخرج من الخبر الى شعر، ومن الشعر الى نوادر، ومن النوادر الى حكم
عقلى ومقاييس سداد ، ثم لا يترك هذا الباب فلعله أن يكون أثقل، والملاذ الى أمرع،
حتى يُفصى به الى مزج وكهاة والى سُخف وخرافة . ولست أراه سُخفاً إذ كنت إنما
استعلمات سيرة الحكماء ومأذبة العلماء ، ورأينا الله تبارك وتعالى اذا خاطب العرب
والأعراب فخرج الكلام مُخرج الإشارة والوحي والحسد ، واذا خاطب بنى إسرائيل
نوحى عنهم جده ، بسوطا يزدادى الكلم . فاهـوب العمل اتباع آثار العلماء والاحذاء

على مثال القدماء ، والأخذ بما عليه الجماعة . وقال ابن يسير في صفة الكتب في كلمة له :

أقبلت أهرُب لا ألو مُبَاعَدَةً * في الأرض منهم فلم يُخَصِّنِي الحَرْبُ
 يَقْضِرُ أَوْسٍ لَهَا وَالَّتِ خَنَادُهُ * إلى التَّوَارِيسِ فَاَلْمَاخُورُ فَالْمَرْبُ
 فَأَيُّمَا تَوَكَّلَ مِنْهَا أَحْصَسْتُ بِهِ * مِنْ وَرَائِي حَيْثُمَا مِنْهُمْ الطَّلَبُ
 لَمَّا رَأَيْتُ بَأْسِي غَيْرَ مُعْجِزِي * قَوَاتِي وَلَا مَرْبًا قَزَبْتُ أَحْتَجِبُ
 وَصِرْتُ فِي الْبَيْتِ مَسْرُورًا بِهِ جَذَلًا * جَارًا لِيَوَّةَ لَا شَكْوَى وَلَا شَغَبُ
 فَرَدًّا تَحْدِثُنِي الْمَوْتُ وَتَنْطَلِقُ لِي * عَنْ عِلْمٍ مَا غَابَ عَنِّي مِنْهُمْ الْكُتُبُ
 هُمْ مُؤَنِّسُونَ وَأَلَافُ حَبِيتُ بِهِمْ * فَلَيْسَ لِي فِي أَنْيْسٍ غَيْرُهُمْ أَرْبُ
 قِيَّةً مِنْ جُلَسَاءٍ لَا جَلِيسُهُمْ * وَلَا عَشِيرُهُمْوُ لِلْسُّوءِ مُرْتَقِبُ
 لَا بَادِرَاتٍ الْأَذَى يَحْتَسِي رَفِيقُهُمْ * وَلَا يُلَاقِيهِ مِنْهُمْ مَنْطِقُ ذَرْبُ
 أَبْقُوا لَنَا حِكْمًا تَبَقَى مَنَافِعُهَا * أَنْتَرَى أَلْيَالِي عَلَى الْأَيَّامِ وَأَنْتَسَعِبُوا
 فَأَيُّمَا أَدَبٍ مِنْهُمْ مَدَدْتُ يَدِي * يَوْمًا إِلَيْهِ قَدَانٍ مِنْ يَدِي كُتُبُ
 إِنْ شِئْتُ مِنْ مُحْكَمِ الْأَثَارِ يَرْفَعُهَا * إِلَى النَّبِيِّ هَاتِ بِرَّةٍ يُجِبُ
 أَوْ شِئْتُ مِنْ عَرَبٍ عَلِمًا بِأَوَّلِهَا * فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْتَبَيْتَنِي بِهِ الْعَرَبُ
 أَوْ شِئْتُ مِنْ سِيرِ الْأَمْلَاقِ مِنْ عَجْمٍ * تُنْبِي وَتُخْبِرُ كَيْفَ الرَّأْيِ وَالْأَدَبُ
 حَتَّى كَأَنِّي قَدْ شَاهَدْتُ عَصْرَهُمْوُ * وَقَدْ مَضَتْ دُونَهُ مِنْ دَهْرِهِمْ حَقَبُ
 يَا قَاتِلًا قَصُرْتُ فِي الْعِلْمِ نَيْبُهُ * أُنْسَى إِلَى الْجَهْلِ فَيَا قَالِ يَتَنَسَّبُ
 إِنْ الْأَوَائِلَ قَدْ بَانُوا بِعِلْمِهِمْ * خِلَافَ قَوْلِكَ قَدْ مَاتُوا وَقَدْ ذَهَبُوا
 مَا مَاتَ مِنَّا امْرُؤٌ أَبَقَ لَنَا أَدَبًا * يَكُونُ مِنْهُ إِذَا مَا مَاتَ كُنْكَسُ

وقال أبو وجرة وهو يصف صحيفة كتبت له فيها بستين وسقا :
 راحت بستين وسقا في حقيقتها * ما حلت حملها الأدنى ولا السندا
 ولا رأيت قلوفا قبلها حملت * ستين وسقا ولا جابت بها بلدا

وقال الرازي :

تعلّم أن الدواة والقلم * تتحق ويغني حديث النهر النعم

يقول كتابك الذي تكتبه عليّ يبقى فتأخذني به وتذهب غنيّ فيما يذهب . وما يترك عليّ
 قمع الكتاب أنه لولا الكتاب لم يحز أن يعلم أهل الرقة والموصل وبقّاد وواسط ما كان
 بالبصرة وحدث بالكوفة في بياض يوم ، فتكون الحادثة بالكوفة غنوة فيعلمها أهل البصرة
 قبل المساء .

وذلك مشهور في الحسام الهدى : انا جعلت برّدا قال الله جلّ وعزّ ، وذكر سليمان
 ومملكه الذي لم يؤت أحدا مثله ، فقال : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُنْدُكَ ﴾ إلى
 قوله : ﴿ أَوْ لَا ذُبْحَنُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ . فلم يلبث أن قال الهنّود : ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ
 سَبَإٍ بِنَاءٍ يُقِينُ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهَذَا عَرْشُ عَظِيمٍ ﴾ .
 قال سليمان : ﴿ أَذْهَبَ يَكْغَابِ هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ﴾ وقد كان عنده من يبلغ الرسالة على تمامها من
 غفريت ومن بعض من عنده علم من الكتاب فرأى أن الكتاب أبهى وأنبّل وأكرم وأنعم وأنعم
 من الرسالة عن ظهر لسان وإن أحاط بجميع ما في الكتاب . وقالت ملكة سبأ : ﴿ يَا أَيُّهَا
 الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ فهذا مما يدل على قدر اختيار الكتب وقد يريد بعض
 الحيلة الكبار وبعض الأدباء والحكماء أن يدعو بعض من يجرى مجراه في سلطان أو أدب إلى
 مآذبة أو ندام أو خروج إلى منتهى أو بعض ما ينسب ذلك ، فلو شاء أن يلقاه الرسول إرادته
 ومعناه لأصاب من يحسن الأداء ويصدق في الإبلان فيرى أن الكتاب في ذلك أسرى
 وأنه وأبلغ ولو شاء النبي صلى الله عليه وسلم ألا يكتب الكتب إلى كسرى وقيصرو والنجاشي

وَالْمُقَوِّسَ وَإِلَى بَنِي الْحُلَيْدِ وَإِلَى الْعَبَّاسَةِ مِنْ حَمِيدٍ وَإِلَى هَوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ وَإِلَى الْمُلُوكِ الْعَظَمَاءِ وَالسَّادَةِ النَّجَبَاءِ لِفَعْلٍ وَلَوْ جَدَّ الْمُبْلَغُ الْمَعْصُومُ مِنْ الْخَطَاِ وَالتَّبْدِيلِ ، وَلَكِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلِمَ أَنَّ الْكَتَابَ أَشْبَهَ بِتِلْكَ الْحَالِ ، وَأَلْبَقِيَ بِتِلْكَ الْمَرَاتِبِ ، وَأَبْلَغَ فِي تَعْظِيمِ مَا حَوَاهِ الْكَتَابَ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ الْهَشَارَاتِ عَلَى الْأَلْسِنَةِ بِالْمُرْسَلِينَ وَلَمْ يُوَدِّعْهَا الْكُتُبَ لِفَعْلٍ وَلَكِنَّهُ تَعَالَى وَعَزَّ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ أَنْفَرُ وَأَكْلَرُ ، وَأَجْمَعُ وَأَنْبَلُ ؛ وَقَدْ يَكْتُبُ بَعْضُ مَنْ لَهُ مَرْتَبَةٌ فِي سُلْطَانٍ أَوْ دِيَانَةٍ إِلَى بَعْضٍ مِمَّنْ يَسَاكُلُ أَوْ يَتَحَرَّى عِجْرَاهُ فَلَا يَرْضَى بِالْكَتَابِ حَقَّ يَحْزِمُهُ وَيَحْتَمُهُ ، وَرَبَّمَا لَمْ يَرْضَ بِذَلِكَ حَتَّى يُعْتَنِيَهُ وَهُعْظُمُهُ .

قال الله جل وعز : **إِنَّمَا تَبَيَّنَ لِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى** ، فذكر **مُحَمَّدٌ** **مُوسَى** الموجودة **وَمُحَمَّدٌ** **إِبْرَاهِيمَ** البائدة المعدومة يُعَرِّفُ النَّاسَ بِمِقْدَارِ التَّضَعِ وَالْمَصْلَحَةِ فِي الْكُتُبِ . قالوا : وكانت فلاسفة اليونانية تَوَرَّثَ الْبَنَاتِ الْعَيْنَ وَتَوَرَّثَ الْبَنِينَ الدِّينَ ، وكانت تَصِلُ الْعِزَّ بِالْكَمَايَةِ وَالْمُؤْتُونَ بِالْكَافَةِ وكانت تقول : لا تَوَزِنُوا الْأَكْبَنَ مِنَ الْمَالِ إِلَّا مَا يَكُونُ عَوْنًا لَهُ عَلَى طَلَبِ الْمَالِ . وَأَغْذَوْهُ بِحَلَاوَةِ الْعِلْمِ وَأَطْبَعُوهُ عَلَى تَعْظِيمِ الْحِكْمَةِ لِيَصِيرَ جَمْعُ الْعِلْمِ أَظْلَبَ عَلَيْهِ مِنْ جَمْعِ الْمَالِ . وَابْتَدَأَ أَنَّهُ الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ ، وَأَنَّهُ أَكْرَمُ مُسْتَفَادٍ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ : لَا تَوَرَّثُوا الْأَكْبَنَ مِنَ الْمَالِ إِلَّا مَا يَسُدُّ الْخَلَّةَ ، وَيَكُونُ لَهُ عَوْنًا عَلَى دَرْكِ الْفَضُولِ . **إِنْ كَانَ لَا بَدَّ مِنَ الْفَضُولِ ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فَاسِدًا زَادَتْ تِلْكَ الْفَضُولُ فِي فَسَادِهِ ، وَإِنْ كَانَ صَالِحًا كَانَ فِيهَا أَوْرَثَمُوهُ مِنَ الْعِلْمِ ، وَبَقِيَتْ لَهُ مِنَ الْكَفَايَةِ مَا يَكْتَسِبُهُ الْحَالُ ، فَإِنَّ الْحَالَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَالِ ، وَلَئِنْ الْمَالُ لَمْ يَزَلْ تَابِعًا لِلْحَالِ ، وَقَدْ لَا يَتَّبِعُ الْحَالُ الْمَالُ ، وَصَاحِبُ الْفَضُولِ بَعَرَضَ فَسَادٍ وَعَلَى شَفَا إِضَاعَةٍ مَعَ تَمَامِ الْحِكْمَةِ وَأَجْتِنَاعِ الْقُوَّةِ ، فَسَاطَنُكُمْ بِهَا مَعَ غَرَارَةِ الْحَدَائِثِ وَسُوءِ الْإِعْتِبَارِ وَفُلَّةِ التَّجَرُّبِ !** وَكَانُوا يَقُولُونَ : خَيْرُ مِيرَاثٍ مَا كَسَبْتَ الْأَرْكَانَ الْأَرْبَعَةَ ، وَأَحَادُهَا : **بِأَصْلِهِ الْمُنْفَعَةُ وَبِغَلِّهَا الْعِلْمُ ، وَبِزَوَّاجَتِهَا الْإِتِّحَادُ مِنَ الْحَسَنَةِ ، وَأَعْطَاكَ حَاحِلُ الْفَقْرِ وَآحِلُ الْغِنَى ، وَظَلَامَةُ الرِّيَاضَةِ ، وَزَيْدُ تَبَيُّحِ ذَلِكَ بِأَكْرَامِ الْكُتُبِ الْغَيْبَةِ الْمُسْتَعْلَمَةِ عَلَى بَنَائِبِ الْعِلْمِ .** رَأَيْتُمْ هَذَا ؟ **الْأَدَبُ ،** «مَعْرِفَةُ الصَّنَاعَاتِ وَفَرَائِدِ الْإِرْفَاقِ -

ويجيب الذين الذى بصحته وعند وضوح برهانه تسكن النفوس وتتليج الصدور ، ويعود القلب معمورا ، والعز راحنا ، والأصل فسيحا ، وهذه الكتب هى التى تريد فى العقل وتُسحنه ، وتداويه وتصلحه ، وتهدبه وتنقى الخبث عنه ، وتهديك العلم وتصادق بينك وبين الحق ، وتؤدك الأخذ بالثقة وتجلب الحلال وتكسب المال . ووراثه الكتب الشريفة والأبواب الرفيعة منبهة للورث وكثر عند الوارث ، إلا أنه كثر لا يجب فيه الزكاة ولا حق السلطان . وإذا كانت الكنوز جامدة ينقصها ما أخذ منها كان ذلك الكثر مائلا يزيده ما أخذ منه ، ولا يزال بها المورث مذكورا فى الحكمة ومثوها باسمه فى الأسماء ، وإماما متبوعا ، وعلمنا متصوبا ، ولا يزال الوارث محفوظا ، ومن أجله محبوبا بمنوعا ، ولا تزال تلك المحبة نائمة ما كانت تلك الفوائد قائمة ولن تزال فوائدها موجودة ما كانت الدار دار حاجة ، ولن يزال من تعظيمها فى القلوب أثر ما كان من فوائدها على الناس أثر .

وقالوا: متى ورثته كتابا وأودعته علما فقد ورثته ما يقبل ولا يستغل ، وقد ورثته الضيعة التى لا تحتاج الى إثارة ، ولا الى سقى ، ولا الى إصلاح بايقار ، ولا الى شرط ولا تحتاج الى أكار ولا الى أن يثار ، وليس عليها عُسْر ولا للسلطان عليها تَرْج ، وسواء أفدته علما أو ورثته آلة علم ، وسواء دفعت اليه الكفاية أو ما يجلب الكفاية ، وإنما تجرى الأمور وتصرف الأفعال على قدر الإمكان ، فمن لم يقدر إلا على دفع السبب لم يجب عليه إحضار المسبب ، فكتب الآباء تحييب للأحياء ، ونحيا لذكر الموتى .

وقالوا: ومتى كان الأب جامعا بارعا وكانت موارينه كتبنا بارعة ، وآدابا جامعة ، كان الولد أجدر أن يرى التعلم خطأ وأجدر أن يسرع التعلم إليه ويرى تركه خطأ ، وأجدر أن يجرى من الأدب على طريق قد أنجح له ، ومنهاج قد وطئ له ، وأجدر أن يسرى اليه عرق من تجله وسقى من غرسه ، وأجدر أن يعمل بدل الطالب للكتب النظر فى الكتب ، فلا يأتى عليه من الآباء مقدار السمع بجمع الكتب . والاحتلاف فى سماع العلم ، إلا وقد بلغ بالكفاية غاية الحاجة وإنما تُفسد الكفاية من تمت آدابه ، وتوافت اليه أسبابه ، فأما

الحلث الثرير، والمتقوص الفقير، غير موارثه الكفاية الى أن يبلغ التمام، ويكمل للطلب .
غير ميراث ورث كتب وعلم، وغير المورثين من أورث ما يجمع ولا يفرق، ويصغر ولا
يُعمى، ويُعطى ولا يأخذ، ويحسود بالكل دون البعض، ويدع لك الكثر الذي ليس
للسلطان فيه حق، والركاز الذي ليس للفقراء فيه نصيب، والنعمة التي ليس للعاسد فيها
حيلة، ولا للصوص فيها رغبة، وليس تقصم عليك فيه حجة، ولا على الجار فيه مؤونة .

وأما ديمقراط فإنه قال: ينبغي أن يعرف أنه لا بد من أن يكون لكل كتاب علم وضعه
أحد من الحكماء ثمانية أوجه، منها الهمة والمنفعة، والنسبة والصحة، والصنف والتأليف،
والإسناد والتدوير، فأولها أن تكون لصاحبه همة، وأن يكون فيها وضع منفعة، وأن يكون له
نسبة ينسب إليها، وأن يكون صحيحا، وأن يكون على صنف من أصناف الكتب معروفاته،
وأن يكون مؤلفا من أجزاء تحسم، وأن يكون مُسندا الى وجه من وجوه الحكمة، وأن يكون
له تدوير موصوف . فذكر أن أبقراط قد جمع هذه الثمانية الأوجه في هذا الكتاب وهو
كتاب الذي يُسمى «أثوريسموا» تفسيره: كتاب الفصول . وقولك وما بلغ من قدر الكلب
مع لوم أصله، وخُبث طبعه، وسقوط قدره، ومهانة نفسه، ومع قلة خيره وكثرة شره،
وأجتماع الأهم كلها على استسقاطه واستسفالها، ومع ضربهم المثل في ذلك كله به، ومع
حاله التي يعرف بها من العجز عن صولة السباع، واقتدارها، ومن تمتعها وتشرفها
وتوحشها، وقلة إسماعها، وعن مسالة البهائم وموادعتها، والتمكين من إمامة مصلحتها،
والانتفاع بها، إذ لم يكن في طبعها دفع السباع عن أنفسها، ولا الاحتياط لمعاشها، ولا
المعرفة بالمواضع الحريزة من المواضع المخوفة . ولأن الكلب ليس بسبع تام ولا بهيمة تامة
حتى كأنه من الخلق المركب، والطبائع الملققة، والأخلاق المختلطة، كالبلبل المتلون في أخلاقه
الكثير العيوب المتولدة عن مزاجه، وشر الطبائع ما تجاذبه الأعراق المتضادة والأخلاق
المتفاوتة، والعناصر المتباعدة، كالراعي من الحمام الذي ذهب عنه هداية الحمام، وشكل
هديره وسرعة طيرانه، وبطل عنه غمر الورشان، وقوة جناحه، وشدة عصبه، وحسن

صوته، وشجا حليته، وشكل لحونه وشدة إطرابه، وأحتماله لوقع البنادق، وبرج الخالب.
وفي الراعي أنه مُسرول مُتعل، وحدث له عظم بدن وقيل وزن لم يكن لأبيه ولا لأمه.
وكذلك البغل خرج من بين حيوانين يلدان حيوانا مثلهما ويميش نتاجهما ويبقى بقاءهما،
وهو لا يميش له ولد وليس بقم، ولا يبقى للبغلة ولد وليس بعافر؛ فلو كان البغل عقيما
والبغلة عافرا لكان ذلك أزيد في قوتها وأتم اشتها، فع البغل من الشبق والتعظ ما ليس
مع أبيه، ومع البغلة من الشوس وطلب السفاد ما ليس مع أمها؛ وذلك كله قدح في القوة
وقص في البنية، وخرج غرمولُه أعظم من غراميل أعمامه وأخواله، فترك شبههما ونزع
إلى شيء ليس له في الأرض أصل، وخرج أطول عُمرًا من أبويه وأصبر على الانتقال من
أبويه؛ أو كابن المذكرة من النساء، والمؤنث من الرجال، فإنه يكون أخبث نتاجا من البغل
وأفسد أعراقا من السبع، وأكثر حيوبا من العسبار، ومن كل خلق خلق إذا تركب من
ضد، ومن كل شجرة مُطعمة بخلاف؛ وليس يتعري مثل ذلك الخلاسي من الدجاج،
ولا الورداني من الحمام؛ وكل سَعَف دخل على الخلفة. وكل رقة عرّضت للحيوان، فلي
قدر جنسه وعلى وزن مفداره وتمكنه يظهر العجز والعيب. وزعم الأحمسي أنه لم يسبق
الحلبة فرس أحقر قط. وقال محمد بن سلام لم يسبق الحلبة أبلق قط ولا بقاء.

والهداية في الحسام والقوة على بعد النفاية إنما هي للصحة من الخضر . وزعموا أن
التيات كلها ضعف ونقص ، والثقة : كل لون يحمل على لون . وقال الله حل وعز : (قَالَ إِنَّهُ
يَقُولُ إِنَّمَا يَقْرَأُ دَوْلَ دِيرِ الْأَرْضِ) نسق الحرب مُسَمَّه لَاتِيَهَ فَيَأْكُلُ . وزعم عثمان
ابن الحَكَم أَنَّ بَرَّ - كَرَمَ - أَمْرَسَ - أسرا حال إليه وأرد خصال أنه فنجتمع

(١) صبح كيه امير و... والى الصالح المهدى ... من اصعب وهو صبح مركب فيه ستة الصبح
وفوقه وحرة اشد وجهه راسه ... من ان لا يرى ... (٢) السابك كبر العلى والمسلمين
السابقة في ذي حسانه ... من ان لا يرى ... (٣) الامير ... من ان لا يرى ...
... من ان لا يرى ... (٤) الورداني

دوره اليه ... ترجمه ...

فيه عظام الدواهي وأحيان المساوي، وأنه اذا خرج كذلك لم يُجْع فيه أدب ولا يَطْمَع في علاجه طيب، وأنه رأى في دور تقيف قتي أجمعت فيه هذه الخصال، فما كان في الأرض يوم ألا وهم يتخذون عنه بشيء يصغر في جنبه أكبر ذنب كان ينسب اليه .

وزعمت أن الكلب في ذلك كالخنثى الذي هو لا ذكر ولا أنثى، أو كالخبيث الذي لما قُطِع منه ما صار به الذكر لخلا خرج من حد كمال الذكر في فقدان الذكر، ولم يكمل لأن يصير أنثى للفرزة الأصلية وبقية الجوهرية؛ وزعمت أنه بصير كالنبيذ الذي يفسده إفراط الحز، فبخيرجه من حد الخلل، ولا يدخله في حد النبيذ . وقال مرداس بن خذام :

سَقِينَا عَقَالًا بِالنَّوِيَةِ شِرْبُهُ * قَالَتْ بُلْبُ الْكَاهِلِي عِقَالٍ
قُلْتُ اصْطَبَحْتُهَا يَا عِقَالُ فَإِنَّمَا * هِيَ الْخَمْرُ خَيَّلْنَا لَهَا بَحْيَالٍ
رَمَيْتُ بِأَمِّ الْخَلِّ حَبَّةَ قَلْبِهِ * فَلَمْ يَنْعِشْ مِنْهَا ثَلَاثَ لَيَالٍ

بجعل الخمر أم الخلل قد يتولد عنها ، وقد ينولد عن الخلل اذا كان خمراً مرة الخمر .

وقال سعيد بن وهب

هَلَّا وَأَنْتَ بِمَاءٍ وَجْهَكَ تُسْتَهِي * رُودُ الشَّبَابِ قَلِيلُ شَعَرِ الْعَارِضِ
فَالْآنَ حِينَ بَدَتْ بِخَدِّكَ لِحْيَةٌ * دَهَبَتْ بِمِلْحِكَ مَلءَ كَفِّ الْقَابِضِ
مَسَلَّ السَّلَامَةُ عَادَ خَمْرُ عَصِيرِهَا * بَعْدَ الْإِلْهَانَةِ خَلَّ خَمْرُ حَامِضِ

وبصير أيضا كالشعر الوسط والغناء الوسط ، والنادره الفائرة التي لم تخرج من الحز الى البرد فتضحك السن ولم تخرج من البرد الى الحز فتضحك السن .

باب الرسائل

١ - الفصول المختبة من الرسائل المختارة في كل فن^(١)

كتب رجل الى صديق له .

إن أبائك شادوا أكارهم بالفضائل التي كانت فيهم ، وإنك قد كنت أخذت في مَدْرَجَتِهِمْ فأوفيتَ على غايتهم ، ثم اختلجك الهوى ببعض جِدِيلِكَ وجودك ، من لباس فضلك الذي كنتَ تطول به على أكفائك ، وتملك به أحنة كافة جنودك ، وألقيت مالك على شرِّ عواقبه طيلك لا لك إن زلت مكاره بوادره عنك .

فصل - قيل : إن مروءة الرجل في نفسه تَسْبُ لقوم آخرين ، فإنه إذا فعل الخير عُرف له ، وبقي في الأعقاب والأصحاب ، ولقيَّه يوم الحساب .

فصل - إن حقَّ الله على المسلمين أن ينظروا في دينهم بالنصيحة لأئمتهم ، فإن الأئمة إذا صلحوا بُدِّل الهوى بالتقوى في قلوبهم ، وماتت سورة الغضب فيهم لأحلامهم ، وسكنت العائمة الى علم وذات الإنصافهم . وإذا كان للحسن من الحق ما يُقنعه ، وللظالم من التكبر ما يَقمِّعه ، بذل المحسن الحق عليه رغبةً ، وذلل المسيء بالحق عليه رهبةً . فأقول ما أمرك به رجاء الله وتقواه . فأما رجاءه فإن تحسَّن به في الصنيع إذا أطلعتَه ، ويكون لك وقاية إذا آترته مطمئنا . وأما تقواه فإن تكون له فيها أمرك به ونهاك عنه مُراقِباً ، فإن قِيَّة المؤمن تزيد في أنسراح صدره ، وإن شدة خوفه تَرَدُّ هواه على عقله .

(١) سلاحي أخبار المرد والروشن ص ٥٠ .

(٢) ايجية : جامعة راحة بالعريقة .

فصل - تثبه اذا بُهت، واذا كرا اذا كُرت، وانتفع فقد وُعِظت، وأسمع فقد نُوديت، نهبك الوعيد، وحذرك الزاجر، وأمرك ونهاك الكتاب، ونعتك آثار الموت، ودماك الى الجنة مليء جواد، فالخذ الحذ، فقبل المهجرة يُريح المذلج .

فصل - ما نظرتُ في معروفٍ عند أحدٍ، فوجدته قَصُرَ عن أمله وكان يمكنني أن يكون أكثر منه، إلا عدته سيئة لي عنده، لاني ذوقته ما أحب، ثم منعتُه إياه، وكأني قصدتُ لإشخاص قلبه . ولا نظرت في معروفٍ عند أحد فوجدته قد تنهى عند تنهى أمله وكان يمكنني أن يكون أكثر منه، إلا رأيته في ذلك وارتأى لنفسى، لأنه كفى عييا لها وإزراء بها، أن أقنع ... فضل تقضه بمثل ما أقنع رجلا من فضل يتخذ عليه .

فصل - ما أنتَ بمن يعلم من جهل به، ولا تحس منه بادرة ذلة، ولا يقابل بين أمرين إلا عَرَفَ خيراها قاتره، وشرها فاجنبه . وقد رأيت ما ساقط اليك الطاعة من حظ العاجلة، فلا تتعرض لزوال ما أنت فيه، فتخسر الحظين، وتندم في الدارين؛ فقد رأيت من طأند الحق كيف صرعه الله وبسط يد وليه على سفك دمه، وإحلال النعمة به، فصار بعد أن كان في الأمانة مثلا، وجميع الخلق غاية وأملا، فكرة في الاعتبار، وعظة للأبصار . فلا يُبعد الله إلا من ظلم وحقّر، وذهب عن الحق وأدبر . وأنت اليوم مُحْكَمٌ في أمرك، مخير في رأيك، تُدعى الى حظك بالخط الجزيل بتدليل . فاهتبل ما قد هدَفَ لك وهو مُمكن ليدك، فإنك إن أهملت وتراخيت . لم يكن بالحق ووليته وحشة اليك، ومضت أحكام الله في نصرها وتأبيدها على أذلالها^(١) . وصِفرت يوك بما لا يُسرف لك بمثله، وأخطرت بدمك وأسفته أخبت مسيل وأضل سبيل، حيث لا تنبكي عليك السماء والأرض .

(١) باض في الأصل . ولله : أن أقنع حتى بفعل اتعده بمثل ما أقنع رجلا اح .

(٢) على أذلالها : على وجوها وطرقها .

فصل — الناس رجالان : عالم لا يخفى به عن الازدياد ، وجاهل به أعظم الحاجة الى التعلم ، وليس في كل حال يكون العالم لما يتلوه من الأمور مُعَدّاً ، ولا المتعلم على ما يستفيد منه قادراً وقيّاً .

فصل — إن أنت عطَلْتنا من أمورك ، وأعفَيْت ظهورنا من أهالك ومؤونتك ، وتركنا أغفالا في ولايتك من سبيلك ومحريكك ، فقد أزلتنا منزلة من لا خير عنده ، وجعلت نفسك أسوة من لا يُعِين له ، وكفى بذلك ظلما .

فصل — إن إعلامي إياك ... غير محمّد شيئا ^(١) ، ولكنه أقرب من الجليل في معرفة عذر المعتذر ، وأجل للأمة على المسيء المقصر .

فصل — الذي أعتمدنا عليه من رأيك ، ونثق به من جميل نظرك ، قد خلطنى بأهل صنائعك ، والخاصة من ثقاتك ، وبسط أمل فيك الى غاية خير يُرجى ، أو جزيل حفظ يُؤمل .

فصل — ليس يسوغ لأحد في الأمير أمل ، ولا يتوجه اليه منه رغبة ، ولا يلزمه في قضاء حقه ، ودفاعة مؤنته إلا وفضله مستغرق لها ^(٢) .

فصل — من أحد الأمور وأجل المذاهب ، ما كان آخره موصولا بأوله ، ومؤدياً بثؤه الى حمد طاقته ، لحافظ على الأمور التي حَسُنَ فيها عند أمير المؤمنين أثرك ، مستقلاً فيها لكثير ما يكون منك ، مُعْتَدّاً بها في النعم عنده ، والإحسان الواصل اليك ، فيما يوفقك الله له منها ويخصك به من الفضل في اختيارها ، وأمير المؤمنين يستحفظه الله لك ، ويستتممه في النعمة فيك .

فصل — قد كان يجب أن تجعلنا بتابعة النعم علينا في خاصة الشاكرين لفضلك ، ولا تجعلنا بتواتر الإساءات اليها في عادة الشاكرين لك .

(١) يامر في الأصل . وليس الكلمة المروكة «بحاجتي» . والطاهر أن كلمة «محمّد» محزنة من كلمة «مجد» .

(٢) كما بالأصل .

فصل — مِلِّي بِمَا بَنَى اللَّهُ عَلَيْهِ أَخْلَاقَ الْأَمِيرِ أَكْرَمَهُ اللَّهُ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ رَأْيَهُ فِي بَسْطِ الْمَدَلِّ عَلَى رَعِيَّتِهِ ، وَبَثَّ الْفَضْلَ عَلَى مُتَمَسِّحِي فَضْلِهِ ، يَبْعَثُنِي عَلَى الْكَتَابِ فِي مِثْلِ مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِ فِيهِ ، مِنْ ظُلَامَةِ مَظْلُومٍ يَسْتَعِيزُ فِيهَا بِعَدْلِهِ ، وَحَاجَةِ مَلْهُوفٍ يَرْجِعُ فِيهَا إِلَى فَضْلِهِ ؛ فَأَجْعُ إِلَى مَا أَتَمَسُّ مِنَ الثَّوَابِ فِي ذَلِكَ مُوَافَقَةً لِرَأْيِ الْأَمِيرِ ، وَإِذْ كَارَهُ مَا يَجِبُ أَنْ يَذْكُرَهُ ؛ فَزَادَ اللَّهُ الْأَمِيرَ مِنْ نِعَمِهِ ، وَأَوْزَعَهُ مِنَ الشُّكْرِ عَلَيْهَا مَا يُوجِبُ لَهُ تَتَابُعَهَا عِنْدَهُ ، وَتَرَادُفَهَا لَهُ .

فصل — أَنْتَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِنْ أَحْتَمَلِ الصَّنِيعَةِ ، وَقَبِلِ الْأَدَبِ ، وَصَدَّقِ الْخَيْلَةَ وَخَلَّصَ عَلَى الْإِحْنَةِ وَحَسَنَ الْفَنِّ ؛ فَاسْتَقَامَتْ طَرِيقَتُهُ وَقَدِمَهُ جَمِيلُ مَذْهَبِهِ وَأَثَارِهِ ، وَجَرَتْ عَلَى قَصْدِ السَّبِيلِ طَاعَتُهُ ، وَأَشْتَدَّتْ عَلَى السَّرِيرَةِ وَالْمَلَانِيَةِ مَنَاسِحَتُهُ ؛ فَأَصْبَحَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتَنَاهَى فِي بِرِّكَ وَتَكْرِمَتِكَ ، إِلَّا رَأَاكَ مُسْتَحَقًّا لَهَا وَلَيْسَ فَوْقَهَا ، وَلَا يَرْفُكُ إِلَى دَرَجَةِ إِلَّا رَأَاكَ أَهْلًا لِأَشْرَفِ مَنَاهَا ، صُنْعًا مِنْ اللَّهِ لَكَ بِمَا وَقَفَّكَ لَهُ مِنْ طَاعَتِهِ ، وَوَهَبَ لَكَ مِنْ جَمِيلِ مَرَاتِبِهِ ، وَالْمَكَانِ مِنْهُ وَالْأَثَرِ عِنْدَهُ .

فصل — فَضْلُ مِشَارَكَتِنَا إِيَّاكَ فِي مَحْبُوبِ الْأُمُورِ وَمَكْرُوهِهَا يَجْعَلُنَا فِي السُّرُورِ بِالنِّعْمَةِ عِنْدَكَ — بِفَتْحِهَا اللَّهُ لَكَ — وَيُوجِبُ الشُّكْرَ بِمَا يَكُونُ لِحَقِّهَا قَاضِيًا ، وَلِلزَّيْدِ فِيهَا مُوجِبًا .

سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ — شُغْلُكَ يَقْطَعُنَا عَنْ مَطَالِبِكَ بِالْحَقِّ فِي جَوَابَاتِ كُتُبِنَا إِلَيْكَ ، وَصَدَقَ مَوَدَّتُنَا لَكَ يَمْنَعُنَا مِنَ التَّقْصِي فِي الْجَمَّةِ عَيْنِهِ . وَمَنْ يَكُنْكَ أَنْ رَأَيْتَ فَوَاقَهُ لَا يَفِي بِكَ إِلَّا لَكَ ، صَلَةُ إِخْوَانِكَ وَالْعَاهِدِ لَمْ مِنْ بِرِّكَ ، بِمَا يُنْسِبُهُ فَضْلُكَ وَالنِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ فَيْكَ .

وَفَلَانُ بَنِي وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ أَقْبَمَهُ بِهَا عَلَى الْأَخْوَةِ ؛ لِأَنَّ بَيْنَهُمَا قَرَبٌ مَا بَيْنَ الْمَوَدَّةِ وَالْقَرَابَةِ ، وَقَدْ بَلَّوْهُ عَلَى الْحَالَاتِ كُلِّهَا ، فَلَمْ يَزِدْنِي اخْتِبَارَهُ إِلَّا اخْتِيَارًا لَهُ ؛ وَلَا أَعْلَمُ بِالْعَسْكَرِ جَلِيلًا إِلَّا وَهَوَى صَدِيقٍ ، يَشْكُرُ بِشُكْرِهِ وَيُوجِبُ عَلَى نَفْسِهِ الْمِنَّةَ فِيمَا آتَى إِلَيْهِ ؛ فَأَنَا مِنْ بَيْنِ إِخْوَانِهِ فَلَسْتُ أَعْدِلُ عَنْ قَضَاءِ حَقِّهِ ، وَلَا أَتَأَخَّرُ عَنْ مَعْرِفِ أَسَدِي . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ

تَحِيلُهُ بِالْهَلِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ بِنَفْسِهِ وَسَلَفِهِ ، فَوَاقَهُ مَا رَأَيْتُ سُوقَ الْإِحْرَارِ أَتَفَقَّ مِنْهَا عِنْدَكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ؛ أَيْقِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَقِيمِكُمْ وَرَحِمَ مَاضِيَكُمْ .

فصل — إِنَّ أَحَدًا لَيْسَ بِمُسْتَخْلَصٍ شَيْئًا مِنْ غَضَارَةِ عَيْشٍ إِلَّا مِنْ بَيْنِ خِلَالِ مَكَارِهِ ، فَمَنْ أُنْتَظِرَ بِعَاجِلِ الدَّرَكِ أَجَلَ الْاِسْتِقْصَاءِ سَلَبَتْهُ الْأَيَّامُ فُرْصَتَهُ ، لِأَنَّ مِنْ صِنَاعَتِهَا السَّلْبَ ، وَمِنْ شَرْطِ الزَّمَانِ الْإِقَاتَةَ .

فصل — إِنَّ الْأَمِيرَ قَدْ جَلَّ فَضْلُهُ عَنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ وَصْفٌ ، أَوْ يَأْتِيَ عَلَى تَعْدَادِهِ اجْتِهَادٌ ، فَلَوْ كَانَ شَيْءٌ أَكْثَرَ مِنَ الشُّكْرِ لَكَانَ الْأَمِيرُ يَسْتَحِقُّهُ عَلَيْنَا ، وَيَسْتَوْجِبُهُ مِنَّا .

فصل — قَدْ أَصْبَحَ الْمُخْتَلِفُونَ بِمَجْتَمَعِينَ عَلَى تَهْرِيفِهِ وَمُدْحِهِ ، حَتَّى إِنَّ الْعَدُوَّ يَقُولُ أَضْطَرَارًا مَا يَقُولُهُ الْوَلِيُّ اخْتِيَارًا ؛ وَالْبَعِيدُ يَتَّقِي مِنْ إِنْجَامِهِ طَيْنًا بِمَا يَتَّقِي بِهِ الْقَرِيبُ خَاصًّا .

فصل — الْمَائِلُونَ إِلَيْهِ بَيْنَ نَعَمٍ مُكْتَنِفَةٍ مِنْ تَأَلُّدٍ بِهِ يَسْتَدِيمُونَهُ ، وَطَارِفٍ مِنْهُ يَسْتَعِيدُونَهُ ، وَمَوَاهِبَ مُتَجَدِّدَةٍ ، وَفَوَائِدَ مُتَرَادِفَةٍ ؛ هِيَ مَهْسُوطَةٌ بِهِ إِلَى بَرَكَةِ أَيَّامِهِ ، وَطَوَّلُو حَظَّ^(١) مَنْ أَنْصَلَ بِهِ ، فَزَادَهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَزَادَ أَوْلِيَائَهُ بِهِ وَبِحِرْكَ دَوْلَتِهِ .

فصل — اعْتَمَدْتُ أَخَا لَا يُدَيِّمُ إِخَاؤُهُ ، وَلَا تُشْكِرُ أَحْوَالُهُ ، عَلَى بَعْدِ الدَّارِ وَقُرْبِهَا ، وَاتِّصَالَ الْمَكْتَبَةِ وَأَقْطَاعِهَا ؛ تَجِدُهُ مُتَصَرِّفًا مَعَكَ فِي الْخَطُوبِ الَّتِي يَطْرُقُ بِهَا الزَّمَانُ ، وَيَدَا لِكَ فِي الْأُمُورِ الَّتِي يُتَمَحَّنُ فِيهَا الْإِخْوَانُ .

فصل — أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْمِلَ مَا تَطُولُ بِهِ فِيهِ مِنَ الْجَلَالَةِ فِي الْقُلُوبِ وَالْعِيُونِ عِنْدَ الْوَلِيِّ وَالْعَدُوِّ مَوْصُولًا بِالْإِنْسَاءِ فِي مُدَّتِهِ ، وَالْإِدَامَةِ لِعَزِّهِ وَسَلَامَتِهِ ، وَالْأَعْلَاءَ لِيَدِهِ وَكَلِمَتِهِ .
أحمد بن يوسف — عِنْدِي فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، فَإِنْ كُنَّا مِنْ شَأْنِكَ فَقَدْ أَذْنَاكَ .

فِي صِفَةِ حَرْبٍ — كَانَتْ لَكُمْ الْكُرَّةُ ، وَعَلَيْهِمُ الدَّبَرَةُ ؛ فَعَمَلُوا حِمْلَةً كَاذِبَةً ، أَتْبَعْنَاهَا بِأُخْرَى صَادِقَةً .

(١) فِي الْأَسْبَابِ : رَحْمَةً ، وَاسْبِيحِي يَقْتَضِي مَا أُتْبِعَتْهُ .

فصل في هدية — قد أهديت اليك من فنون كلامي وعمون مقالتي، دقترًا ظريف المعاني، شريف المباني، صحيح الألفاظ، يلد بأفواه الناطقين، ويلين على أسماع الصامتين .

فصل في شفاعة — لفلان قبلك حاجة، ليس يحتاج فيها إلى مَعِدَتِكَ وَنَصَفَتِكَ المسوطين لمن لا يتوسل بمُطْعَمِكَ ومعرفتك، ولكنه يريد ما في ذلك العدل والإنصاف من الرفق والإحسان المُنْخُورِينَ لِلْخَاصَّةِ والإخوان .

فصل لرجل تميمي — ضَعُفَ حالي يدعوني إلى كثرة الطلب، ومَعْرُوقِي بجبل رأيك محجُزُني عن الإحلاح عليك، خوفًا أن أكون جاهلًا ببنائتك، وحسن نظرك، والكرم يستحي بعضه لبعض، ويبعث بعضه بعضًا، ودين حيلته الغير على العقود، فبعثه كرمه للنهوض، أودعاه هواء إلى المنع، بخامه عقله على البذل؛ وحالي جانحة لدى فضلك ونعمة الله عليك من سَدِّ حَتَمَتِها، ومداواة عِتَمَتِها بجاهك الواسع، وإرفدك النافع .

أحمد بن يوسف — قد بَدَّلَتْ لنا من نفسك أَعْرَضَ مَبْنُول وأَنْفَسَه ، والمودة التي كلما يُعْجَد من صاحبها، فهو لها نافع . وثَقَمْنَا بك واستنامتُنا إلى ناحيتك، على أحسن ما أؤكد الله بيننا وبينك . وإن كان مدى اللقاء بيننا لم يَطُلْ فَأَتَلْ منه ما يَرِثُهُ أَهْلُ الْوَفَاءِ والمخالصة، ويقصُر في المحافظة عليه وعلى أَكْثَرِ منه، من دَخَلَتْ نَيْتُهُ . وَضَعُفَتْ خُلَّتُهُ .

فصل — قد أَصْبَحَتْ لِلْخَاصَّةِ عُدَّةٌ، وللعامَّةِ عَصْمَةٌ، وللأنام نقة في مناصحتك .

فصل في الصفح لأبي علي — لَيْتَ الَّذِي قَرَطَ مِنْكَ ، وإن تجاوزَ مني ما أَرْضَاهُ لك، لم يَبْلُغْ ما يُفْضِيهِ عَلَيْكَ؛ وحيث انتهى ما يحالفني من قولك وفعلك، فإن وراءه تَعَمُّدًا مِنِّي لِإِسَاءَتِكَ وَصَفْحًا عَنْ زَلَّتْكَ ؛ فَإِنْ تَأَمَّنَا لَا تَحْكُكْ ، وَإِنْ يَسُوْ ظَنُّكَ فَإِنَّمَا نَحْتَاجُ إِلَى إِصْلَاحِهِ مِنْكَ .

أحمد بن يوسف — إلى إبراهيم بن المهدي في هدية استقلها :

بلغني استقلائك لي أَلْطَفَتُكَ، والذي نحن عليه من الأتس بهل علينا قلة الحشد لك في البر، فأهدينا هدية من لا يَحْتَسِمُ إِلَى مَنْ لَا يَفْتَنُ .

كتب عَقَّال بن شَبَّة — الى خالد بن عبد الله في شفاعته :

إِنَّ اللَّهَ اتَّجَبَكَ مِنْ جَوْهَرَةٍ كَرَمَ وَمَنِّتْ شَرَفَ، وَقَسَمَ لَكَ خَطَرًا شَعَرَتْهُ الْعَرَبُ وَتَحَدَّثَتْ بِهِ الْحَاضِرَةُ وَالْبَادِيَةُ، وَأَمَّا أَنْ خَطَرَكَ بِقُدْرَةِ مَبْسُوطَةٍ، وَمِثْلَةِ مَلْحُوظَةٍ، بِجَمِيعِ أَكْفَائِكَ مِنْ جَاهِلِ الْعَرَبِ، يَعْرِفُ فَضْلَكَ، وَيَسْرُهُ مَا خَارَافَهُ لَكَ، وَلَيْسَ كُلُّهُمْ أَدَالَةَ الزَّمَانِ وَلَا سَاعِدَةَ الْحَظِّ؛ وَأَنْتَ أَحَقُّ مَنْ تَعَطَّفَ عَلَى أَهْلِ الْيُودِيَّاتِ، وَطَادَلَهُمْ بِمَا يُبْقِي لَهُ ذِكْرَهُ وَيُحَسِّنُ بِهِ نَشْرَهُ، مِثْلُكَ . وَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ فَلَانًا، وَهُوَ مِنْ دِينِيَّةِ قُرَابِي، وَخَوِي الْهَيْئَةِ مِنْ أَسْرَقِي، وَعَرَفَ مَعْرُوفَكَ؛ وَأَحْبَبْتُ أَنْ تُلْبِسَهُ نِعْمَتَكَ وَتَصْرِفَهُ إِلَيَّ وَقَدْ أَوْدَعْنِي وَإِيَّاهُ مَا تَجِدُهُ بَاقِيًا عَلَى النَّشْرِ، جَمِيلًا فِي النَّبِّ .

فصل في التوديع

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ الْأَمِيرَ بِأَحْسَنِ وَدَّاعِهِ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَ فِي كَتَفِهِ وَجْرَهُ، فَقَدْ أَكْرَمَ الْمَثْوَى، وَأَحْسَنَ الْإِبْتِغَاءَ؛ فَأَطَالَ اللَّهُ لَهُ الْبَقَاءَ، وَأَدَامَ عَلَيْهِ النِّمَاءَ .

في الصّفح

بَلَنْتِي كِتَابَكَ، تَذَكَّرْتُكَ الْيَوْمَ بَوَضْعِي عَنْكَ مَوْجِدَتِي، وَرَدَّيْتُ لَكَ إِلَى أَحْسَنِ مَا عَيَّدْتَ مِنْ مِثْلِكَ عِنْدِي؛ وَقَدْ حَلَلْتَ مِنَّا الْحَمْلَ الَّذِي خَلَطْنَاكَ فِيهِ بِأَنْفُسِنَا، وَأَدْخَلْنَاكَ مِنْهُ مِدَاخِلَ أَهْلِ تَقَاتِنَا؛ وَلَسْتُ تَرْتِي مِنْ جَهَالَةٍ بِمَا أَنْتَ فِيهِ، وَلِبَعْضِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ التَّجَارِبِ تُسْتَفَادُ بِمِثْلِهَا الْعِبَرُ، وَيُتَنَفَّعُ بِهَا فِي عَطْفِ الْأُمُورِ .

جواب في فتح

كتب سالم بن هشام الى يوسف بن عمر حين قَتَلَ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ :
قَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابُكَ بِمَا أَلَمَّ إِلَهِي فِي مِثْرِهِ السُّوءَ، وَأَنَّهُ لَمَّا عَضَّتْهُمُ الْحَرْبُ، وَالْمُهْمُ الْحَدِيدُ، عَادُوا بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، قَدْ أَكْذَبَ اللَّهُ ظُنُونَهُمْ، وَخَدَّلَ مَخْرَجَهُمْ، وَقَتَلَ إِمَامَ ضَلَالَتِهِمْ؛ وَحَفِظَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا ضَيَعُوا مِنْ حَقِّهِ، وَحَاطَ لَهُ مَا أَبَاحُوا مِنَ الْفُسْطَرِ فِيهِ؛ وَقَدْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ شُكْرِ اللَّهِ عَلَى نِعْمِهِ، الصَّفْحَ عَنْهُمْ، وَتَقَدَّمَ حَرَمَهُمْ

وأن يمتهم من عدله ، بما يرد به الجاهل عن جهله ، والغوي عن غوايته ؛ ويسألون مكانه من الله ، واستجابته لعره ونصره ؛ وأنه الخليفة المتق ، والإمام المتألف ؛ وأنه يقتل العفو في الطاعة ، على العجبة في العقوبة ، والحسبة في الاستصلاح ، على القوة في التأييد ؛ فامسك منهم بيدك ؛ فإنك أمير المؤمنين قد وهب ذلك كله لله ، ورجا به ما ليس ضائعا عنده من ثوابه .

في الصفح عن الجفاء

لو كان من نازع الى الفدر ، قلده عنان الحجر ، لم يكن أقرب منا الى الذنب ، ونحن نرد عليك من نفسك ، ونأخذ لنفسك منك ، حتى يكون تركا إياك ، وعذرا فيه وإفرا .

فصل — الحمد لله على البلية التي طال أمدها ، وبعد ما بين طرفيها .

آخر — أختبرت في التثبت أناة ذوى الحجة ، وقمت المقتم من الأناة على العجلة ، وأطعت في أمرك النظرة ، وانهيت الى العذرة والمعرفة ، فلكت ما ملكك ، وحكت على الذى حكم عليك ، فأخذت مثل الذى أعطيت .

فصل — بدء أسباب الأمور دليل على عواقب الأمل فيها ، والخيرة بعد الله عز وجل .

فصل اعتذار

لو كان الناس يقضون الحقوق التي يجب عليهم ، ويحافظون على الأمور التي تلهيهم ، لقلت اللامعة ، وخلصت الموقدة ، وارتفعت أسباب العتاب ؛ ولكنهم عجزوا عن مقصود ، يصفون عن العلم ، بأكثر ما تتركه عقولهم ، وتعوقهم عن ذلك أشغال لا يجب بها العذر ، ولا تستحق الإيثار ؛ ولم أزل أطلب على نفسى فيما ضيعت من مكابتك . مع معرفتى بفضلك ، وموقع ذلك عندك ، وما اعتذارى اليك ، سوء ظن بك . ولا تخافك بالامتلاك ؛ ولئن فعلت ما ظلمت ؛ غير أنى أحببت أن أكفيك المؤونة ، فيما عسيت أن تقبض عنه من مقايستى ومعاتبتى ؛ وأنا أحب أن تقبل العذر ، وتعين على مستقبل البر .

فصل - أنت في زمان إن لم تغالط أهله ، وتغفلهم على ما في أيديهم ، وتصبر على مكاره الأمور بعد المطالبة ، لم تصل إلى شيء ، ولم تجد أحدا ما على فضل منك وإن عرفه فيك ، ولم يفتنه من محاسنك شيء ، ألا رأى في مساوئ غيرك عوضا منه ؟ فكان بذلك أطلع ، وإليه أسكن ؛ فليكن بالصبر ، فإن غايته إلى خير ، وأقل ما فيه أنك صاحبه لا يلوم نفسه ، ولا يلومه أحد ، ولما يظفر أو يدلل .

إلى المأمون من عامل

قل من يسارع إلى بذل الحق من نفسه ، إذا كان الحق مضرا به ، وقل من يدع الاستعانة بالباطل ، إذا كان فيه صلاح معاشه ، وسبب مكتسبه ؛ وإذا تفرق الحق في أيدي جماعة فطولبت به ، تشابهت في الكثرة لبذله ، وتعاونت على دفعه ومنعه ، بالحيل والشبه قولاً وفعلًا ؛ واحتاج المبتلى باستخراج ذلك الحق من أيديها ، إلى استعمال مجاهدتها ومصابرتها على الحيلة في مدافعتها .

ابن الكلبي

كان خبر ما أهلك الله في فلان بعد أمانه ما عزمت عليه من الأمان ، خبراً عظم مكانته من أمير المؤمنين ، وحسن موقعه من الدين ؛ ثم ردف خبرك بإذنته عند ما عضه من بأسك ، ومسه من مؤلم إيقاعك للاستسلام ، وطلب عقد الأمان ؛ وإنك بذلت له ما طلب لا لرغبة بقيت في ناحيتك ، إلا الاحتذاء على مثال أمير المؤمنين وأدبه ؛ فكان إياؤه ما عرضت عليه في أول أمره ذخيرة حظ فيما كشفت عنه البلوى من محمود أثرك ، واجتمع لك في ذلك حفظان : الظفر آخرًا ، والدرع لما حاولته أولاً ، فلا زلت على نصيبك من الخط ، مؤيدا بالنصر والمعونة ، والحمد لله على ما حقق من الظن ... من هذه النعمة على ^(١) يديك وبسعيك .

(١) ياحس في الأصل . وليس الكلمة المروكة «دواق» .

ابراهيم بن اسماعيل بن داود الى ذى الرياستين

وصل الى كتابك بخط يدك المباركة، فلم أوقللاً أجمع، ولا إيجازاً أكفاً من إطلب، ولا اختصاراً أبلغ في معرفة وفهم منه، وما رأيت كتاباً على وجازته، أحاط بما أحاط، وضربت ظني في فلان فعظم ذلك سروري، وقد يستعطف الظالم، ويستغيب المتجنى، وفي رقك وعلمك بالأمور ما يصلح الفاسد، ويذلل الصعب، ويقلل المدبر، ولا يمنحك جور من جار طيسك، من الاعتقاد في الحجة عليه، والأخذ بالثقة في أمره، فإن الله عز وجل لم يجعل عليك في ذلك متعصاً ولا مضاضة، بل فيه الإحذار والإنذار والاستبصار، وقضاء حاجة النفس، مع التأدية الى السلامة، والأمن من الندامة.

فصل — أنا في حال عافية، تتجاوز الى حال نعمة، والحمد لله حتى يرضى، فقد أرضى؛ فاتما ما أشرت به، وخبرت من إضياء رأيك فيه، والإمساك عنه، ففلك جعل لمن نصحه شركاء في كل أمره، ولم يجعل رأيه قرصاً لبعضه أن يتعدى،^(١١) وذكرت أدب فلائحة، وعندنا لغلالة الطمع المستقبل مع الإنعام المتقدم، مع أنه لا شيء لها عندنا قل ولا جل، ولو كان ما استحلنا حبسه صفة كفف، ولا تفيض طرف؛ وذكرت أنه لا يستغني مثلنا عن مثلها، وأبدال الله كثيرة عديدة، وما بان علينا فقد أحد ممن كان قبلها في دارنا، فحال بيننا وبينه حائل، ولا اختلانا له مع نظر الله تبارك وتعالى وأخلافه؛ وبعد هذا فأحسن الله جزئك، وحاط لي فيك ما أحب منك، وكفالك المهمل وكفانيه بك، فما تقوم نفس لو كانت لي أخرى مقامك في نصيحتي ويرى، والاهتمام لي، بما أنا عنه ساهية لاهية من أمرى، لا أعلمنيك الله ولا النصيحة منك.

فصل — قال أبو جعفر الكرمانى الحسن بن سهل ووعده شيئاً فأبطل عليه :
أما أعيرف تكامل الثقة فيك، ورجاحة الفضل بك؛ وأعلم أن فعلك يربني على قواك، وأن إنجازك أكثر من وعدك؛ فتقدم لي من كرمك، ما أثمره إلى أن يلحقه المتأخر

(١١) ياض في الأصل . وما وضته يابس المقام .

عنه، وإلا قلّلتني على ما أقول إذا سألني مَنْ بَشَّته على شكرك، عما بَلَّته من الحظ على نيتك .
فقال الحسن : تقول ما يَبْنِي، فقال : فافعل ما يَبْنِي أَفْله .

عمرو بن مسعدة

وصل الى كتابك ، على ظلمي متى اليه ، وتطلع شديد ، وبعد عهد بعيد ، ولوم متى على ما مستقى به ، من جفافك ، على كثرة ما تابعْتُ من الكتب ، وعلمتُ من الجواب ، فكان أول ما سبق الى من كتابك السرور بالنظر اليه أنسا بما تجدد لي من رأيك ، في المواصلات بالكتابة ، ثم تضاعف المسرة ، بخبر السلامة ، وعلم الحال في الهيئة ، ورأيتك بما تظاهرت من الاحتجاج ، في ترك الكتاب ، سالكا سبيل التخلص بما أنا مُحَلَّصُك منه ، بالإغضاء عن إلزامك المجبة ، في ترك الابتداء والإجابة ؛ وذكَرتُ شغلك بوجوه من الأشغال كثيرة متظاهرة ممكنة ، لأجْذَمَك متابعة الكتب ، ولا أحمل عليك المشاكلة بالجواب ؛ ويُقْنَعُنِي منك في كل شهر كتاب ، ولن [تُزَم] ^(١) من نفسك في البر قليلا ، إلا ألزمتُ نفسي عنه كثيرا ، وإن كنتُ لا أستكثر شيئا منك ؛ أدام الله مودتك وثبت إعطاك ، وأستراح لي منك ؛ فأريكَ في متابعة الكتب ومحادثتي فيها بخبرك موقفا إن شاء الله .

عيسى بن واضح الى الفضل بن الربيع

قد أكد الله من حُرْمَتِي بك ، ووصل من الشعب بيني وبينك . اجعله ذخيرة ليوم الحاجة ، وصلة عند ملي النازلة .

جبل بن يزيد

أما بعد فإن مَنْ صحب الدنيا لم يخلُ من تصرف أحوالها ، وكثرة معارِضٍ بخائعاتها ، في احترام الأنفس في خواصها . وواقع البلاء بين ذلك فيما يَهْدُها ، ويفر من الأشياء عليها ؛ وكان ذلك لا سبيل الى دفعه ، ولا حيلة يُستعان بها عند نزوله ، إلا الرضا عن الله عز وجل فيما قضى ، والتسليم لأمره في كل ما أتى ، والسكران الى الأموة التي تهبج الله سبلها ، وخفف

(١) اليباق يقتضو وضع منه الكلمة ، وهي متروكة في الأصل .

بها مواقع المصيبات على أهلها؛ ثم الرجاء بعد ذلك لحسن ثواب الله، [وقد] جعله الله لمن لزم أمره وأجشم نفسه مكروها في مواطن الصبر على المصيبة، والشكر في حال العافية .

وله في المطر

قد كنتُ كتبتُ الى أمير المؤمنين أعلمه المطرة التي أصابتنا، وما أنزل الله بها من رحمته ثم عادت لنا بعدها من الله عائدة رحمة، بوليّ مطر أنزله الله بأحسن ما رأينا من المطر وأبلا جوداً، لا يفتر غزيره ولا يزعوى جوده، إلا الى ديمة عن ديمة، يترأى إليها يسيراً ريثما تعود، فأقامت علينا سماءه مستهلة بذلك وكذلك الى غروب الشمس؛ ثم أقطع مطرها بسكون من الريح، وتعود من القز، وفضل من الله عظيم، ينشر به رحمته، ويسط به رزقه، فاسبغ النعمة، وأوسع البركة، وأوبق بحمد الله معارف الخصب والحي. والله محمود على آلائه ومشكور على بلائه، وما أنزل الله من سقيا ورحمته، بعد الذي أقبلت به السنة البرية والفيض وعدم الإمطار، وشدة ما بلغ الناس من الفتوط وسوء الفنون .

وله الى بعض إخوانه

أما بعد، فإن أعظم الأمور فيما بين الناس حقاً أمران: منهما الإخاء في الدين، فهو سبب وصية الله بين عباده بالألفة والمحبة التي أقطعت بها قرائن القلوب من بعضهم الى بعض، فاتصلت بمجاثلهم سراثر حبلها. وتقطعت فيما بينهم عاطفات وصلها؛ ومنهما مجاملة جميل الأعداء، وحفظ ما يحق لأهل حسن البلاء؛ ثم الصنائع بعد ذلك في مواقعها فضائل بقدر ما جرت به أسبابها ولطف مدخلها .

فصل — الصناعة ليست يزيدها الأخلاق الجميلة . ويزيد في أسبابها أواصر المودة؛ وقد جعلك الله في صناعتك مقدماً، وفي مودتك متفضلاً؛ فلا زالت عنك نعم الله، ولا برحت سكا لإخوانك، وأنسا وموضعا لما تستميحون من معروفك، ويستميرون من يدبرك .

فصل — إنَّ لك من قلبي لموضعا معمورا بالموَدَّةِ والنَّشَةِ ، والاسترسال
والأَنَسَةِ ، فلا تُخْرِجْ فلانا من سعة جِئِلِ بَرِّكَ ، الى عَقْبِي استحقاقه .

آخر

قد طالت العِصَابَةُ اليك ، وللدَّهرِ عَقْبٌ عَائِدَةٌ بالنفع والصنع ، ولا سَمِيًّا لمن كان على
مثل شاكلك في أدبك وفضلك وإنصافك إخوانك وبرِّك بهم ، وما توجه به على نفسك
لم مما يُقَصِّرون عن شأوك فيه .

الكلبي

كان أسلافنا تقارضوا دُيُونًا من الصفاء يَسْتَأْذِنُهَا كُلُّ عَقِبٍ من صاحبه ؛ وقد أوردونا
موَدَّةً لَا تَجْزُ عن اكتساب مثلها .

ابن أَعْيَنَ كاتب الخيزران

ليس يكون منك شيء وإنَّ حَسَنًا ، إلا وَحَسُنَ ظَنِّي بك يَلْفُهُ ، فاستمَّ أَحْسَنَ ما كان
منك ، يَمَّ لك أَحْسَنُ ما تُحِبُّ مِنِّي . ولا يَمْنَعُكَ الا كُتُافُهُ بِمالك اليَوْمَ من طلب الزيادة
في غدا ؛ فَإِنَّهُ لَقَلَّ شيءٌ لَا يَزِيدُ إِلَّا قَصَصًا ، والزمان يَحْقِقُ الكثير ، كما يربو على الزيادة القليل .

ابن الكلبي

أنتَ مَنْ أطولُ بمكانه وأُنْقَى بِجِئِلِ رَأْيِهِ ، وأَعْتَمِدُ على رِفْدِهِ ، وأرجو دَرْكَ كُلِّ فَضِيلَةٍ
به ؛ وَمَا أَحَبُّ عِلْمَهُ مَقَرَّ نِعَمِ اللَّهِ عز وجل لديك .

علي بن عبيدة الى ابن الكلبي

وصل الله أَيَّامَ غُرَى باتِّباعِ موافقتك ؛ ولولا موعد أخذ عليّ ، لأطعنت فيما أمرتَ به ،
متَّبَعًا مع إجابتك سرور نفسي برؤيتك في السلامة .

أما بعد ، فإني أصبحت وقد استفرغ الأَمْرَ مِنِّي كُلِّ موَدَّةٍ ونصيحةٍ ، ومبلغ جهد
وطاقةٍ فيما عرفتُ له فيه موافقةً .

فصل — فإن الذي شَعبَ الله بيننا من التواصل والكتائب، يدعوني الى متابعة الكتب اليك في تعهد حقك ، وإن كان الخبر عن ظاهر الحال قلباً يفتني، فإنك له من الأئس والموقع في الكتب ما ليس لمُستعرضات الأخبار .

فصل — قد كنتُ أطلعت الأمير انقطاع بنى فلان الى فلان ، بأهوائهم وبصائرهم وشراء ما قبَّله بغيره، وما كان وصل اليها في ذلك من الأمور التي حلوا إضرها، وبني لنا أجرها وذكرها وناقها وسابقتها، فنحن عند الأمير وتُخباياه وذخائره، ومن يامل يومه وغده، ولا متخطلي له عنه ولا مقتصر دونه .

عُمارَة

بلنفي تخابك بصف كذا . فإن رأيت ألا تتمد على ما لصقت [به] من عذرك، وأطلعت فيه الهوى من قبول عفوكم، ويميلني أحد من يُسر بسروركم، وتُشرِك في مهمات أموركم، فإني أحثهم وأوسطهم عناية بما عاتك وتوسطا لما عراك، فقلت .

فصل — والدتو من دارك إذ الدار جامعة والحبل مُتصل، إذ نحن في الاستيفاء بالخبر والعلم بدخلة الحال، بمنزلة من كآته يُعاني من يستاق اليه ويصبو به في كل يوم، حتى نأت النوى، وأنت في اللقاء والإنظار في كل أمر وعلى كل حال من لا يسك في صفاء غيبه، وصدق إخوانه .

فصل — مُشاركتنا لإياك في محبوب الأمور ومكروها يحلنا محلك في السرور بالنعمة يحددها الله لك ، ويُوجب من التكر علينا مثل الذي يوجب عليك . فوصل الله كل نعمة يهبها لك من الشكر بما يكون لحقها قاضيا، ولزبد فيها موجبا .

سعيد بن عبد الملك

كبت على شغل في قطع من القِرطاس، ولم يقطع بي حسن الظن بك في قبولك العذر، وتحسينك ما أنت أهل لتحسينه؛ فإنك تقبل دون حقك، وتَهَب الذنب فيه، فيكون شكرُك

(١) في الأصل : « ... وسراء ما قبله ... » : (٢) في الأصل « عليها ... » وهو لا يرقى الفرض المراد .

جاريا على سبيلين، كلاهما يُبين لك من فضلك، ويوجب لك مالا يَقْصُرُ معه إلا مغبونٌ
الحظ خسيسٌ النصيب .

فصل — وقد ظهر من أمير المؤمنين في فلان بعد وفاته، ما هو أعدلُ شاهدٍ على
حسن مُتَقَلِّبه، وردَّ اليك من رأيه وفقدته ما أرجو أن يكون فيه أعظمُ العِوض . والله
أسأل أن يتولَّى لك أمورك في السراء والضراء، والشدة والرخاء، والشكر وحسن العزاء .

جبل بن يزيد الى بعض إخوانه

ثمَّ الله طينا وعليك النعم، وأَجَزَلُ لنا ولك محاسن صالح القِسم . إن الله تبارك وتعالى
أجرى بيننا وبينك لطيف مَوَدَّة، وخاصَّ أخوة، غيرَ أنَّ المعرفة قد تُحمد بعد الخبرة،
والثقة إنما تعرف بعد التجربة، وقد أحببتُ أن يعلمَ من قِبلك الذي أحدث الله لك من
حال دولتك، وأنَّ يُعلمَ هل أبقتُ لنا منك النعمة سعةً، أم تركتُ لنا منك صَفْحَةً نعرف
بها عهدك ونأملُ بها وصلك؟ فإن أصحاب السلطان، بحال بلوى في التغيُّر والانتقال،
إلا من نالته من الله تبارك وتعالى عصمة . فإن كنتَ على ما رجونا من الوفاء، وحسن
الحفظ للوَدَّة والإخاء، فنتُكِّمُ لم يرض لنفسه إلا بأجل الأخلاق وأوقعتها للسداد . وإن
حيزك من ذلك ما تآتى به الأقدارُ في مُتَصَرِّف الليل والنهار، نَعذرُك بما نَعذر به أهل
السلطان، اذا غيَّرتهم الحال، وتكرت شنائهم بين الإخوان .

وله الى بعض إخوانه أيضا :

إعلم أنى اليك مشوق، وأنَّ صِلَةَ الإخوان كرمٌ، وخير الصَّلَات ما لم يكن لها وجه
إلا الرجاء والحفظ وتبديدُ المودة وتصحيحُ الإخاء ؛ فإن الذي يكتب إخوانه على حال
الرغبة يكفى القائل كتابه حيث شاء ، إن أحبَّ مال به الى النصحة ، وإن شاء وضعه
لِلرَّغْبَةِ . والزعم أنكهما به . والذي يكتب إخوانه على حال الضرورة، فقد يستقطع الصِّلَةَ

(١٢) ن المثل : ٥٠ : ٥١ .

(١١) المثل : ٥٠ : ٥١ .

(١٢) المثل : ٥٠ : ٥١ .

عند الحثّ غفافة ^(١) للامة من الناس على القطيعة الشعاء المشهورة لإخوانه ؛ فإنّ الذي لا مودة له قد يصل ذلك في تلك القطيعة بأهل البلاء .

والكتاب على مثل حالنا وحالك اليوم شاهدٌ على أن ذلك ليس إلاّ صفة الإخاء والشوق الى المهادنة بالكتاب ، حين لا يلومك اللائمون لمترلة البلاء تلك الائمة على التخصير ، ولا يوضع منك الرغبة في الإطماع . إياك أن تعتلّ بالأشغال أن كنت في خاصة نفسك ، فإن أداء الحق وصلة الإخوان أعظم الخاصة بك خاصة . وإنما أمرنا في كل هذا كأمرك في الذي يستغني من خاصتك تلك التي لنا . فإن لنا ما لك ، وهذه التي لك ؛ أليس ما سرتا سرّك وما سلبنا حظا لك ، فهذه كذلك وذلك كهذي . والله يوفقنا وإياك . وأنت أبا يوسف .

هكذا حال ما بيننا وبينك ما وصفت لأبي سعيد ، غير أنه سألنا أمرا لم يسألناه قط ، فله فضل السبق علينا في المسألة ، ولنا فضل المترلة عليك في الائمة . ولن أدّك والفضل ، دون أن تسقعه بالعمل الذي هو صلة القول . وسلام عليك ورحمة الله ، وقضى الله عز وجل بالحسنى لنا ولك .

فصل - أتاني كتابك ، فأعصمت أن يسرني بسلامتك ، وما حاق فيه كرم برك ، ولطيف عنايتك ، ما لم أفقد في حالة من حالاتك . فكان الكتاب مصدقا لما سلف ، مبشرا بما يستأنف ، مذكرا منك عهدا موصو ^(٢) مثاله طرفي وقلبي ، ملصقا ذكره بلساني وقلبي . فلا حدمتك . بل أمتني الله بك فأطال ، وكثرتني ببقائك .

فصل - أتاني كتابك فطامن قلبي وطرفي ، بعد ما كان شاخصا اليه ، متشوقا الى رؤيته ، ثم ملائني سرورا ما رأيت فيه من آثار برك وكرم تفقذك . وأفضل ما عندي منك قبّله ، مما إن ذكرته ، فللاستراحة الى الذكر ، وإن أمسكت ، فللعجز عن الشكر . فأما الضمير فمبني على الإقرار بفضلك ، والنية خالصة بشكرك . وقليل ذلك لك ، فأعطاك الله فأطاب ، ووهب فأجزل .

(١) في الأصل : « غفافة السلافة من الناس ... » . (٢) في الأصل ياض . (٣) في الأصل : « فالاستراحة »

فصل — وصل الى كتابك ثجيل لي حين نظرت الى أثر يدك تجري قلبك في بطن صديقتك ، أنك ماثل بين عيني : أنظر الى شخصك وأسمع من لفظك ، فابتسمت ذلك مني طربا شائعا ، وصبا به هيجت الأحران وذكرت الإخوان . وكنت من إخواني الذين أنفروا بسلامتهم للود الذي أجرى الله بيلنا ويذك ، فتواصلنا بحرمته ، وتعاطفنا بوصله .

فصل — إن الله جعل عاقبة كل نعمة وإن عظمت ، تبعا لأولها ، وجعل الشكر عليها سببا لتبناها وموجبا لأحسن الزيادة منها .

فصل في شكر — فإن الله جعلك للغير مدينا ، وللفضل موصفا ، فبما حملته نفسك من تحمل أعباء المروءة ، وحملت على من عظام المكارم ، حتى صرت بما أنعم الله به عليك ، منتهى كل أمل وغاية كل رغبة . ثم ألبست النعمة لباس التواضع ، وناسبت في الأخلاق من سبقت به عليك الأمور ، حتى كأنهم في النعمة لك شركاء . وتحننت على الأقربين والمتقربين من الإخوان والأقضاء ، حتى كأنهم لك ولد ، وأجبرت نفسك حين ساعدك الدهر ، على طيبة التقرب الى العامة ؛ فكلهم يبدل اليك بدلو رغبته . ويمتاع منك متاعه فضل ؛ فلا علمت إلا نزال شعش سقطة ، وتقبل حثرة ، وتسد خلا ، وتقبل أملا ؛ ولا عليم من شهد ذلك منك ، أن يستم هذه النعمة عليك وعلى نفسه ؛ فإن من سعادة العامة أن يعمل سائرها عند خيارها . ومن البلاء العظيم عليها الموجه ضا ، أن يخص شرارها بموضع رغباتها .

فاسلم كلاك الله بهذه النعمة . غير متقص بها ، ولا مكدر عليك صفوها ، حتى تسلمك النعمة العاجلة الى النعمة الباقية ؛ وإنا وإذ سلما أن من سأن الدهر القدران في العواقب فقد سلما أنك فيما أدي الله اليك من النعمة ، قد أدت حق الله عز وجل ثم حق إخوانك فيها ، فكنتم أنتم نال فضلك ، كرما في السناء ، ورضا في الأثره ، غير متطاول لما ذكر . ولا متقصص لما تحذره . فبما تجرى شكر الماضي منك ، ورياء الباقي ،

فَرَى تَضِيْعًا مَنَا فِي عَقْدِ الرَّأْيِ ، وَإِزْرَاءَ بَنَا فِي وَثَاقِ الْأُمُورِ ، أَلَّا تَمَحُكَ مِنْ أَهْمُنَا
مَوَدَّةَ الْوَلَدِ وَرَقَّةَ الْوَالِدِ . وَإِذَا أَعْطَاكَ أَمْرٌ وَثَرَةً فَوَادِهِ ، قَدْ فَرَّخَ إِلَيْكَ مِنْ جَمِيعِ حَقِّكَ ،
لَأَنَّ ذَاتَ يَدِ أَمْرِي فِي الْبِذْلِ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ فِي الشُّكْرِ . وَكُنْ لَأَمْرِي مِنْ أَمْرِي
أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَيْهِ حَتَّى لَا يَدْعَ لغيرِهِ فِيهِ فَضْلًا . وَكُنْ بِكَ لَنَا مِنْ غَيْرِكَ . وَكَثِيرٌ مِمَّا أَنْ تَقْوَى
عَلَى آدَاءِ أَهْلِ صَنْوَفِ حَقِّكَ ، غَيْرَ أَنْ أَوْثَقَ أُمُورُنَا فَيْكَ عِنْدَ أَهْمُنَا أَلَّا نَسَامَ النَّظَرَ إِلَى
فِتَاكَ بِبَحِيْنٍ بِكَ إِنْ بَرَزْتَ ، وَعَاضِدِينَ لَكَ إِنْ شِئْتَ .

فصل — إِنْ الْهَدَى وَالضَّلَالَةُ يَتَسَمَّانِ كَوُلَّ الْأَزْمَنَةُ ، لَغَيْرِ كَرَامَةِ الْبَاطِلِ ، وَلَا
هُوَ الْخَلْقُ . وَأَهْلُ الْحَقِّ كَيْفَ تَصَرَّفَتْ أَحْوَالُهُمْ فِي كَرَامَةِ مَنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَنِعْمَةٍ يَنْ
دَوْلَةً تَكُونُ لَهُمْ ، يَقُومُونَ لَهُ فِيهَا بِحَقِّهِ وَيُظَاهِرُونَ هُدَاهُ وَدِينَهُ ، وَدَوْلَةً تَكُونُ لِلْبَاطِلِ ، يَكُونُونَ
فِيهَا كَهُوفًا لِلْغِيَرَاتِ ، وَمَعْدِنًا لِلْمَسَاتِ ، يَسْتَكِنُّ الْحَقُّ فِي صُدُورِهِمْ ، وَيَأْوِي الْبِرُّ وَالصِّدْقُ
إِلَيْهِمْ ؛ فَهَمَّ يَنْ يَوْمَ صَبْرٍ وَشُكْرٍ ، لَيْسَ أَحَدُهُمَا دُونَ صَاحِبِهِ فِي الْفَضْلِ .

وَأَهْلُ الْبَاطِلِ كَيْفَ تَصَرَّفَتْ أُمُورُهُمْ يَنْ تُنْخَطِ اللَّهُ وَعَقُوبَتُهُ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلْ
فِي الْبَاطِلِ قَرَجًا لِأَهْلِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ دَوْلَةٌ كَانَتْ إِمْلَاءً وَاسْتِدْرَاجًا ، وَكَانُوا فِيهَا عَلَى مَدَرَجَةِ
هَلَكَةٍ وَسَبِيلِ هِمَّةٍ ؛ وَإِنْ كَانَتْ الدَّوْلَةُ لِأَهْلِ الْحَقِّ ، كَانُوا فِيهَا يَنْ ذَلِّ وَضَمٍّ ، وَخَوْفٍ
وَجَزَعٍ ، وَقَدْ سَلَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَطَاعُ ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ . فَفِي أَيْ يَوْمِهِمْ
مُسْتَرَحَمُهُمْ : أَيُّومَ دَوْلَتِهِمْ ، وَهُمْ لَا يَسْكُرُونَ النِّعْمَةَ وَلَا يَقْطَعُونَ أَسْبَابَ النِّقْمَةِ ؟ أَمْ يَوْمَ
عَلَوْ الْحَقِّ عَلَيْهِمْ ، وَهُمْ لَا يَصْبِرُونَ عَلَى الْحِمَّةِ وَلَا يُصْبِرُونَ مِنَ الْعَمَى ؟ وَأَهْلُ الْحَقِّ يَنْ
حَالِي غِيْطَةٍ وَحَسْبَةٍ ، وَأَهْلُ الْبَاطِلِ يَنْ حَالِي إِمْلَاءٍ وَنِقْمَةٍ .

فصل فِي صِفَةِ الْجُنْدِ — إِنْ الْغَالِبَ عَلَى أَهْوَاءِ جَمَاعَةٍ مِنْ فِطَامِ أَوْلِيَاءِ الْأَمِيرِ
وَجُنْدِهِ إِعْظَامُ الْأَمِيرِ وَمَعْرِفَةُ فَضْلِهِ ، وَالتَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِحُبِّهِ وَمُنَاصَحَتُهُ وَطَاعَتُهُ ، وَمُعَادَاةُ
عَدُوِّهِ ؛ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ يَسْتَلْتُونَهَا وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ بِهَا ، وَيَسْأَلُونَ إِلَى الْأَمِيرِ يَنْزِي قَوْمَ خَالِقُوا .

فصل - حل بين فلان وبين التشريد بهم والاجتياح لهم ، فإن ذلك أَرْضَى لربك ، وأجمع للألفة ، وأقومُ لعمود الخلافة الذي سَدَّ الله دعائم الإسلام وأَسَّسَ الدين به . وأعلم أن مَنْ سَاطَ الله دينه ، ورمتْ عن قُوَّه الجماعة ، وطدى أهلَ النقض لها ، ابتعثه الله آمناً من هول الحساب وضيق المحشر ، والله بنصره أحقُّ وأولى . وكان الله بحيث اقترض عليك ، فإنه قال لنبه صلى الله عليه وسلم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ ﴾ .

كتب جعفر بن محمد بن الأشعث إلى رجل لم يكتبه
لست بما صرَّفتَ إلى من معروفك بأسر مني ، بما أهديتَ إلى من قضاء الحق حثك ،
وقلة ذوى الحرمة بك ، لأنك قد تصل من لا يثق ولا يأنس إلا بمن يَتِمِّد طيه .

كتب الفضل بن يحيى إلى رجل يُساوره في أمر حَدَث
ليس كل امرئ وإن كان ذا عَزِيزَةٍ في رأيه ، وأَصَالَةٍ في عقله ، بمسئني عن مُكَاشَفَةِ
أهل الرأي ، لتوزيع الله عز وجل ، أقسام الفضل في خلقه ، وإشراكه إياهم ، في عطاياه ،
فرأيك في كذا .

ركب إبراهيم بن المهدي إلى أحمد بن يوسف ، فكتب أحمد
إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي
حندي من أنا عبده ، ومُحِبُّنا عليك ، إعلماً إياك .

توسل

توسل رجل إلى رجل بمحمد بن عبد الملك وادعى قرابته منه ، وبلغ ذلك تمحدا فكتب
إلى المتوسل إليه :

بلغني أن رجلاً ادعى قرابتي ، وأورد عليك سباً ذكر أنه مني ، وما أنكر أن ينفع بي
من توسل بنسبي ، إلا أنه من ادعى قرابة ، ولا قرابة له ، كان استعمال الشفاعة في أمره أولى .

كتب طاهر بن الحسين الى الفضل بن سهل
أسعدك الله بحاربك، التي بذلت فيها مجهجتك، ومُهَجَّ مَنْ هُوَ مَوْصُولٌ بِكَ مِنَّا .

محمد بن الجهم

وليس في جميع الناس أصدى لك : من صديق مؤمل ، أو حميم راجح ، إن منعتهما شتاك
وبهتاك ، وإن أعنتهما لاهيه اختلاك ^(١) .

محمد بن مسعر

قال : كنتُ أنا ويحيى بن أُنْثَمٍ عند سُفْيَانَ ، فبكى سُفْيَانُ ، فقال له يحيى : ما يُبْكِيكَ
يا أبا محمد؟ قال :

بعدُ جالِستُ مَنْ جالس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبْتُلْتُ بِمَحَالِسِهِمْ ؛
فقال له يحيى : فُصِيْبَةٌ مَنْ جالست منهم بِمَحَالِسِهِمْ لَأَنَّكَ بِسَدِّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله
عليه وسلم أعظمُ من مُصِيبَتِكَ بِنَا ؛ فقال : يا غلامُ ، أظنَّ السلطانَ سيحتاجُ اليك .

دخل ميمون بن مهران على بعض خلفاء بني أمية — وأحسبه عمر بن عبد العزيز — فقال
له وقد قعد في أخريات مجلسه : عِظْنِي ، فقال له : إِنَّكَ لَمِنْ خَيْرِ أَهْلِكَ إِنْ وَقِيتَ ثَلَاثًا ، قال :
ما هن؟ قال : السلطانُ وقدرته ، والشبابُ وغِزْته ، والمالُ وقِيتُهُ ، فقال : أنت أولى بِمَكَانِي
مَنْ قَارَضَعَ إِلَيَّ ؟ فَأَجْلِسْهُ مَعَهُ عَلَى سِرِّرِهِ .

ابن وهب في الاعتذار

أو لم تَعذِرْكَ لَمْ نَعْذِرْ أَنْفُسَنَا بِقَطِيعَتِكَ ، فَكُنْ لَنَا فِي لَأْمَةِ نَفْسِكَ ، كَمَا تَكُنْ لَكَ فِي عِذْرِكَ .

وفي مثله

ليس في الإساءة فضلٌ عن الاعتذار ، وفي طائدتك فضل عن إساءتنا ، فمن أين يسقط
بين فضلك والاعتذار !

آخر

فلان من حملة المعروف، يكثر عندهم قليله في شكرهم، ويقل لهم كثيره في عظيم حقوقهم .

فصل — ثلث عيئت عن الراى فيك، لقد أبصرته بك .

فصل — تقيب فاشتاق، وتلقى فلا أشنى .

٢ — فصول من رسائل مختارة في كل فن

وهي مثل مما كتب به الكاتب في أبواب لا نظير لها

فمن ذلك ما كتبه به في التحميد لله عز وجل في أوائل الفتوح وأواخرها وأوائل الكتب التي فيها تحميد الله عز وجل .

التحميد الأول

الحمد لله القادر القاهر، المتوحد بالسلطان والربوبية، والمتفرد بالبقاء والقدرة، والمجبر بالكبرياء والعظمة؛ ذى الجلال والإكرام، والإفضال والإنعام، والعز والبرهان، والأسماء الحسنى، والمثل الأعلى؛ الأول بلا غاية، والآخر بلا نهاية، الذى لا يحيط به وصف الوصفين، ولا تبلغ مدى عظمته أوهام المتوهمين، ولا تتركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير؛ لا يؤوده حفظ كبير، ولا يعزب عنه علم صغير، يعلم خائفة الأعين وما تحفى الصدور، وما تسقط من ورقة إلا يسلمها، ولا حية في ظلمات الأرض ولا رطيب ولا يابس إلا في كتاب مبين .

التحميد الثانى

الحمد لله الذى خلق الأشياء على غير مثال ولا رسوم، وأنشأها على غير حدود، ودبر الأمور بلا مشير، وقضى فى الدهور بلا ظهير، وسمك السماء بقدرته، وبنها على إرادته، وأسكنها ملائكته الذين أصطفاهم لمجاورته، وجعلهم على طاعته، وزههم عن معصيته،

وجعلهم حملة عرشه، وسكن سماواته، ورسله الى أنبيائه، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ؛ ودحا الأرض وبسطها لكافة خلقه، وقسم بينهم الأرزاق، وقدر لهم السموات، فهم في قبضته يَقْلَبُونَ وَعِلَى أَرْضِهِ يَجْرُونَ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

وصدر تمجيد مفرد

الحمد لله العليّ مكانه، المنير برهانه، التامة كلماته، الشافية آياته؛ والحمد لله وليّ أوليائه وصنّ أعدائه.

وصدر تمجيد

الحمد لله الغالب الذي لا يُقَلَّبُ، والمُقْتَدِرُ الذي لا يُبَانُ، والمنجِزُ وعدّه، والمؤيّدُ أوليائه، وانخاتم بالقلع^(١) والظهور لهم، والمُدِيلُ من أعدائه، ومحيط دائرة السوء بهم.

ولكاتب نُزَيْمَةُ بن خازم في فتح الصَّنَابِيَّةِ تمجيد مختار

أما بعد، فالحمد لله ذي الْمَلَكُوتِ والقُدْرَةِ، والجَبَرُوتِ والعِزَّةِ، والسلطان والقُوَّةِ؛ أهل المحامد كلّها، ومدبر الأمور وآيها، وخالق الخلائق وبارئها، ومميّتها ومحبيها، وباعثها ووارثها؛ الذي أوجب على نفسه بما فَعَدَّ من مشيئته، وسبق من علمه، وثبت في اللوح المحفوظ عنده إعزاز دينه، وإظهار حقه، وإعلاء كلمته، وإبلاج حجّته، وإزهاق باطل أعدائه؛ الصّابرين عن طاعته، والجاحدين لربوبيّته. المكذّبين بكتبه ورُسُلِهِ؛ بلغ بذلك أمره، ونطق به كتابه؛ فإنه يقول تبارك اسمه في المُنَزَّلِ من فرقانه: **يَرْبِلُ حَقْدُ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ**.

وتمجيد لأحمد بن يوسف الى الولاة عن الخليفة

أما بعد، فالحمد لله ذي الْمَنِّ الظّاهِرَةِ، والْحُجِّجِ الْهَادِيَةِ؛ الذي قَطَعَ بينه وبين عباده المَعْنَوَةِ، ورادف عليهم اليقينة، ومُهَلِّمَةِ النَّظَرَةِ؛ وجعل ما أتاهم من حظوظ الدنيا بالقسم

(١) ملحق: طلب وعده. يدلّ على ذلك عن حمده. في سب وطره.

المكتوب، وما دَثر لهم من ثواب الآخرة بالنَّجْع المطلوب؛ فهم في العاجلة شركاء في النعمة، وفي الآجلة شقَى في الرحمة؛ يختص بها أهلها المنتفعين بما ضرب لهم من الأمثال، وتصرف الحال بعد الحال؛ المبادرين بأعمالهم إلى انقضاء مَدَدِ آجالهم، قبل حلول ما يُتَوَقَّع، وفوت ما لا يُرْتَجَى.

وتحميد لإبراهيم بن العباس في فتح اسماعيل
الحمد لله مُعزِّ الحقِّ ومُدبِّله، وقامع الباطل ومُزِيله، الطالب فلا يفوته من طلب، والغالب فلا يُعْجزه من طلب؛ مؤيد خليفته وعبد، وناصر أوليائه وحزبه؛ الذين أقام بهم دعوته، وأعلى بهم كلمته، وأظهر بهم دينه، وأدال بهم حقه، وجاهد بهم أعداءه، وأثار بهم سبيله؛ حمداً يتقبله ويرضاه، ويوجب أفضل عواقب نصره، وسوايح نعماته.

التحميد الثاني

الحمد لله الغالب ذى القُدرة، والقاهر ذى العِزة؛ الذى لم يقابل بالحق باطلاً في موطن من مواطن الحاكم بين عباده، ألا جعل أولياء الحق منهم حِزبه وجُنْدَه، وجعل الباطل بهم فلا منكوبا، ودَحِضاً زَهُوقاً؛ إن نهَضَ به أولياؤه كانت مراصدُ عواقبه مُفَرَّقة ما بُجِعَ، ومُتَبِّرة ما أُعِدَّ، وقائمة بأشياعه إلى مَصْرَعِ الظالمين، حتى يكون الحق الطالب الأعز، والباطل المطلوب الأذل؛ وأولياء الحق الأعتين يداً وأيدا، وأشباغ الضلال الأخسرين أعمالاً وكيدا؛ قضاء الله وسُنَّته، وعادة الله وإرادته، في الفِئَةِ المنصورة أن تمز فلا تُرام، وأن يُمكن لها في الأرض كما مَكَّنَ للذين من قبلها؛ وفي الفِئَةِ الناكين عنه، أن تَرَلَّ فتكون كلمتها السفلى، وكلمة الله هي العليا، والله عزيز حكيم.

وتحميد له مبتدأ مقام بين يدي خليفة

أما بعد، فالحمد لله الأول بلا أيدٍ يُحْصى، والآخر بلا أيدٍ يَفْتَى؛ الظاهر لخلقته بعزته، العزيز في سلطانه بعظمته، الفرد في وحدانيته بقدرته، المدبر في ملكه بيجبروته؛ الذى نأى عن الأشياء أن يكون فيها تحويلاً، واتصل بها فلم يك من علمها خليلاً، وهو فيها غير مُسْتَكِن،

ومعها غيرُ مئاسٍ في بلج البحار، ومفاوز القفار، وشواغح الجبال، وكُثبان الرمال؛ مع كلِّ خَلْق، وفي كلِّ أُنْق، وعلى كلِّ شَرَف ومكان، وفي كلِّ وقت وأوان؛ موجود إنا طُلِب، وقريبٌ حيثُ نُدب؛ عالمٌ خَفِيَّات الغيوب، وخطرات القلوب، وما في السموات وما في الأرض، ما يكون من نَجْوَى ثلاثةِ الإلهو رابعهم، ولا خمسةِ الإلهو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثرَ الآلهو معهم؛ وما تسقط من ورقة ألا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رَطْبٍ ولا يابسَ إلا في كتاب مبين .

ونحميد ثالث يتلو الأول

الحمد لله المتعالي عن تشبيه الجاهلين، وتحديد الواصفين، وتكليف الناعتين؛ يُوصَف لا بالعرض والطول، ويُنَمَّت بغير الشبح المثلول، ويُحَدَّ لا بالخلق المعداد، والجسم الموجود؛ بل يُنتَهَى من وصفه، إلى ما دلَّ عليه من صُنعِه، ويُوقَف عليه من نعتِه، على ما أخبر به عن نفسه؛ وكيف يُوصَف مَنْ لم يَرَهُ أحد، ويُحَدَّ مَنْ لم يَحُدَّهُ بلد؛ أو يُشَبَّه غيرُ ذِي أعضاء، أو يُكَيَّف غيرُ ذِي أجزاء؛ لَوَرِيَّ لَوْصِفَ، ولو وُصِفَ لِمَثَل، ولو مُثِّلَ لَكَانَ لَهُ نَظِيرٌ؛ سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، لا يُنْتَهَى الاقطار. ولا يحويه قرار؛ ولا تُدِيرُهُ الأبصار وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير؛ لا يوصف أولاه، ولا يدرك آخراه، ولا يُعرَف مُنتَهَاهُ؛ عَظُمَ أَنْ يَحْصِرَهُ وَهْمٌ، وَجَلَّ أَنْ يُدْرَكَ فَهْمٌ، وَامْتَنَعَ أَنْ يَنْجَالَهُ عِلْمٌ، وَلَا يُبَغَّرُهُ لَيْلٌ وَلَا يَوْمٌ؛ وَلَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ .

ونحميد ثالث

الحمد لله الذي ألهَمَّا من الإقرار بربوبيته، والإيمان بوحْدانيته، وأَنَّهُ غيرُ ذِي صاحِبَةٍ يسْكُنُ إليها من وَحْشَةٍ، ولا وَلَدٍ يَتَكَثَّرُ بِهِ من ضَعْفِ قِلَّةٍ، ولا شَرِيكَ يعاونه من عَجْزِ قُدْرَةٍ، ولا ظَهِيرٍ يكافئه لَمَلالِ قُدْرَةٍ؛ أَجْعَلْ لَنَا بِهِ أَوْثِقَ الْأَسْبَابِ لَدَيْهِ، وَأَرْجَى الْوَسَائِلِ

إليه ؛ إذ كان من أنكر ما دللنا الإقرار به يصير يحمده ما أخفنا الاعتراف فيه ، الى أليم عقوبته بالمعصية التي استحكمت السُّخطة على أهلها ، وعلت النِّقمة بمن فارقه ؛ ثم جعلنا تبع إشراف كثير على أنفسنا في مشيئة منه ، بسط اليها آمالنا وأحسن عليها أطعامنا بكرم عفوه ، وعظيم جلِّه ، وسعة رحمته ، التي وعد أهل الإيمان بها ؛ إذ صار من فارقه في ذلك بما استهوت طيهم ، بترينه لهم شياطينهم ، ورائت على أفئدتهم ... وما ظلمته قُرباؤهم الى الناس من كل طمع يُغدي وخبر يُنجي ؛ جرأ بما أشركوا بالله ما لم يقل به سلطانا ، إذ الله لا يفِر أن يشرك به ، ويفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يُشرك بالله فقد حبط عمله ، وهو في الآخرة من الخاسرين .

وتحميد يتلو الثالث في هذا المقام

الحمد لله الذي ابتدع لا من شيء ما أنشأ ، وابتدأ على غير مثال ما ابتدأ ؛ فجعل كثيرا من لطائف تقديره ، وصنوف تدبيره ، وتصاريف أموره ؛ حُججا واضحة ، وآيات بينة ، وعبرا شافية ؛ تشهد له بجزة القدرة ، وتقاذ الحول والقوة ؛ فخلق مدبرا بلا مشورة أحد ، سبعا دحان على الماء على غير سند ؛ مهسوطات في تكلف أجزائهن ، على معين ماء مسخر من تحتهن ، فخر خلاهن أنهارا ، وقدر فيهن من المعاش أقواتا ، وجعل لمن من الجبال أوتادا ، ثم أمتوى الى السماء وهي دحان ، فقال لها ولا أرض أثريا طوطا أو كرها قائلا آتينا طائعين . ففطر من الدخان في خفته على الهواء سبعا ، جعل بينهن من الجو تسعا ، سبع سموات طباقا مرفعات ، بلا دعائم قبلها ولا علاقات ، يُمكنهن بقدره أن يرتفعن فوق ما حبسن عليه ، وأن يهوين الى قرار دون ما رفهن إليه ؛ فأنفن صنعها ، وأوحى في كل سماء أمرها ، وزين السماء الدنيا بالمصابيح النيرة ، والشهب الثاقبة ، والنجوم الواضحة ؛ ومجر الشمس والقمر صلبا للمهتين ، وسراجا للبصيرين ، ورجوما للشياطين ، وأوقانا لاختلاف السنين ، ومعرفة لكل حين ؛ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل

سابق النهار وكل في فلك يسبحون ؛ فضاء سبع سموات في يومين ، ولو شاء خلقها في أسرع من طرف العين ؛ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ؛ بلا معاناة لقول ، ولا ضعف من حول ؛ ثم أسكنهم من خلقه ملائكة اصطفاهم لعبادته ، واجتنبهم لتبليغ رسالته ، معصومين من أن يشركوا بالله ، ما لم ينزل به سلطانا ، وأن يقولوا على الله إفكا وبهتاناً ؛ يسبحونه بالليل والنهار لا يقترنون ولا يسمون من عبادته ، ولا يستحسرون عن طاعته ؛ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون .

ومحمد في فتح لابن العباس

أما بعد ، فالحمد لله الذي حمد نفسه ، وفرض حمده على خلقه ، وأعز دينه وأكرم بطاعته أوليائه ، وأكرم طاعته بأوليائه ، فجعل جنته منهم المنصورين ، وحزبه منهم الغالين ؛ نهيح بهم سبيله ، وأقام بهم مجته ، وجهاد بهم أعداءه ، وأظهر بهم حقه ، وقمع بهم الباطل وأهله ، وأعلى كلمتهم ، وآبد نصرهم ، وأتف لهم وبهم ، وهكن لهم في الأرض ، بغيرهم أمة وجعلهم الوارثين .

والحمد لله العزيز البصير ، المظهر لحقه ، الناصر لخلعائه ، المتكبر لحزبه ؛ المنتقم بهم ممن صدف عنه ، مؤيداً دينه بالصر ، ليظهره على الأدبان ، وحقه بالعر ، فلا أتبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ وجوده بالفلج فهم الأعلون إن استنصر بهم ، والأعزون إن كادهم ؛ والأفربون من إخلاصا وعملا ؛ حمد يوازي نعمه ، ويمتري بنتله فواضله ومزيده .

وله في فتح ابن البعث لما ظفر به

أما بعد ، فالحمد لله ناصر أنبيائه وخلعائه ، وهادى أوليائه ، وأولياء الحق وحرب الهدى . الذين أقام بهم سبل ارتداد ، ونصب بهم ملاح الدين ، فطهره على الدين كله ولو كره المشركون .

وله صدر كتاب الخميس في تمجيد الله وتمجيد

أما بعد ، فالحمد لله الذي جلت نعمه ، وتظاهرت منته ، وتتابعت أياديه ، وجر إحسانه ، إله كل شيء وخالفه ، وبارئ ومصوره ، والكاثر قبله ، والباقي بعده ، كما قال في كتابه : (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) . العالی فی مشیتہ والقاهر فوق عباده ، المتعالی عن شبه خلقه ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، خلق العباد بقدرته ، وهادهم برحمته ، وأوضح لهم السبيل الى معرفته بما نصب لهم من دلائله ، وأراهم من عبره ، وصرفهم فيه من ضلته ، كما قال جل جلاله : (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَنَى الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) .

وذلك كله من خلقه إياهم بتمثيله ما مثل لهم من الدلائل التي نصبها لهم ، والأعلام التي جعلها إزاء قلوبهم ، وأسماعهم وأبصارهم ، ويسر لهم خواطرم وفكرهم ، والهيبة التي هبهم لها ليقع الأمر والنهي عليهم ، فلا يكفهم فوق طاقتهم ، ولا يمحسهم ما يقصر عنه وسعهم ، نظرا منه تبارك وتعالى إليهم ورحمة بهم ؛ ليؤمنوا به ويعبدوه ، فيستحقوا به رفته ورضوانه ، والخلود في النعيم المقيم ، والظل المديد ، والعيش الدائم ؛ كما قال تعالى ذكره : (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) . وكان من نظره وأفضه بهم أن يبعث فيهم أنبياء ورسله ، يدعونهم الى طاعته ، وينتوون لهم هداى ، ويوضحون لهم سبيله ، ويهدونهم الى رحمته ، ويعلمونهم ثوابه ، وينذرونهم عقابه . ويسطرون لهم توبته ، ويحذرونهم شخصه ، ويبينون لهم سنته وشرائعه ، ويكشفون لهم قواعظه ، ويعلمونهم كتابه وحكمته ، كما قال تبارك وتعالى : (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) . وكان من رأفته بهم ، أن بعثهم اليهم بالحق الظاهرة ، ولأعلام آية . والسواهد الناطقة ، التي أظهر بها صدقهم . وأقام بها برهانهم ، وأوضح

بها دليّتهم ، وأثابهم عمل سواهم ، ليكون أدعى لهم الى تصديقهم ، والقبول عنهم ، وأؤكد
الحجة على من أبى ذلك منهم .

ومحمد أحمد بن يوسف في صدر رسالة الخليس التي كانت تقرا بخراسان

أما بعد ، فالحمد لله القادر القاهر ، الباعث الوارث ، ذى العز والسلطان ، والنور
والبرهان ، فاطر السماء والأرض وما بينهما ، والمتقن بالمرء والطول على أهلها ، قبل
استحقاقهم لثوابه ، بالمحافظة على شرائع طاعته ، الذى جعل ما أودع عباده من نعمته ،
دليلا هاديا لهم الى معرفته ، بما أفادهم من الأبواب ، التي يفتحون بها فصل الخطاب ، حتى
أقنوا علم موارد الاختبار ، وفتحوا مصادر الاعتبار ، وحكوا على ما بطن بما ظهر ، وعلى
ما غاب بما حضر ، واستدلوا بما أراهم من بالغ حكمه ، ومُتقن صنعته ، وحاجة مُتَرايِل
خلقه ومتواصله ، الى القوام بما يأمُر ويصاحه ، على أن له بارثا هو أنشأه وابتدأه ، ويسر
بعضه لبعض ، فكان من أقرب وجودهم ، ما يباشرون به من أنفسهم ، في تصرّف أحوالهم ،
وفنون انتقالها ، وما يُظهرون عليه من العجز عن التأتى لما تكاملت به قواهم ، وتمت به
أدواتهم ، مع أثر التدبير والتقدير فيهم . حتى صاروا الى الخلقة المحكّة ، والصورة المعجبة ،
ليس لهم فى شيء منها تطلّف يتيمّمونه ، ولا مقصد يتمدّدون منه أنفسهم ، فإنه قال تعالى
ذِكْرُهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبُّكَ أَكَرِّمَ الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَىْ صُوْرَةٍ
مَّا شَاءَ رَجَّكَ ﴾ . وما يتفكرون فيه من خلق السماء ، وما يحيرى فيها من الشمس والقمر والنجوم
مُسَخَّرَاتٍ على مسير لا يثبت العالم إلا به ، من تصاريف الأزمنة ، التي بها صلاح الحوث
والنسل ، وإحياء الأرض ، وإقحاح النبات والأشجار ، وتعاور الليل والنهار ، ومزج الشهور
والأيام ، والسنين التي تُحصى بها الأوقات ؛ ثم ما يوجد من دليل التركيب ، فى طبقات
السقف المرفوع ، وآلهاد الموضوع ، باختلاف أجزائه والتماها ، وتعرّى الانهار ، وإرساء
الجبال ، ومن الثمام الشاهد على ما أخبر الله به من إنشائه الخلق وحدويه بعد أن لم يكن ،
مُتَرَفِّعًا فى السماء ، وثباته الى أجله فى البقاء ، ثم عماره مُنْقَضِيًا الى آخر الفناء ؛ ولم يكن له

مُتَّعٌ مَدَدٌ ، وَلَا مُقَطَّعٌ أَمَدٌ ، وَمَا أَزْدَادُ بَشَوءٌ ، وَلَا تَحْتَفِئُ ثَقْبَانٌ ، وَلَا تَهَاوَتِ عَلَى الْأَزْمَانِ ، لَا تَقْ مَالًا حَدُّ لَهُ وَلَا نِهَايَةً ، غَيْرَ مُمْكِنٍ الْإِحْتِمَالُ لِلتَّعْصِ وَالزِّيَادَةِ ، ثُمَّ أَجْرَى فَيَا ذَكَرَ مِنْ خَلَقِ اللَّهِ وَخَلَقِ الْإِنْسَانِ إِلَى ذَكَرَ مَا تَهْضِلُ اللَّهُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمَا اخْتَصَمَهُمْ بِهِ مِنْ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى ذَكَرَ انْتِقَاءِ أَوَّلَاهُ ، ثُمَّ إِلَى ذَكَرَ الْمَأْمُونِ وَدَوْلَتِهِ .

وتحميد للعباس في مقام له بين يدي المأمون

الحمد لله على نعمه علينا ، وإحسانه إلينا ، بالأرض المبسوطة ، والسماء المرفوعة ، والرياح المسفجرة ، والأمطار النازلة ، والأوقات القائمة ، والمنافع الدائمة ، والدين المبين ، والأدب القويم ؛ حمداً يكون إليه صاعداً ، ولديه نائياً ، وللكون ماثلاً ، والحمد لله حمداً يثبت رضوانه ، ويورث إحسانه ، ويوجب مزيدَه ؛ فهو المنعم المحمود ، والمتطول المشكور ؛ لا إله إلا هو لا شريك له ، كما شهد الله وملائكته قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم .

وتحميد لعبد الحميد في أبي العلاء الحروري

الحمد لله الناصر لدينه ، وأوليائه وخلفائه ، المظهر للحق وأهله ، والمبذل لأعدائه وأهل البدعة والضلالة ؛ الذي لم يجمع بين حق وباطل ، وأهل طاعة ومعصية ، إلا جعل النصرة والعلج والمأقبة لأهل حقه وطاعته ، وجعل الخزي والذل والصغار ، على أهل الباطل والخلاف والمعصية ؛ حمداً يتقبله ويرضاه ، ويوجب به لأمر المؤمنين وأهل طاعته الريادة التي وعد من شكره ، والحمد لله على ما يتوسل من إعزاز أمر المؤمنين ونصرته وإصلاحه وإظهار حقه ، على ما وقع بأعدائه وأهل معصيته والخلاف عليه من سطواته ونعمته ونسه . في ربي أمير المؤمنين من موالاة من والاه . وعداؤه من بنى عليه وعداؤه ؛ لا تكله في شيء من الأمور لي نسه . ولا أني حوله وقوته ومكيدته . فإنه لا حول ولا قوة لأمر المؤمنين إلا به .

ونحمد في آخر فتح

الحمد لله المعز لدينه ، المظهر لحقه ، الناصر لأوليائه ، المنتقم من أعدائه أهل الكفر ؛
المتزل بهم من بأسه ، وقمته وجوائحه ؛ الذي لم يجمع بين أهل حقه ، وباطل عدوه ، في موطن
من مواطن التحاكم ، إلّا جعل فيه لأوليائه الظفر ، وأفرغ عليهم الصبر ، ومنحهم النصر ؛
وجعل الدائرة وسوء العاقبة على عدوه ، وأهل الكفر ؛ حمدا كثيرا يرضاه من الشكر ،
ويحسن به المزيد .

ونحمد في فتح الى أمير لقمامة

الحمد لله الفتح العليم ، الذي خص الأمير بأفضل الكرامة وأتم النعمة ؛ وأحسن الولاية ،
وأعظم الكفاية ؛ ويحفظ ما استرأه ، وأعرض أوليائه ، وقمع بالمذلة أعداءه ، وجعل حسن
العاقبة له ولأهل طاعته ، ودائرة السوء على أهل معاندته ؛ حمدا يحسن به القضاء ،
وتريد به النعماء .

وصدر محمد لغسان بن عبد الحميد في خطبة موجزة

الحمد لله الذي لا يدرك خيراً إلّا برحمته ، ولا ينال الفضل إلّا بنعمته ؛ وليّ التسديد
للحسنات ، والعصمة من السيئات .

نحمد لعبد الحميد في فتح

الحمد لله العليّ مكانه ، المتبرّ برهانه . العزيز سبطاه ، الذاة كلماته ، النافية آياته ، البايد
قضاؤه ، الصادق وعده ؛ الذي قدر على حلقه بملكه ، وعزّ في سماواته عظمه . ودبرّ الأمور
بعلمه ، وقدرها بحلمه ، على ما يشاء من عزّ مه ؛ مُتَدَا لها برائتاه إياها ، وقدرته عليها ،
واستصغاره عظيمها ، نافذة إرادته فيها . لا تجرى إلّا على تقديره . ولا تنتهي إلّا الىّ جيله ،
ولا تقع إلّا على سبق من حظه ، على كلّ ذلك بطفقه وقدرته . وصرف وجهه . لا مدخل
لها عنه ، ولا سبيل لها غيره . ولا على أحد يخفها ، ولا يهينها إلّا هو . وبه يقول في كتابه
الصادق : (وَعِدُهُ مَقَاتِلُ الْغَيْبِ ..) ؛ الى آخر الآلة .

وتحميد ثلث

الحمد لله الذى علا بالحبب الى استترها عن جميع خلقه ، واستغنى بها عنهم لما توحّد به دونهم من عبادة الذين فطروهم على المعرفة ، رموا عليهم بمنّة ومُتَعَوِّلًا وهو فيما يُنْفِى من أقداره ، مفعلا لهم بابتدائه خلقهم فى أحسن تقويم ، وإعطائه إياهم عاجل كل خير مقسوم ، وتسخيرهم لهم جميع ما فى السموات والأرض ، وبسطه لهم فى معاشهم أوسع الرزق ، وإسباغه عليهم فيها أفضل النعم الى لطفت فبطنت ، وعظمت فظهرت ، وليست فعمت ، وانتشرت فخلّت ، وكثرت فلا يحصها عاد ، وجرت فلا يؤدى حق ما أقرض منها شاكر ، فإنه يقول : ﴿ وَإِنْ تَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَنَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

والحمد لله الذى لم يقتصر بهم فى إكرامه وتفضيله إياهم على عاجل ، فإنه مُضْمِلٌ زائل مما أعطاهم إياه ولم يكلمهم فى معرفة خالقهم تبارك وتعالى ، ومُنَوِّلٌ النعم عليهم ، وإلا احسان اليهم ، والارتياش لهم ، ولا فى مُبْتَنَى سبيل طاعته ، وأداء حقه ، وشكر نعمته ، واستيجاب غبطة ألعاد اليه الى أن يَمُوتُوا ذلك بمقوّم ، والنظر فيه بألباهم ، والتصريف له على أهوائهم ؛ فإنه لو أُلْجِأ ذلك اليهم ، وأُفْرِدَهم فيه الى أنفسهم ، ووكلهم فيما أمرهم به الى مقدرتهم ، لحارت عنه منهم الأبصار ، ولتاهت فيه منهم العقول ، ولأضلّهم عن قصده العلى ، ولمال بهم الى غيره الهوى ، ولا استحكم عليهم شرك الردى ، ولكنه بث فيها أنبياء الهادين ، يدعونهم الى الصراط المستقيم ، بنوره المُنْضَى ، ودينه التقويم ، وآياته البينة ، وكُتِبَ الفارقة التى بين فيها محابه ومكروهه ، وطاعته ومعصيته ، وثواب الفريقين فى ذلك من عباده ليحذروا ما حذّره فيه من مُنْطَه ، ونزل بهم فيه من نِقْمته ؛ وليسارعوا فيما جعل لأهله به الى أفضل المثوبة ، وأحسن العاقبة فى الدنيا والآخرة ، وكشّف لهم الجهالة ، وهدى من الضلالة ، وبصرهم سبيل الحق ، وبين لهم معالم الإسلام ، ليرجع جائز ، ويَقْصِدَ زائع ، ويعرف جاهل ، وليبعد الربّ بما وحد به نفسه ، وليستبين العلم ، ويستضىء الحق ، وليتقن من الله الثواب بزمه دينه الذى شرع . وأداء فرائضه التى قرّض . وإيثار طاعته التى أوجب ، وليكون لله

الجمعة البالغة على عباده فيما تركوا من ذلك وسفّوها بعد استبانتهم لهم ، واستفاضته فيهم وإعذاره اليهم ، فانه يقول : ﴿ لَيْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْتَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْتَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ تَسْمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ويقول ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ ﴾ .

لأنس بن أبي شريح

الحمد لله الذي بالقلوب معرفته ، وبالعقول حجته ، الذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم أمينا فوق له ، ومبلغا فآدى عنه فحج به المنكر ، وتألف به المذير ، وثبت به المستبصر ، الى أن توفاه على منهاج طاعته ، وشرعة دينه ، ثم أوردكم عهدَه وخصمكم بكلمة التقوى ، وجعلكم الأمة الوسطى .

ولعبد الحميد في فتح

يُعَظَّم فِيهِ أَمْرُ الْإِسْلَامِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أما بعد ، فالحمد لله الذي أصطفى الإسلام ديناً رضى شرائعه ، وبين أحكامه ونور هداياه ، ثم كتفه بالعز المؤيد ، وأيده بالظفر القاهر ، وأزره بالسعادة المتعجبة ، وجعل من قام به داعيا اليه من جنده الغالين ، وأنصاره المسططين ، كلما قهر بهم مدونا اورم رباعتهم المأمولة ، وأموالهم المثيرة ، ودارهم الفسيحة ، ودولتهم المطولة ، اسما حتمه على نفسه ، ثم جعل من عاندهم وأبغى غير سبيلهم مسلما قد استهوته ذلّة الكفر بظلمها ، وحيرة الجهالة ببحارها ، وتيه الشقاء بمغاويه ، وكلما ازدادوا لدعوة الحق إباء ، ازداد الحق اليهم آزنافا ، وطلبهم عكوكفا ، وفيهم إقامة ، الى أن يحل بهم عز الغلبة ، ونجاة المتجاوز ، راغبين فيما شوقهم اليه ، محافطين على ما نذبتهم له ، قد بذلوا في طاعة الله دماغم ، وقبلا المعرض عليهم في مبايعة ربهم لهم بأنفسهم الجنت . محمود صبرهم ، مستهل بهم عزهم ، نى خير الدنيا والآخرة .

والحمد لله الذى أكرم محمدا صلى الله عليه وسلم بما حفظ له من أمور أمته ؛ أن اختار لموارث نبوته ما أضر الى أمير المؤمنين من تطويقه ما حمل بحسن نهوض به ونشج عليه ، ومنافسة فيه ، أن فعل وفعل . والحمد لله الذى تم وعده لرسوله وخليفته فى أمة نبيه مسددا

له فيما أعظم عليه . والحمد لله المعزُّ لبيته ، المتولَّى نصرأته بنبئه المتخلَّى من طادام وتاوأهم ، حمداً يزيد به من رضى شكره ، وحمداً يملكو حمد الحامدين من أوليائه الذين تكاملت عليهم نعمه فلا توصف ، وجلت أياديه فلا تحصى ، الذى حملنا ما لا قوة بنا على شكره إلا بونه ، وربانته يستعين أمير المؤمنين على ذلك ، واليه يرضى ، إنه على كل شئ قدير .

ولعبد الحميد أيضاً

أما بعد ، فالحمد لله الذى اصطفى الإسلام لنفسه ، وأرتضاه ديناً للملائكة ، وأهل طاعته من عباده ، وجعله رحمةً وكرامةً ونجاةً وسعادةً لمن هدى به من خلقه ، وأكرمهم وفضلهم وجعلهم بما أنعم عليهم منه أوليائه المقربين ، وحزبه الغالبين ، وجنوده المنصورين ، وتوكل لهم بالظهور والقليح ، وقضى لهم بالعلو والتمكين ، وجعل من خالفه وعزَّب عنه وابتنى سبيل غيره أعداءه الأتلين ، وأوليائه الشيطان الأخسرين ، وأهل الضلالة الأسفلين ، مع ما عليهم فى دنياهم من اللذل والصغار ، وما تجل لهم فيها من الخذلان والانتقام ، إلى ما أعد لهم فى آخرتهم من الخزي والهوان المقيم ، والعذاب الأليم ، إنه عزَّز ذو انتقام .

وفى ذكر الإسلام وأهله وما فضلهم الله تعالى به

أما بعد ، فالحمد لله الذى عظم الإسلام تعظيماً ، وفضله تفضيلاً ، فلم يبق ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، ولا إمام لأهل حق مهتد إلا دان به ، واتصل الى ولاية الله بما هداه له منه ، وليس فى دين الله الذى ارتضى ، وخيرته من أهل الإسلام الذين اصطفى ، تفاسم ولا تقالُم ، ولا تحاسد ، ولا تقاطع ولا تدابر ، ولكنهم كما وصفهم الله عز وجل بالتباز والتراحم ، والتواد والتناصف ، قلوبهم متفقة ، وأهواؤهم مؤتلفة ، وأيديهم على أهل معصيته مبسوطة ، أعواناً على الحق ، وإخواناً فى الدين ، ألفت الله بينهم ، وجعل الإسلام نسبهم ، فقال فى كتابه : **يَعْلَمُ رَسُوْلُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ...** الى آخر الآية . فهذه صفة الله أهل دينه فيما بينهم . وكذلك كان أسلاف الحق قبائهم . فى واد وتبازهم . وتواصلهم وتعاونهم ، بذلك دان أهل السوء ، فد يختلفوا فيه . ولم يرغبوا عنه ، ولم يمتدوا مثالا غيره ، وبه يدين

الله الباقون من خلقه ، المتمسكون بحقه الى يوم القيامة ، سنة مسنونة ، وشريعة متبوعة ، لا يتفنون بها بدلا ، ولا يربون عنها حولا ، فاهل طاعة الله اهل سلامة في دنياهم ، وإخوان كما قال الله عز وجل في آخرتهم ، لم تقطع الولاية فيما بينهم ، لاقطاع الدنيا عنهم ، ولكن الله وصلها بالآخرة لهم ، فجمعهم في داره وجواره ، كما آلف في الدنيا بين قلوبهم ، وعصم بالإسلام ألقمتهم .

تحميد

الحمد لله المنيب على حمده وهو ابتداءؤه ، والمنعم بشكره وعليه جزاؤه ، والمنني بالإيمان وهو عطاؤه .

ولقائه

الحمد لله الذي أكرم الإسلام وفضله ، وشرقه وعظمه ، وأعلى منزلته ، وجعل أهله القائمين به ، والحامدين عليه ، أوليائه وحزبه الذين قضى لهم بالتمكين ، والظهور على الدين كله ولو كره المشركون .

ولزيد بن علي رحمة الله عليه خطبة

الحمد لله الواصل النعم بالشكر ، والشكر بالمزيد ، حمد من يعلم أن الحمد فريضة واجبة ، وأن تركه خطيئة مهلكة ، وأومن بالله إيمانا نفى إخلاصه الشرك ، ويقينه الشك ، وأتوكل عليه توكل الواقي به ثقة أهل الرجاء ، ومفزع أهل التوكل .

تحميد في الإسلام

الحمد لله الذي اختار الإسلام ديناً لنفسه ، وأنبيائه ورسله ، وشرقه وعظمه ، وأثاره ، وأظهره ، وتره وأعزه ومنعه ، ولم يقبل غيره ، ولم يعمل حُسن الجزاء إلا لأهله ، الذين كتب لمن أسعده بالوليعة فيه منهم الرضوان والمنفرة والرافة ، وعلى من خالفه وابتغى غير سبيله الحسرة والدامنة ، والنزلة والصغار في الآخرة والأولى ، والمات والحميا ، إذ يقول الله عز وجل : وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ .

والحمد لله الذي اجتبى عبداً صلى الله عليه وسلم بما اصطفاه من نبوته ، واختاره له من رسالته ،
 وحباه بفضيلته ، وأجابه من أفضل عمائر العرب ، وأشرفها منصباً ، وأعرقها حسباً ،
 وأكرمها نسباً ، وأوراهها زناداً ، وأرفعها عِمَاداً ، فبعثه بالنور ساطعاً ، وبالحق صادقاً ، وبالهدى
 آمراً ، وعن الكفر زاجراً ، وعلى التبين مَهْمَتاً ، وإلى سبيل ربّه داعياً ، وبالكتاب طاملاً ،
 فبلغ عن الله الرسالة ، وهدى من الضلالة ، وانتاش من الهلكة ، وأنهج معالم الدين وأدى
 فرائضه ، وبيّن شرائعه ، وأوضح سنته ، ونصح لأمنه ، وجاهد في سبيل الله حتى جهاده
 حتى أتاه اليقين ، صلى الله عليه وسلم .

تمجيد لأبي عبيد الله

الحمد لله الذي شرع لإظهار حقه وإنفاذ سابق قضائه فيمن ذرأ وبراً من عباده ،
 بإدخال من أراد أن يخلّ في رحمته ، وإنجاز ما حق له من العبادة على خلقه ، بابتدائه
 خلقهم ، ومظاهرتهم الآلاء عليهم ، وإحسانه البلاء عندهم ، وإبلاغه في الحجج إلى طاعتهم ،
 ديناً رضيهم لنفسه وملائكته الذين أسكن سماواته ورسله ، فآمن على وجه من لم يرض
 إلا به ، ولم يقبل إلا إياه ، ثم كان ما أمر به نفسه ، وأظهر به نوره ، وأراد أن يسلبه
 عباده ، تحقيقاً لما سبق به علمه ، وإنفاذاً لما جرت به مقاديره ، أن بعث لما شرع من
 دينه ، وأصطفى لتسبيحه وتقديسه من ملائكته المقربين ، من ارتضى واختار من أنبيائه
 ورسله المحبوبين ، لتبليغ رسالته وإظهار حقه ، وأسّئله^(١) من أراد سعادته من خلقه بالرحمة
 التي أطلعت عليهم وعظمهم ، ليعبد مخلصاً له ، محموداً بما استحمد به إلى خلقه ، مشهوداً له
 بما أشهد به من كلمة الحق ، فكان منهم التبليغ لما أرسلوا به ، والنصيحة لمن أرسلوا إليه ،
 غير مختفين فيما بُعثوا له ، ولا متفرقين فيما استعملوا فيه ، يدعوهم آخر إلى ما دعاهم إليه
 أول ، فيصدق بذلك بعضهم بعضاً ، ويهتدون إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، فضت
 رسل الله وأنبيأؤه على ذلك سالكين منهاج الحق وسيله ، والدعاء إلى الله عز وجل وإلى

طاعته ، هادين مهدين غير مبخوسين شيئا مما كانوا أهله في المتربة عند الله ، والقربة منه ،
والوسيلة إليه ، هم ومن آمن بهم وعززهم ، وأتبع النور الذي أزل معهم ، حتى تقضت
بهم الأعمار ، وتقطعت بهم الآثار ، وتحرمتم الأجال .

وكذا لأبي عبيد الله

الحمد لله الذي جعل الإسلام رحمةً قتمها لعباده قبل خلقه إياهم ، واستجابه إياها
منه ، فاصطفاه لنفسه وشرعه لهم ديناً يلينون به ، ثم جعل تحديده وحيه ومتابعة رُسله رحمةً
تلافاً لهم بها بعد تنذيمها ، ومِنَّةً ظاهرها عليهم قبل استجابه لها . تطولاً على العباد بالنعمة ،
وإعذاراً إليهم بالخروج ، وتقديماً بالوعد . وإنذاراً إليهم عواقب سخطه في المعاد .

واحمد لله الذي ابتعث محمداً صلى الله عليه وسلم بهداه وشرائع حقه على قرة من الرسل ،
وطموس من معالم الحق . ودروس من سبل الهدى ، عند الوقت الذي بلغ في سابق علمه
ومقاديره . أن يجتبي لدينه الأصفياء ، ويختار له الأولياء ، الظاهرين بحقه ، الظاهرين لمن
ابتغى سبيلاً غير سبيله . فعظم حرمة ، ووسع حوزته . وصدع بأمره ، وجاهد عن حقه
في حومات الفضائل وطلعات الكرم . بإحق المبين ، والسراج المنير ، ثم جعله مصدقاً لمن
سبقه من الرسل ومجدداً لما يدعو له وهدى ورحمة . ثم جعل لدينه وظائف وظفها على
أهله ، وشرائع شرعها لهم لا يتكبر عنهم إلا بها . وجعل أدائها إليه . واعتصامهم بها إماماً
لبيته . ونظاماً لموره . وروياً لحقه . واستجاباً لما وعد عليه من ثوابه ، وأماناً لما أوعده من
خالفه من عقابه . فليس يسع أهل لإيمان الله الذين أكرمهم به وأجرل لهم فضله وأجره ،
وجعل لهم عزه وعلوّه . وخدر غمر العاقبة على من فارقه فيه إلا معرفتها . وأداؤها
بما يستكمل به حدودها . ونجات من كذ وكذ .

إبراهيم بن المهدي — صدر رسالة له في الخميس

الحمد لله الذي خدر لإسلام نبيه نفسه . ورضى أن يبدئه من في سمواته من الملائكة
المقرئين . ومن في أرضه من النبيين والمرسلين ، ومن آمن بالنور الذي هداهم له من الثقلين ،

واختار لرسائله في سابق علمه ، والذكر الحكيم عنده ، محمداً صلى الله عليه وسلم ، وأنزل عليه كتابه وجعل طاعته وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم موصولةً بكذا فقال : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ .

تمجيد

الحمد لله المتكبر في جبروته المتميز بسلطانه . المتعالى في سمواته ، المحتجب عن خلقه ، فلا تُدركه في الدنيا أبصار الناظرين ، ولا تُحيط به أوهام المتوهمين ، ولا تُبَاهيه صفات الواصفين ، الذى لا يُروده عظيم ، ولا يفوته مطلوب . ولا يسجزه شئ في الأرض ولا في السماء ، وهو السميع العليم .

تمجيد آخر

الحمد لله الحكيم العدل ، الذى فصل بين الحق والباطل ، فغذ قضائوه في خلقه ، وحكم فيهم بغيرى حكمه على إرادته ، يقضى بالنصر والتأييد ، والعز والقلع ، والتكفين للحق وأهله ، وبالذل والوقم والحزى والصغار للباطل وأهله ، وجعل ذلك من فضله وحكمه عادةً جاريةً باقيةً ، وستة ماضيةً ، لا راد فيها قضى منه نقصائه .

والحمد لله الذى اختص محمداً صلى الله عليه بكراماته ، واصطفاه لرسالاته ، وأنزل عليه كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، بما أحل وحرم ، ورضى ومخط ، وأمر به ونهى عنه ، وجعله حاتم النبيين والمهيمن عليهم ، وكتابته الذى أنزل ، آخر الكتب المصدق بها النبي صلى الله عليه وسلم .

تمجيد في الإسلام وما أمتن به على أهله من مبعث النبي

صلى الله عليه وسلم . وهو في صدر الجهاد

أما بعد ، فإنك يا دين الله الذى ارتضاه لنفسه . ولين اصطفاه من خلقه ، واجتباه من عباده وجعله معلماً بين الهدى والضلالة . وفرقاً بين الحق والباطل ، راحوا بين الكفر والإيمان ، وظائف وظفها على أهلها . وسرعة سرعه لهم . فحبل أدامها اليه ومعرفتها له . وحافظتهم عليها ،

واحتصاصهم بها قواما لدينه ، ونظاما لنوره وثباتا لحقه ، واستجابة لما وعد من ثوابه ، وأما
 لما أوعد من عقابه ؛ فليس يتسع أهل الإيمان بالله والإقامة على حقه من المسلمين الذين
 ستأثم المسلمين بالإسلام ، وأحرز لهم فضله وعزّه ، وأصار لهم الغلبة على مَنْ خالفهم وفارقهم
 بما ركنوا إليه من الصدود عن سبيله ، والتكذيب بكتبه ورسوله ، ودلتهم فيه قُرْبَاهُمْ ،
 وقادتهم إليه أهْوَاهُمْ ، مِنَ الْمَلَلِ الضَّالَّةِ ، والأديان المجموعة ، التي لم يَقْرُلْ بها مِنْ الله سُلْطَانٌ ،
 ولا كِتَابٌ ولا بُرْهَانٌ ، إِلَّا مَعْرِفُهَا وَأَدَاؤُهَا بِمَا يُسْتَكْمَلُ مِنْ حُدُودِهَا وَمَعَالِمِهَا .

تحميد في الجهاد وما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم

أما بعد - فَإِنَّ الله خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَقَدَّرَ الْأُمُورَ بِعِلْمِهِ ، وَأَقْعَدَ عَلَى مَا مَضَى مِنْ
 مَشِيئَتِهِ ، مَنْ غَيْرَ أَنْ يَكُونَ لَهُ ظَهِيرٌ فِي مَلَكِهِ ، أَوْ مُؤَيِّنٌ عَلَى مَا يَرَى مِنْ عَجَائِبِ خَلْقِهِ ،
 واحتذاء منه على سَابِقٍ مِنْ صُنْعَةِ غَيْرِهِ ، فَوَحَّدَ نَفْسَهُ بِمَا تَقَرَّدَ بِهِ دُونُ غَيْرِهِ مِنْ خَلْقِهِ ، لِيُعْبَدَ
 مُخْلِصًا مُبْرَأً مِنَ الْأَنَادِ - إِتِمَامًا لِنُورِهِ ، وَتَمَرُّزًا لِتَوْحِيدِهِ - وَتَأْيِيدًا لِدِينِهِ ، وَإِعْلَاءً لِمَنْ أَحْتَصَمَ
 بِهِ ، وَإِفْلَاحًا لِمَنْ حَالَمَهُ وَعَدَّ عَهْدَ غَيْرِهِ ، وَإِحْقَاقًا لِكَلِمَتِهِ - فَإِنَّهُ يَقُولُ : ﴿ كَذَلِكَ
 حَقَّقْتُ كَلِمَةَ رَبِّكَ ۚ ﴾ الْآيَةِ - بِذَلِكَ أَنْزَلَ كُتُبَهُ ، وَأَرْسَلَ رُسُلَهُ - وَأَحْجَجَ بِهِمْ وَبِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ
 عَلَى مَنْ مَضَى مِنَ الْقُرُونِ السَّامَةِ - وَالْأُمَمِ الْخَالِيَةِ - يَدْعُو تَحَرُّمَهُ إِلَى مَا سَبَقَ إِلَيْهِ أَوَّلُهُمْ ، مِنْ
 عِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ - لَا يَسْنُوحَتُونَ مِنْ قِلَّةٍ ، وَلَا يَتَوَتُونَ مِنْ كَثَرَةٍ ؛ يُعَزِّمُ اللهُ بَقُوَّتِهِ ،
 وَيُؤَيِّدُهُمْ بِجُدِّهِ ، وَيَنْصُرُهُمْ بِبَصَرِهِمْ ، إِلَى أَنْ يَبْتَغِيَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا خَصَّصَهُمْ
 بِهِ ، وَجَعَلَهُ مُعْتَدًّا لَهُمْ ، وَهَمِيمًا عَلَيْهِمْ ، وَحَدَّثَهُمْ بِسَبْعٍ بَعْدَهُمْ ؛ تَمِصُّ لِأَمْرِ اللهِ ، وَيُجَاهِدُ
 مَنْ لَمْ يُجِبْهُ إِلَى الدُّخُولِ فِي دِينِ اللهِ - فَضْهَرَهُ بِهِ رُزْزَ حَقُّهُ - وَرُهِقَ عِدُوُّهُ ، وَأُنْجِزَ لَهُ مَا وَعَدَهُ
 وَتَمَّ بِذَلِكَ النِّعْمَةُ عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ اتَّبَعَهُ - فَإِنَّهُ يَقُولُ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى ۚ ﴾ .

تحميد في فتح

أَخَذَ اللهُ الْفَتْحَ أَعْيُنَ - أَرْحَمَ الرَّحِمِ - الْهَرِيرِ حُكِيمِ - لِمَنْ أَعَزَّ لِلْإِسْلَامِ بِقُدْرَتِهِ ،
 وَأَيَّدَ بِنَصْرِهِ ؛ فَلَمْ يُجِدْ فِيهِ مُنْعَدًا ، وَتَسَعَّ فِي تَسْتَيْتِ لِكَلِمَةِ وَشَقِّ الْعَصِ سَاعَ ، وَيُوضِعُ

في الكفر والمعصية مَوْضِعٌ، ويمتنع من قضاائه وإرادته مُمْتَنِعٌ إِلَّا أَذَلَهُ اللهُ وَقَصَمَهُ، وَأَضْرَعَ خَدَّهُ، وَأَتَمَّسَ جَدَّهُ، وَضَلَّ سَبِيلَهُ، وَعَجَلَ بَوَارَهُ وَاسْتَصَالَهُ؛ حَمْدًا دَائِمًا لَا انْقِطَاعَ لَهُ، وَلَا فَنَاءَ لِمَدَّتِهِ .

تمجيد ثامن

والحمد لله الذي اختار الإسلام وشرعه، وكرمه وطهره، وأظهره وأعزّه، وفطر عليه ملائكته، وبعث به أنبياء ورُسله، واختار له خيرته من خلقه حمدا صلى الله عليه، قبضته برسالته، وأكرمته بوحيه، وأصطفاه على خلقه؛ يُبَشِّرُ بِالْجَنَّةِ مَنْ أَطَاعَهُ، وَيُنْذِرُ بِالنَّارِ مَنْ عَصَاهُ؛ وَجَعَلَهُ دِينَهُ الْقِيمَ الَّذِي لَا يَقْبَلُ دِينًا غَيْرَهُ وَلَا يُثِيبُ أَحَدًا إِلَّا عَلَيْهِ .

تمجيد في فتح

الحمد لله العزيز في ملكوته القاهر فوق برّيته، الذي خلق الخلق بقدرته، وأقذف فيهم إرادته ومشيئته، وقدر كل شيء وأتقنه وأحكمه، وأحاط علما به؛ فلا يعزب عنه بمقال فزة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين .

الحمد لله الذي ابتدع الخلق لا من شيء، وجعل الليل والنهار كهفاً ومَسْتَجَنًا لكل حي؛ بقدرته تتجرت البحار، وجرت لمواقيتها الأنهار؛ فدار وتطارد الليل والنهار، لا إله إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ .

والحمد لله الذي فات بعظمته أبصار المرتين، وعلا بمجده عن خَطَرَاتِ الْحَاسِبِينَ، وَأَحْتَجَبَ بِاسْتَارِ جَبَرَوْتِهِ عَنْ مَوَاقِعِ فِكْرِ الْمُحْصِلِينَ الْمُتَمَقِّينَ؛ فَلَمْ تَحْوِهِ الْكِبْيَةُ، وَلَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ أَدْوَاتُ التَّحْصِيلِ وَالْكَفِيفَةِ، وَلَا أَدْرَكَهُ هَاجِسُ تَبْعِيضٍ وَلَا كُلِّيَّةٍ، وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَى زِيَادَةٍ فِي حِينٍ، وَلَا إِلَى تَقْصِيرٍ فِي شُهُورٍ وَلَا سِنِينَ، فَكُلَّ أَمْرِهِ — عَزَّ جَلَالُهُ — تِمَامٌ وَدَوَامٌ، وَكُلَّ صِفَاتِ صَمْعِهِ أَعْتَدَالٌ وَكُلُّ مَا دُونَهُ يَحْتَكِمُ فِيهِ الْقَنَاءَ وَالزَّوَالَ، أَيْسَ كَثَلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ .

والحمد لله الذى عرفنا ربوبيته إماما ، ونهج لنا سبيل طاعته منّا وإكراما ، وتعبّدنا بفرضه تقويما وتعلّيا وأمتنا ؛ فقامت علينا وصل الخلق مُجْتَمِعَةً ، بالصّادع بأمره ، والمُبلّغ لرسالته ، والمُجاهد فيه حقّ جهاده ، عهد صلى الله عليه وسلم . والحمد لله الذى أعزّ دينه ، وأظهر تمكّينه ، ونصرَ وليّه ، وخدّل عدوّه ، وأوقع بأسه وتقمّته بحلّ القرية ، وجُرثومة الضلالة ، ومنّاخ الشرك ، ومركز الكفر ؛ بعد طول الإملاء ، والاعتداء فى سفك الدماء ، والمثلة بالأسرى ، وقلة المراقبة والأرعاء .

تمجيد

الحمد لله حمدا يكون رضاه منتهاه ، والمزِيد من فضله جراحه . والحمد لله حمدا اليه يتناهى حمد الحامدين ، وشكر الشاكرين . والحمد لله الذى لا تُحصى نعمّاه ، ولا تُجزى آلاؤه ، ولا يُكافأ بلاؤه ، ولا يُبلغ شكره إلا بمته وتوفيقه ؛ حمدا يرضاه ويتقبّله ، ويزكو أدبه ، ويوجب ما تأذن للشاكرين من يده .

تمجيد على فتح

أما بعد ، فالحمد لله الواحد القهار ، العزيز الجبار ، ذى المُنّ والإِنعام ، والجلال والإكرام ؛ الذى أصطفى الإسلام ديناً ، وأصطفى له من عباده أهلاً هداماً له ، وأكرمهم به وبيت لهم ما يأتون ، ولم يتركهم فى ريب من أمرهم ، ولا شبهة من دينهم ؛ فله المِجّة البالغة ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حي عن بينة ، وإنّ الله لسميع عليم .

والحمد لله الذى ختم بمحمد صلى الله عليه وسلم النبوة ، وأتجهجه لتبليغ الرسالة ، وبعثه إلى خلقه كافة ، قبّل رسالته ، وصدع بأمره ، وقام فيما بعثه له بحقه ، ثم أنجز له وعده ، وأتم له كلمته ، وأظهر دين الإسلام به على الدّين كلّّه ولو كره المشركون .

تمجيد فى فتح

أما بعد ، فالحمد لله الأوّل الآخر ، الظاهر الباطن ، الولي الحميد ، القوى العزيز ؛ الذى لا يقدر العباد قدره ، ولا يُحصون نعمه ، ولا يبلغون شكره ؛ المحيط بكلّ شىء علماً ،

وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عِلْدًا؛ فَلَا يُجْزِئُهُ كَبِيرٌ، وَلَا يَعْزِيبُ عَنْهُ صَغِيرٌ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ .

تمجيد

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَوَحَّدُ بِالْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، قَادِرًا قَاهِرًا أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ
عِلْدًا، وَمَلَأَهُ عَظَمَةً، وَوَسَّعَهُ عَدَلًا، وَأَتَمَّهُ صُنْعًا. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَزَّ بِالْحَقِّ مَنْ أَطَاعَهُ،
وَأَذَلَّ بِالْبَاطِلِ مَنْ عَصَاهُ، وَجَمَلَ الطَّاعَةَ وَالْجَمَاعَةَ حِرْزًا حَرِيْرًا، وَمَوَّلَا مُنِيفًا؛ فَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَ
أَهْلِ كُفْرٍ وَإِيمَانٍ، وَطَاعَةٍ وَعِصْيَانٍ، إِلَّا تَوَحَّدَ بِالصَّنْعِ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ، وَأَنْجَحَ سَعْيَهُمْ،
وَأَعْلَى كَلِمَتَهُمْ، وَأَفْلَحَ نَجَّتَهُمْ، وَأَزَلَّ بِأَهْلِ الْكُفْرِ الْمُعَانِدِينَ عَنْهُ، الرَّادِّينَ لِأَمْرِهِ الذَّلَّةَ
وَالصَّفَارَ فِي عَاجِلِهِمْ وَأَجَلِهِمْ؛ حَمْدًا يَكُونُ لِمَزِيدِهِ مُوجِبًا، وَلِحَقِّهِ مُؤَدِّيًا .

تمجيد في فتح لسعيد بن حميد عن وصيف

أَمَّا بَعْدُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْحَمِيدِ الْحَمِيدِ، الْفَعَّالِ لِمَا يَرِيدُ؛ الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ،
وَأَمْضَاهُ عَلَى مَشِيئَتِهِ، وَدَبَّرَهُ بِعِلْمِهِ، وَأَظْهَرَ فِيهِ آثَارَ حِكْمَتِهِ الَّتِي تَدْعُو الْعُقُولَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ،
وَتَشْهَدُ لَذَوِي الْأَبْغَابِ بِرَبُوبِيَّتِهِ، وَتَكُنُّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ؛ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيْكٌ فِي مَالِكِهِ فَيُنَازِعُهُ،
وَلَا مَعِينٌ عَلَى مَا خَلَقَ فَتُلْزَمُهُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ؛ فَلَيْسَ يَتَصَرَّفُ عِبَادَهُ فِي حَالٍ إِلَّا كَانَتْ دَلِيلًا
عَلَيْهِ، وَلَا تَقَعُ الْأَبْصَارُ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا كَانَتْ شَاهِدًا لَهُ، بِمَا رَسَمَ فِيهِ مِنْ آثَارِ صُنْعِهِ، وَأَبَانَ فِيهِ
مِنْ دَلَائِلِ تَدْيِيرِهِ، إِعْذَارًا بِحُجَّتِهِ، وَتَطَوُّلًا بِنِعْمَتِهِ، وَهَدَايَةً إِلَى حَقِّهِ، وَإِرْشَادًا إِلَى سَبِيلِ
طَاعَتِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ؛ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَزِيزِ الْقَهَّارِ، الْمَلِكِ الْجَبَّارِ، الَّذِي أَصْطَفَى الْإِسْلَامَ وَأَخْتَارَهُ، وَأَرَنْضَاهُ
وَطَهَّرَهُ، وَأَعْلَاهُ وَأَظْهَرَهُ؛ لِفَعْلِهِ مُجَبَّةٌ أَهْلُهُ عَلَى مَنْ شَاقَّهُمْ، وَوَسِيلَتُهُمْ إِلَى الصَّرْعِ عَلَى [مَنْ]
عَدَّ فِي حَقِّهِمْ، وَأَبْتَنَى غَيْرَ سَبِيلِهِمْ؛ وَبَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ يَدْعُونَ إِلَى حَقِّهِ، وَيَهْدُونَ إِلَى سَبِيلِهِ،

والحمد لله الذى جعل صَفْوَةَ ما آخِطَر من الأمور دِينَهُ الذى أَرْتَضَى لِنَفْسِهِ وَلَمَنْ أَرَادَ كَرَامَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ ، فَقَامَ بِهِ مَلَائِكَتُهُ الْمُقَرَّبُونَ ، يُعْظَمُونَ جَلَالَهُ ، وَيُقَدِّسُونَ أَسْمَاءَهُ ، وَيَذْكُرُونَ آلَاءَهُ ، لَا يَسْتَحْسِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ، وَقَامَ بِهِ مَنْ آخِطَر مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَخُلَفَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ فِي أَرْضِهِ ، يُطِيعُونَ أَمْرَهُ ، وَيَذُبُّونَ عَنْ تَحَارِمِهِ ، وَيُصَدِّقُونَ بَوْعَهُ ، وَيُوفُونَ بَعْدَهُ ، وَيَاخُذُونَ بِحَقِّهِ ، وَيُجَاهِدُونَ عَدُوَّهُ ، وَكَانَ لَهُمْ عِنْدَ مَا وَعَدَهُمْ مِنْ تَصْدِيقِهِ قَوْلُهُمْ وَإِفْلَاجِهِ حُجَّتُهُمْ ، وَإِعْزَازُهُ دِينَهُمْ ، وَإِظْهَارُهُ حَقَّهُمْ ، وَتَمْكِينُهُ لَهُمْ ، وَكَانَ لَعْدُوهُ وَعَدُوُّهُمْ عِنْدَ مَا أَوْعَدَهُمْ مِنْ خِزْيِهِ ، وَإِحْلَالِهِ بِأَسْمِهِمْ ، وَأَنْتَقَامَهُ مِنْهُمْ ، وَغَضَبِهِ عَلَيْهِمْ ، مَضَى عَلَى ذَلِكَ أَمْرُهُ ، وَنَفَذَ فِيهِ قَضَائِهِ فِيمَا مَضَى ، وَهُوَ مُخْصِيهِ وَمُتَّفَعُهُ عَلَى ذَلِكَ فِيمَا بَقِيَ ، لِيَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ، وَلِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُسْطَلَّ الْبَاطِلُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ .

والحمد لله الذى لَا يَقْضِي فِي الْأُمُورِ وَلَا يُدَبِّرُهَا غَيْرُهُ ، ابْتَدَأَهَا بِعِلْمِهِ ، وَأَمْضَاهَا بِقُدْرَتِهِ ، وَهُوَ وَلِيُّهَا وَمُنْتَهَايُهَا ، وَوَلَّى الْخَلْقَ فِيهَا ، وَالْإِمْضَاءَ لَهَا أَحَبَّ أَنْ يُخْصِيَ مِنْهَا ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ، مَا كَانَ لَهُمُ الْخَلْقُ سَبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ .

والحمد لله الفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ، الْمُزِيحُ الْحَكِيمُ ، ذِي الْمَنْ وَالطُّولِ ، وَالْقُدْرَةِ وَالْحَوْلِ ، الَّذِي لَا تُمْنَكُ لِمَا فَتَحَ لِأَوْلِيَائِهِ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَلَا دَافِعَ لِمَا أَنْزَلَ بِأَعْدَائِهِ مِنْ تَقَمُّتِهِ ، وَلَا رَادَّ لِأَمْرِهِ فِي ذَلِكَ وَقَضَائِهِ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ .

والحمد لله الْمُنْتَبِئُ بِحَمْدِهِ وَمِنْهُ ابْتَدَأُوهُ ، وَالْمُنْعِمُ بِشُكْرِهِ وَعَلَيْهِ جَزَاؤُهُ ، وَالْمُنْتَنِي بِالْإِيمَانِ وَهُوَ عَطَاؤُهُ .

لَا خَيْرَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَنْطَوِّلُ بِالنِّعَمِ مُبْتَدَأًا ، وَيُعْطِي الْخَيْرَ مَنْ يَشَاءُ وَيُثِيبُ عَلَيْهِ .

تمجيد لقّسان بن عبد الحميد

كاتب جعفر بن سليمان في المطر :

الحمد لله الذي نشر رحمته في بلاده، وبسط سَعته على عباده، الذي لا يزال العبادُ منه في رزقٍ يَقسُمونه، وفضلٍ يَنتظرونه، لا يَنقُضُه ما قبلُه، ولا يَنقُضِي ما بعْدُه .

لأحمد بن يوسف في فتح السند

الحمد لله وَلِيّ الحمد، وأهلِ الثناء والمجد، خالقِ الخلق، ومُدبِرِ الأمر؛ المَسِيحُ على عباده والمُوجِبِ عليهم حُجَّتِه؛ فليسوا يرجون إلّا سِعةَ فضله، ولا يَحذرون إلّا ما أَجترَحوا من مَعْصِيَتِه؛ لما سبق من جَزِيلِ إحسانه، وتَظَاهِر من أَمْتِنَانِه، وتَقَدَّمَ به الإِعْذارُ والإِنذارُ، اللذان لا يَسْتَحِيفُ بما عَظُمَ منهما إلّا مَنْ أَسْتَحُوذَ عليه الشيطان، وأَسْتَوَلَى عليه الخلدان، وقاده الحَيَنَ إلى مواردِ الهَلَكَةِ .

التحميد الثاني

الحمد لله الذي أَعْطَى الإسلامَ ديناً فَطَّهره وأَسْأَدَه، وأَظْهَرَه وأَعْلَاه؛ وزَيَّنَه بِكُلِّ حَسَنَةٍ، وَفَنَى عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ، وجعلَه إلى مَدْخُورِ كرامَتِه سَبِيلاً واصلًا، وسَبِيلاً نَهْجًا، وبعثَ به مَجدًا صلى الله عليه وسلم لِيَهْدِيَ مَنْ كانَ حَيًّا، وَيَحِقِّ القَوْلَ على الكافِرِينَ .

تفريظه في الخليفة

الحمد لله الذي أَعْطَى أميرَ المؤمنين خِلافَتَه، وتَلَفَّى الأُمّةَ بِسُطْطَانِه، فجعلَه القائمَ فيهم بِقُسْطِه، والمُسْتَفْرِغَ في أَلْتِمَاسِ مَصْلَحَتِهِم هَمَّهُ .

لأحمد بن يوسف

عن ذِي الرّاسَتَيْنِ إلى إبراهيم بن إسماعيل بن داود صدر فتح :

أما بعد ، فالحمد لله الذي حَفِظَ من دينِه ما ضَيَّعَ المَلحدون، ورَأَبَ منه ما [فَرَقَه] ^(١) الصَّدَمَةُ؛ وأُعادَ من حَبَلِه ما حاولوا تَقْضِيَه، حَتَّى أَعادَ لعبادِه أحسنَ أَلَقَتِهِم، وردَّ إليهم أَجْمَلُ

(١) بياض في الأصل . وما أثبتناه ياسب المقام .

حودهم ، من الاستسلاء بعد التردى في فخّم المعاطب ، والاستنقاذ بعد التوريط في المهالك ؛
 وبلغ خليفته القائم بحقه ، المؤتم بكاتبه ، الذائد عن حريم الدين ، وديرات النبين ، أجزل
 ما بلغ لثقتاء الراشدين المهديين ، من إعلاء الكلمة ، وظلّة الأعداء ، والفوز بالعاقبة التي
 وعدّها المتقين ، وفرضه لما أشعر قلبه ، وشرح له صدره ، من إضاء حكم المرائض الموجبة ،
 واقتفاء السنن الهادية ، حيث سلك به من المتاح ؛ حمداً بوازي نعمه ، ويبلغ أداء شكره ،
 ويوجب مزيده .

والحمد لله على ما خصنا به من إعلاء الدرجة ، وإسناء الرتبة ، في مشايعة أمير المؤمنين
 — أيده الله — والمجاهدة عن حقه ، والوفاء لله بما عقده له ؛ لا نريد بما كان منا إلا وجهه ،
 ولا نسئ فيه إلا لرضاه ؛ حمداً لا يحصى عنده ، ولا يتقطع أمده .

تمجيد لأبي عبيد الله

أما بعد ، فالحمد لله ذي الآلاء والقُدرة ، والطول والعزة ؛ الذي أصطفى الإسلام ديناً
 لنفسه ، وملائكته وأنبيائه ومن كرم عليه من خلقه ؛ فبعث به نبياً صلى الله عليه وسلم اختصاها
 له في ذلك بكراماته ، وأصطفاه له به على عباده ؛ فأعزّه ومنعه ، وكفاه وحاطه ، ونوكل لأهله
 بالعلم والتمكين ، والظهور والتأييد ؛ فلم يأتد فيه واحد ، ولم يزع عن قبول حقه زانع ، بعد
 إعداء الله إليه ، وإعادة الحجة لله عليه ، إلا أنزل به من الدّل والتمهيد والاجتياح والاستنصال
 ما يجعل له فيه قوماً حمداً كثيراً دائماً مرضياً له ، مؤتماً من غيره . موجباً لأفضل مزيد بوابه .

تمجيد لسعيد بن حميد في نتج

أما بعد ، فالحمد لله المنعم فلا ينح أحد من عباده ، ونعمته لا تحصى في قدرته ،
 والعزّ فلا يغالب في أمره ، والحكم العدل فلا يرتد حكمه ، رائد امرع لا يكون نصيره إلا للحق
 وأهله ، والمالك لكل شيء ، فلا يخرج أحد عن إرادته . والهادي إلى سبيل رحمة فلا
 يصل من أتباع أطاعه ، والمقدم إعداء لطاعه . بحججه الذي جعل فيه لعماده رحمة ،
 وحلافته عصمة ، وملاعة حاله نعمة ، واحداً على كونه الإنم . به المنة في أرضه

على ما بعث به رُسُلُه ، وأُمتاؤه على خلقه فيما دعاهم إليه من دينه ، والحاملون لهم على منافع حقّه ، لئلا تُشعَبَ بهم الطرق المخالفة لسيبله ، والهادون لهم إلى صراطه ليجمعهم على الجادة التي ندب إليها عباده ، بهم تُحْيى الدين من البُغاة الطاغين ، وَحُفِظَت معالم الحق من الغواه المخالفين ، مُحْتَجِينَ على الأمم بكُتاب الله عز وجل الذي آستعملهم به ، ورُعاةً للأمر بحق الله الذي آخا بهم له ، إن جادلوا كانت مُجبةُ الله معهم ، وإن حاربوا فالنصر لهم ، وإن جاهدوا كان في طاعة الله نصرهم ، وإن ضام عدو كانت نكايه الله حائلةً دونهم ، ومُعقلا لهم ، وإن كادهم كائد فاقه في عوهم ، نصهم الله لإعزاز دينه ، فمن عاداهم فأتى عادى الذين عزبهم وحرس بهم حقّه ، ومن ناوأهم فأتى ناوهم على الحق الذي تكلّوه حراسُهم ، جيوشُهم بالرعب منصوره ، وكنايُهم بسلطان الله من عدوهم تحوطة ، وأيديهم بذبها عن دين الله عالبة ، وأتياهُم بناصرهم ظالبةٌ ، وأحارب أعدائهم بفيهم مقموعةٌ ، ومُجتهم عند الله وحاميه داحضةٌ ، ووسائلهم إلى النصر مردونهٌ ، وأحكامُ الله بمخلائهم واقعةٌ ، وأقداره بإسلامهم إلى أوليائه حاربه ، وعادته بهم وفي الأمم السالفة والقرون الخالية ماضيةٌ ، ليكون أهل الحق على يَمَنٍ من انحار ساق الوعد ، وأعداؤه محجوجين بما قدّم إليهم من الإيدر ، مُعَلَّه لهم نعمة الله أبدى أوليائه ، مُعَدًا لهم العذاب عند ردّهم إليه نحرًا موصولًا بوائسهم في ذُنُوبهم ؛ وعذاب الآخرة من ورائهم وما الله بظلام للعبيد . وصلى الله على محمد أميه المصطفى ، ورسوله المرصّى ، والمقد من الصلالة والعمى ، صلاةً نامية بركائنها ، دامية أنصائها ، وسلّم سلبها .

والحمد لله تواضعًا لعظمته ، والحمد لله إفرارًا بروبته ، والحمد لله اعتراقًا قصور أقصى مازل الشكر على أدنى منزلة من مازل كرامه .

فَمَا يَقَرِّظُ بِهِ الْخَائِفَةَ

والحمد لله الذى حارب الأُمم المُرَائِيينَ بِرَأْيِهِ . وساق إليه حِلَاقَتَهُ ، بِالْحَاحَةِ مِمَّا إِلَيْهِ ، وَالرَّعْدَ مِنْهَا ، وَأَسْحَصَ مِنْ حَقِّهِ مَنْ جَعَلَهُ صَيِّدًا لِلْخَوَافِ ، وَعَدَهُ لِلنَّوَالِ ؛ فَلَمَّا

أفضت الخلافة إليه حير أمامه أحاجته ، وكشف قناعه لمخاربه ؛ فالحمد لله الذى اختص أمير المؤمنين بخلافته ، وأرضاء لولاية أمير أمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، والقيام بحقه ، والذب عن حرمانه ، وحاط له ما استرطاه من ذلك ، وقلده بحسن الولاية والكفاية ، وتوكل له بالحفظ والتأييد ، والنصر والغلبة والظهور على من عتد عن طاعته ، وصدف عن حقه ، وأبتنى غير سبيله ؛ كرامة من الله تظل بها عليه ، ومئة منه توحدها بها له .

والحمد لله الذى جعل نية أمير المؤمنين عزيمته ، وفكره ورويته ، منذ أفضى الله بالخلافة إليه ، وجعله القائم بإرث نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأستحفظه من عباده وبلاده فيما فيه عز الدين ، ونظام أمر المسلمين وترهين الشكر ، وإذلال الأعداء ، وإشجائهم ووقمهم ، وتحصين البيضة ، وإشجان الثغور ، ولم المنتشر ، وضم الأطراف ؛ لا يفتأ عن ذلك فائى ، ولا يذله عن تفقد كبير أمره وصغيره ومقابلته ذاهل ؛ يستقل كثير ما يفتق من الأموال فى سد الثغور ، وتحصينها وحراستها ، لما يرجو فيه من جسم الخط ، وجريل الذخر ، وكثير الأجر ، تقربا الى الله واحتسابا له فى جنب ثوابه ، وكرام ما به ؛ حتى راب به الصدع ، ورتق به الفتق ، وأمن به السبل ، وأقام به العوج ، وأطج به المجج ، وأعل به الدرج ، وأزهق به الباطل ، وأحيا به الحق ، وأشام به سيوف أهل الضلالة والفتنه ؛ لا تأخذه فى القيام بحق الله والانتصار لدينه ، والانتصاح لأمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، والذب عن حوزتهم ، والرمي من ورائهم ، ودفع بأفقه أهل الشقاق والنفاق والخلاف والمعصية عنهم فترة ولا سامة ؛ توفيقا من الله ، وتسديدا لحرمته ، وتأييدا لعزمه ، إذ كان لله شاكرا ، ولدينه ناصرا ، وبحقه قائما ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله وحده ، عليه يتوكل وعليه يتوكل المتوكلون .

والحمد لله الذى لم يزل منذ أفضى الى أمير المؤمنين بخلافته ، وحياء بكرامته ، يختصه بالخيرة فى كل ما أمض من أمره ، ويتولاه بالتوفيق فى كل ما أبرم من تديره ، ويمجلى عنه

أُحِبُّهُ مَا حَمَلَهُ ، وَبُيِّنَتْهُ بِتَأْيِيدِهِ عَلَى مَا قَلَّدَهُ ، وَبِحَوْطِهِ بِجَمِيلِ الصَّنْعِ فِيهَا وَلاَهُ وَأَسْتَحْفَظُهُ ،
وَيُلْهِمُهُ جِهَادَ عَدُوهِ ، وَيَجْبُوهُ بِنَصْرِهِ ؛ حَمْدًا قَاضِيًا لِحَقِّ نِعْمَتِهِ ، مُوجِبًا أَفْضَلَ مَزِيدِهِ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَوْثَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَوَارِيثَ نُبُوَّتِهِ ، وَصَيَّرَ إِلَيْهِ مَقَالِيدَ خَلْقَتِهِ ،
وَأَوْجَبَ ذَلِكَ لَهُ بِالْقِرَابَةِ بِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْوِرَاثَةِ لَوَرَاثَتِهِ مِنْ عُصْبَتِهِ وَأَوَّلَى النَّاسِ
بِهِ ؛ ثُمَّ أَعَزَّهُ نَصْرَهُ ، وَأَعْلَى كَلِمَتِهِ ، وَأَفْلَحَ حُجَّتَهُ ، وَأَظْهَرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ، وَمَنْ حَادَهُ
وِطَانُهُ مِنَ النَّاكِثِينَ وَالْمَارِقِينَ ، وَالْبَاضِينَ وَالْمُلْحِدِينَ ، فَاتَمَسَّ جُدُودَهُمْ وَفَعَلَ وَفَعَلَ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَرَّفَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْذَ اسْتِخْلَافِهِ فِي أَرْضِهِ ، وَأَثَمَتْهُ عَلَى خَلْقِهِ ، مِنْ
عَظِيمِ نِعْمَةٍ ، وَلَطِيفِ صُنْعَةٍ ، وَجَمِيلِ بِلَاغَةٍ ، وَأَعَزَّازِ نَصْرِهِ ، وَأَعْلَاهِ يَدِهِ وَكَلِمَتِهِ ، وَإِفْلَاحِ
حُجَّتِهِ عَلَى مَنْ ضَادَهُ وَحَادَهُ ، إِنَّ اللَّهَ بِعَظِيمِ طَوْلِهِ وَمَنْهَ ارْتَضَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِدِينِهِ ، وَأَصْطَلَمَهُ
لِخَلْقَتِهِ ؛ فَنَلَّاهُ سُرْبَالَهَا ، وَرَدَّاهُ بِهَامَتِهَا وَجَمَالِهَا ، فَاسْتَعْمَلَهُ بِالْكَتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْحَقِّ وَالْعَدْلِ
فِيهَا ؛ فَأَيَّدَهُ بِقُوَّتِهِ ، وَأَعَزَّهُ بِنَصْرِهِ ، وَسَاحَطَهُ بِكَفَايَتِهِ ، وَتَوَلَّى الصُّنْعَ لَهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ ؛ فَلَمْ
يَكِدْهُ كَاغِدٌ ، وَيُعَانِدُهُ مُعَانِدٌ ، وَيَمْرُقُ عَنْ طَاعَتِهِ الْوَاجِبَةِ مَارِقٌ ، وَيُلْحِدُ فِي إِمَامَتِهِ مُلْحِدٌ ،
مَنْ يُعَالِي بِمَعْصِيَةِ وَشِقَاقٍ ، أَوْ يَنْطَوِي عَلَى غِلٍّ وَفِتَاقٍ ، إِلَّا أَوْهَنَ اللَّهُ كَيْدَهُ ، وَأَتَمَسَّ جَدَّهُ ،
وَعَاجَلَ الْمُبَادِيَّ بِعِدَاوَتِهِ ، الشَّاهِرَ عَلَى الدِّينِ وَالْمُسْلِمِينَ سَيْفُهُ ، بِاصْطِلَامِ وَيَوَارٍ ، وَأَمَكْنَ
مَنْهُ بِذُلَّةٍ وَصَفَارٍ ، وَقَتَلَ الْمُسْرِغِيهِ ، الْمُتَنَطَوِيَّ عَلَى غِلِّهِ بِغِيْظِهِ وَغَمِّهِ ، وَأَمَاتَهُ بِدَائِهِ وَحَسْرَتِهِ ؛
إِنْجَازًا مِنْهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَوْعَدِهِ ، وَإِتِمَامًا لِكَلِمَتِهِ فِيَا وَعَدَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ
أَسْتِخْلَافِهِمْ فِي أَرْضِهِ ، وَأَثَمَكُنْ فِي دِينِهِ ؛ وَلَهُ الْحَمْدُ دَائِمًا ، وَالشُّكْرُ خَالصًا ، كَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَكَأَيُّ
يَنْبَغِي أَنْ يُشَجَّرَ وَيُسْكَّرَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُتَّقِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَدُوًّا مِنَ النَّاكِثِينَ وَالْجَاهِلِينَ ، وَالْمُشْرِكِينَ
وَالْمُنَافِقِينَ ، حَاوَلَ نَقْضًا لِإِمَامَتِهِ الَّتِي صَيَّرَهَا اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَقَلَّدَهُ إِيَّاهَا ؛ أَوْ صَادَلَ جَيْشًا مِنْ
جِيُوشِهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِلْحِمَاةِ عَنِ دِينِ اللَّهِ وَمَحَارِمِهِ ، وَإِقَامَةِ سُنَنِهِ وَمَعَالِمِهِ ، إِلَّا أَحَلَّ بِهِ التَّقَمُّعَ ،
وَأَصْبَارَهُ إِلَى الصَّغَارِ وَالذَّلَّةِ ، وَالْبُورِ وَالْهَلَكَةِ ، وَعَجَّلَهُ إِلَى نَارِهِ وَعَذَابِهِ .

والحمد لله الذى لم يزل يتولى أمير المؤمنين بحياطته ، ويتوحد له من إعزاز نصره وإعلاء كلمته ، وإفلاج مجته ، وتأيد أوليائه وأنصار حقه ؛ وأزّل البأس والقمّة والمثلثات والسطوة بمن عانده ، والدّب عن حريم المسلمين وأهله ؛ بما يتيّن به عن مكانه منه ، ومزله عنده ؛ حميدا ربنا بذلك كما هو أهله ومسحوقه ، مشكورا بعظيم منته فيه وطوله ، مسؤولا لتتمام أحسن عائدته وماضى سنته ؛ فإن الله المحمود على نعمه ، المشكور بالآله ، لم يزل مايتوحد به لأمر المؤمنين بسلطانهم من التعزيز ، وفى أوليائه من التأيد بنصره ، عادة يتّين بها برهانه ، ويُفْلج بها مجته ، ويُدّل بها على كرامته عليه ، ويُخبر بها عن مزله عنده ؛ ويعمل ما نزل بأعدائه المتولين عنه ، الراغبين إلى غيره ، المُلحدّين فى حقه ، عِظّة لمن قسا قلبه ، وران عليه سوء عمله ، ليكون ما يُعطيه من البسط فى ملكه ، والتمهيد فيما خوّله له ، ويُوقّفه من السطوة بعدوه ، والتّكيل بمن خالفه ، مُجّتين منظاهرتين ، وعبرتين معن ؛ فيعتصم^(١) معتصم ، وينجو ناج ، وليشجّب [شاجب]^(٢) ويهلك هالك ، وقد مضت من الله المشيئة ، ووضع منه الإعدار ، وكان الله بعباده عليما ، وبأعمالهم خيرا .

والحمد لله الذى أكرم أمير المؤمنين بخلافته : وجعله وارث وحيه ، وقيمه بكتابته فى عبادته ، وأكرم هذه الأمة التى جعلها خیر أمة أُخْرِجت للناس به ؛ فهو الميهون فى تديره المنهج حويله ، الميمونُ النّية ، الموقّق الرأى والسياسة ؛ فإن الله عز وجل خلق الخلاق بقدرته ، وأختارهم بعلمه ، فاختر أمير المؤمنين لخلافته ، وأصطنعه للقيام فى العباد والبلاد بأمره وقسطه ، وألهمه إقامة أحكامه وفرائضه ، والعمل بحقه وعدله ، وألّى أهل الشرك به ، وأتّرها الى أيام دولته ، وحظّرها عمن كان قبله ؛ حتى حاز له أجرها ، وأبقى له سناءها وذِكْرها ، ونشر عنه أُحدوثها وسماعتها ؛ وفتح عليه البلدان التماسية ، والمدائن المُتَنائية ، التى لم تكن تُرام من أهلها ، ولا يُطمع فى زوالها ؛ وذلت له الملوك القديم عتوؤها وصادؤها ، والأئمّ المُستصعبُ مراسها وجهادها ، الحاشية فى آباد الدهور رحاها ؛ فأنفذ فيهم مكيدته ، وأنجح

(١) كذا فى الأصل . ولها بالتّين . (٢) كذا فى الأصل ، ولها ولشجب .

سعيه، ورماهم بالتخويف، وملاً قلوبهم رُحاً منه ؛ فأذن مَدْعُوهم بطاعته ، وأقادوا لأمره، وصاروا يدا وأعواناً لأوليائه على أعدائه .

أما بعد، فإن أعظم النعم قدراً، وأجلها أمراً، وأسرّها مَوْقِعاً، وأوجبها شُكْراً، ما هم الإسلام والمسلمين قَعْمُها، وعادت عليهم عائدتُها، وجعل الله فيه عزّ الدين، وذُلّ المشركين ؛ وقد جعل الله ذلك في خلافة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه بمنه وبركاته ، وما أخلص الله من نيته وطاعته، وتأدية حقه فيما استحفظه من أمر دينه وعباده، وفرغ له نفسه، وأنصب فيه بدنه، وأسهر فيه ليله، من حياطة حريم الإسلام، والزيادة في حدودها مُتَّصِلاً مُتَّابِهاً، والنعم متظاهرة ومُتَوَافِرة، فسَهِّلَ الصعب، وذَلَّلَ له العزيز، وقصَمَ حَتَاةَ الأعداء ومتكبريهم، والمستصعبين والمستصعبين منهم، في آباء الدُّهور على من رامهم، وفتح عليهم حصون مدائنهم ؛ ومتمتع قلاعهم، وأنفذ مكيدته فيهم ؛ فَيَنَ مَقْتُول ومأسور، وشريد طريد عن محلته، وموضع عزه ومنعته، مُسْتَسْلِمٌ مُعْطِ قِيَادَه باخع بطاعته ؛ وكذا فإن الله بمنه وطوله قد أوصل لأهْلَ المؤمنين من صنعه له فيما قلده من خلافة، وحياطته لإياها فيما يحوطه من دينه، وعمره من كفايته فيما قام به من حقه، وأيّده من نصره فيما جاهد عنه في سبيله، ما قد جعل النعمة به عامة، والشكر به لازماً، وإِنَّ به واجبة، والصنع عظيمًا، فالحمد لله على نعمه في ذلك كثيراً .

والحمد لله الذي جعل آجتهد أمير المؤمنين ومقام أمره وتديره، في آناه الليل ونهاره، فيما فيه صلاح عباده، وإعزاز دينه وإقامة حقه .

تحميد

الحمد لله الذي لمّا أقرض من الطاعة لُولَاة الأمر من خُلفائه جعل أوائلها ناطقة عن فضل وأنحرها، وبوادئها مُحَرَّة عن حميد عواقبها، ومواردَها مُبَشِّرَةٌ بالطق في مصادرها، بما يَسْقُبُه أهلها من السعادة في الماضين من أوليائها القائمين بحقها، وعاد من الشَّقْوَة على مُقَارِفِ الْمُعْصِيَةِ الْمُحْدِنِينَ إليها ؛ حين أقبلت بهم هَوَادِي الفتن، وكشفت لهم تَوَالِيها عن البوار

والهلكة ؛ مُعتذرين حين لا عذر ولا حجة ، طالين للهَارِبِ بعد أن كانت منازلُ السلامة بهم مُطمِئنةً ، وخائفين وقد كانت سُبُلُ الأمن لهم واضحةً ؛ قد جعلتهم النعمة الواقعة بهم أمثالا سائرةً ، وفزقت بينهم وبين النعم الشاملة ، وحصلت السعادة لمن أمتعهم بهم باقيةً ، سنة من الله فيهم ماضيةً ، وعادة جاريةً ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا .

والحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين لخلافته فخرس به دينه من البُغاة الناكِلين عنه ، وأختصه بأعلاء رُتب كرامته ، وأقرض طاعته على عبادته ، وجعلها بمواقعها في دينه نظاما لسائر فرائضه ، فتركها مُفارق لعصمة حقه ، خارج من جملة الأئمة التي سبقت لما رحمتُه ؛ يستنصر أشياع الباطل والله خاذله ، ويُطالب الحق والله غالبه ، ويُطلب مالا سبيل له إليه والله طالبه ؛ حتى يخلجه أجله عن أمله ، وأقدارُ الله فيه عن تقديره ، وفؤودُ قضاء الله فيه عن نفوذ حيله ؛ فضلا من الله على أوليائه وقضاء منه عدلا في أعدائه ، والله ذو الفضل العظيم .

والحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين لرعاية عبادته ، وحفظ بلائِهِ ، وتنفيذ أحكامِهِ ، وإقامة حدودِهِ ؛ لجمع به الأئمة ، وكف به بوائِق الفتنه ، وأصلح به أمور الأئمة ، وسكن به الدهماء ، ودفع به عظيم البلاء ، وأتقن به من الجُهد والألواء ؛ وجدد لرعيته العبر الشافية ، والعظة الناهية ، وجعل همه السعى لرّبه ، وطلب الحق الذي أوجبه له من خلافته ، لِيُؤدّي فرضه في الأمانة التي حملها ؛ فيوجب له بذلك مالا يزول ولا ينقطع من توابه ، فأعمل رأيه في الرأفة بمن ولّاه أمره ، والحياطة له ، والعناية بصلاحهم ؛ فأعطاه لين الموعظة في وقت الثاني ، والنفوذ لإقامة الحجّة والبيّنة ، وشدّة السطوة على مَنْ غمط النعمة وعند به الإصرار عن التزوع والفتنة ؛ ممّا من الله وفضلا ، وإحسانا وتطوّلا ، والله ذو فضل عظيم .

ويسأل الله أمير المؤمنين مُبتدئا ومُعقبا ، وأولا وآخرًا ، وبِسل كلّ مسألة ، وأمام كلّ رعية ، ومُقدمة كلّ طائفة ؛ أن يُصلّي على صفوته من عبادته ، ويحيّره وخاتم أنبيائه ورُسله ، يهدي عبده ورسوله ، أفضل امراته ، ريارك أكثر بركاته ، وأن يُديم له كرامته ، ويُجرى عهده بأجل داداته . ويُعظم له ما أخص به من إحسانه ؛ حتى يملأ الأرض عدلا وقسطًا ،

والإسلام تأييدا وعِزًّا، والشُّرك ذُلًّا وقَمًّا؛ إِنَّهُ وَلِيَ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَمُنْتَهَى كُلِّ رَغْبَةٍ، وَقَايَةُ كُلِّ حَاجَةٍ .

ولم يزل أمير المؤمنين منذ الوقت الذي أفضى الله إليه بخلافته ، وأكرمته برّدِ حقّه من إرث نُبُوّته ، يتلقّى عظيم النعمة في ذلك بالإخلاص للنبيّة والطّويّة في الصّبح عن كلّ زَلّة ، والإقالة لكلّ عَثرة ، والتعمد للهفوة وقبول القبيحة ، والإتابة بمن عظم جرمه ، وجلّ ذنبه ، وظنّ أن لا توبة له ؛ وكلما جدد الله له نعمة ، جدد له في ذلك نيّة حسنة ، شكر الله عزّ وجلّ على ما ابتدأه به ، وارتهاناً لنعمه عنده ، واسترادّة من جميل مواهبه ، وتقديم الاهتمام بما فيه صلاح رعيته ، واستقامة أمورها ، وجباطتها واللّبّ عنها ، وكفّ الأذى والمكروه عن الداني والقاصي منها ؛ ويتخلّص إلى ذلك بكلّ ما يبيد إليه السبيل ويجهّد فيه ، ويعملّ لكثرة أوقات دهره في كلّ ما بلغه محبّته نظراً لها ، وحداً على كافّتها ، وإشفافاً من سوء حالها ؛ إذ كان لها والدّاً برّاً ، وراعياً كالثا ، وناظراً لطيفاً ؛ ويستعمل كلّ ما يرجو اشتغالها ، والإبقاء على أحوالها ، والسلامة لها في دينها ودنياها ؛ وينصبّ لذلك ليله ونهاره ، ويذيبُ فيه نفسه ، ويعمله شغله دون غيره .

والحمد لله الذي أصطفى أمير المؤمنين بخلافته ، وأكرمته بإرث نُبُوّته ، وجعل خلافته خلافة يُمْنٍ وبركة ، ولطف وسعادة ؛ انتاش بها أوليائه من موارد الهلكة ورفع منزلتهم ، وشرف درجاتهم ، وأعلى كلمتهم ، وأذلّ بها أعدائهم ، وجذّ دوابهم ، وردّ دائرة السوء عليهم ؛ وجباة مزينة نصره وتمكينه ، وإعزازَه وتأييده ، وإظهاره على من ناواه وعندّ عن حقّه ، وصدّف عن طاعته ؛ فإن الله لما اختار أمير المؤمنين لخلافته فأَيّده بها ، جعل الحقّ نيّته ، وإعزاز الدين بُغيته ، ومجاهدة أعداء الله منقاً وغرباً وبراً وبحراً نَهْمته وإرادته ؛ ثم يسره في ذلك لما أحسن به عونهُ ، على من استحفظه وقلده ، فضلاً من الله ونعمة ، والله عليم حكيم .

والحمد لله الذي كان لسابق عليه وسالف قضائه، الذي لا يستطيع الناس رده، ولا منعه ولا صرفه، ما ولى أمير المؤمنين من خلافته، وما آتته له من التصرف لسيده، والطلب لحقه، والجهاد لأعدائه؛ وأحسن في ذلك عونه فيه وبلاءه، وأيده في نفسه، لم يتقصه خذلان خاذل، ولا مخالفة من خالف، ولم يزد أمره في شيء من ذلك إلا تماما وإحكاما؛ حتى أظهر حقه، وأفجع مجتبه، وعنى باطل أعدائه، وأدحض مجبهم؛ وجعل أهل طاعته حربه الغالين، وجنّته المنصورين؛ وجعل عدوه وعدوكم حزب الشيطان الخاسرين، وأولياءه الأذنين؛ بغير حول من أمير المؤمنين في شيء مما ولّاه وأبلاه، ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

لأبي حميد الله

والحمد لله الذي أكرم أمير المؤمنين بما أصار إليه من الخلافة وإرث النبوة، وجعله القائم بأمر عباده وبلايه، وألحق لسنه، والذباب عن دينه وحقه، والمناصب لأهل الشرك والجحود به؛ ثم نصره وأظهر فضل أيامه ودولته، ومكن له في بلاد عدوه، وجعل كايته العليا وأنصاره الغالين، ومن ناواه من أهل الخلف الأذنين المقهورين؛ وعرفه من نعمته في ذلك ويمته وجميل صنعه وطاعته، أحسن ما عود أحدا من أوليائه النأيين عن الإسلام وأهله؛ حمدا متبعا لا أقطع له ولا أنصرام، دون بلوغ حقه، وقد كان كذا وكذا .

ما يكتب به في المخالفين في وقت الهزيمة

نكصوا على أديبارهم منكوبين مهزومين، قد ضرب الله وجوههم، وقت في أعضادهم، ومنح الأولياء أكافهم؛ فقتلهم في كل فج، وعلى رأس كل تلمة ومهرب ومسلك؛ أباد الله خضرأهم وغضرائهم، وحصد شوكتهم، وفل حتمهم، وأباخ نيران ضلالتهم وكفرهم، وشفى منهم الصدور، وأدرك منهم الإحن؛ وقفل المسالمين أموالهم وذرائعهم، وجعلهم لهم حولا وعيدا، وأورثهم أرضهم وديارهم، وأحل الله بهم من البأس والنقمة والجائحة

والظهور والغلبة جزءاً من الله لمن أخذ إلى المعصية وأبغى غير سبيله السلوك . وكذلك يفعل الله بالقوم الظالمين ، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون ، إن الله لا يخلق الميعاد . ثم أنزل الله عز وجل من صار إلى الأمصار منهم هرباً ، وأعتصم بالحصون ، وتموّد بالجبال ، ولاذ بالقلاع ، وجأ إلى الأودية ، من صياصيهم ، وأمكن من نواصيهم ، وأسخرهم من أوزارهم ومعاقلهم ومتوّنهم ، وأخذ أسيراً ذليلاً منكوباً خائفاً قد نصب الوجل قلبه وملا الرعب صدره ، متوقفاً أن ينزل الله به من القنات والمثلثات مالا مردّ له عن مثله من القوم الظالمين ، وفشت في الكفرة الجراحات ، وعضت السيوف ، وشرعت فيهم القنا ، وهرتهم نار الحرب ، وغالم الأتزال ، ومارسهم الأبطال ، وأسخر فيهم القتل ، فصبر لهم الأولياء أحسن صبر ، فلم يطيقوا بالموت مراماً ولا على الحرب مقاماً .

في صفة الخالعين

الناصبين لدين الله ، المكذّبين بآياته ، الجاحدين رسّله ، الجاحلين معه إلهاً ، لا إله إلا هو ، لطول ملتهم ، وشدة شوكتهم ، وصعوبة مرامهم ، وقطعهم السبل وأتاهم المحارم وسفكهم الدماء التي أوجب الله على من سفكها بغير حِلّها وأقترف وأحتمل وزرها ، أليم العذاب وشديد العقاب ، فأبوا إلا تمادياً في ضلالتهم ، وعُتُوا في طغيانهم ، وشبّوا على عصيانهم ، ومقاماً على كفرهم ، لأحداثه السالفة ، وغوائله المتقدمة ، وبوائقه المشجبة ، فوقف بميلابن نكل التقدّم وحقيقة الاصطلام في التأتّر ، دعاهم إلى الفئنة والمراجعة والإجابة وقبول الأمان والدخول في الطاعة ، أسنظهاراً بالجنة عليهم ، ورجاءً لصنع الله فيهم . فلما بلغهم نزول فيمن معي ، جمع أصحابه ، وضمّ جنده ، وتحزّز في معسكره ، وخندق على منزله ، وأحترس بيّهم ، فألت مُسكّري ، وأنا مع ذلك في كل يوم أوجه رُسلي وأدعوه إلى حفظه ، من طاعة أمير المؤمنين والدخول في أمانه ، وأعلمه أن له نظراء ممن غمط الطاعة ، وسفّه الجماعة ، وقد ركضوا في الفتنة عمرهم وسعوا فيه دهرهم ، فانتشر خبرهم ، وكثرت تبعهم ، وكبّر وزرهم ، وتقلّ وقهرهم ، ثم أذعنوا لطاعتهم ، وأستقلوا

ناهضين من عقبتهم ، ومتعشين من زلتهم ، ففُفِرَتْ ذنوبهم ، وقُبِلَتْ توبتهم ، وَفُسِحَ لَهم في أمانهم ، وَشُرُفَتْ منزلتهم ، وَاسْتَبْدَلُوا بِالْخَوْفِ أَمْنًا وَبِالذِّلِّ عِزًّا ، فَأَبَى بِهِ مِيلَ الْهَوَى ، وَغَلَبَتِ الشَّقْوَةُ ، وَمَسْتَعْلَى الْغَوَايَةُ ، وَالْقَدَرُ الْحَارِبُ ، وَالْقَضَاءُ الْمُحْتَمُ . وَتَقَدَّمْتُ فِي مَوَاقِفِهِمْ وَتَرْغِيهِمْ ، وَالْأَخْذُ بِالْمُخْتَقِ مِنْهُمْ ، مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ ، وَلَا تَتَاوُلِ سِلَاحٍ ، وَلَا تَتَاوَشَ صِيَالٌ ^(١) ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ التَّوْبَةَ ، وَدَعَوْتُهُمْ إِلَى الْإِنَابَةِ ، وَأَعْطَيْتُهُمُ الْأَمَانَ ، وَأَعْلَمْتُهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ قَبِلُوا حِمْدَتَهُمْ وَأَعْمَلَتْ نَارَ الْحَرْبِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ، وَإِنْ أَبَوْا إِلَّا تَمَادِيًا فِي غَيْبِهِمْ وَنُكُوصًا عَلَى شِقَائِهِمْ ، وَلَيْتُ مُنَاجَرَتَهُمْ وَعَرَفْتُ مِنْ اللَّهِ الْخَيْرَ فِي مَحَارِبِهِمْ ، وَأَسْمَعْتُهُ عَلَيْهِمْ وَأَسْتَكْفَيْتُهُ أَمْرَهُمْ ، وَرَجَوْتُ حَسَنَ عِلَادَتِهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْتَالِهِمْ . ثُمَّ وَجَّهْتُ الْأَوْلِيَاءَ فَغَفَدُوا بِحَوْصِ عَسْكَرِهِمْ لَيْلًا وَهُمْ مُتَفَرِّقُونَ فِي رَحَالِهِمْ ، مُقْتَرُونَ فِي أَوْطَانِهِمْ ، قَدْ أَمِنُوا خَدَعَ الْحُرُوبِ وَمَكْرَهَا وَمَكِيدَتَهَا ، وَوَقَعَتِ الْيَاثُ وَهَوُلَهَا ، إِلَّا طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَهْلُ عِدَدٍ وَهَدَّةٌ ، وَبَاسٌ فِي أَنْفُسِهِمْ وَقُوَّةٌ ، اتَّخَذُوا اللَّيْلَ جَمَلًا ، وَسَرَّوْا نَحْوَنَا يَرْجُونَ غَيْرَتَنَا وَيَأْمُلُونَ غَفْلَتَنَا ، فَوَقَفَ جَنْدُنَا بِمَكَانِهِمْ أَخَذِينَ أَهْبَتَهُمْ ، مَتَمَسِّكِينَ بِالطَّاعَةِ فِيمَا بِهِ أَمْرَتُهُمْ ، فَاسْرَعَتْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ طَائِفَةٌ فَدَفَعُوهُمْ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَتَالَوْهُمْ بِمِجْرَاحَاتٍ مَعَ قَتْلِ مَنْهُمْ عِنْدَ تَتَاوُسِهِمْ ، ثُمَّ نَكَصُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ ، وَرَجَعُوا الْقَهْقَرَى عَلَى أَعْقَابِهِمْ إِلَى الْبَاقِينَ مِنْ سَرِيَّتِهِمْ ، فَاسْتَجَاشُوهُمْ فَاجَاهَمُ بِالْمُكَافَةِ وَالْمُؤَاوَزَةِ ، وَأَقْبَلُوا بِحَيَّتِهِمْ وَحَقَّقَهُمْ حَتَّى حَمَلُوا حِمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَضَاقَ الْفَضَاءُ وَطَارَتْ أَفْتَدَةُ جَنْدُنَا رُعبًا مِنْ حَمْلَتِهِمْ ، وَبُلْغَتْ الْقُلُوبُ الْخَاجِرَ مِنْهُمْ ، إِلَّا طَائِفَةٌ قَلِيلَةٌ مِنْ لَوَاغِ الْحَرْبِ وَمَوَاضِي رَوَاحِضِهَا وَأَشْيَالِ لَيْدَتِهَا ، تَرْتَبِنُوا بِالطَّاعَةِ فَأَمَّا حَسَنُ الْعَاقِبَةِ ، وَنَصْرُوا الدِّينَ ، فَوَثَّقُوا بِالتَّمَكُّنِ ، أَتَدَبَّعُوا إِلَيْهِمْ ، وَوَقَفُوا لَهُمْ ، وَازْدَادُوا بِصَبْرَةٍ فِي أَمْرِهِمْ ، وَنَفَازًا وَجَدًّا فِي اجْتِهَادِهِمْ وَمَجَاهِدَتِهِمْ ، فَهَبُوا قَائِمِينَ بِالْقُسْطِ فِي أَحْوَالِهِمْ ، قَاتِلِينَ بِالْعَدْلِ فِي أَمْلَائِهِمْ ، يَسْأَلُونَهُمُ الْكَرَّةَ بَعْدَ الْكَرَّةِ ، وَيَعِدُّونَهُمُ الْغَلَبَةَ ، وَيُؤْنِتُونَهُمُ السَّلَامَةَ ، وَيُضْمِنُونَ لَهُمُ الْغَنِيمَةَ ، فَفَاءُوا إِلَيْهِمْ . وَرَجَعُوا إِلَى الْحَقِّ لِقَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ ، فَشَاوَعُوا سَاعَةَ بِالْقَفَى

(١) الصَّالِ الْمَصْدَرُ صَالٌ عَلَى مَرَّةٍ : سَطَا عَلَيْهِ .

بعد تزاميهم لإرشاقا . بالسهام فلما رأى أعداء الله جثثهم ، وعرفوا صدقهم ، وخافوا حثهم ،
نكصوا على أعقابهم ، يريدون التفاق بمسكرهم ، وتحرك أصحابنا في طلبهم ، ورجعوا سوء
الصباح لم ، فامتنوا في أثرهم ، فلما أحسوا الفساق أعطوهم الضمة وولوا إلى ديارهم
لا يولوا قريب على قريب ، ولا ذو رحم على حبيب ؛ ونالتهم القتي ففسرتهم ، وعصفت
هائمهم السيوف فككثتهم ، وحيل بينهم وبين الدخول من باب مسكرهم ، فأخذوا في غير طريقه
منهمذين ، قد قل الله حثهم ، وقُل كثرتهم ، وقتل مائة منهم ؛ ورجع أصحابنا إلى معسكر أعدائهم
بعد التشريد والتفريق بجماعتهم ، فأحاطوا بهم في آخر ليالتهم ، فلما رأوا غفلتهم ، وأمنوا
غيرتهم ، وأتهزوا مكان الفرصة منهم أحاطوا بهم وهم نائمون ، قازون غافلون متفرون ،
فوضعوا السلاح فيهم ، ضرباً بالسيوف ، وطمعنا بالراح ، وضربا بالأعمدة ، وذبحا بالشفار ،
لا يشوون من جرحوا ، ولا يثيقون من كلبوا ، غير مدفوعين ولا ممنوعين ، حتى أثنت
السيوف ، وتحطمت القتي وآنقت الأعمدة ، وكَلَّت الشفار ، وبقيت منهم علة يسيرة
وشرذمة قليلة ممن لم ينله القتل ، فأخذوا أسرى ، وأوثقوا حديدًا ، وُكِّلوا قيودًا ، وكان
أول رأس أثنى بنجره بسميرهم وأسرع به إلى ذو المعرفة منهم رأس^(٢) صدوقه المارق
الباغي ، الشاق لعصا المسلمين ، ملائي رئيس ضلالتهم ، وفائد جهالتهم ، ومستغوى
جماعتهم ، فرفته بجليته ونعته وصفته في عدد كثير من رعوس قواده وأهل الفتنة وأئمة
البدعة ، فلم يلبثوا إلا ريثا تصدعوا في كل جبل وتحرر ، منهمذين هارين ، لا يستطيعون لما
أناهم من عذاب الله دفعا ولا منعا . ولا قوة ؛ ولا ينجثون إلى ركن وعصمة ، قد تشكت
بهم نظامهم ، وفارقهم وجوههم وأعلامهم ، فأخذهم أسرا قسرا قدمهم النصب ، وملا
قلوبهم الرعب وتخزمتهم الوقائع . ونجبتهم الهزائم ، وتحينهم القتل ، وظل الله عز وجل
لأمير المؤمنين على حصنه الذي كان مُناف عزه ، وموضع منعته في نفسه ، وجمتمع مدته ،
ومادة قوته ، فقوضوا عساكرهم ، وأقصعوا عن حصنهم يتبع آخرهم أولهم ، متلذذين ،

(١) في الأصل : « بنجرم » . (٢) في الأصل « برأس صدوقه »

أذلة خاسرين، فغزقوا لا نظام لهم ولا جامع لشتاتهم . فلما استحوذ القتل فيهم، وقشّت الحراكات في عامتهم، وطاحتهم الحرب بكلكلها، وألما وقع حديد أنيابها ومساعرها، قلغ الله الرعب في قلوبهم وزلزل بهم أقدامهم، فولوا منهزمين مغلولين، وركب المسلمون أكافهم، يقتلونهم في رموس جبالهم، وخلال غياضهم، وبطون أوديتهم، ومقاصي تلاعهم، وفي كل ناحية من نواحيهم، حتى عجز الليل دونهم، وأعجزهم هربا في معاقلهم.

وفي العصاة

حتى إذا ظن أن قد عز بضلاله، وتحصن بمعاقله، وأستكمل قواه، وكثف حربه، ولما إلى مانع منه ودافع عنه، عطفت عليه عواطف الحق بأوليائه الحق وأنصاره، ناقضين ما أبرم، ومتداولين ما سدد، ومتوطين إلى غيه ببصائرهم، وإلى باطله بمحقهم، فاستترل عن موضع عزه قسرا، وأمكن الله أوليائه أسرا؛ سنة الله فيمن عتد عن سبيله، وألحد في دينه، ومرق عن الطاعة وثاقها، وأستبدل بالحق ومنهاجه، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا، ولن تجد من دونه ملتحدا ولا نصيرا؛ حتى إذا تراعى الجمعان تبرا الشيطان من حربه، وأرحق الله باطلهم بحقه، وجعل الفلج والظفر لأولى الحزبين به، بذلك جرت سنة الله في الماضين من خلقه، وذلك ما وعد من تمسك بأمره وطاعته .

وفي مدح قواد الجيوش وصفة الأولياء في أحوالهم

لما بلا من طاعته، وأختبر من نصيحته، ويئن قبيته، وشدة شكيمته، وصحة عزيمته، وصدق نيته، وثقل وطائه على أعداء الله وأعداء الدين والمسلمين، وعامه بمراوضة الحرب وممارستها، ومكايده الأعداء ومواقفتهم فيها، فشمّر تسمير أهل الحسبة وحسن الظن بالله من غير وثية ولا فترة ولا بقاء جد ولا اجتهاد، راجيا أن يُنجح الله سعيه، ويفلج حجبته، ويظهره على عدوه من الاستئلال الذي حمله، والاضطلاع بما أسند إليه، والامتثال لسيرته، والالتناء إلى أمره، والقبول لأدبه، والخوف بما يستهضه له من حروبه وأموره مثل الذي جعل عند فلان : يفضلهم بطوله، ويطلوهم بمجاسته، ويتقدّمهم بحسن بلائه وغنائمه،

ومواقفه ومساعدته، لم يختبره أمير المؤمنين في جميع خصاله إلا وجده عند الاختبار والتحصيل سالكا لمنهج، قابلا لأمره، متبعا لأثره، ساميا بهيمته إلى أقصى الغايات وأعلى الدرجات، حتى صار عند أمير المؤمنين مقلدا في القدر والرتبة، مخصوصا بالمتلة والرفعة، يرى ذلك قليلا في كثير ما وجب بطاعته ونصيحته، فبارك الله عليه وليا ظهيرا . فأقدموا متوكلين على الله مسلمين لأمره صابرين على ما نالهم من اللاأواء والجهد والتعب وكلب الشتاء وحرارة القيظ، وصعوبة المرام من أعداء الله الكفرة، يرجون نصر الله وتبخر ما وعد الصابرين والمجاهدين في سبيله من الظفر والنصر والغلبة على عدوهم، توحد به من نصرهم وإعزازهم أن كان الله عز وجل تكفل لأوليائه بالنصر والعز والحيلة، وجعل حسن العاقبة لهم، وكبت من ساقطهم وأخذ إلى المعصية والكفر والأسر، ليكونوا بذلك عظة ونكالا لمن أمهله الله منهم، ولتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، والله عزيز حكيم، أعظمهم غنا، وأحسنهم بلاء، وأشدهم صولة، وأقسامهم نكاية، وأمنهم سريرة، وأضاهم عزيمة، وأربطهم جاشا، وأصدقهم بأسا، وأملأهم للأقران، وأراطهم لوثائق الإيمان، وأشدهم تحديا على السلطان، فأزره بهم، وحصن أطراف خلافته بأيديهم، فكفوه المهمل وقاموا بدوره بألم، غير مستطيلين بقاء، ولا متمرضين لطلب جزاء، قد تبدهم الوفاء، وغنوا بقربة الولاء، فإن الله جعل آباءه أعلاما في الطاعة يهتدون إليها وأوليته قادة إلى سبيل النصيحة يتمسك المناصحوون بآثارهم فيها، باقيا على كرا الأيام ذكر مساعيهم، وزائدة على تصرف الأيام حقوقهم، وبأيدي للعيون حميد أفعالهم، لا تنصرم الأخبار عن سالف لهم إلا وصلوه بمحادث، ولا يتقدم لهم من بلائهم أول إلا أتبعه آخر. ففلان يجري في أمره على منهاج قد أوضحوه له، ويسلك في الطاعة طريقا قد سهلوا له مذاهبه، ويتمسك بمرأ وثيقة قد رأى آثارها على من تقدمه، والله محمود . ولم يزل الله يعزف أمير المؤمنين في كل ما أسنده إلى فلان من أعماله وقلة من أموره، المبالغة في قضاء الحق عليه ويؤمن النقية فيما يتولاه، والاجتهاد في كل ما قربه من الله وخليفته . وأمير المؤمنين يحمده الله على ما يخصه

به من نعمته ، وإياه يستعين على قضاء حَقِّه ، إنه سميع قريب . فإنَّ كَلْبَكَ ورد على أمير المؤمنين بما لم يزل يتطلَّع اليه منك ويؤمِّله عندك ، ويرجو أن يوقِّك الله فيه لرشدك ، ويؤثِّرك منه بحظِّك ، الَّذِي كان يلفه وينتهى اليه من خبرك ، في أحوالك وتصرفك في خصال الخير ، وتتَّقَلُّك في درجتها ، مساميا لاهل الفضل في مراتبهم ، متريِّنا بصالح أفعال الملوك في قصد سيرتهم ، وحسن طريقتهم ، ولين أكافهم . لحَقِّق الله ظنَّه بك ، وأجاب دِعاؤه لك ، وبلَّغ بك أمنيته ، وأعطاه فيك رغبته . وكنت فيما هُديتَ له باتِّقادك إليه راغبا ، ودخولك فيه محتسبا ، مستوليا على أسنى الأمور مؤونة ، وأفضلها ذخيرة ، وأعلاها درجة ، وخيرها طائفة ، وأعمها سلامة ، وأمنعها كهفا ، وأبقاها شرقا ، وأعدلها حكما ، وأطولها سائما ، مستحقا بذلك على الله عز وجل زيادة المُلْك فيها ، وبهاء الثروة ، وأنسبها للقدرة ، وآتساع المملكة ، وظهور الغلبة وعزِّ التمكين ، والنُّصرة في الدار التي حُيِّت فيها بقليل ما ترجو أن تصير اليه من ثواب الله عز وجل وحسن مجازانه بالنعيم المقيم في دار الأَمَد ، وعمل الأبد ، بما لا يَبَاهُه لإحصاء ، ولا يكون له آتِهاء ، وملاؤه فرحا وآتِهاجا ، وسرورا وجدلا ، ورجاء لك من الله عز وجل حسن عونه وتوفيقه أن يغلب لك على حَقِّك ، وأن يأخذ إلى تقواه بقلبك ويحصل فيما عنده ورغبتك ، وإلى ذلك سموك وهدتك . وليس ينفك أمير المؤمنين مقتفرا فيك أثرا يحمده ، ومتصفقا بخبر يهجه ، ومستعدنا نعمة من الله عز وجل يرجو اتِّصالها وآتساقها لديه بك ، حتى يتناهى إلى الدرجة العليا ، والغاية القصوى ، ^(١) [يتنَّبه] من أجتاث أرومة الفَسَقَة وقطع دابرهم . وبالله الثقة والحوّل والقوّة ، متحرِّفا من الله فيما فارقه من جهاد عدوّه أتمَّ مصادق وعدّ القاعين بحقه ، الصابرين في جنبه ، وأحسن ما أبل ، ذائدا عن حريم ، ومحصّنا لبيضة ، ومدانغا عن ملة ، فشمر شاريا لله نفسه ، طارحا عنه لباس الغفلة ، متجاخيا عن مهاد الوطأة ، وليس تدخله الخلة والوحشة على من كنت قريبا منه ، ولا يمتنع لأمر المؤمنين طَرْف أنت فيه ، ولا أمر يُعين عليه ويتسك بسبب من اسبابه .

(١) يياض في الأصل والسياق يقتضى ما استثناء .

وصف الأولياء في الكتب

وصار أهل السُّمُو إلى الدرجة العليا، والاعتصام بالعروة الوثقى، من أولياء أمير المؤمنين وشيعته، مُنْشَرَحَةٌ صُدُورُهُمْ بِمُكَافَأَتِهِ، مُنْتَسِلَةٌ أَيْدِيهِمْ بِمُعَاوَنَتِهِ، وَقَسِمَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَوْلِيَاءِ دِينِهِ وَأَنْصَارِهِ، قَوْمٌ آزَرَهُمُ بِالنَّصْرِ، وَكَتَفَهُمُ بِالْيَقِينِ، وَأَلَّفَ بِصَارِهِمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَيَّدَهُمْ بِمُؤَيَّدَاتِ التَّقْوَى، فَلَمَّا أَمَرَهُمْ أَطَاعُوا أَمْرَهُ، وَلَمَّا فَرَضُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ طَاعَتَهُ، فَضَّضَ اللَّهُ نَصْرَهُمْ وَتَمَكَّنَهُمْ، بِخَاهِدِ مُجَاهَدِهِمْ مُسْتَبَصِّرًا مُخْتَصِبًا، وَقَامَ قَائِمُهُمْ بِالْحَقِّ عَلَيْهِ مُخْلِصًا مُجْتَهِدًا، وَقَادَهُمْ طَلَامُ الدِّينِ وَدَوَاعِيهِ أَرْسَالًا قُدُّمًا، فَأَتَّبَعُوا سَبِيلَهُ لَا نَاكِلِينَ عَنْ إِقْدَامِ، وَلَا مُتَوَقِّفِينَ عَنْ آرْتَابِ، وَلَا مُتَبَيِّنِينَ، مَعَ دَخَائِلِهِمْ وَبَصَائِرِهِمْ، صَدُّوا وَلَا عَنَادًا؛ طَالِبِينَ بِثَارِ الدِّينِ بُغَاةً، وَبَطْلَائِلِ الْإِسْلَامِ عِدَاةً : مِنْ صَنُوفِ أُمِّ الْكُفْرِ وَمَرَدَةِ النِّفَاقِ وَأَتَمَّةِ الْمُلْحَدِينَ، مُتَقَلِّدِينَ لِلْحَقِّ وَنُصْرَتِهِ، وَلَئِنْ تَمَّ الْحَقُّ بِهِمْ وَمَضَى، وَلَيْتَ مَعَ الْحَقِّ مَنْ نَكَّثَ عَنْهُ بِالسُّتُومِ وَأَيْدِيهِمْ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَاقِلَ الشَّرْكِ وَأُتَمَّهُ، وَأَنَاخَ الْبَاطِلِ وَأَرْكَانَهُ، وَأَعْلَامَ الْبِدْعِ وَأَتْبَاعَهَا، فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً، وَاللَّهُ طَلِيمٌ حَكِيمٌ، إِنْ هَزَرْتَهُمْ قَطَعُوا قَاطِعَ الْحَسَامِ، وَإِنْ أَجْرَيْتَهُمْ فِي عَظِيمَةٍ وَقَعُوا قَعَّ الْجِيَادِ، وَإِنْ اسْتَغْنَيْتَ وَدَامَ الْفَنَاءُ لَكَ عَنْ جَمِيعِ الْعَامِلِينَ، كَانُوا رَصْدًا لَكَ فَوْقَ أَغْنَاقِ الْحَاسِدِينَ .

مَا يُقَرَّرُ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَوَانِ الْكُتُبِ

لِيَعْرِفُوا مَوْقِعَ نِعْمِ اللَّهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . يَحُوطُهُ بِهِ فِي أَوْلِيَائِهِ، مِنَ النَّصْرِ وَالتَّحْكِينِ، وَعَلَى أَعْدَائِهِ مِنَ الْوَقْمِ وَالتَّوْهِينِ^(١)، وَيَشْكُرُ اللَّهُ عَلَى النِّعْمَةِ فِي ذَلِكَ، إِنْ الشُّكْرُ مُحْصَنٌ لِلنِّعَمِ، وَأَمَانٌ مِنَ الْغَيْرِ، لِيَتَحَلَّوْا مَوَاقِعَ النِّعْمَةِ طَلِيمِ، فَيَا جَمَعَ اللَّهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كَلِمَتِهِمْ، وَيَحُوطُ مِنْ حَرِيمِهِمْ، وَيُجِلُّ مِنْ بَاسِهِ وَقَعْمَتِهِ بَيْنَ صُلْفٍ عَنْ سَبِيلِهِ وَحَاوِلٍ تَشْتَبِتُ جَمَاعَتُهُمْ وَتَوَهِّنُ حَقَّهُمْ، وَيَقَابِلُونَ ذَلِكَ بِمَا تُرْتَبِطُ بِهِ نِعْمُهُ، وَيُسْتَنْدِزُ مَزِيدُهُ .

سعيد بن حميد

ليشكروا الله على ما منح خليفته من هؤلاء المراق الخارجين من جماعة المسلمين، فإن الشكر أمان من الغير ومادة للزبد .

٣ - التحاميد في أواخر الكتب

تحميد لسعيد بن نصر في آخر كتاب فتح له

الحمد لله العزيز البين، المظهر لحقه، المؤيد لأوليائه، الصانع للإسلام وأهله، الناصر لخليفته، الحافظ لما أستحفظه، المتوحد بالنعمة عليه فيما حمله .

تحميد لإبراهيم بن العباس في آخر كتاب فتح

فالحمد لله المنزّل لما يمهّد المبطلون، ويمكّره الماكرون، ويكيد به الملعونون، تمكيناً لعبده وخليفته، ودباً عن دينه وحقه، وإظهاراً لأوليائه وحزبه، وإمضاء لعزائمه وقدرته، منها قادراً، ومُثَمِّلاً ممهلاً، عدلاً إذا استدرج، متفضلاً إذا أُنم، حمداً يُستترّل به نصره، ويُبلغ به رضوانه، ويُمْتَرَى بمثله فواضل مزیده .

تحميد في فتح لإبراهيم بن العباس

والحمد لله بجميع حمّامه التي حُمد بها، على جميع آلائه وجميل بلائه، فيما ولى به خليفته، ونصر به دينه، وأقام به حقه، وأعزّ به وليّه، وقمع به من ألحدّ عن سبيله، حمداً يؤدّى حق نعمته، ويوجب به أفضل مزیده بمنه وطّوله .

تحميد لأبي عبيد الله في آخر كتاب

فالحمد لله على ما يحدث لأُمير المؤمنين في دولته وسلطانه، ولعامة المسلمين من صنعته وكراماته، في جسيم الأمور ولطيفها، وخاصها وعامها، بما يجعله للنعمة تماماً، وعلى ما يحلّ بعدوّه من بأسه وقوارعه، ويوقع بهم من جوائحه وأستصاليه، ما يكون لموعدده لإنجازها، حمداً يبلغ رضاه ويستوجب مزیده .

تمجيد آخر

الحمد لله الذي تمّ لأمر المؤمنين نعمته ، وأكمل دعوته ، وجعل العاقبة فيه لمن آخزاه لخلافته ، ورد إليه من شدّ عنه من رعيته ، وآتى أمير المؤمنين بصنعه على حدّ نيته وقدر أمنيته ، ولم يُفْل رَأْيُه ولم يُخْلَف ظنّه ، حمدا كثيرا دائما بما يزكو عنده فيقبله ، ويرفع إليه فيبلغ رضاه ، حمدا يكون لأصبح نعمه جزاء ، ولأفضل إحسانه كفاء ، وللزيد من فضله وإحسانه موجبا ، وإلى أعلى الدرجات عنده مؤدّيا ، وللخلود في جنته وسيلة وسببا .

آخر :

الحمد لله الذي جمع لأمر المؤمنين ما حباه بمزية نصره وتمكينه وإعزازه وتأيدته ، وإظهاره على من ناوأه وصدّ عن حقه ، وصدف عن طاعته ، ووقفه لاختصاص فلان بما وكلّه إليه وعصبه به من أعباء أموره وجلال أعماله ، وأجرى بفلان وعلى يديه وبركته وسعادة جدّه ويمن طائرّه ، من نتائج الفتوح ، وتواتر النصر ، وإقبال الصنع ، وإعلاء الحق وإنارته ، وإزالة الباطل وإبادته ، حمدا يؤدّي حقه ، ويرى عزه ، ويمير من أحسن^(١) مزيده ، بكرمه وجوده .

آخر :

الحمد لله الذي أكرم أمير المؤمنين بالخلافة ، وخصّه بالإمامة ، وقلّده من أمور عباده وبلاده ما تولاه بكفائته وكلاءته وتأيدته وجياطته ، حمدا يوجب المزيد من فضله .

ولإبراهيم بن العباس

الحمد لله الذي أنجز وعده ، ونصر عبده ، وأيدّ جنده ، وجعل فتوح أمير المؤمنين شرقا وغربا مشفوعة بين إقامة حق وإدالة باطل وإزالة عائد وإبادة عائد وإقالة مستحيل .

ويسأل الله أمير المؤمنين ، مسألة العبد سيده ومولاه رغبة إليه متذلّلا له أن يصلّي أفضل صلواته عنده على أكرم أنبيائه .

(١) سقطت في الأصل كلمات فائتتا ما يقرم مقامها .

دعاء أمير المؤمنين في الكتب والدعاء له

وأمير المؤمنين يسأل الله ربه ووليه ، أن يكتبه فيا حياته وأستحفظه عليه بأفضل تأييده وأعز نصره ، وأن يهب له مع كل نعمة يحمدّها له حارساً من شكرها ، يتابع به أفضل مزنده ، فإن النعمة منه ، والشكر بتوفيقه ، والمزيد لمن شكره .

وأمير المؤمنين يسأل الله ربه وربكم ووليّ النعم عليه وعليكم ، أن يلهمه وإياكم أداء حقّه وشكر نعمته وحده عليها ، ويطوّقه وإياكم أفضل الأعمال وأرضاها عنده وأشدّها استجابة لما وعد الشاكرين من مزنده ؛ إنه سميع قريب .

وأمير المؤمنين يسأل الله الذي ولّاه خلافة وأعلاه بها ، أن يطوّقه ما حمّله ، ويلهمه السبل بين رعيته ، ويلهمهم نصيحته وطاعته ، ويصلح أمرهم به في ولايته وخلافته . ويرغب الى الله الذي أيّده بنصره ومكن له غير حول منه ولا قوة ، أن يلهمه وإياكم شكره وذكركه وخشيته ، ويشمله وإياكم بطاعته ومَرْضاه ومحبته ، وأن يرفقه وإياكم الزيادة في نعمه والنصر على عدوّه والتمكين في بلاده ؛ إنه ذو فضل عظيم .

والى الله يرغب أمير المؤمنين في إعانته على نيته وتبليغه منتهى مؤله وغاية همتهموا عزاز دينه وإذلال من صدّ عن سبيله ؛ إنه سميع قريب . وأمير المؤمنين يسأل الله الذي دلّ على الداء تطوّلاً وتكفّل بالإجابة حتّى ، فقال : **«ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»** أن يجمع على رضاه ألفتكم وأن يصل على الطاعة جلّكم ، وأن يمتنع بأحسن ما عودكم من منته ، ويؤيّدكم عليها من شكره ما يواصل لكم به مزنده ، وأن يكفّكم كيد الكائدين ، وحسد الباعين ؛ ويحفظ أمير المؤمنين فيكم ، أفضل ما حفظ به إمام هدّى في أوليائه وشيعته ويحلّ عنه قتل ما حمّله من أمركم ، والله يستعين أمير المؤمنين على ما ينوي من جرائكم بالحسن ، وتحمّلكم على الطريقة المثلى ، وبه يرضى لكم ناصراً وولياً ، وكفى بالله نصيراً .

ويسأل الله أمير المؤمنين ، أن يحمّن على صلاح نيته وعونه ، وأن يتولّاه فيما استعماه ، ولايّة جامعة ، لصلاح ما قلّده ، إنه سميع قريب .

ويسأل الله أمير المؤمنين الذي بيده مفاتيح مقاديره وفواضله ، أن يُصليَ أفضل صلواته على أفضل أنبيائه ، وأن يجعل ما أذن لأمر المؤمنين إلى دولته وخلافته ، وجابه به من وسائل الخير عنده ، أن يجمع إلى أحسن توفيقه لما يرضى من شكره وحسن معونته على ما أصبح له ربه ، فإنه شاكر يحب من شكره ويوجب لمن وفق لشكره مزيداً بمنه وطوله وفضله وإنعامه ، إنه جواد كريم .

ويسأل الله أمير المؤمنين مُبتدئاً ومُعقِّباً وأولاً وآخر ، وقبل كل مسألة ، وأمام كل رغبة ومُقَدِّمَةً كُلِّ طَلْبَةٍ ، أن يصليَ على صفوته من عباده وخير خلقه وخاتم أنبيائه ورسوله ، محمد عبده ورسوله ، أفضل صلواته ، ويبارك عليه أكثر بركاته ، وأن يديم له كرامته ، ويَجْزِي عنده على أعمل طاداته ، وأن يتم له ما آخضه به من إحسانه ، حتى يملأ الأرض عدلاً وقسطاً ، والإسلام تأييداً وعزاً ، والشرك ذللاً وقمعا ، إنه ولي نعمته ومنتهى كل رغبة ، وغاية كل حاجة ، وهو على كل شيء قدير .

وأمر المؤمنين يقول : الحمد لله طاعة لأمره ، واعتصاما من العتنة بسكره ، وأستدامة لِنِعْمِهِ الْمُرَائِدَةِ عَنْده ، إنه سميع قريب .

وأمر المؤمنين ، سأل الله السامع كلام من جهر ، والعالم بغيب من أسر ، المطلق على ضمائر العباد ووسوستهم ، والمستنقذ من يساء برحمته ، والمُتَّقِن على من يساء بقدرته ، أن يجمع على الحق أهواءكم وينصركم على أعدائكم ويصلح ذات بينكم ولا يهلككم في موطن من مواطن اللقاء ، والتعاكم والتناجز ، إلى أفسكم ، ويكفيكم ويكفي بكم إنه سميع قريب .

الدعاء لأمر المؤمنين في أواخر الكتب

ونسأل الله أن يهبنا أمير المؤمنين ما صنع له ، ويُعينه على شكر ما أولاه ، إنه ولي ذلك وإنا إليه فيه راغبون والسلام .

وله :

ونسأل الله أن يمنّا أمير المؤمنين الكراماتُ التي يُتابعها ، والنعمُ التي يظاهرها عليه ، والفتوحَ التي جعلها في خلافته ، وولاياته ودولته ، ويهبُ له من المعرفة بحقه في ذلك والشكر له بحسن بلائه فيه ، ما يبلغ أعظم رغبة وأقصى أمنية ، من ذخائر الخير وفضيلة الأجر وحسن الثواب في الدنيا والآخرة .

أسأل الله لأمر المؤمنين في ظواهر أموره ، أحسنَ ما عوّده في سالفها ، من السلامة التي حرمه بها من المكارّه ، والعزّ الذي قهر له به الأعداء ، والنصر الذي مكّن له في البلاد ، والهدى الذي وهب له به المحبّة ، والرفق الذي أدّر له به الحطب ، والاستصلاح الذي آسقت له به الرغبة ، حتى يكونَ بما أعطاه من ذلك ، وما هو مُستقبل به ، أبعدَ خلفائه ذكرا ، وأبقاهم في العدل أثرا ، وأطولهم في العمر مُدّة ، وأحسنهم في المعاد مُتقبّلا .

أسأل الله لأمر المؤمنين نعمة لا تزول ، وكرامة لا تنفد ، وعزّا لا يضام ، ونصرا لا يظلب ، وكفايةً ينظم بها جميع الصلاح ، حتى لا يكونَ بأوّل من ذلك أسعدَ منه بآخر ، ولا بامض أسرّ منه بمستقبل .

أسأل الله لأمر المؤمنين في عاقبة كلّ نعمة أفضلَ ما وهب له في طاجلها ، حتى يجعل كلّ نعمة أنعم بها عليه ، وكرامة حازها له ، موصولةً بالتّمام ، محوطةً بالحفظ ، مكثورةً من الغير ، ممدودةً الى طول غايات البقاء ؛ لا يشوب صفوها كدر ، ولا سلامتها غير ، ولا سرورها تنغيص ؛ وهنّا الله أمير المؤمنين الظفر ، وأدام له عادة النصر والتمكين الموضح ، ومُجته المُنحضة لجة أعدائه ، والغلبة المظهرة لحقه ، المُجتاحَة لمن خالفه ؛ ثم لا يرحب نعمة الله راهنة بمثله في الأولياء نصرا ، وفي الأعداء إباحة ، وفي التاكثين تنجيلا .

سر الله أمير المؤمنين بما أهدى له من كفايته ، وحاطه به من منّته ، وأيده به من نصره ، وجعله وما استتراه من دينه وسُلطانه ، في كنفه الذي لا يُستباح وتحت يده المانعة وجنّاحه المحفوظ .

أدام الله لأمر المؤمنين السرور بما يُقْدَى به عيون أعدائه في تمكينه وتوهمهم، ونصيره وخذلانهم، وإعزازهم والمجاهدة لهم؛ ولا زالت نعمة الله تزيده في قوة الظفر، وعزّة النصر، ونفد من آفاق الأرض بالبشارات والفتوح، حتى تملأ له ما بين طرفي ملكه أننا وعزنا، ويملاً به قلوب أعدائه خوفاً ورعباً، ويعتد بهم على خلافه سطوة وتكلاً .

أحمد بن يوسف

وهنا الله أمير المؤمنين نعمة، وملاءة كرامته، وأولى له فتوحه، وأدام إعزازهم، وتولى حياطته وكفايته، فيما دنا منه وما غاب عنه، وأطال بقاءه والامتناع به .

مختار ما كتب من باب التهنائي في كل فن

تهنئة خليفة بظفر

الحمد لله الذي جمع لأمر المؤمنين مع الغلبة المحمّية، ومع الظفر المعنوية، وجمع لعدوه مع النذل السطوة، ومع دحوض المحمّة النكال؛ فلم يجمعه والناكثين موطن من مواطن الصبر، إلّا جعل المحمّة عليهم فيه، ولسان العذر فيه معه، ويد الظهور فيه له؛ ثم وهب له عند الظفر من الشكر، وعند الفلج من التواضع، وعند القدرة من العفو، ما جعله مستوجباً لما أصفاه به، معزفاً بأن العذر منقطع من نكبه، وأن مستراد المحمّة ومطلب السلامة، في التمسك بطاعته ومناصحته، والمجاهدة ثونه .

وفي مثله :

أدام الله لأمر المؤمنين السرور بما يُقْدَى به عيون أعدائه .

وكتب إبراهيم بن المهديّ الى المعتصم يهنئه بخروجه عن أرض الروم

بعد فتح عمورية

الحمد لله الذي تم لأمر المؤمنين غزوته، فأذل بها رقاب المشركين وشفى بها صدور قوم مؤمنين؛ ثم سهل الله له الأوبة سالماً غانماً، وكذا وكذا؛ وليهنئه ما كتب الله له، مما

أحصاه فلا ينساه، ليقفه به موقعا يرضاه، فإنه عز وجل يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ الآية، فطوى الله لأمر المؤمنين نازح البعد بزا وبحرا، ووقاه وصب السفر سهلا ووعرا، وحاطه بحراسته كالثا، ودافع عنه بحفظه راعيا؛ حتى يؤديه إلى المحل من داره، والوطن من قراره؛ وجراه عن الإسلام خاصة، وعن رعيته كافة، بخيبره مستخفا عليهم، وقائما مقامه فيهم هرؤا ابن أمير المؤمنين؛ فقد استخلفه رفيقا شقيقا، حليما وقورا، يقظان ساكنا؛ لم يشتد عليه أمر، ولم ينتشر عليه طرف، ولم يضع معه سبيل، ولم يسخط وليا مكافا، ولا عدوا مخالفا، بلا سيف أشره، ولا سور أفرع به؛ فقتل جراه أمير المؤمنين في خيبره إياه، بجراه الله على ما حفظ من وصاته، على محمود مقامه، إنه يجيب الداعي.

وكتب أحمد بن يوسف إلى عبد الله بن طاهر

يهتبه بظفر

بلغني - فتح الله عليك - خروج ابن السري إليك، فالحمد لله الناصر لدينه المعز لوليّه وخليفته على عبادته، المذل لمن صد عن حقه ورغب عن طاعته؛ ونسال الله أن يظهر النعم ويفتح بلدان الشرك به؛ والحمد لله على ما وآلاك منذ ظننت لوجهك، فإنا نتذاكر سيرتك في حرك وسلمك، ونكثر التعجب لما وقفت له، من وضع الشدة والليان بموضعهما، ولا نعلم سائر جند ولا رعية صدل بينهم عدلك، ولا عفا بعد القدرة عن أسفه وأضعفه عفوكم.

تهنئة خليفة بحج

أصلح الله أمير المؤمنين وأراه من الزيادة في نعمة، ما يكون تماما لما ابتدأ به من فضله؛ والحمد لله على ما خص به أمير المؤمنين من كرامته، وأعطاه من الفضل في نيته، وجعله يستعين على دينه، بما بسط له في دنياه، ويحمل على بدنه النصيب فيما يتقرب به إليه؛ فيجفوا عن دعتة على لينها، ويستحص عن صمانيته على فضلها، إشارا لآخרתه، وأداء لحق ربه؛ بأدرله بذلك ليكرمه به، ثم يستعمل فيه نفسه، تقربا إليه، فيسعد به بالإذن

في ذلك حين كان من الله له ، وبالعَمَل فيه حين كان لله منه ؛ فيكون قبوله الخير حين يعرضه له ، دليلاً على قبوله الخير عنه حين يعمل لربه ؛ وكان من ذلك ما أذن الله لأُمير المؤمنين في زيارة نبيّه صلى الله عليه وسلم العام ، وموافاة مشاعره العظام ، في وقتها من الأيام ، التي لا توافي إلّا معها . ولا تكون مناسبة إلّا فيها ؛ فكتب الله له في ذلك الآثار الصالحة والأعمال المبرورة ، فدخل في الإحرام له بتعظيم حقّه ، وخرج منه بقضاء نُسكّه ، أجزأ عقده الله عليه في آبدائه ، ثم آتمّه له باستيفائه .

ولمحمد بن مكرم تهنئة لحاجّ

بَلَّغَكَ اللهُ الرِّضَا فِي أَمَلِكَ مِنْ تُجْحِ كُلِّ حَاجَةٍ وَابْلَاغِ كُلِّ أُمْنِيَةٍ ، وَتَقَبُّلِ كُلِّ دَعْوَةٍ خَصَّصْتَ بِهَا نَفْسَكَ أَوْ عَمَّتَ بِهَا أَحَدًا مِنْ أَهْلِكَ ، فِي جَمَاعٍ وَفَوْدَةٍ ، وَمُعْتَرِلِ قَرَارِهِ ، فَكُنْتَ شَافِعًا مِنْ شَاهِدِكَ ، وَوَافِدًا مِنْ ظَابِعِكَ ، يَسْتَفْتِحُ بِدَعَائِكَ ، وَيَرْجُو بِرُكَّةِ مَحْضَرِكَ ، وَالْقُرْبَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِفَضْلِ جَاهِكَ .

تهنئة بولاية

نرى ما أحدث الله لك من الولاية ، لنا خاصاً وإلينا واصلاً .

آخر :

وَلَمْ تَخْطِئِ النِّعْمَةَ إِذْ أَصَابَكَ ، وَلَمْ تَتَعَدَّنِي إِذْ دَخَلْتُ بِكَ ، وَلَمْ أَخْلُ مِنْ لَازِمِ شُكْرُهَا ، وَمَا يُنْفِلُكَ اللَّهُ مِنْهَا ، إِذْ قُلْتُهَا ، اعْتِدَادًا بِكُلِّ مَا طَوَّقْتُ مِنَ الْيَتَرِ ، وَإِعْجَابًا عَلَى نَفْسِي مَا حَمَلْتُ مِنَ الشُّكْرِ .

ولسعيد بن حميد الى بعض إخوانه

سَرَّكَ اللهُ بِتَأْجِ نِعْمِهِ ، وَتَرَادَفِ إِحْسَانِهِ ، وَزَادَكَ مِنْ فَوَاضِلِ أَقْسَامِهِ . بَلَّغْنِي — أكرمك الله — ما وهب الله لك من سلطانك ، فقوّاك الله على ما استرعاك . ورزقك الشكر على ما أولاك .

وفي مثل ذلك :

أَكَلُ اللَّهِ لَكَ السَّعَادَةُ ، وَزَادَكَ فِي الْكَرَامَةِ ، وَخَصَّكَ بِدَوَامِ النِّعْمَةِ . بَلِّغْنِي مَا وَهَبَ اللَّهُ لَكَ مِنْ سُلْطَانِكَ ، فَمُرِّرْتَهُ بِهِ ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ إِيَّامَ نِعَمِهِ عَلَيْكَ فِيهِ بِتَأْيِيدِكَ ، وَتَوْفِيقِكَ لِلْعَدْلِ فِي سِيرَتِكَ ، وَخَرَّصَ مِنَ الْمَحَبَّةِ لَكَ فِي قُلُوبِ رَعِيَّتِكَ ، وَأَنْ يُعِينَكَ عَلَيْهِ ، وَيَرْزُقَكَ السَّلَامَةَ فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا .

وله في مثله :

أَنَا أَهْنَى بِكَ الْعَمَلَ الَّذِي وُئِيَتْهُ ، وَلَا أَهْنُكَ بِهِ ، لِأَنَّ اللَّهَ أَصَارَهُ إِلَى مَنْ يُورِدُهُ مَوَارِدَ الصَّوَابِ ، وَيَصْدِرُهُ مَصَادِرَ الْحُجَّةِ ، وَيَصُونُهُ مِنْ كُلِّ خَلَلٍ وَتَقْصِيرٍ ، وَيُضْمِيهِ بِالرَّأْيِ الْأَصِيلِ ، وَالْمَعْرِفَةِ الْكَامِلَةِ ، قَرْنَ اللَّهِ لَكَ كُلَّ نِعْمَةٍ بِشُكْرِهَا ، وَأَوْجِبْ لَكَ بِطَوْلِهِ الْمَزِيدَ مِنْهَا ، وَأَوْزِعْكَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِمَا مَا يَصُونُهَا مِنَ الْفِتَنِ ، وَيَحُوطُهَا مِنَ النِّقْصِ .

آخر :

قَدْ وُئِيَتْ مِنَ الْعَمَلِ مَا أَسْأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرْزُقَكَ بَرَكَةً بِدَنِّهِ وَعَاقِبَتِهِ ، وَيُعْطِيكَ الرِّضَا مِنْ وَلِيَّتٍ لَهُ وَعَلَيْهِ .

آخر :

هَئَاكَ اللَّهُ هَذِهِ النِّعْمَةُ الْمَقْبِلَةُ ، الدَّالُّ أَوَّلُهَا عَلَى تَمَامِهَا ، وَأَوْزِعَكَ شُكْرَهَا .

آخر :

أَسْعَدَكَ اللَّهُ بِهَذِهِ الْوَلَايَةِ وَجَعَلَهَا مَبَارَكَةً ، تَنْتَقِلُ بِظَلِّ السَّلَامَةِ مِنْهَا ، وَتَنْبِلُ الْكَفَايَةَ فِيهَا إِلَى أَمْلِكِ بِنَهَايَتِهِ وَرَجَائِكَ بِنَهَايَتِهِ ، وَرَزَقَكَ السَّلَامَةَ مِنْ وَلِيَّتٍ لَهُ وَعَلَيْهِ .

آخر :

سَرَّكَ اللَّهُ بِمَا جَدَّدَ لَكَ مِنْ هَذِهِ الْمُنْتَزَعَةِ ، وَتَقَعَكَ بِهَذِهِ الْوَلَايَةِ ، وَأَرْضَى عَنْكَ مِنْ وَلِيَّتٍ لَهُ وَمِنْ وَلِيَّتٍ عَلَيْهِ .

وكتب محمد بن مكرم الى أحمد بن دينار :

نحن من السرور أيها الأمير بما قد استفاض من جميل أثرك فيما تلي من أعمالك ،
 وزمك لماها بحزمك وعزمك ، وأنتياشك أهلها من جور من^(١) وليهم قبلك ، وسرورهم بتطاول
 أيامك والكون في ظل يدك وجناحك ، في إهانة من تشمسه ونعمه نعمتك ، وتحصول به
 الجول حيث حالت بك ، فالحمد لله الذي جعل العاقبة لك ، ولم يرُد علينا آمالنا فيمك
 منكوسة ، كما ردّها على غينا في غيرك . ولوددتُ أن أباك كان عاين آثارك هذه ومناقبك ،
 وإن كان الاقتراق لم يقع بينكما حتى علم أنك خلّفته ، وألقى اليك بأمره ومعاقد ثقته ،
 وجعلك موضع اختصاصه وأثرته ، وصرف ذلك عن كان لا يستحقّه ، وذم سالف رأيه
 فيك وفيه وحيد آخره ، ثم نعمة اتصلت لك بما قبلها ، انتظمت بها أمورُك فاعتدلت ،
 وتلاحمت عليها وآتسقت ، ما منحت في كاتبك ، ومُسْتَمَرَّتْ همتك ، وحامل أعبالك ، من
 الكفاية والنصيحة ، ووضعه عن قلبك مؤونة التهمة والقص لأثره ، وإدخاله راحة العُلمانية
 اليه وروح الثقة به ، لا كما ابتلي أخوك ، فإنه محبه يفظط عليه أمره ، وأفتى أسرارهِ الى
 صاحب بريده ، فأنقل ذلك بينهم ، وقطع جبالهم ، حتى هجنت آثاره مع حُسْنها ووضوحها ،
 وصغرت يده من حفظ عمله ، ولزِمه الذم من أهله ، فهذه كُتِبَ إلى ، في أطراح نصيحة له
 كانت فيه ، ويسألني أن أخصّص اليه كاتباً يحمل ثقله ، ويفتح له ما أرتجيه من أمره . وهذا
 من سعادة جدك ، ويؤمن طائرُك ، وإقبال الأمور اليك ، وسعيها على طريق موافقتك ،
 وهيتنا هنالك الله نِعْمه خاصها وعامها ، وأوزعك شكرها ، وأوجب لك بالشكر أحسن المزيد فيها .

نهضة بعزل

كتب رجل الى مالك بن طوق لما عُزل عن عمله :

أصبحت والله فاضحا مُتعبا : أما فاضحا فلكلّ وإل قبلك بحسن سيرتك ؛ وأما مُتعبا
 فلكلّ وإل بعدك أن يلحقك .

(١) اتياشك أهلها : استفادهم

فصل

سواء طينا أوليت أم صُرفت، إنا لنشهد بك الولاية، بما بَسَطَ الله من يدك يبذل العُرف، وتهتك بالعرف بما يلحقك من ثناء ما أسلفت من الجليل؛ ولا نخاف طيك أن تهارق عملا وأنت محل له، ولا أن تصحبه وليس به فاقة إليك. فهناك الله النعمة، وأطاعتك على الشكر، وأيدك بالمزيد.

تهنئة بعزل عامل عن عمله

ياغنى صَرفك، نفاذ الله لك، وهناك لطيف نظره وجميل إحسانه، فإني أرى الرجل عند خروجه من العمل سالما قويا من مآثمه ودنسه، أوتي بالتهنئة منه عند دخوله فيه، وأرى الدناء له عند بدء تلبسه به بالخلاص منه معصوما بريئا من تبعاته ورواج آثامه، أولى بمن عُيِيَ به وأحب صلاحه، ولذلك قدمتُ تهنيتك.

ولسعيد بن حميد في مثله الى بعض إخوانه :

حفظك الله بحفظه، وأسبغ عليك كرامته، وأدام اليك إحسانه. إن سرورى بصرفك، أكثر من سرور أهلي عملك بما خُصوا به من ولايتك. وقد كنت — أعزك الله — فيما يُربأ بك عنه، بما أنت عليه في قدرك وأستهاك؛ ولكنا رجونا أن يكون سببا لك الى ما تستحق، فطبتا نفسا بالذي رجونا. فالحمد لله الذي سلمك منه، ونسأله تمام نعيمه طيك وطينا فيك، بتبليغك أملك وآمانا فيك، وشفاع ما كان من ولايتك بأعظم الدرجات وأشرف المراتب؛ ثم خصك الله بجميل الصنع، وبلغك غاية المؤمنين. إن من سماعة الوالى — حفظك الله — وأعظم ما يُنحَص به في عمله وولايته السلامة من بوائق الإثم، ونواب الدنيا وشرها، والعاقبة مما يُخاف منها؛ وقد خصك الله منها بمنته وطوله ما نرجو أن يكون سببا لك الى نيل ما تستحق من المراتب. والله نسأل إيزاك شكرا من به عليك، وتبليغك غاية أملك في جميع أمورك، برحمته وفضله.

آخر :

ما أحسن ما كَشَفْتَ عنك الولاية، وأجمل ما أبرزتكَ العمل ، قد كسبك الله حمدًا ولايتك وعَزَل عنك لائمتها، بما أنشَر عنكَ من عَنكَ، وظَهَر من معروفك ، فاذا ساءلك هذا فليسررك .

وكتب محمد بن مكرم الى ابراهيم بن المدبر :

الحمد لله رب العالمين حمداً يَجُوزُ حمدَ الحامدين ، الذى جعل قضاءه خيرة لك ؛ فإن زادك نعمة وقلك لشكرها ، وإن أمتحتك ببلوى من قَتَّ حاسد أو تَكد كائد ، أثار برهانك وأفلح مُجتَحك وجمع بين وليك وعدوك في الشهادة لك ؛ وإن قَلَّ أمرا عن يدك ، فربما يَرِجعه اليك غتلاً لفقدك . هذا الى ما جعل عندك من خواص النعم التي إن ذكرناها فاطنبتنا أو تجوزنا فقصرنا ، كان غايقتنا الى الحُسُور دون مَدَى غايتك . وقد زادك الله بهذا الحادث فضلاً عظيماً لما ظهر من ولِّهِ العامة اليك وتطلُّعها الى ما كانت فيه : من لين إنصافك وكريم أخلاقك ، ووَحْشَةِ الخَاصَّةِ لما قَدَّتْ من حُسن مُعاملتك وكثير تفضلك . وأيقن أهل الرأى والتأمل لصفحات الأمور ، أن كل ما تَرج عنك فصائد اليك ومتصل به غيره ، حتى تستقر في يدك عِراً الأمور ومعاقدُها ، وتُفتح برأيك وتدبيرك أبوابها ومغالقاتها ، فليَهِّبْكَ أَتْ كُلَّ ما زاد غيرك قصداً زادك فضلاً ، وكل ما قصص من الرجال وحطها الحق بك شرفاً . فزادك الله وزادنا منك ، وجعلنا ممن يَقْبَلُ رأيك ، ويقدمه اختيارك ، ويقع من الأمور بموافقتك ، ويمرّ منها على سبيل طاعتك .

وكتب سعيد بن حميد الى بعض إخوانه :

جعلني الله من السوء والمكروه فداك ، وأطال في الخير والسرور بقاءك ، وأتم نعمته عليك ، وأحسن منها مَزِيدَكَ ، وبلغك أقصى أُمِّيتِكَ ، وقَدَّمْني أمامك ، وقَدِّبْني ما اختار الله لك ، فسررتُ من حيث يَنتم لك مَنْ لا يعرف قدرَ النعمة عليك ، ولا يراك بعين استحقاقك .

ولئن ساءنى ما ساء إخوانك من عزك، لقد سرنى ما يسر الله لك . والحمد لله الذى جعل
انصرافك محمودا، وقضى لك فى عاقبتك الحسنى، وأقول :

لَيْتَكَ أَنْ أَصَبَحْتَ مُجْتَمِعَ المَد * وَرَأَى المَعَالَى والمُحَامَى عن المَحِيدِ
وَأَنَّكَ صُلْتَ الأَمَرَ فَمَا وَلَيْتَهُ * فَفَزَقْتَ مَا بَيْنَ الفَوَايَةِ والرُّشْدِ
فَلَا يَحْسَبُ البَاغُونَ عَزَّكَ مَعْنَا * فَإِنَّ إِلَى الإِصْدَارِ عَاقِبَةَ الِوَرْدِ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا السِّيفَ جُرْدًا لِلْوَعَى * فَأَحْمَدُ فِيهَا مِم رُدَّ إِلَى الغِمْدِ
وقد قال الأول :

فَن يَكُنْ بِوُرُودِ العَزْلِ مُكْتَمَا * فَإِنِّى بِوُرُودِ العَزْلِ مُسْرُورُ
بَعْدَ الوَلَايَةِ عَزْلُ يَسْتَبِينَ بِهِ * طَوْلُ الوَلَاةِ وَبَعْدَ العَزْلِ تَأْمِيرُ

أما ما عندى مع تصوّر العاقبة لك فى نفعى ، فَيَمَسِّنِى فى أَمْرِكَ فى حال المحنة
ما يَخْصُنِى مِنْهُ فى وقت تَجْدُّدِ النِّعْمَةِ . وبِحَسَبِ ضَمِيرِكَ الشَّاهِدِ عَلَى مَا عِنْدِى مَا أَجَدَهُ لَكَ
فى نَفْسِى . فَلَا زِلَّ فى نِعَمٍ مُتَابَعَةٍ مُتَجَدِّدَةٍ ، وَلَا عِلِمَتِ الثَّرْوَةِ وَالزَّيَادَةِ ؛ وَبَلَّغَكَ اللهُ أَقْصَى
أَمْلِكَ ، وَأَمَلَ أَخِيكَ لَكَ ، وَكَبَّتْ أَعْدَاؤُكَ ، وَجَعَلَنِى وَقَامَكَ المَقْدَمَ عَنْكَ . أَحَبَّ أَنْ
تُشْرَحَ لى صُورَةِ الأَمْرِ إِلاَّ مَا تَأَدَّتْ ، وَكَيْفَ كَانَ الِابْتِدَاءُ ؛ فَإِنِّى لَا أَشْكُ أَنَّهَا حِيلَةٌ
وَنِيَّةٌ مِنْ عَزِّ الصَّاحِبِ الجَلِيلِ القَدْرِ ؛ وَلَمَّا عَاقِبَةُ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللهُ مُجُودَةٌ ، وَتُخْفِى مِنْ ذَلِكَ
إِلَى مَا تَسْكُنُ إِلَيْهِ نَفْسِى ، إِنْ شَاءَ اللهُ .

تهنئة بتزويج وبناء بأهل

بِطَائِرِ اليُمْنِ فَلْيَكُنْ هَذَا البِنَاءُ ، وَبِأَسْبَابِ السَّعَادَةِ فَلْيَتَّصِلْ عِقدُ هَذَا الاجْتِمَاعِ ، وَبِكُلِّ ذِكَاةِ
الْوَلَدِ ، وَثَرْوَةِ العَدَدِ ، فَتَجَرَّكَ الأَقْدَارُ ، وَفِي أَطْوَلِ غَايَاتِ البَقَاءِ فَتُدْمِمْ هَذِهِ النِّبْطَةَ وَالسَّرُورَ .

تهنئة بتزويج

بَلِّغْنِى تَزَوُّجُكَ مِنْ فُلَانَةٍ ، فَبِالزَّوْجِ وَالْبَنِينَ ، تَهْنِئَةُ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ ، وَمِبْلَغُ سُنَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ
الْمُتَبَحِّرِينَ ، وَقَوْلُ عَلَى يُمْنِ الطَّائِرِ ، وَسَعَادَةُ الجَدِّ ، وَنَمَاءُ العَدَدِ ، وَآهَاقُ الهَوَى ، وَطِيبُ

المناسمة، واجتماع السَّمَل، وثبات الرِّيع، وتَمَلَّى النِّعم . أسأل الله الذى قضاها أن يجعلها لك سَكَنًا ويعملك لها نَجْمًا، وأن يُؤَثِّرَ حَامِها الى آتِها نَقَسك عنها، وجعلك جائزًا تُرَبِّها، وولَّيت المال وهناة العيش وملاهاة الفوانى بعدها .

تهنئة لغسان بن عبد الحميد بتزويج

قد بلغنى جَمْعُ الأمير أهله على الحال التى جمعهم عليها من نعمة الله عليه . فالحمد لله على كل ما يرى الأمير فيها له فيه نعمة . فأسأل الله أن يجعل الطائر فى ذلك مَبِينًا، والسَّمَل مجتمعا، والبركة عظيمة، والأُمُور سليمة؛ وكذلك فقد عَظَّمَ الله القَسَمَ منه لزوجه، جَعَلَ الأمير سَكَنًا لها، وأجرى المودة والرحمة بينهما، فإنه يقول عز وجل: ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةَ وَرَحْمَةٍ ﴾ . فلما كان الأمير هو المنظور إليه، وهى المنظور إليها، أختارها الأمير لنفسه وأختار نفسه لها، وأراد الله عز وجل أن يزيدا مع فضلها فى نفسها فضلًا باختيار الأمير إياها، وباختصاص الله لها بالأمير دون غيرها؛ فكان ذلك فضلًا من الله زِيَنَهُ بفضل، وكرامةً من الله وَصَلَ بَعْضُها ببعض . فترغب الى الله عز وجل فى أن يزيد الأمير فى كُلِّ سَعَةٍ مبسوطة، ونعمة مقسومة، ويعطيه فى ذلك شكرًا يكون لرضاه مُوجِبًا، كما أعطاه فضلًا كان الشكر له به واجبًا؛ ثم يُمَلِّى الأمير ذلك بأحسن ما مَلَّى أحدًا من خلقه كرامةً اصطبتها عنده .

تهنئة بمولود

كتب العباس بن الحسن الطالبي الى المأمون يهنئه بمولود له :

قد كان أجذلى ما أحدث الله لأمير المؤمنين من الموهبة التى ليس، وإن كان أولى بها من غيره، بأعظم فيها حظًا من رِجَيتِه . فعمّر الله لك يا أمير المؤمنين قلوبهم بنور الحكمة وأبصارهم حتى يَشُدَّ بهم عَضْدُكَ، وَيُسَدَّ بهم ثُلُثُكَ، وَيُلْغِمَ الغاية المأمول لهم بلوغها بعدك، غير مُقَعَّد بك مهل، ولا مُحَلَّ بك أجل، ولا مُكَذَّبك أمل، ولا مُتَقَطَّعة أيامك، حتى تُحْتَرَمَ أَنْفُسُنَا قبلك .

وكتب أحمد بن يوسف الى بعض إخوانه يهنئه بمولود له :

بارك الله في مولودك الذي أتاك، وهنّاك نعمته بعطيته ، وملّاك كرامته بفائده ،
وأدام سرورك بزيادته، وجعله باراً حقياً، مميّونا مباركا زكياً، ممدودا له في البقاء، مُبَلِّغا غاية
الأمّل، مشدودا به عَضْبُكَ، مُكْتَرّاً به وَلَدُكَ، مُدَاما به سرورك، مدفوعا به الآفات عنك،
مشفوعا بأكثر العدد، من طيّب الولد .

وله في مثل ذلك :

هنّاك الله هذه الفائدة التي أفادكها، وبارك الله في الهبة التي رزقكها، وشفعها بإخوة
متواترين ، يَسُرُّونك في حياتك وَيَحْفَونك في عَقَبِكَ .

تهنئة بمولود

كتب رجل الى رجل يهنئه بمولود :

جِئْتُ فداك . للبقاء ولولدك، في السناء نباته، وفي الثمن شبابه، وعلى البركة ميلاده .

تهنئة بمولود

كتب الحسن بن سهل الى ذى الرياستين :

إنه ليس من نعم الله، وفوائد قِسمه — وإن خُصّ موقعها ووجب شكرها — نعمةٌ تُعَدِّلُ
النعمة في الولد، لثمتها في العدد، وزيادتها في قوّة العضد، وما يُتَّجَلُّ به من عظيم بهجتها،
ويُرْجى من باقى ذكرها في الخُطُوف والأعقاب، ولاحق بركتها في الدعاء والاستغفار. وإن
الله قد أفادك وأتاك غلاماً سرياً، سَمَّيته فلاناً، فكان ميلاده عند فتح الله على أمير المؤمنين .
فرجوت أن تكون موافاته بالنصر الذي أظهرنا الله به على عدو الدين والمسلمين من دلائل
بركته ويُمْنه ، وشواهد سعادته والسعادة به . فبارك الله لأمر المؤمنين في طارف نعمه
وتالدها ، وشَفَّع له قديم منته بمجادتها، ورزقه ذكورا طيِّبين مهذِّبين ، يأنس بهم ربه،
ويتصل بهم نجاحه، ويصلحهم ذرية زاكية، وبقية صالحة .

آخر :

بلغنى الذى وهب الله لك ، فجعله الله ذُخْراً سَيِّئاً ، وَعَقْباً كَرِيماً .

عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ مِهْلٍ

أما بعد ، فَإِنَّ هِبَةَ اللَّهِ لَكَ هِبَةٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَزِيَادَتُهُ لِرَاكَ فِي صَدَقَةِ لِحَقِّكَ عِنْدَهُ
وَمَكَانَكَ فِي دَوْلَتِكَ مِنْ دَوْلَتِهِ . وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللَّهَ وَهَبَ لَكَ غَلَاماً سَرِيّاً ، فَبَارَكَ
اللَّهُ لَكَ فِيهِ ، وَجَعَلَهُ بَارِزاً قَيِّماً ، مَبَارَكاً سَعِيداً زَكِيّاً .

تَهْنِئَةٌ بِمَوْلُودٍ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَضِيَ مِنَّا بِسِيرِ الْقَوْلِ عِنْدَ عَظِيمِ النِّعْمَةِ ، حَمْدًا نَسْتَوْجِبُ بِهِ بَقَاءَ هَذِهِ
الْمَوْهَبَةِ لِلنَّهْأِ وَالْفَائِدَةِ ؛ فَإِنَّ نِعْمَةَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَتْ لَمْ تَزَلْ مُتَابِعَةً ، فَقَدْ كَانَ مَا يَقْبِضُ الْأَمَلُ
مِنَّا ذَكَرَ أَنْفَرَادِ الْأَمِيرِ بِنَفْسِهِ وَقَلَّةِ نَسْلِهِ ، وَمَا لَا يُؤْمِنُ مِنْ اقْتِطَاعِ الذِّكْرِ بِفَوَاتِ الْأَجَلِ ،
وَمِنْ دُثُورِ الْأَنَامِ ، بِوَقَائِعِ الْحَمَامِ ، وَقَدْ أَصْبَحْنَا مِنَ اللَّهِ مِنْ يَدَيْنِ فِي مُسَمِّحَةِ الْمَهْلِ ، وَمَتَّهِ
مَوَاقِعِ الْأَجَلِ ، لَمَنْ أَرَادَ فِيهِ مَوْضِعَ أَمَلْنَا فِي حَسَنِ الْخِلَافَةِ مِنَ الْأَمِيرِ وَإِحْيَاءِ ذِكْرِهِ .

مَهْنَةُ بِمَوْلُودٍ

سِرُّكَ سِرٌّ يُحْشِنُنِي مِنْهُ مَا يُحْشِكُكَ ، وَتَلْبَسُنِي فِيهِ النِّعْمَةُ مَا تَلْبَسُكَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى
النِّعْمَةِ فَيْكَ وَعِنْدَكَ .

كتب أحمد بن يوسف الى بعض إخوانه يهنئه بمولود :

أما بعد ، فقد بلغنى من متجدد نعم الله عز وجل عليك ، وإحسانه إليك فيما رَزَقَكَ
من الهبة ما أشتد جنى به ، وسألت الله أن يشفعه بأمثاله ؛ ولذلك أقول :
قَدْ شَفَّعَ الْوَاحِدَ بِالْوَأَفِدِ * وَأَرْغَمَ الْأَقْبُ مِنَ الْحَاسِدِ
أَبَا حُسَيْنٍ قَرَّ عَيْبًا بِمَا * أَعْطَيْتَهُ مِنْ هِبَةِ الْمَاجِدِ

قد قلتُ لما بشروني به * بُورك في المولود للوالدِ
إنّا لترجو وافدا مثله * والطائر الميمون للوافدِ

وله الى بعض إخوانه يهته بمولود :

أما بعد ، فإنه ليس من أمر يجعل الله لك فيه سرورا وفرحا ، إلا كنتُ به بهجاً ، اعتد
فيه بالنعمة من الله الذي أوجب عليّ من حَقِّكَ وعِرْفاني من جميل رأيك . فزادك الله
خيراً ، وأدام إحسانه اليك . وقد بلغني أنّ الله وهَبَ لك غلاماً سريّاً ، أكمل لك صورته ،
وأتمّ خلقه ، وأحسن البلاء فيه عندك ، فاشتدَّ سروري بذلك ، وأكثر حمد الله عليه .
فبارك الله فيه ، وجعله باراً تقيّاً ، يَشُدُّ عَضُدَكَ ، وَيُكثِّرُ مَدَدَكَ ، وَيُقِرُّ عَيْنَكَ .

وكتب إسحاق بن يحيى الى بعض إخوانه يهته بابتنة له :

رُبَّ مَكْرُوهٍ أَعْقَبَ مَسْرَةً ، وَمَحْبُوبٍ أَعْقَبَ مَعْرَةً . وخالقُ المنفعة والمضرة ، أعلمُ
بمواضع الخيرة .

كتب ابن المقفع الى صديق له ولدت له جارية :

بارك الله لك في الأبتنة المستفادة ، وجعلها لكم زينة ، وأجرى لكم بها خيراً ، فلا
تكرمها ، فإنهم الأمهات والأخوات ، والعلمات والخالات ، ومنهنّ الباقيات الصالحات ؛
وربّ غلام ساء أهله بعد مسرتهم ، وربّ جارية فرحت أهلها بعد مساءتهم .

وكتب عبد الحميد بن يحيى الى أخ له في مولود ولد له وهو أول

مولود كان :

أما بعد ، فإن مما أتعرف من مواهب الله ، نعمة خُصِّصْتُ بِزَيْنَتِها ، وأصْطَفَيْتُ
بِخَصِيصَتِها ، كانت أسرلى من هبة الله ولدا سميتُ فلانا ، وأملتُ ببقائه بعدى حياة وذ كرى ،
وحسن خلاقتي في حُرْمَتِي ، وإشراكه إياي في دعائه ، شافعا الى ربه عند خلواته في صلاته
وسجده ، وكلّ موطن من مواطن طاعته ، فإذا نظرتُ الى شخصه تحرك به وجدى وظهر به

سرورى، وتعطف عليه منه أنه الولد، وتولت عني به وحشة الوحدة، فأنا به جذل
 فى مغيبى ومشهدى، أحاول من جسده بيدى فى الظلم، وتارة أعاقه وأرشفه، ليس يعدله
 عندى عظيماى القوائد، ولا متفسات الرغائب. سرتنى به واهبه لى على حين حاجتى،
 فشد به أزرى، وتحلى من شكره فيه ما قد أدنى بتقل حمل النعم السالفة الى به، المقرونة
 سرائها فى العجب بقدر ما يدركنى به من رقة الشفقة عليه، مخافة مجاذبة المتايا لياها،
 ووجلا من عواطف الأيام عليه. فأسأل الله الذى أمتن علينا بحسن صنمه فى الأرحام،
 وتأديته بالزكاء، وحسه بالعافية، أن يزقنا شكر ما حملنا فيه وفى غيره، وأن يحصل ما يهب لنا
 من سلامته والمئة فى عمره موصولا بالزيادة، معروفا بالعافية، محوطا من المكروه، فإنه
 المتان بالمواهب والواهب بالمنى، لا شريك له. تحلى على الكتاب اليك لعلم ما سرتت به
 على بحالك فيه وشرك إياى فى كل نعمة أسداها الى ولى النعم. وأهل الشكر أولى
 بالمزيد من الله جل ذكره. والسلام عليك.

تهنئة بنقلة الى دار جديدة

تاهى الى ثقنتك الى الدار التى أرجو أن يجعلها الله ثقلة المكروه عنك، وثقلة السرور
 اليك، ودوام نعمة الله عليك. جعلها الله لك أيمن دار وأعظمها بركة، ووصل نعمه فىنا
 عندك ونعمه عندنا فيك.

تهنئة لمحمد بن مكرم الى نصرانى أسلم

أنا أقول الحمد لله الذى وقفك لشكره، وعرفك هدايته، فظهر من الارتباب قلبك،
 ومن الاقتراء عليه لسانك. وما زالت غمايلك مُمثلة لنا بحيل ما وهب الله لك، حتى كأنك لم
 تزل بالإسلام موصوما، وإن كنت على غيره مقبيا، وكنا مؤملين لِمَا صرت اليه، مشفقين
 لك مما كنت عليه، واذكاد لإشفاقنا يستمل رجاءنا، أتت السعادة بما لم تزل الأنفس
 تعد منك. فأسأل الله الذى توراك فى رأيك وأضاء لك سبيل رشدك، أن يوفقك
 لصالح العمل، وأن يؤتيتك فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ويقيك عذاب النار.

باب المنظوم

١ - أبو نواس^(١)

كان أبو نواس ينادم ولد المهدى ويلازمهم فلم يُلَفَّ مع أحد من الناس غيرهم ،
ثم نادى القاسم بن الرشيد ولقى منه أشياء كرهها وكُرِهَتْ له ، ففارقته .

(١) هو أبو علي الحسن بن هاني ، الشاعر المتفنن ، الجاذب الماسج ، صاحب الصيت الطائر ، والشعر السائر ،
ورأس المحدثين بعد بشر . وهو فارسي الأصل . ولد بقرية من كورة غوزستان سنة ١٤٥ هـ ونشأ يتيماً تقدمت به
أمه البصرة بعد سنتين من مولده ، فتم العربية ورغب في الأدب ، فلم تمأ أمه بحاله وأسلمته إلى عطار بالبصرة ،
فكث عنه لا يفتر عن معانة الشعر والاختلاف إلى الأدباء والحنان ، إلى أن صادفه عند العطار والبة بن الحباب
الشاعر الماسج الكوفي في إحدى قدماته إلى البصرة ، فأعجب كل منهما بالآخر ، فأترجه والبة معه إلى الكوفة ،
فبقى معه ومع قدماته من خلعا الكوفة وتخرج طليم في الشعر وفاتهم جميعا . وقدم بغداد وقد أربت سه على
الطالعين ، فاقبل ببعض الأمراء ومدحهم ، وبلغ خبره الرشيد فأذن له في مدحه ، فمدحه بقصائد طاعة وحبه مرة
على هجوه مضر .

وكان يقصد بعض عمال الولايات ويمدحهم ومنهم انطصيب حامل مصر ، ثم اقتلع إلى ملج محمد الأمين ،
وثبت عنده بعض ما يوجب تزيده فسجه ، ولم يلبث بعد خروجه من السجن أن مات ببغداد .

وكان أبو نواس جميل الصورة ، فكه المخضر ، كثير الدعابة ، حاضر البديهة ، مينا في اللغة والشعر والأدب ،
متصبا للباينة على المضرة . وأجمع أكثر علماء الشعر وقدرته وقول الشعراء على أن أبو نواس أشعر المحدثين بعد بشر
وأكثرهم تفتنا وأحسنهم قولاً وأبدعهم خيالاً مع دقة لفظ وبديع معنى ، وأنه شاعر مطبوع برز في كل فن من
فنون الشعر .

وامتاز عن كل الشعراء بقصائده المخربات ومقطعاته المجونيات ، وكان شعره لقاح الفساد والفقدوة السيئة ، لئله
النزل من أوصاف الخوثة إلى المذكر والخروج بذلك عن مألوف العرب وآدابهم إذ لم يكن ذلك معروفاً قبله وقبل
شيطانه والبه . وزاد على ذلك اقتراده بالإبداع في وصف الخمر ، فكان نموذج سوء لمن فأنر ، فافتن بشعره الشبان
في زمانه وبسده وحاكوه وظب عليهم هذا المذهب حتى صار الشاعر لا يمدح ظريفاً إلا إذا مزج شعره بشيء من
ذلك وإن لم يقع في عظوراته .

وصفه عبد الله الجواز قال : كان أغرظ الناس منقلاً ، وأغرظهم أدبا ، وأغدرهم على الكلام ، وأسرهمهم
جواباً ، وأكثرهم حياء ، وكان أبيض اللون ، جميل الوجه ، طليح النعمة والاشارة ، ملتف الأعضاء بين الطويل
يكبر القصير ، مستنور الوجه ، قائم الأنف ، حسن العينين والمنضحك ، حلو الصورة ، لطيف الكف والأطراف ، وكان
صحيح اللسان ، جيد البيان ، سذب الألفاظ ، حلو التماثل ، كثير النوادر ، وأعلم الناس كيف تكلت العرب ، ==

ثم جلس أبو نواس الى الناثي الراوية فقرأ عليه شعر ذى الرمة، فأقبل الناثي على أبيه هاني وقال له : إن عاش ابنك هذا وقال الشعر ليقولته بلسان شتوم .

ثم اتصل بوالية بن الحباب الأسدي ، فقيه بدار النجاشي الأسدي والى الأهواز للنصور، فقال له والبة: إني أرى فيك مخايل فلاح، وأرى أنك لا تضيعها، وستقول الشعر وتعلم فيه، فأصحبني حتى أخرجك، فقال : ومن أنت؟ قال : أبو أسامة، قال: والبة؟ قال: نعم، قال: أنا والله جعلت فداك في طلبك، وقد أردت الخروج الى الكوفة والى بندا من أجلك، قال: ولماذا؟ قال: شهوة للقاءك ولأبيات سمعتها لك، قال: وما هي؟ فأنشده :

ولها ولا ذنب لها * حب كاطراف الزماج

بحرحت فؤادي بالهوى * فالقلب مجروح النواحي

سل الخليفة صارما * هو للفساد وللصلاح

أجداه كف أبي الوليد يدا مبارية الرياح

التي يمانب خصره * أمضى من الأجل المتاج

وكانما دز الهبا * عليه أنفاس الرياح

فضى معه، ثم سأله أن يخرج الى البادية مع وفد بني أسد ليتعلم العربية والغريب، فأخرجه مع قوم منهم، فأقام بالبادية سنة، ثم قدم فقارق والبة ورجع الى بندا .

وكان أبو نواس متكلماً جيداً راوية لخلأ، رقيق الطبع ثابت الفهم في الكلام اللطيف .

ويدل على معرفته بالكلام أشياء من شعره، منها قوله :

وذات خد مورد * حية المتجرد

تأمل العين منها * محاسنا ليس تنقد

= راوية للاشعار، علامة بالأخبار، كان كلامه شعرياً موزوناً . توفي سنة ١٩٩ هـ . وتجدر ترجمته وأخباره وأشعاره في كتاب خاص باسم « أخبار أبي نواس » لأبن منظور طبع بمصر سنة ١٩٢٤ والأمان (ج ١٨ ص ٢) و (ج ٦ ص ١١٠ ، ١٧٠ ، ١٨٦) و (ج ١٦ ص ١٤٨) وابن خلكان (ج ١ ص ١٣٥) وطبقات الأدباء (ص ٩٦) والشعر والشعراء (ص ٥٠١) والههست (ص ١٦٠) والعهذ الفريد (ج ٣ ص ٣٢٧) .

فبعضه قد تهاى * وبعضه يتولد
والحسن في كل شيء * منها مُعاد مردد
ومنها قوله :

يا عاقد القلب عني * هلا تذكرت حلًا
تركت في قليلًا * من القليل أقلًا
يكاد لا يتجزى * أقل في اللفظ من لا

ومنها قوله في امرأة أسمها حُسن :

إن اسم حُسن لوجهها صفة * ولا أرى ذا في غيرها جِمعًا
فهى إذا تُميت فقد وُصفت * فيجمعُ الإسم معنيين مّا

ومن قوله فيما يتعلق بالحكمة :

قل لغير أنا حدًا رشداً * أقل أو أكثر فانت مهذار
تخفت من شدة البرودة حتى صرت عندى كأنك النار
لا يجيب السامعون من صفى * كذلك الثلج بارد حار

هذا شيء أخذه أبو نواس من مذهب حكماء الهند، فأنهم يقولون: إن الشيء إذا أفرط في البرودة اقلب حاراً، وقالوا: إن الصنديل يحك منه اليسير فيبرد، فإذا أكثر منه سخن .

قالوا : كان أبو نواس دعياً يخلط في دعوته . فن ذلك قوله يهجو عرب البصرة :

ألا كل بصرى يرى أنما العلا * مكهة تخفق لمن جرين^(١)
فان تفرسوا نخلًا فان غراسنا * ضراب وطمن في النحور تخين
فان ألك بصرى فان مهاجرى * يمشق ولكن الحديث فنون
بجاور قوم ليس يبنى وبنهم * أوامر إلا دعوة وظنون
إذا مادما باسمي العريف أجبت * الى دعوة مما على تهون

(١) المكهة : الفراس الكثيرة . والحقق : الطويلة ، يريد الغل . والجرين ما : موضع يجفيف النمر .

ثم هجا يمين في هذه التعصيدة بقوله :

لأزدد عَمَّا ، بالمهلب زَوْدٌ * إذا أفضر الأقوام ثم تَلِينُ
وبكر ترى ان الذبوة أَثَرْتُ * على مِسْمَعٍ في الرَّمِّ وهو جِينُ
وقالت تميمٌ لا ترى أن واحدا * كأحفظنا حقَّ المَلاتِ يكونُ
فما لمتُ قيسًا ، ياها في قُتَيْبَةٍ * وتغفر به إن التناحر فتوتُ
وإنما نشأ أبو نواس بالبعرة وليس له بدمشق قبل ولا بعدُ .

ومما هجا به اليمن أيضا قولُ لُهاشم بن حُدَيْج :

وردنا على دأثم مصرَّة * فبارت تجارتنا عِندَه

يقول فيها :

رأيتك عند حضور الخوا * ن شديدا على العبد والعبد
وتخذ حقَّ يخاف الظُّلُ * حس شذاك عليه من الحدة
وتختم ذاك بغض طيه * يكندة فاسلخ على كنده
فإن حاميها له هجرة * ولكننا زمن الردة
وما كان إيمانكم الرسول * سوى قتلكم صهره بعنه
تعدونها في مساعيكم * كعد الأهلّة معننه
وابكان قاتلا في الرجال * بجمل لظهر ولا يرشده
فلو شربته فحريش البطا * ح لما محشت فأركم جلده^(١)

وقوله أيضا :

ما منك سلمي ولا أطلال الأثرس * ولا نواطق من طير ولا نخرس
يا هاشمُ بن حديج لو عددت أبا * مثل القلّس لم يلق بك الدّنس
لذا معج الملك التهاث وافده * ومن قضاة أسرى عنده حبس

(١) البيت : فخر الجله من المم -

فابتاعهم بإخاء الدهر ما عَمَرُوا * فلم ينل مثلها من مثلهم أنس
 أورحت مثل حوى في مكارمه * هيات منك حوى حين يُتمس
 أو كالسَمَوط اذ طاف الهامُ به * في بحفل يلج الأصوات يرتجس
 فاختر ثكلاً ولم يَفيِدَ بنمته * إذ قيل أشرف تر الأوداج تنجس
 ما زاد ذاك على تيه خِصصت به * وكيف يعيد غير السوء الفرس
 وقوله :

يا هاشمُ بنَ حُذَيْجٍ ليس نغرمُ * بقتل صهر رسول الله بالسَدِ
 أدرجتم في إهاب العير جتته * فبئس ما قدمت أيديكم لفسد
 إن تقتلوا ابنَ أبى بكرٍ فقد قتلْت * مُحجراً بدارة ملحوي بنو أسد
 وطردوكم الى الأجدال من أجأ * طرد النعام اذا ما تاه في البلد
 وقد أصاب شراحيلاً أبو حنيس * يوم الكلاب لما دافعتُم بيد
 ويوم فلم تزيد وهو يقتلكم * قتل الكلاب لقد أبرحت من ولد
 وكل كندية قالت لجانها * والدمع ينهل من مثنى ومنفريد
 ألمى امرأ القيس تشببُ بغانية * عن ثاره وصفاتُ النوء والوند

وقد رنى أبو نواس خلَقاً الأحمر بعد موته بقصاص من شعره، منها قصيدته التي أولها

قوله :

لو كلف حى^(١) واللاً من التلّف * لو ألت شغواء في أعلى شَعَف
 أم فرجٍ أحرزته في جلف^(٢) * مرغَب الألفاد لم يا كل بكف
 كأنه مستفعد من الخرف * هاتيك أو عصاه في أعلى شرف
 ترؤغ في الطباقي والترع^(٣) الألف * أودى جماع العلم مذ أودى خلف

(١) وألّا : نجيا . وولات : بلات . والشغواء : العقاب . والتلف : رموس الجبال .

(٢) الجف : العارف الجبل . ومرغب : صار ذا زغب ، والزغب صفار الریش . والألفاد جمع لاد بالصم

وهو لحم في الحلق . (٣) الطباقي والزغب : فوطان من الشعر .

من لا يَمُدُّ العِلْمَ إلا ما عَرَفَ * قَلِيلٌ مِّنَ الْعَالَمِ انْخُسِفَ^(١)
كُلُّ مَنِي نِسَاءٍ مِنْهُ فَتَرَفَ * رَوَايَةٌ لَا تُجْتَنَى مِنَ الصَّحَفِ
ومنها قوله يرثيه :

لَا يَتَلَّ الْعُصَمَاءُ فِي الْمَضَابِ وَلَا * شَفَوَاءَ تَقْدُو فَرْخَيْنِ فِي بَلَحَفِ
يُكْنِهَا الْجِسْفُ فِي النَّهَارِ وَيُو * وَهِيَ سَوَادُ الدُّجَى إِلَى شَرَفِ
تَحْشُو يُجْشِشُوهَا عَلَى خَيْرِ^(٢) * كَقِعْدَةِ الْمَنْعِيِّ مِنَ الْخَرْفِ
وَلَا سَجُوبَ بَاتَتْ تَوَزَقُهُ النَّثَرَةُ^(٣) مِنْهَا بِوَابِلِ قِصَفِ
دَانٍ عَلَى الْأَرْضِ وَالْوَصِيدِ وَفِي * بَهْوِ أَمِينِ الْإِيَادِ ذِي هَدَفِ^(٤)
دِيدُهُ ذَاكَ طَوَّلَ لَيْلِهِ * حَتَّى إِذَا أَنْجَابَ حَاجِبُ السَّافِ
غَدَا كَوَقْفِ الْمَلُوكِ يَنْهَفُ السَّقَطُ^(٥) قَطِطَ مِنْ مَنَئِيهِ وَالْكَفِ
كَأَنَّ شَذْرًا وَهَتْ مَعَاقِدُهُ * بَيْنَ صَلَاةٍ فَلَمَبَ الشَّنَفِ
وَأَخْدَرَى صُلْبِ النَّوَاهِقِ صَلَاحِ أَمِينِ الْفُصُوصِ وَالْوُطْفِ
مَنْفَرْدٍ فِي الْقَلَاةِ تُوسِعُهُ * رِيًّا وَمَا يَحْتَلِبُهُ مِنْ عَلَفِ
مَا تَرَكَ الْمَوْتَ مِنْ أَوَّلَى شَبَحًا * بَادَتْ بِتِلْكَ الْقِلَالِ وَالشَّعَفِ
لَمَّا رَأَيْتُ الْمَنُوتَ آخِذَةً * كُلَّ شَدِيدٍ وَكُلَّ ذِي ضَعَفِ
بَتْ أَعْرَى الْفُؤَادِ عَنْ خَلْفِ * وَبَاتَ دَمْعِي إِلَّا يَفِضُ يَكِفِ
أَنْسَى الزَّيَا مَيِّتٌ يَحْمَتُ بِهِ * أَمْسَى رَهِينَ السَّرَابِ فِي جَدَفِ

- (١) القليلم : البئر الزريرة . والعالم : جمع علم وهو البئر الكثرية الماء . وانخسف جمع خسف يفتة
وهي البئر التي حفرت في جفارة فنجع منها ماء غزير لا ينقطع . (٢) الجوشوش : الصدر . والضم :
فرخ العقاب . (٣) السجوب : السحاب من التبراد والضم . والنثر : منزلة من منازل القمر .
(٤) الوصيد : بيت كالحظيرة يخذ من أشجاره لئلا يأكل اللحم ويغريها في الجبال . والإياد : التراب يجسمل حول
الحوض أو انجلاء يقوى به أو يمنع ماء المطر . والهدف : كل مرشح من بناء أو كتيب رمل أو جبل .
(٥) ينهف : يساقط ويتفقد . والسقط : المطر الصغير أو المتنازع العظيم المطر وقيل هو دون الرذاذ وقيل
البرد أو صفاره .

كَانَ يُسَنِّي بِرَفْقِهِ ظُقْفًا * فِي غَيْرِ عِيٍّ مِنْهُ وَلَا عُنْفٍ
يُحِبُّ حَنَكَ الَّتِي خُشِيتَ بِهَا * مِنْ قَبْلُ حَتَّى يَشْفِيكَ فِي لَطْفٍ
لَا يَهْمُ الْحَاءَ فِي الْقِرَاءَةِ بِالْخَا * وَلَا لَامَهَا مَعَ الْأَلْفِ
وَلَا يُعَمِّي مَعْنَى الْكَلَامِ وَلَا * يَكُونُ إِنشَاءَهُ عَنِ الصُّحُفِ
وَكَانَ مِمَّنْ مَضَى لَنَا خَلْفًا * فَلَيْسَ مِنْهُ إِذْ بَاتَ مِنْ خَلْفٍ

واختلف أبو نواس الى أبي زيد فكتب الغريب من الألفاظ، ثم نظر في نحو سيويه،
ثم طلب الحديث فكتب عن عبد الواحد بن زياد ويحيى القطان وأزهر السَّيَّان وغيرهم،
فلم يختلف عن أحد منهم، وأدرك الناس فعله، ثم قدم بغداد بعد ذلك .
وكان أيضا يتنزه ويدعى للفرزدق . ثم وقع بينه وبين الحكم بن قنبر المازني، فهجاه
الحكم وذكر بره العود وبقي عليه ونكبه . ولما قال أبو نواس قصيدته التي يهجو بها
يخنيف، وهي :

أَلَمْ تَرَجَّ عَلَى الطَّلَالِ الطَّاسَ * عَفَا كُلَّ أَحْمَمٍ ذِي أَرْجَاسٍ ^(٢)
وَذَارَى التُّرْبِ مَرَّتِكُمْ حَصَا ^(٣) + نَسِجَ الْمِيثِ مِعْقَةَ الدَّهَاسِ ^(٤)
سَوَى مُنْعِ أَطَارِثِهَا اللَّيَالَى * سَوَادَ اللَّيْلِ مِنْ بَعْدِ أَفْهَاسِ ^(٥)
وَأُورْفَى حَالِفِ الْمَشْوَاةِ هَابٍ * كَضَاوِي الْفِرَاحِ مِنَ الْهَلَّاسِ ^(٦)
مَنَازِلُ مِنْ عُقْبَةِ أَوْ سُلَيْمَى * أَوْ الدَّهْمَاءِ أَخِيَتْ بَنَى الْجِمَاسِ
كَأَنَّ مَعَاقِدَ الْأَوْضَاحِ مِنْهَا * يَجِيدُ أَغْنَى قَوْمٍ فِي الْجِكَاسِ
وَتَبَسُّمُ عَنْ أُخْرَى كَأَنَّ فِيهِ * مُجَاجَ سُلَافَةٍ مِنْ بَيْتِ رَاسِ ^(٧)
فَقَدْ ذَا مَبْلُغٍ صَرًّا رَسُولًا * فَقَدْ ذُكِّرَتْ وَدَّكَ خَيْرَ نَاسِ

(١) سناء قسنية : مهله وضعه . (٢) طاس بالكسر : دارس . والأحمم : السحاب . والارجماس :

الرد . (٣) المعققة : حبل في الرمل .

(٤) الأفهاس : بياض فيه ككرة . والسبع : يرد بها الأثافي . (٥) الهلاس : الصمور وهاب :

لونه لون الهبا . (٦) طلة بالشام تنه - لها الخمر .

فلم أَهْجُرْكَ هَجْرَ قَلِيٍّ وَلَكِنْ * نَوَائِبُ لَا تَزَالُ لَهَا تُقَامِي
 نَوَائِبُ تَعِجْزُ الْأَدْبَاءُ عَنْهَا * وَبَعِيًّا دُونَهَا اللَّيْنُ النَّطَامِي
 وَقَدْ نَالَتْ عَنْ أَحْسَابِ قَوْمٍ * هُمْ وَرَقُوا مَكَارِمَ ذِي نُوَّاسٍ
 فَإِنْ تَكُ أَوْقَدْتَ لَهْرَبِ نَارٍ * فَمَا غَطَّيْتُ خَوْفَ الْحَرْبِ رَامِي
 سَأَلِي خَيْرَ مَا أَلَى مُحَارِمٍ * إِذَا مَا النَّبْلُ أُلْجِمَ بِالْقِيَاسِ^(١)
 وَسَمْتُ الْوَالِئِينَ بِفَاقِرَاتٍ * بَيْنَ وَتَمَّتْ رَهْطُ أَبِي فِرَّاسٍ
 وَقَالَتْ كَاهِلٌ وَبَنُو قُصَيْنٍ - حَنَانُكَ إِنَّا لَسْنَا بِنَاسٍ
 فَا بِأَلِ النَّعَاجِ تَمَّتْ بَشْتِي * وَفِي زَمَعَاتِهِنَّ دُمُ الْفِرَّاسِ
 وَمَا حَامَتْ عَنْ الْأَحْسَابِ إِلَّا * لَسْتُ فَعْذَرُهَا بِأَبِي نُوَّاسٍ

طارضه الحكم وهجاه ، فانقلب على الترابية وأدعى أنه من حاء وحكم ؛ فزججه يزيد بن منصور الحميري خال المهدي وقال له : أنت خوزي ، فمالك ولحاء وحكم ! فقال له : أنا مولى لهم ، فتركوه ، وقال بعضهم لبعض : إنه لفطريف اللسان غزير العلوم فدعوه ، وبهذا الولاء يتعصب لنا ويكابد عنا ويهجو التزارية ؛ فكان كما قالوا وكما طنوا ، فانقلب الى اليمن وصل عن كنيته بأبي فراس واكتفى بأبي نواس ، تشبهاً بكنية ذى نواس كما كانت اليمن تكنى ، وندم على هجاء ائمن ، ووجدتم له أنصر ولدعوته أقبل ، فاعتذر الى هاشم بن حديج الكندي من هجائه ، ومدح اليمن فقال :

أَهَاشِمُ خَذْنِي رِضَاكَ وَإِنْ آتَى * رِضَاكَ عَلَى هَاشِمٍ فَغَيْرُ مَلُومٍ
 فَأَقْسَمُ مَا جُلُوزْتُ بِالشِّمِّ وَالِدِي * وَعَرَضِي وَمَا مَرَّقْتُ غَيْرَ أَدِيمِي
 فَمَنْذْتُ بِمَقْوِي هَاشِمٍ فَأُطْأَنِي * كَرِيمٌ أَرَاهُ فَوْقَ كُلِّ كَرِيمٍ
 وَإِنْ أَمْرًا أَغْضَى عَلَى مِثْلِ زَلَّتِي * وَإِنْ جَرَحْتُ فِيهِ يَلْمُ خَلْمِي
 تَطَاوَلُ فَوْقَ النَّاسِ حَتَّى كَأَنَّمَا * يَرُونَ بِهِ نَجْمَ أَمَامِ نَحْمِ

إذا ما تازت الأحسابُ يوما بأهلها . أناخَ الى عادِيَةِ وَهَمِ
الى كُلِّ مَعْصُوبٍ به التَّاجُ مَقُوبٍ * اليه أبادى ثامي وَهَمِ
وكان قبل أن يَنْتَمِيَ لليمن ويدعى لثزار يتعاجم في شعره، فمن ذلك قوله :
فاسقنيها وغرَّبَ صَو * تَأْ، لك الخَيْرُ، أَعْجَا
ليس في نَعْتِ حِمْنَةٍ * لا ولا زَجَرِ أَشَامَا

وكان الجاحظ يقول : ما أعرف لأبي نواس شعرا يفضل هذه القصيدة وهي
ودارِ نَدَاى عَطْلُومَا وأدْبَلُوا * بها أثْرُمنهم جديْدُ ودارِ
مَسَاحِبُ من جرَّ الزَّفَاقِ على الثَّرَى * وأَضْفَاثُ رِيحَانِ جَنَى وَيَابَسُ
حَسَبْتُ بها مَحْصِي جَفَدْتُ عَهْدَهُم * وإِنِّي عَلَى أَمثالِ تلكِ الحَابِسُ
ولم أدر منهم غيرَ ما شِهدْتُ به * بَشَرَقَ سَابِطُ الدِيَارِ البَسَابِسُ
أَلَمْنَا بها يَوْمًا ويومًا وثالثًا * ويومًا له يَوْمُ التَّرَحُّلِ خامِسُ
تُدَارِ عَلَيْنَا الرِّاحُ في حَسْجِدِيَّة * حَبَّتْهَا بأنواعِ التَّصَاوِيرِ فارِسُ
قَرَارُثُهَا كَسَرَى وفي جَنَابَتِهَا * مَهَا تَرِيهَا بالقِسَى الفَوَارِسُ
فَلَاخْمَرِ مَا زُرْتُ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا * وَلِلَّاءِ مَا دارَتْ عَلَيْهِ القَلَانِسُ^(١)

قوله يصف كرمه وعبر عنها بالمهجمة وهو يريد الدنان :

لَنَا جَعْمَةٌ لا يُدْرِكُ الذُّبُّ مَخْلَهَا ، ولا رَاعِهَا تَزُو الفِعالَةَ والْخَطَرَ
إذا امْتَحَنَتْ أَلْوَانُهَا مَالَ صَفْوُهَا * الى الكَثِّ إلا أن أُوْبَارَهَا خُضْرُ
وإن قام فيها الحَالِبُونَ اتَّقَتُمُ * بِجَلَاءِ ثَقَبِ الجُوفِ دِرْزُهَا الخُمْرُ
مَسَارِحُهَا الغَرَبِيُّ من نهر صَرَصَر * فَطُطِرْ بُلُّ قَالِصَالِحِيَّةُ فَالْعَقَرُ

(١) يعنى أن الخمر مصبوبة فيها الى حلق الصور صرفا . وقوله : وللاء ، يعنى انهم صبوا الماء في مزجها حتى

تُرَاثُ أَبِي سَاسَانَ كَسَرِيٍّ وَلَمْ تَكُنْ * مَوَارِيثَ مَا أَبْقَتْ نَمِيمٌ وَلَا بَكَرٌ
قَصَرْتُ بِهَا لَيْلِي وَلَيْلَ ابْنِ حُرَّةٍ * لَهُ حَسْبُ ذَلِكَ وَلَيْسَ لَهُ وَفَرٌ

وفي تمام أبي نواس في شعره يقول الرقائشي يهجو :

نَبَطِيٌّ فَإِذَا قِيلَ لَهُ * أَنْتَ مَوْلَى حَكَمٍ قَالَ أَجَلُ
هُوَ مَوْلَى اللَّهِ إِذْ كَانَ بِهِ * لَاحِقًا فَاللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُ
وَأَضْمًا نَسَبَهُ حَيْثُ اشْتَهَى * فَإِذَا مَا رَأَاهُ رَبٌّ رَحَلَ

فقال أبو نواس يهجو :

هَجَوْتُ الْفَضْلَ دَهْرِيٍّ وَهُوَ عِنْدِي * رَقَائِشِي كَمَا زَعَمَ الْمَسْئُولُ
فَلَمَّا سُئِلْتُ عَنْهُ رَقَائِشٌ * لَنَعْلَمَ مَا يَحْمِلُ وَمَا يَقُولُ
وَلَمَّا أَنْ نَصَصْنَاهُ إِلَيْهَا * لَنَعْلَمَ مَا يُقَالُ وَمَا تَقُولُ
وَجَدْنَا الْفَضْلَ أَبَدَ مِنْ رَقَائِشٍ * مِنْ الْأَثْنِ آذَعَتْ فِيهَا الْقِيُولُ
وَجَدْنَا الْفَضْلَ أَكْرَمَ مِنْ رَقَائِشٍ * لِأَنَّ الْفَضْلَ مَوْلَاهُ الرَّسُولُ
يريد بذلك قوله صلى الله عليه وسلم : «أنا مولى من لا مولى له» .

وقال أيضا يهجو :

قُلْ لِلرَّقَائِشِ إِذَا جَعَّه * لَوْ مَتَّ يَا أَحْمَقُ لَمْ أَهْجُكَ
لَأَتْنِي أَكْرَمُ عِرْضِي وَلَا * أَقْرَبُهُ يَوْمًا إِلَى عِرْضِكَ
إِنْ تَهْجُنِي تَهْجُ قَتْلِ مَا جَدَا * لَا يَرْفَعُ الطَّرْفُ إِلَى مِثْلِكَ
دُونَكَ عِرْضِي فَاجْهَرْ رَاشِدًا * لَا تَدْنُسُ الْأَعْرَاضُ مِنْ هَجْوِكَ
وَالْقَهْوَةُ أَوْ كُنْتُ جَرِيرًا لَمَّا * كُنْتُ بِأَهْيَ لَكَ مِنْ أَصْلِكَ

وقال أيضا يهجو :

يَا عَرَبِيًّا مِنْ صَنْعَةِ السُّوقِ * وَصَنْعَةِ السُّوقِ ذَاتُ تَسْقِيقِ
مَا رَأَيْتُمْ يَنْزَارُ فِي رَجُلٍ * يَدْخُلُ فِيكُمْ مِنْ خَلْقِ غُلُوقِ

ويحمل الوطْبَ والعَلَابَ ولا * يصلح إلا لحمل المبرق
 لقد ضربنا بالطبل أنك في السقوم صحيح وصحيح في البوق
 قد أخذ الله من رقاش على * تركهم الجهد بالموائيق
 فالتاس يسعون للعلا قُدماً * وهم وراء مكسر السويق
 هذا كذا كم وفي الهياج اذا * هيج لها شلت من بواشيق^(١)
 وقال أيضا بهجوه :

أصبح الفضلُ ظاهرَ التيه * وذلك مذ صرت أهاجيه
 لله شعري، أي مفواهيه * لكل من دون قوافيه
 كم من فضلي منذ حاجيته * وبينه قبل أهاجيه
 فالحمد لله وإن كنت لم * أحفل بقوم تصدوا فيه
 رَضِيتُ أن يستمني ساقط * شئني خير من مواليه

وكان أبو نواس في دماويه يتماجن ويبت ويخفى نسبه واسم أمه لثلاث هجى ، وذلك مشهور عنه . ولو غضب هو نفسه على أبيه لهجاه ولم يتحشم . والمذكور من امره أنه كان مولى الحكيمين ، يفتخر باين ويمدحهم لذلك ، ويمدح العجم ويذكرهم لأنه منهم ، فلذلك قال في العجم ما قال .

قال أبو الفرج الأصفهاني : كان أبو عبيدة يقول : ذهبت ايمى بجيا . الشعر . وهزل : امرؤ القيس بجده ، وأبو نواس بهزله . وكان يقول : ذهبت ايمى بجيا الشعر في قدبه وحديثه : امرؤ القيس في الأوائل ، وأبو نواس في المحدثين . وكان يقول : شعراء ايمى ثلاثة : امرؤ القيس وحسان بن ثابت وأبو نواس . وقال أيضا : أبو نواس في المحدثين مثل امرؤ القيس في المتقدمين ، فتح لهم هذه الفطن ودلهم على المعاني وأرشدهم الى طريق الأدب والتصرف في فنونه . وكان يقول : يعجبني من شعر أبي نواس قوله :

(١) جمع ماشق وهو اسم طائر أعجمي مزب

بَنَيْنَا عَلَى كَسْرَى سِمَاءَ مُدَامَةٍ * مَكَلَّلَةً حَاقَتْهَا بِنَجُومٍ
فَلَوْرُدٌ فِي كَسْرَى بَنَ سَاسَانَ رَوْحَهُ * إِذَا لَأَصْطَلِفَانِي دُونَ كُلِّ نَدِيمٍ

وسئل يعقوب بن السَّكَيْت عما يَخْتَارُ رِوَايَتَهُ مِنْ أَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ، فَقَالَ: إِذَا أَرَدْتُ مِنْ الْجَاهِلِينَ فَلَا مَرِيءَ الْقَيْسِ وَالْأَعَشَى، وَمِنْ الْإِسْلَامِيِّينَ فَطَجْرِي وَالْقُرْزُوقِ، وَمِنْ الْمُحَدِّثِينَ فَلَأَبِي نَوَاسٍ لِحَسْبٍ. وَقِيلَ: لِلْعُتْبِيِّ مِنْ أَشْعَرِ النَّاسِ؟ قَالَ: عِنْدَ النَّاسِ أُمُّ عِنْدِي؟ قِيلَ عِنْدَ النَّاسِ؟ قَالَ: أَمْرُ الْقَيْسِ؛ قِيلَ: فَعِنْدَكَ؟ قَالَ: أَبُو نَوَاسٍ.

وقال عبد الله بن محمد بن عائشة: مِنْ طَلَبِ الْأَدَبِ فَلَمْ يَرَوْشِعْ أَبِي نَوَاسٍ فَلَيْسَ بِتَأَمِّ الْأَدَبِ. وسئل: مِنْ أَشْعَرِ الْمُحَدِّثِينَ؟ فَقَالَ: الَّذِي يَقُولُ:

كَأَنَّ ثِيَابَهُ أَطْلَعَتْ * مِنْ مِنْ أَزْوَارِهِ قَمَرًا
يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حَسَنًا * إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا
بَعِينٌ خَاطِلُ التَّغْيَبِ * حُرٌّ مِنْ أَجْفَانِهَا الْحَوْرَا
وَوَجْهٌ سَارٍ لَوْ * تَصُوبُ مَائِدَةً قَطَرًا
وَقَدْ خَطَّتْ حَوَاضَتُهُ * لَهُ مِنْ عَنِيبٍ طُرًّا

وقال إبراهيم بن العباس الطويل: إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَحْفَظُ شِعْرَ أَبِي نَوَاسٍ عَلِمْتَ أَنَّ ذَلِكَ عَنَوَانُ أَدَبِهِ وَرَأْسُ عِلْمِهِ.

وكان أبو نواس يقول عن نفسه: سَفَلْتُ عَنْ طَبَقَةٍ مِنْ تَهْمَنِي مِنَ الشُّعْرَاءِ وَطَلُوتٍ عَنْ طَبَقَةٍ مِّنْ مَعِي وَمِنْ يَمِينِي بَعْدِي، فَأَنَا نَسِجٌ وَحْدِي.

وحلَّتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الرِّوَاةِ مِنْ شَاهِدِ أَبِي نَوَاسٍ قَالُوا: كَانَ أَقْلُ مَا فِي أَبِي نَوَاسٍ قَوْلُ الشُّعْرِ، وَكَانَ لِفُلَانٍ رَاوِيَةٌ طَالَا.

وقال أبو عبيدة: بَلَغَنِي أَنَّ أَبَا نَوَاسٍ يَتَعَاطَى قَرَضَ الشُّعْرِ فَلَاقَانِي وَهُوَ سَكَرَانٌ مَا طَرَّرَ شَارِبُهُ بَعْدُ، فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ فَلَانَ عِنْدَكَ؟ فَقَالَ: تَهْيَلُ الظِّلَّ، جَامِدُ النَّسِيمِ؛ فَقُلْتُ: زِدْ؛ فَقَالَ: مَظْلَمُ الْهَوَاءِ؛ مَتْنُ الْفَتَاءِ؛ فَقُلْتُ: زِدْ؛ فَقَالَ: غَلِظُ الطَّبَعِ، بَارِدُ الشَّكْلِ؛

قلت : زد ؛ فقال : وَخُمِ الْعُلْمَةُ ؛ يَعْرِسُ الْقَلْعَةُ ؛ قلت : زد ؛ قال : نَأَى الْجَنَابَاتُ ، بارد
الحركات ؛ قال : نَخَفْتُ عَنْهُ ؛ فقال : زدني سؤالاً ؛ أزدك جواباً ؛ قلت : « كفى من
القلادة ما أحاط بالعنق » .

وقال سليمان بن أبي سهل لأبي نواس : ما الذي استعجيد من أجناس شعرك ؟ فقال :
أشعاري في الخمر لم يقل مثلها ، وأشعاري في الغزل فوق أشعار الناس ، وهما أجود شعري
إن لم يزاحم غزلي ما قلته في الطرد .

وكان يقول : ما قلت الشعر حتى رَوَيْتُ لستين امرأة من العرب منهن الخنساء وابلي ،
فما ظنك بالرجال ؟ واني لأروى سبعة أربوزة ما تُعرف .

وكان قد استأذن خَلْقًا في نظم الشعر ، فقال : لا آذُنُ لك في عمل الشعر إلا أن تحفظَ
ألفَ مقطوع للعرب ما بين أربوزة وقصيدة ومقطوعة ؛ فغاب عنه مدة وحضر إليه فقال
له : قد حفظتها ؛ فقال : أنشدّها ، فأنشده أكثرها في عدة أيام ، ثم سأله أن يآذن له في نظم
الشعر ، فقال له : لا آذُنُ لك إلا أن تنسى هذه الألف أربوزة كأنك لم تحفظها ، فقال له :
هذا أمر يصعب عليّ فإني قد أتمنت حفظها ، فقال له : لا آذُنُ لك إلا أن تنساها ، فذهب
إلى بعض الدّيرة وخلّا بنفسه وأقام مدة حتى نسيها ، ثم حضر فقال : قد نسيتها حتى كأن
لم أكن قد حفظتها قط ؛ فقال له : الآن فانظم الشعر .

وكان أبو نواس يقول : لا أكاد أقول شعراً جيداً حتى تكون نفسي طيبة ، وأكون
في بستانٍ موزق . وعلى حال ارتضيها من صلّة أوصل بها أو وعدٍ بصلّة ، وقد قلت وأنا على
غير هذه الحال أشعاراً لا أرضاها . وكان يعمل القصيدة ثم يتركها أياماً ، ثم يعرضها على نفسه
فيسقط كثيراً منها ويترك صافيها ، ولا يسره كل ما يقذف به خاطره . وكان يهمله الشعر
في الخمر فلا يعملهُ إلا في وقت نشاطه . ولم يكن في الشعر بالبطيء ولا بالسريع بل كان
في متلة ومطلى .

وكان الأصمى يقول : يعجنى من شعر الشاعر بيتٌ واحد قد أجاد قائله وهو :

ضعيفُ كَرَّ العُرفَ تحسبُ أنها * قريسةٌ عهدُ الإفاقة من سُقمِ
ولأني لآتي الأمرَ من حيث يُتَّقَى * ويعلمُ سَمِيحِي حينَ أنزعَ من أَرِي

قال العَتَابِيُّ لرجلين تناظرا في شعر أبي نواس : والله لو أدرك الخبيثُ الجاهليةَ ما فُضِّلَ
عليه أحد .

وقال أبو عمرو الشَّيْبَانِي : أشعرُ الناس في وصف الخمر ثلاثة : الأعشى والأخطل
وأبو نَؤَاس .

قال محمد بن عمر : لم يكن شاعراً في عصر أبي نواس إلا وهو يحسده ليل الناس إليه
وشهوتهم لمعاشرته ، وبعْدَ صِبْيَتِهِ وظَرْفَ لِسَانِهِ .

وقال أبو حاتم : سئل أبو نواس عن شعره فقال : إذا أردتُ أن أجد ، قلتُ مثل
قصيدي « أيها المتأب عن عُفْرِه » ، وإذا أردت العبتُ قلتُ مثل قصيدي : « طاب
المهوى لمعيده » ، فأما الذي أنا فيه وحدي وكلُّه جيدٌ فإذا وصفت الخمر .

وقال أبو ذُكْوَان : كُنا عند التَّوْزِيّ فذكرتُ عنده أبا نواس ، فوضع منه بعضُ
الحاضرين ؛ فقال له التوزي : أقول هذا لرجل يقول :

يخافُه الناسُ ويرجونه * كأنه الجنةُ والنَّارُ

ويقول :

فما جازه جودٌ ولا حلَّ دونه * ولكن يصير الجودُ حيث يصيرُ

ويقول :

قَمَشَتْ في مفاصلهم * كَتَمَشَتْ البرُّ في السَّقَمِ

قال ابن الأعرابي يوما جلسائه : ما أشعرُ ما قال أبو نواس في الخمر؟ فقال بعضهم :

إذا عَبَ فيها شاربُ القومِ خلته * يُقْبَلُ في دَاجٍ من اللَّيْلِ كوكبا

وقال آخر :

كَانَ كُبْرَى وَصُفْرَى مِنْ قَقَاعِهَا * حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

وقال آخر :

تَرَى حَيْثُ مَا كَانَتْ مِنَ الْبَيْتِ مَشْرِقًا * وَمَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ مِنَ الْبَيْتِ مَغْرِبًا

وقال آخر :

فَكَأَنَّ الْكَوْوسَ فِينَا نَجْمٌ * دَائِرَاتُ بَرُوجِهَا أَيْدِينَا

وقال آخر :

صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ الْإِحْرَاقُ سَاحَتَهَا . لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاءُ

فقال ابن الأعرابي : إن هذا كله لشاعر أغفرد بالإحسان فيه ، وتقنم من سبقه ومن تأخر عنه ، ولكنه أشعر من هذا كله في قوله :

لَا يَنْزِلُ اللَّيْلُ حَيْثُ حَلَّتْ * فَدَهْرُ شُرَابِهَا نَهَارُ

قال مسلم بن بهرام : قَيِّتُ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ قُلْتُ لَهُ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ قال : تريد

جاهلياً أو إسلامياً أو مولدماً ؟ قال : كُلُّ أُرَيْدٍ ، قال : الذى يقول فى المديح :

إِذَا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ * فَأَنْتَ كَمَا نُنْفِى وَفَوْقَ الَّذِى نُنْفِى

وإن جَرِيتَ الْإِلْفَاظُ يَوْمًا بِمَدْحَةٍ * لَفَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِى نَعْنِى

والذى يقول فى الزهد :

أَلَا رَبَّ وَجْهِهِ فِي الثَّرَابِ عَتِيقُ وَارَبَّ حُسْنٍ فِي التَّرَابِ رَقِيقُ

وَارَبَّ حَرَمٍ فِي التَّرَابِ وَتَجْدِيدُ وَارَبَّ رَأْيٍ فِي التَّرَابِ وَيُنِيقُ

فَقُلْ لِقَرِيبِ الدَّارِ لِمَنْكَ رَاحِلُ إِلَى مَتَرٍ نَدَى الْمَحَلِّ سَجِيقُ

وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَأَبْنُ هَالِكٍ - وَثُو تَسْبِ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيقُ

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكْشِفُ لَهُ عَنِ عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقُ

وكان يقول : سبقني أبو نواس الى ثلاثة أبيات وِدِدْتُ اني سبقته اليها بكل ما قلته
فإنه أشعر الناس فيها، منها قوله :

يا كبير الذنب عفو الله * هـ من ذنبك أكبر

وقوله :

من لم يكن لله متبها هـ لم يُنيس عتاباً الى أحد

وقوله :

إذا امتحن الدنيا ليبت تكشف * له عن عدو في ثياب صديقي

ثم قال : قلت في الزهد ستة عشر ألف بيت وِدِدْتُ أن أبا نواس له ثلثها بهذه الأبيات .

وقال الجاحظ : سمعت النّظام يقول ، وقد أنشد شعراً لأبي نواس : كأن هذا الفتي
بُيِّع له الكلام فاختار أحسنه . وقال بعضهم : كأن المعاني حُسِست عليه ، فأخذ حاجته
وَفَرَّقَ الباقي على الناس . وقال أبو حاتم : كانت المعاني مدفونة حتى أثارها أبو نواس .

حدث الحسين بن الحبيب الكاتب ، قال : قال أحمد بن يوسف الكاتب : كنتُ
أنا وعبدُ الله بن طاهر عند المأمون ، وهو مستلقي على قفاه ، فقال لعبد الله بن طاهر :
يا أبا العباس ، مَنْ أشعرُ مَنْ قال الشعر في خلافة بني هاشم ؟ فقال : أمير المؤمنين أعرِفُ
بهذا وأعلى عينا ؛ فقال له المأمون : على ذلك قَفَّلْ . تكلم أنت يا أحمد بن يوسف ،
فقال عبد الله بن طاهر : أشعرهم الذي يقول :

ويا قبرٍ معني كنت أول حُفَرِهِ . من الأرض حُطَّت للسماحة منزلا

قال أحمد بن يوسف الكاتب : قلت : بل أشعرهم الذي يقول :

أَتَشَبَّهت أصدائي فصرْتُ أُحِبُّهُمْ . إذ كان حَظِّي منك حَظِّي مِنْهُ

فقال المأمون : يا أحمد أبيتَ إلا غَزَلًا ! أين أتم عن الذي يقول :

يا شقيقَ النفس من حَكَمٍ . نِمْتُ عن لَيْسلي ولم أُنِم

فقلنا : صدقت يا أمير المؤمنين .

وكان المأمون يقول : لو سُلَّت الدنيا عن نفسها فنطقت ، لما وصفت نفسها
كما وصفها أبو نواس في قوله :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تَكشَفَتْ * له عن علوِّ في ثياب صديقي

وَرَدَ على العتابي بحلبِ مِلَّةٍ من البِكار من أهل قنسرين ، فدخلوا وسأموا ؛ وكان في يده
رُقعة ينظر إليها ، فقال لم : لقد سَلَكَ صاحبُ هذه الرُقعة وادياً ما سَلَكَ أحدٌ قبله ؛
فَنظَرُوا فإذا هو شعر أبي نواس في جِتانٍ جارية آل عبد الوهاب التتقي ، وهو قوله :

رَجَّعَ الكَرَى بين الجفونِ مُجِلُّ * عَنَى عليه بُكْيٌ طويْلُ
يا فاضِلاً ما أَقْلَعْتُ لحظائهُ * حتى تشحطَ بينهن قَبيلُ
أَحْلَلْتُ قُلِي من هَواكَ مَحِلَّةً * ما حلَّها المشروبُ والمأكولُ
بِكالِ صورتك التي من دونها * يتخَيَّرُ التشبيهُ والتمثيلُ
فوقَ القصيرةِ والقصيرةُ فوقها * دون السمينِ ودونها المهزولُ

وبما أَفْسَدَ العتابي لأبي نواس فقال أحسن وأجاد :

مِثابُهُ بِجِمالِهِ صَليْفُ * لا يَسْتَطاعُ كَلامُهُ نِيباً
لِحسنِ في وَجَنائِهِ بَدْعُ * ما إن يَمَلُّ الدرسُ قاريها
لو كانتِ الأَشياءُ تَعقلُ * أَجَلَّنا إِجلالَ باريها
لو اسْتَطاعَ الأرضُ لاقْبَضَتْ * حتى يَصيرَ جَميعُهُ فيها

وقوله :

إن السحابَ تُسحِجِي إذا نَظَرْتُ * إلى نِدادِكَ فقاَسَتْهُ بِما فيها
حتى تَهَمَّ بِإِفلاجِ فيمَتُّها * خوفاً من السُّحُطِ من إِجلالِ منشِيا

قال محمد بن صالح بن يونس الكلّابي : لما دخلتُ العراقَ صرْتُ إلى مدينة السلام
فسألتُ عَمَنَ بها من الشعراءِ الحَسِنين ، وذلك في أيامِ خلافة الأَمين أو عند موتِهِ قبل
دخول المأمون بِسَيرٍ ، فقول لي : قد غلبَ عليهم قَتِيٌّ من أَهل البصرة يُقالُ لَهُ الحسن

ابن هانيء ويعرف بأبي نواس ، وقد كنت سمعتُ شيئا من شعره ، فأخافى فقي كان من أهل الأدب ، فقلت له : هل تروى لأبي نواسكم هذا شيئا ؟ قال : أروى له أبياتا في الزهد وليس هو من طريقته ، قلت أنشدنيها ، فأنشدني :

أخى ما بال قلبك ليس يَنقَى * كأنك لا تَقْنُ الموتَ حَقًا
ألا يا بنَ الذين قَنُوا وبادوا * أما والله ما ذهبُوا لتَبَقَى
وما للنفس عندك من مُقام * إذا ما استكملت أجلا ويزها
وما أحدٌ يَزادُكَ منك أَعْطَى * ولا أحدٌ يَنْبُذُكَ منك أَشَقَى
ولا لك غيرَ هَمَوَى الله زادُ * إذا جعلتَ الى اللَهوات تَرَقَى

فقلت له : أحسن والله ! قال : أفلا أنشدك أحسن من هذا ؟ قلت بلى ، فأنشدني في رثاء محمد الأمين :

طوى الموتُ ما بيني وبين محمد * وليس لما تَعْلُوِي المنيَةُ نائِرُ
فلا وصلَ إلا عَبرَةً تُسَدِّمُها * أحاديثُ فِيس ما لها الدهرُ ذاكِرُ
أئن عَمَرْتُ دورَ بمن لا أودُه * لقد عَمَرْتُ بمن أحبَّ المقابرُ
وكنْتُ عليه أحذرُ الموتِ وحده * فلم يَنقُ لي نبيٌّ عليه أحاذِرُ
فقال : بحق ما غلب هذا على أهل الأدب وقدموه على غيره .

قال محمد بن جعفر الأصم : كنا عند أبي نُعَيْم ، فذاكرنا قول عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها حين ذكرتُ شعرَ ليبيد يري أخاه أريد :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْأَفِهِمْ * وَبَقِيْتُ فِي خَلْفٍ بِكَلْدِ الْأَجْرِبِ

ولقد أنشدني أبو نعيم أبياتا ، قلنا : أنشدناها ، فقال :

ذَهَبَ النَّاسُ فَاسْتَقَلُّوا وَصِرْنَا * خَلْفًا فِي أَرَاذِلِ النَّسَائِ
فِي أَنْاسٍ نَعُدُّهُمْ مِنْ عَدِيدِ * فَإِذَا قُتِّسُوا غَلَسُوا بِنَاسِ

كلما جئت أبتنى الفضل منهم * بدروني قبل السؤال يباس
وبصكوا لي حتى تمتئت أني * مقلت عند ذاك رأساً براس

ثم قال : أتدرون لمن الشعر؟ قلنا : لا، قال : للحسن بن هاني .

قال أبو عبد الرحمن الضرير : رأيت مسلم بن الوليد يُجربان وهو يتولاها، فسألني عن خلفت من الشعراء؛ فقلت له : أما من الكوفيين فأبو نواس، وهو مقمّم عندهم؛ فقال : ويحك ! كيف يتقدم وهو يقول : رُوَيْدَكَ يَا إِنْسَانُ لَا أَنْتَ تَهْفُزُ أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ : « تَهْفُزُ » نَحِرْتُ مِنْ بَيْنِ فَكْنِي شَامِرٍ قَطْ ! ثم قال : ويلك ! وكيف يكون كذلك وهو يُجِيلُ وَيَخْطَلِي مِنْ صِفَةِ الْمَخْلُوقِ إِلَى صِفَةِ الْخَالِقِ ؟ فقلت : مثل ماذا من قوله ؟ قال : أما فيما أحال فكقوله : وَأَخَفْتُ أَهْلَ الشُّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ * لَتَخَافُكَ التُّفُفُ الَّتِي لَمْ تُحْمَلْنِي وَهَذَا مِنَ الْإِهْرَاقِ الْمُسْتَحِيلِ فِي الْعُقُولِ وَمِمَّا لَيْسَ عَلَى مَذْهَبِ الْقَوْمِ ؛ وَأَمَّا فِي تَحْقِيقِهِ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِ إِلَى صِفَةِ الْخَالِقِ فَكقوله :

يَجِلُّ أَنْ تَلْحَقَ الصِّفَاتُ بِهِ * فَكَلَّ خُلُقِي خُلُقَهُ مِثْلُ
وكقوله :

* بَرَىءٌ مِنَ الْأَشْبَاءِ لَيْسَ لَهُ مِثْلُ *

ومما قيل عن أبي نواس إن الشعر إنما هو بين المدح والهجاء وأبو نواس لا يُحْسِنُهُمَا وَأَجْوَدُ شِعْرِهِ فِي الْخَمْرِ وَالطَّرْدِ ، وَأَحْسَنُ مَا فِيهِمَا مَا خُوِذَ لَيْسَ لَهُ وَإِنَّمَا سَرَقَهُ ، وَحُسْبُكَ مِنْ رَجُلٍ يَرِيدُ الْمَعْنَى لِأَخَذِهِ فَلَا يُحْسِنُ أَنْ يَتَنَبَّأَ عَلَيْهِ حَتَّى يَحْيَى بِهِ فَيُحْيَا ، مِثْلُ قَوْلِهِ : « وَدَاوِنِي بِالنِّبَاتِ كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ » أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْأَعْمَشِيِّ : « وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا » وَالَّذِي أَخَذَهُ مِنْهُ أَحْسَنُ . وَمِنْهَا أَيْضاً قَوْلُهُ : « إِنَّ الشَّبَابَ مَطِيَّةُ الْجَهْلِ » أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ : « فَإِنَّ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ الشَّبَابُ » . وَقَوْلُهُ : « كَطَلْعَةِ الْأَشْمَطِ مِنْ إِمَابِهِ » أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي النُّجُمِ : « كَطَلْعَةِ الْأَشْمَطِ مِنْ كِسَابِهِ » . وَلَكِنْ رَزَقَ أَبُو نَوَاسٍ فِي شِعْرِهِ أَنْ سَارَ وَحَمَلَهُ النَّاسُ وَقَفَّعَهُ أَهْلُ عَصْرِهِ ، وَإِنْ لَهُ عَلَى ذَلِكَ لِأَشْيَاءَ حَسَنَاتٌ لَا يَدْفَعُهَا وَلَا يَطْرَحُهَا إِلَّا جَاهِلٌ بِالْكَلَامِ أَوْ حَاسِدٌ .

ومن أحسن مدائح أبي نواس قوله من أرجوزته التي يمدح بها الفضل بن الربيع وهي :

وبلدة فيها زَوَزَ * صَعْرَاءُ تَحْطِي فِي صَعَرٍ
مَرَّتِ^(١) إِذَا الذَّبُّ انْقَضَرَ * بِهَا مِنَ الْقُيُومِ الْأَثَرُ
كَانَ لَهُ مِنَ الْحَزَرِ * كُلُّ جَيْشٍ مَا اشْتَكَرَ^(٢)
وَلَا تَمْلَأُهُ شَمْعٌ * مَيْتُ النَّسَاجِي الثَّغَرُ
عَسَفَتْهَا^(٣) عَلَى خَطَرٍ * وَغَرِيرٌ مِنَ الْفَرَرِ
بِأَزْيٍ حِينَ قَطَرَ * يَهْزُهُ جِنُّ الْأَثَرِ
لَا مُتَشَكِّ مِنْ سَلَرٍ * وَلَا قَرِيبٍ مِنْ خَوْزٍ^(٤)
كَانَهُ بَعْدَ الْقُسْمِ * وَبَعْدَ مَا جَالِ الضُّمَرِ^(٥)
وَأَتَمَحَّ فِي لَحْسَرٍ : * جَابَ رِبَاعُ الْمُتَنَصَّرِ^(٦)
يَحْدُو بِمُحَبِّ كَالْأَكْرَ * تَرَى بِأَبْجَاجِ الْقَصْرِ^(٧)
مِنْهُنَّ تَوْشِيمُ الْجَدَرِ * رَصِينٌ أَبْكَارُ الْخَضِرِ
شَهْرِي رَيْبِعٌ وَصَفَرٌ * حَتَّى إِذَا الْفَعْلُ جَفَرَ^(٨)
وَأَشْبَهَ السَّقَى الْإِبْرَ * وَتَشَّ أَدْحَارُ الثَّقَرِ^(٩)
قُلْنَ لَهُ : مَا تَأْتِمُرُ ؟ * وَهَنْ إِذْ قُلْنَ : أَشِيرُ
غَيْرُ عَوَاصٍ مَا أَمَرُ * كَأَنَّهَا لَمَنْ فَنَلَرُ
رَكْبٌ يَشِيْمُونَ مَطَرٌ * حَتَّى إِذَا الْفُلُّ قَصُرَ

- (١) المُرْت : الأرض لا نبات فيها ، وانقضى الأثر : انقضاء رتبته . (٢) الجزور (يقتحين) : ما يذبح من الشاة ذكراً كان أو أنثى . واحسنه : جزرة . وما اشترك له الشكر وهو الضعيف من الشعر الذي لا يكاد يظهر . (٣) عسفتها : سلكها متخيلاً ، والفَرَر : انطوار . (٤) السدر : الصبر . (٥) الضمر (بالضم وبضمين) : الحزال . والضمر : جمع ضفاد (بالفتح) وهو ما يشبه به البحر من شعر مضفور . (٦) الجاب : الحمار الغليظ من حمير الوحش . (٧) الأبناج جمع شبح وهو وسط الشئ . ، والقصر : جمع قصرة وهي أصل العتي . (٨) جفر : امتنع عن الضراب . (٩) السقى : كل شجر له شوك ، ونش : غضب ، والثقر : جمع ققرة وهي الوهلة المستديرة من الأرض .

يَمْنَنَ مِنْ جَنِّيْ هَجَرَ . أَخْصَرَ طَلَمَ الْعَكْرَ
وَبَيْنَ أَحْقَافِ الْقَدَرِ . سَارَ وَلَيْسَ لِلْسَمَرِ
وَلَا تِلَاوَاتِ السُّورِ . بِسَحِّ مِرْنَانَا ^(١) يَسِرُ
زُمْتُ بِمَسْزُورِ الْمِرْزِ . لَأُمِ تَحْلُقُومِ الْغُرِ ^(٢)
حَتَّى إِذَا اصْطَفَى السُّطْرَ . أَهْدَى لَهَا لَوْ لَمْ يُجْزِرْ
دَهْيَاءَ يَحْدُوها الْقَدَرُ . فَيْلَكَ عَنَسَ لَمْ تُدْرِ
سَهْبًا إِذَا الْآلُ طَهَرَ . إِلَيْكَ كَلَمَا السَّقَرِ
خُوصًا يُحَادِثُ النَّظَرَ . قَدْ انْطَوَتْ مِنْهَا السَّرَرِ
طَى الْقَرَارَى الْحَبَرِ ^(٣) . لَمْ تَقْعُدْهَا الطَّيَرِ
وَلَا السَّيْحُ الْمُرْدَجَرِ . يَافْضَلُ لِلْقَوْمِ الْبَطَرِ
إِذْ لَيْسَ فِي النَّاسِ عَصَرُ . وَلَا مِنْ الْخُوفِ وَزَرُ
وَنَزَلَتْ إِحْدَى الْكُبَرِ . وَفِيْلَ صَمَاءِ الْغَيْرِ
فَالنَّاسُ أَبَاءُ الْحَدَرِ : فَوَحَتْ هَاتِيكَ الْغُمَرِ
عَا « وَقَدْ صَابَتْ بِقَرِ » ^(٤) . كَالسَّمْسِ فِي تَحْيِصِ بَشَرِ
أَمِيَا بُجَارِيكَ الْخَطَرِ * أَوْكَ حَلَى عَنْ مُصَرِ
يَوْمِ الرُّوَاقِ الْمُحْتَصَرِ . وَالْخُوفُ يَفْصِرِي وَيَنْزِرُ
لَمَّا رَأَى الْأَمَرَ الْقَطَرِ ^(٥) . قَامَ كَرِيْمًا فَانْتَصَرِ
كَهْزَهُ الْعَصَبُ الدَّكْرُ * مَا مَسَّ مِنْ نَيْءٍ هَبَرِ ^(٦)

- (١) المروان : القوس . (٢) رمب شذت ، ومشورور مبمول ، والمرد . جمع مرة وهي قوة القتلى ،
واللائم : الشديد ، والأمر : كسر اللؤلؤ . والعرب تشبه الدقيق الأوارور - لاعم المرن . (٣) القرارى . انطياط
(٤) القر : القرارى ، يقال اذا وقع الأمر مومبه . صات عروصت نمر . ال طرفة من العد الكرى .

كنت منهم كالمعلى رأسه * فاعلم اليوم حطافى وجر
ساحرا أحسب عي رتدا فاهيت وقد صات قمر

- (٥) انتد . (٦) هر قطع .

وَأَنْتَ تَقْتَأِفُ الْأَنْثَرَ * مِنْ ذِي مُجْجُولٍ وَغُرَّرَ
 مَعِيدٍ وَرِدٍ وَصَدَرَ . وَإِنْ عَلَا الْأَمْرَ أَقْتَدِرُ
 فَأَيْنَ أَهْصَابُ الْقَمَرِ (١) اذْشَرُوا كَأْسَ الْمَقْرِ
 وَقُصِّرُوا فِيمَنْ قُصِرَ * هِيَا ت لَا يَخْفَى الْقَمَرُ
 أَحْمَرَتْ اذْذَبُوا الْخَمْرَ (٢) شَكَرًا وَحُرًّا مِنْ شَكْرٍ
 فَاللَّهُ يُعْطِيكَ التَّيْبَرَ (٣) وَفِي أَعَادِيكَ الظُّفَيْرُ
 وَاللَّهُ مِنْ شَاءَ نَصَرَ * وَأَنْتَ إِنْ خِفْنَا الْحَصَرَ (٤)
 وَهَرَّ دَهْرٌ وَكَثَّرَ * عَنْ نَاجِذِيهِ وَبَسَرَ (٥)
 أَغْنَيْتَ مَا أَغْنَى الْمَطَرُ . وَفِيكَ أَخْلَاقُ الْبَسَرِ
 فَإِنْ أَبَوْا إِلَّا الْعَسَرَ * أَمَرْتُ جَبَلًا فَاسْتَوَى (٦)
 حَتَّى تَرَى تِلْكَ الزَّمَرَ * تَهْوِي لِأَذْقَانِ النَّفَرِ (٧)
 مِنْ جَذَبِ الْأَوَى (٨) لَوْ تَرَى الْبَهَ طَوْدًا لَا مَاطَرَ (٩)
 صَعِبٌ إِذَا لَاقَى أَبَرَ . وَإِنْ هَفَا الْقَوْمُ وَقَرَّ
 أَوْ رَهَبُوا الْأَمْرَ جَسَرَ * ثُمَّ تَسَامَى فَفَقَرَ
 عَنْ يَنْقَشِقِ تَمْ هَدَرَ * تَمْ تَنَاجَى فَطَطَرَ (١٠)
 بَذَى سَيْبٍ وَعُذِرَ * يَمِضُ أَطْرَافَ الْوَبَرِ
 هَلْ لَكَ وَالْمَلْ خَيْرٌ * فِيمَنْ إِذَا غَبَّ حَصَرَ
 أَوْ نَالَكَ الْقَوْمُ تَارَ * وَإِنْ رَأَى حَيْرًا شَكَرَ
 * أَوْ كَانَ تَمَصِيرَ عَدَرَ *

(١) القمر : المر . (٢) أحمرت . برزت الى الصحراء . ودوا احر : مشوا بمحمي . والجر :
 ما سترك من شحر أو ماء أو نحوه . (٣) الخمر والنفوة . (٤) الصبق . (٥) كثر أبدي
 عن ناجذيه ، وبسر : عسى . (٦) أى أسكت داه . (٧) جمع نفرة وهى فرة الحر .
 (٨) الأولى : الشديد الحصوه . (٩) اسبح وانمى . (١٠) السيب . سحر الدم والعرف
 والنامية ، والمطر جمع عذار . (١١) قصد لخصه لـ استغماية فأدخل عليها الألف واللام .

ولما عمل أبو نواس القصيدة التي أولها : * ومستعبد إخوانه بثرائه * بلغت
 الأمين، فبعث إليه، وعنده سليمان بن جعفر . فلما دخل عليه قال له : يا عاض بظُرِ أتمه
 العاهرة ، ويا مدعى ولاية حاء وحكم ! أتمرى يابن القناء من توليت وإلى من أددت ؟
 إلى الألام قيلتين في اليمن ، ملوچ باضين . أنت تكتسب بشعرك أوساخ أيدى الناس اللثام ،
 وتقول : * ولا صاحب التاج المحجب في القصر * أما والله ما نلت مني شيئا بعد ذلك
 أبدا ! فقال له سليمان بن أبي جعفر : إني والله ! نعم هو مع هذا من كبار الثورية (١) (وكان يرى
 بذلك) ؟ فقال له محمد الأمين : وهل يشهد عليه شاهد بشيء من ذلك ؟ فأتاه سليمان بعدة
 فقر ، فشهدوا عليه أنه شرب في يوم مطير فوضع قدحه تحت السماء في المطر فوقع فيه
 المطر ، فقالوا له : ما تصنع بذلك ويحك ؟ قال : أتم ترغمون أنه يترل مع كل قطرة
 ملك ، فكم تراني أشرب من الملائكة ! ثم شرب ما في القدر ، فغضب محمد ، وأمر به
 إلى السجن . فذلك قول أبي نواس :

يارب إن القوم قد ظلموني * وبلا اقرارٍ معطلٍ حسبوني
 وإلى الجحود بما عرفت خلافة * ربّي إليك يكتنهم نسبوني
 ما كان إلّا الجري في ميدانهم * في كل نخزي والمجانة ديني
 لا العذر يقبل لي ويفرق شاهدي * منهم ، ولا يرضون حلف يميني
 ما كان - لو يدرون - أول محبا * في دار متقصّة ومنزل هوين
 أما الأمين فليست أرجو دفعه * عني ، فمن لي اليوم بالمأمون

فبلغت أبياتهُ المأمون ، فقال : والله لئن لحقته لأغنيته حتى لا يؤمله . فمات قبل دخول
 المأمون بغداد .

لما وصلت الخلافة إلى محمد الأمين وولي الفضل بن الربيع الوزارة ، فترغ محمد
 والصيد والزهرة ، وكان لا يخرج إلّا لصيد أو لزهرة . فخرج ذات يوم وقد أمر الجند

(١) التورية أصحاب الأتزين الأزليين وهم الذين يزعمون أن الورد والطلحة أزليان قديمان ، بخلاف المهجوس

فأنهم قالوا بحدوث الظلام .

والقوَادَ فركبوا، وليس ثيابه وتقلد سيفه ، وأُصِغَت الحَرَاقَاتُ ^(١) والزَّلَاجَاتُ فِي دِجْلَةٍ ؛ فقال له اسماعيلُ بنُ صُبَيْحٍ - وكان كاتبَ مِرْزَه - : يا أمير المؤمنين ان قوَادَكَ وجنْدَكَ وطائِمَةً رعيَتَكَ قد خُبِنَتْ نفوسُهُم ، وسامت ظنونُهُم ، وكَبُرَ عندهم ما يرون من احتجائكِ عنهم ، فلو جِلسْتَ لهم ساعة من نهار فدخلوا عليك ! فإن في ذلك تسكيناً لهم ومراجعة لآمالهم ! بغلس في مجلسه وأذن للناس عامةً فدخلوا على مراتبهم ومنازلهم ، وقام الخطباءُ نخطبوا ، والشعراءُ فأنشدوا ، فلم يكن أحد منهم يتمدّى الى الاطتاب والتطويل ، الا أَمَرَ بالسكوت ومُنِعَ من القول .

وقام فيمن قام أبو نواس ، فقال : يا أمير المؤمنين ! هؤلاء الشعراء أهل سحر ومدَر ، وإبل ووصيف للبقر وبيوت الشعر ، قد جَفَتْ أَلْفَاظُهُم ، وظَلَمَتْ معانيهم ، ليس لهم بَصَرٌ بمدح الخطباء وتُسِير مكارمهم ، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى في إنشاده فليفعل ، فأذن له فأنشده :

أيا دارِها بالماءِ حتى تُليَنَها * فلن تُكرم الصَّبَاءَ حتى تُهِنَها
أُظِلَّ بها حتى إذا ما ملكَتْها * أهنْتُ لإكرام الخليل مَصُونَهَا
وصفراءُ قبل المَرْجِ بيضاءَ بعده * كأنَّ شعاعَ الشمسِ يَلْقاكَ دونَهَا
ترى العينَ تستعْفِيكَ من لَمَعَانِها * وتَحْسُرُ حتى ما تُهْلَ جفونَهَا
تَزُوجُ بنفسِ المرءِ عما يَسُوهُ * ويُمَحِّذُهُ أَلَّا يَزَالَ قَرِينَهَا
كَأَنَّ يَواقِيتَها رواكِدُ حَوْصِها * وَزُرْقُ سَنَائِرٍ تَدِيرُ عُيُونَهَا
وَتُخَطِّطُ حَلَّ الدَّهْرِ منها بِحَيَوَةٍ * دَلَفْتُ إليها فاستَلَّتْ جَبِينَهَا
كَأَنَّا حُلُولٌ بين أَكْثافِ رَوْضَةٍ * إذا ما سَلَبْنَاها مع الليلِ طِينَهَا

الى أن أكمل القصيدة . فقال له محمد : ألم أُنْهَكَ عن شرب الخمر ! قال : بلى يا أمير المؤمنين ، والله ما شرَبْتُها منذ نَهَيْتَنِي عنها ومنعتَنِي من شُرْبِها ، وأنا الذى أقول :

(١) الحراقات : ضرب من السفن فيها مراى نيران يرى بها العدو فى البحر .

أيتها الزانحات باللوم لوما * لا أنوق المدام الا شيمًا
 نالني بالسلام فيها إمام * لا أرى لي خلافه مستقيمًا
 فاصرفاها الى سواي فإني * لست الا على الحديث نديمًا
 . كبرحطى منها إذا هي دارت * أن أراها وأن أشم النسيما
 فكأنني وما أزيّن منها * قعدي^(١) يحسن التحكيما
 كل عن حمله السلاح الى الحر * ب فأوصي المطلق ألا يقيما

فتبسم محمد، وقال له : أحسنت ! وقام بعض الشعراء فأنشد :

ترقى في فضائله الامين * وزابله المشاكل والقرين
 وأورق زهرة الثعوى وعزّت * خلافته وصدقت الظنون
 تسم منابر الخلفاء منه * يد بخلاف طاعتها المنون
 يخاف الخوف صولته ويرجو * نداء الجود فهو له خدين

فقال عتة بن حضر : قد أوجر وأجاد، أكرم الله أمير المؤمنين ! فقال أبو نواس : أشعر
 منه يا أمير المؤمنين الذي يقول :

ألا يا خير من رأيت الميؤن * يظيرك لا يحس ولا يكون
 وفضلك لا يحد ولا يحارى * ولا تحوى حيازته الظنون
 فأت نسيج وحدك لا شبهة * تحاشيه عليك ولا خدين
 خلقت بلا مساكلة لىء * فأت الفوق والمعلان دون
 كأن الملك لم يك قبل سنًا * الى أن قام بالملك الامين

قال : فضله محمد وأحسن جائزته . ويقال : إنه قالها بليها .

(١) القعدي من الحواجر . الذي يرى رأى التعمدة الذين يرون التحكيم حقاً، غير أنهم قد دوا عن الخروج

على الناس .

ثم نهض محمد من مجلسه ذلك، فركب الحُرَاقَةَ إلى الشَّامِسيَّة، واصطَفَتْ له الخيل وعليها الرجال على شاطئ دجلة، وَجِئَتْ معه المطايحُ والخِزَانُ . وكان ركوبه حُرَاقَةً^(١) على مثال الأسد . فما رأى الناس منظراً كان أبهى ولا مسيراً كان أحسن من ذلك المنظر والمسير . وركب أبو نواس معه يومئذ وهو يتأدبه، فقال :

تَحَنَّنَ اللَّهُ لِلْأَمِينِ مَطَايَا • لَمْ تَسْخَرْ لِصَاحِبِ الْمَحْرَابِ^(٢)
فَإِذَا مَا رَكَابُهُ سِرْنَ بَحْرًا • سَارَ فِي الْمَاءِ رَاكِبًا لَيْتَ غَايَ
أَسَدًا بَاسِطًا ذِرَاعِيهِ يَعْدُو • أَهْرَتَ الشَّنِقِ^(٣) كَلَجَ الْأَنْيَابِ
لَا يَعْانِيهِ بِالْجَهَامِ وَلَا السُّو • طِ وَلَا تَحْمِزُ رَجُلِهِ فِي الرُّكَايِ
تَحِبُّ النَّاسُ إِذْ رَأَوْكَ عَلَى صَو • رة لَيْتَ تَمَرُّ مَرَّ السَّحَابِ
سَبَّحُوا إِذْ رَأَوْكَ سَرَتْ عَلَيْهِ • كَيْفَ لَوْ أَبْصَرُوكَ فَوْقَ الْعُقَابِ
ذَاتَ زَوْرٍ وَمَيْسِرٍ وَجَنَاحِ • بَيْنَ تَشُقِّ الثُّبَابِ بَعْدَ الثُّبَابِ
تَسْبِقُ الطَّيْرُ فِي السَّمَاءِ إِذَا مَاسَ • تَعْبَلُوهَا بِمِجْنَةِ وَهَابِ
بَارَكَ اللَّهُ لِلْأَمِينِ وَأَبْقَا • وَأَبْقَى لَهُ رِذَاءَ الشَّبَابِ
مَلِكٌ قَصُرَ الْمَدَائِمُ عَنْهُ • هَائِمٌ مُوقِفٌ لِلصَّوَابِ

ويقال : ان هذا الشعر قاله أبو نواس في محمد ، وقد ركب حُرَاقَتَهُ الدُّافِينَ ؛ فقال له شيخٌ الى جانبه : اتق الله يا هذا ! فقال له أبو نواس : يا شيخ ، إن الله لم يسخر لصاحب المحراب الدُّافِينَ ، وقد سخر له ما هو خير من الدافين ، فأى شئٍ تتكرمن هذا ؟

قال ابن حبيب : كنت مع مؤنس بن عِمْران ، ونحن نريد الفضل بن الربيع ببغداد ، فقال مؤنس : لو دخلنا على أبي نواس في السجن فسلمنا عليه ! ففعلنا ؛ فقال أبو نواس

(١) وذلك أنه كان للأمين ثلاث من الفرس المسروقة بالحراقات لركوبه خاصة ، وهي الليث والعقاب والدافين . (٢) صاحب المحراب هو سليمان بن داود عليه السلام لأنه بنى بيت المقدس . (٣) أهزت الشنق : واسه . وكالغ الأنياب : كالشرها .

المؤنس: أين تريد ؟ فقال : أريد أبا العباس الفضل بن الربيع ؛ قال فلبّنه رقعةً أعطيكها ؛ قال : نعم ؛ فأعطاه رقعة فيها :

ما من يدٍ في الناس واجدة * كيد أبو العباس مولاها
 نام البُناة على مضاجعهم * وسرى الى نفسي فأحياها
 قد كنتُ خِفْتُكَ ثم أمتنى * من أن أخافك خوفاً الله
 فعفوت عني غفوَ مقتدر * وجبت له تقسمُ فالناها

فكانت هذه الأبيات سبب خروجه من السجن .

انصرف أبو نواس من بعض المواخير سكراناً ، فر بمسجد قد حضرت فيه الصلاة ، فدخل فقام في الصف الأول ؛ فقرأ الإمام : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ فقال أبو نواس من خلفه : لبيك ؛ فلما قضيت الصلاة لبيوه وقالوا له : يا كافر نشهد عليك بالكفر ودفنوه . فبلغ خبره الرشيد ، فدعا له حمدويه صاحب الزندقة ، وأحضر أبا نواس فقال له حمدويه : يا أمير المؤمنين ، إن هذا ماجن ، وليس هو بحيث يُظن ؛ فقال له الرشيد : ويحك ! إنه وقع في نفسي منه شيء ، فامتحنه . قال : نَقَطْ له صورة ماني ، وقال له : أبصق عليها ؛ فأهوى أبو نواس بفيه ليقب عليها ؛ فقال له حمدويه : قد قلت لك يا أمير المؤمنين إنه ماجن . قال : ودعا برجل من الزنادقة مشهور ، وقال له : ابصق عليها ؛ فقال : وما معنى البصاق ! إنه من أخلاق الشرك ولا أفعله ، وأبى أن يفعل . فقال الرشيد لبعض خدم القصر : امض بهذا (يعني أبا نواس) الى السندى ، فقل له : أذبه وأطلقه ،

(١) لبيوه : أخذوا بليه ، وهو موضع القلادة في الصدر . (٢) هو ماني بن فانك الحكيم ، الذي ظهر في زمن سابور ذي الاكثاف بن أزدشير ، وقتله بهرام بن هرم بن سابور ، وذلك بعد عيسى عليه السلام . اتخذ له دينا بين المجوسية والنصرانية . وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام . حكى محمد بن هارون المعروف بأبي عيسى الوراق ، وكان في الأصل مجوسياً علواً يذاهب القوم ، أن الحكيم ماني زعم أن العالم مصنوع مركب من أصليين قديمين : أحدهما نور والأخر طلبة ، وأنهما أزليان لم يزالا ولن يزالا ، وأنكر وجود شيء الا من أصل قديم ، وأنهما لا يزالان قوتين حساستين سميعتين بصيرتين ، وهما مع ذلك في النفس والصورة والعمل والتدبير متضادتان ، وفي الحيز متحاذيتان تحاذي الشخص والظل . (انظر المل والنحل لشهرستاني)

وبهذا (يعنى الزنديق) فقل له : احبسه قبلك الى أن تستبيّه، فان تاب وإلا قتلناه .
 قال : فضى بهما الخادم ، فلما صار فى آخر الصحن ، قال أبو نواس للخادم : الى أين تذهب بنا ؟ قال : الى السندى ؛ قال : فما تقول له ؟ قال : أقول له : يحبسك قبلك حتى تُستأب أو تُقتل ، ويؤدب هذا ويطلقه . قال : فرغ أبو نواس يده ولطمه ، وقال له : يا بن الزانية ، من الساعة نسيت ! . وبصرهم الرشيد ، فقال : ردوهم ؛ فقال لأبى نواس : ما هذا الذى رأيت منك ؟ قال : أراد والله أن يهلكنى ويطرحنى بحيث أنسى أبدا أو أبغى غلدا ، سلّه يا أمير المؤمنين عن الرسالة ، فاذا هو قد غيرها ؛ فضحك من أبى نواس وأطلقه .

قال رزّين الكاتب : اجتمعنا يوما أنا وأبو نواس وعلى بن الخليل فى سوق الكرخ ، وكنا نجتمع ونتناشد الأشعار ونتذاكر الأخبار ونحسّث بها . فقال أبو نواس : أدبر من كان فى نفسى وكان أسرع الخلق فى طاعى ، فما أدرى ما أحتال له ؟ فقال على بن الخليل يمازحه : يا أبا على ، سلّ شيخك وأستاذك يعطّفه عليك ؛ فقال له أبو نواس : من تعنى ؟ قال : من أنت فى طاعته ليلك ونهارك (يعنى ابليس) فان لم يقض لك هذه الحاجة ، فما ينبغى لك أن تسأله مسألة ولا أن تقر عينه بمحبة ؛ فقال : هو أسدّ لرايه من أن يُخلّ بى أو يُخذلنى ؛ واتعّضى مجلسنا ذلك . فلما كان بعد أيام اجتمعنا فى ذلك الموضع ، وأخذنا فى أحاديثنا ، فضحك أبو نواس ؛ فقلنا له : ما أضحكك ؟ فقال : ذكرت قول على بن الخليل يومئذ : سلّ شيخك يعطّفه عليك . حينئذ قد سألتّه يا أبا الحسن ففضى الحاجة ، وما مضت والله ثالثة حتى أتانى من غير أن أبعث اليه ومن غير أن أستريه ، فعاتبنى واسترضانى ، وكان الغضب منه والتعجّب ، وأحسب الشيخ (يعنى ابليس) كان يتسمّع علينا فى وقت كلامنا ؛ وقد قلت أبياتا فى ذلك ؛ فقلنا : هاتها ، فأنشد :

لما جفانى الحبيب وامتنعت . عني الرسالات منه وانجبر
 واشتد شوقى فكاد يقتلنى . ذكر حبيبي والمهم والفكر

دعوتُ إبليسَ ثم قلتُ له * في خلوةٍ والدموعُ تتحدّر:
أما ترى كيف قد بليتُ وقد * أفرجَ جفني البكاءُ والسهرُ؟
إن أنت لم تأتني لي المودةَ في * صدر حبيبي وأنت مقتدر
لا قلتُ شعرا ولا سمعتُ غنا * ولا جرى في مفاصلي السَّكرُ
ولا أزالُ القرآنَ أدْرُسُه * أروح في دريسه وأبتكرُ
وأزيم الصومَ والصلاةَ ولا * أزال دهرى بالخير أتمرُ
فما مضت بعد ذاك ثالثة * حتى أتاني الحبيبُ ينذرُ
ويطلب الودَّ والوصالَ على * أفضلي ما كان قبلَ يتجرُ
فيألمها ميتةٌ لقد عظمْتُ * عندي لإبليس ما لها خطرُ

لما قَدِمَ أبو نواس على الخَصِيبِ بِمصرَ أذن له وعنده جماعة من الشعراء فاستنشدته ،
فقال له : ها جماعة من الشعراء هم أقدم مني وأسنّ ، فأذن لهم في الإنشاد ، فان كان شعري
نظير أشعارهم أنشدتُ وإلا أمسكتُ ؛ فاستنشد الخَصِيبُ ، فأنشدوا مديحا في الخَصِيبِ ،
فلم تكن أشعارهم مقاربةً لشعر أبي نواس ؛ فقبّض أبو نواس ثم قال : أنشدك أيها الأمير
قصيدةً هي بمنزلة عصا موسى تتلفّ ما يافِكُون؟ قال هات ، فأنشده قصيدته التي أولها :
أجارَةَ يَتَيْتَنَا أبوكَ غَيُورٌ - وَيَسُورُ ما يُرَجَى لَدَيْكَ عَسِيرُ

حتى أتى على آخرها ، فانفضَّ الشعراءُ من حوله .

ويقال : إن أبا نواس كان خرج الى مصر في زِيّ الشُّطَّارِ وتقطيعهم بطرّة قد صَفَّها
وكُتِنَ واسعين وذيل مجرور ونعل مطبق ، وكان خروجه مع سليمان بن أبي سهل ؛ فلما
دخل على الخَصِيبِ بهذه الصورة ازدراه واستخفَّ به ، وكن تُورد عليه كُتْبُ الحِلَّةِ ممن

(١) هو الخَصِيبُ بن عبد الحميد المعنى أبا نصر علي الخراج . وإله مست مية الخَصِيبِ بالوجه القليل
وليس بابن صاحب نهر أبي الخَصِيبِ ، ذلك عد لصور مدال له مرزوق . وكان هذا رئيسا في أراضيه .
فانتقل الى بغداد وصار كاتب مهوريه الرازي ، ثم انتقل الى الامارة .

(٢) الشُّطَّار : جمع شاطر وهو من أعيا أهل حشا .

بباب السلطان، وورد كسب أبى نواس فيها قراءها ولم يستشده، فانصرف مهموما .

وجاءه أهل الأدب فاستمعوا شعره وكتبوه وأشدوه لخصيب؛ فاستحضره فأنشده :

أَجَارَهُ يَتَيْتَنَا أُولُوكَ غِيُورٌ . وَمِيُورٌ مَا يُرْجَى لَدُنْكَ عَصِيرٌ
فَإِنْ كُنْتَ لَا حِلْمًا وَلَا أَنْتَ زَوْجَةٌ ^(١) . فَلَا يَرَحْتُ دُونِي طَلِيكَ سُتُورٌ
وَجَاوَرْتُ قَوْمًا لَا تَزَاوَرُ بَيْنَهُمْ . وَلَا وَصَلَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نُسُورٌ
مَا أَنَا بِالْمَشْغُوفِ ضَرْبَةً لَا زِيْپٌ * وَلَا كُلُّ سُلْطَانٍ عَلَى قَدِيرٍ
وَأَتَى لَطْرُفَ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ زَاكِرٌ * قَعْدَ كَدْتُ لَا يَخْفَى عَلَى ضَمِيرٍ
كَمَا نَظَرْتُ وَالرَّيْحُ سَاكِنَةٌ لَهَا * عَقَابٌ بِأَرْسَاعِ الْيَدَيْنِ نُدُورٌ ^(٢)
طَوْتُ لِبَلَيْنِ الْقَوْتِ عَنْ ذِي ضُرُورِهِ * أَزْيِفَ لَمْ يَنْبُتْ عَلَيْهِ شَكِيرٌ ^(٣)
فَأَوْفَتْ عَلَى حِلْيَاءٍ حِينَ بَدَا لَهَا . مِنْ الشَّمْسِ قَرْنٌ وَالضَّرِيبُ يَمُورٌ ^(٤)
تَقَلَّبُ طَرَفًا فِي حِمَايَ مَغَارِهِ . مِنْ الرَّأْسِ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِ ذُرُورٌ ^(٥)

ولما قال أبو نواس :

تَقُولُ الَّتِي مِنْ يَتَيْتَا خَفَّ مَرَكِي : عَزِيزٌ طَبْنَا أَنْ نَزَاكَ تَسِيرٌ
أَمَّا دُونَ مَصِيرٍ لَأَعْنَى مُتَطَلٌّ * عَلَى إِنْ أَسْبَابُ الْغَنَى لَكُنِيرٌ
فَقَاتُ لَهَا وَاسْتَحْلَتْهَا بَوَادِرُ . بَحْرَتْ بَحْرِي فِي جَرِيمِنِ عَصِيرٌ
دَرِي أَكْثَرُ حَاسِدِكَ رِحْلَةً إِلَى بَلَدٍ فِيهِ الْخَصِيبُ أَمِيرٌ

قال له الخصيب : أَذَا نَكُثَرُ حَسَادُهَا وَنَبَلَ أَمْلُهَا، وَأَمْرٌ لَهُ أَلْفُ دِينَارٍ .

(١) الحلم : الصديق . (٢) الدور . خروج العلم من موضعه أو زواله وفي البيت من سوء التركيب ما فيه ، والتقدير فيه كما طرقت عقاب لها بأرساع اليدين بدور والريح ساكنة . (٣) أزيب تصغير أزم وهو المرح دوا الزعب أى الريش الدقيق اللين . والشكير : الريش أول ما ينبت . (٤) الضريب : التلح أو الحليد . ويمور : يحرك أو يهيج . ويذهب أو يسيل على وجه الأرض . (٥) الملحاح منى حاح وهو العلم الذى ينبت عليه تمر الحاحب والدور : ما يدور في العين من الدوا .

وتماها :

إذا لم تزد أرض الخصب ركابنا * فأي فتي بعد الخصب زور !
 فما جازه جود ولا حل دونه * ولكن يصير الجود حيث يصير
 فتي يشتري حسن الثناء بماله * ويسلم أن الدارات تنور
 ولم تر عني سؤدًا مثل سؤد * يحل أبو نصير به ويسير
 وأطرق حيات البلاد لحية * خصيبة التصميم حين تسور^(١)
 سموت لأهل الجور في حال أمنهم * فامضوا وكل في الوثاق أسير
 إذا قام غتته على الساق حلية * لها خطوه عند القيام قصير
 فمن يك أمسى جاهلاً بمقاتلي * فان أمير المؤمنين خير^(٢)
 فما زلت توليه النصيحة يافعًا * الى أن بدا في العارضين قير^(٣)
 إذا ظاله أمر فأتا كفيته * وإما عليه بالكفاه نسير
 إليك رمت بالقوم هوج كأنما * جاجها تحت الرحال قبور
 رحل بنا من عرقوف^(٤) وقد بدا * من الصبح مفتوق الأديم شهير
 فما نجت بالماء حتى رأيتها * مع الشمس في عني أبغ تنور^(٥)
 وغمركن من ماء النقيب بشرية * وقد حان من ديك الصباح زمير^(٦)
 ووافين إشرافا كأنس تدمر * وهن الى رعن المدخن صور^(٧)
 يؤمن أهل القوطيين كأنما * لها عند أهل القوطيين زور
 وأصبحن بالجولان يرضعن^(٨) حضرها * ولم يبق من أجراحهن شطور
 وقاسين ليلا دون بيسان لم يكد * سنا صبيحة للناظرين^(٩) ينير^(١٠)
 وأصبحن قد قوزن من نهر فطرس * وهن عن البيت المقدس زور

(١) تسور : تف . (٢) القير : الشيب . (٣) عرقوف : اسم موضع .

(٤) نجت : حرقت .

(٥) صور : مائلات . (٦) يرضعن : يكرن . (٧) زور : جمع زورا بمعنى مائلة .

طوالب بالركبان غرة هاشم * وفي القوما من حاجهن شُقور^(١)
ولما أتت فسطاط مصر أجارها * على ركبها أن لا تزال مجير
من القوم بَسَامُ كان جيته * سَنَا الفجر تيرى ضوؤه وينير
زها بالخصيب السيف والرمح في الوغى * وفي السلم يزهو مبر وسرير
جواد إذا الأيدي كففن عن الندى * ومن دون عورات النساء خيور
له سلف في الأعجمين كأنهم * إذا استؤذنوا يوم السلام بدور
ولم يجرى جدير إذ بلغتك بالمنى * وأنت بما أملت منك جدير
فإن تولي منك الجميل فأهله * وإلا فإني طائر وشكور

وقال يمدح العباس بن الفضل بن الربيع وأجاده :

ساد الملوك ثلاثة ما منهم * إن حصّلوا إلا آخر قريع
ساد الربيع وساد فضل بعده * وعلت عباس الكرم فروغ
عباس عباس إذا احتدم الوغى * والفضل فضل والربيع ربيع

وقال يعاتب عمر الوراق :

يا من جفاني وملا * نسيت أهلاً وسهلاً
ومات مرحباً * رأيت مالى قلاً
إني أظنك تحيى * فيما فعلت القيرل^(٢)
تلقاه في الشرّينائي * وفي الرخا يتدلّ

وله في عزة النفس :

ومستعبد إخوانه بثرائه * لست له كبيراً أبر على الكبير
إذا ضمّني يوماً وإياه محفل * يرى جانبي وعراً يزيد على الوعر

(١) جمع شقر وهو الأمر الملتصق بالقلب المهم له .

(٢) القيرل : كان نجير وكان لا يسمع لأحد شيئاً إلا جاء إليه ودخله ولا يخلّف عن طعام لأحد ، وإذا سمع

بخصومة لم يقرب ذلك ، فصرّب به المثل حتى قيل لطير من طيور الماء يوقى طيه : القيرل .

أخافه في شكله وأجره • على المنطق المبرور والمظهر الشرير
وقد زانني تيمًا على الناس أني • أراي أغلام وإن كنتُ ذا قَرِير
فواقه لا يثيدي لسانى بلجاجة • الى أحد حتى أُغيب في قفري
ولا يطمئن في ذاك مني طامعٌ • ولا صاحبُ التاج المحجب في القصر
فلولم أرتُ نخرًا لكانت صياي • عن الناس حسي من سؤالي من القصر
دخل أبو واس بعد ما نسك على قوم من إخوانه عديم شرابٍ ومغنٍ، فعرضوا عليه
الجلوس فآبى، وأخذ الدواة والقرطاس وكتب :

إذا لم تشه نفسك عن هواها • وتحسن صوتها قالبك عني
فاني قد شئتُ من المعاصي • ومن إدمانها وشغف مني
ومن أسوا وأقبح من لبس • يرى مطعنا في منسل سني
ومن شعر أبي نواس :

عني المصلى وأقوي الكُتب • مني المربدان واللهب
منازل قد عمرتها بمعاً • حتى بنا في عُدارى النهب
في جبة كالسيف هزهم • سرح شباب وزأهم أدب
ثم أرب الزمان فاقسموا • أبدي سآ في البلاد فانسوا
لن يخلّف النمر مثلهم أبدا • على هيات شأنهم عني
لما تيقنتُ أن رَوْحهم • ليس لها ما حيثُ مقلتُ
أليتُ صبرا لم يُلِه أحد • وانقسمني مارتُ ثم
لذاك أتى إذا رُزئتُ أحاً • طيس ملى وبته تس
فطربل مربي ولى هري ال • كرج مصف وأنى الس
رُضخني درها وُلِحصى • طللها والمحبير يلهم
إذا نكته القصور حلي • فبان ما في أدبيه حر

تَبَيْتُ فِي مَأْتَمٍ حَامِمٍ • كَمَا تَرَامَى الْفَوَاقِدُ السُّلْبُ
يُهْبُ شَوْنِي وَشَوْقُهُنْ مَعَا • كَأَنَّمَا يَسْتَحِفُّنَا الطَّرَبُ
فَقَمْتُ أَجْبُو إِلَى الرِّضَاعِ كَمَا • تَحَامِلُ الْوَلَدُ مَسَّهُ السَّعَبُ
حَتَّى تَخِيرْتُ بِنْتَ دَسَكْرَةَ • قَدْ عَجَمْتُهَا السُّنُونُ وَالْحَقَبُ
هَتَكْتُ عَنْهَا وَاللَّيْلُ مَعَكُ • مَهْلَهُلُ النَّسِجِ مَالَهُ هُدْبُ
مَنْ نَسِجَ نَرَقَاءَ لَا تُشَدُّ لَهَا • أُخْيَافُ فِي السُّرَى وَلَا طُنْبُ
ثُمَّ تَوَجَّاتُ خَصَرَهَا بِسَبَا • لِمَتْنِي بَفَاءَتْ كَأَنَّهَا لَهَبُ
فَاسْتَوَسَّقَ الشَّرْبُ لِلنَّدَامِ وَأَجْ • رَاَهَا عَلَيْنَا الْخُبْنُ وَالْقَرَبُ^(١)
أَقُولُ لِمَا تَعَايَا شَبَا • أَتَيْهَا لِلتَّسَابُهِ الذَّهَبُ
هِيَ سَوَاءٌ وَفَرَّقُ بَيْنَهُمَا • أَنَّهُمَا جَامِدٌ وَمُنْصَكَبُ
مُلْسٌ وَأَمَّا هِيَ مَحْفَرَةٌ • صُورٌ فِيهَا الْقُسُوسُ وَالصُّلْبُ
يَتَلَوْنَ لِمَنْجِلِهِمْ وَفَوْقَهُمْ • سَمَاءٌ تَحْمِرُ نَجْوَاهَا حَبُّ
كَأَنَّهَا لَوَاؤُ تَبَدُّدُهُ • أَيْدِي عَذَارَى أَقْصَى بَهَا اللَّيْبُ

ومن جيد شعره قوله لما منعه الأهل من شرب الخمر. وذلك أن المأءون أمر الخطباء
بخراسان أن يعيخوا الأمين بسمر أوى نواس وقلولوا هو جايسه ونديمه وينشدوا على المنابر
شعره، فتمعه الأمين فقال :

غَنَّا بِالطَّلُولِ كَيْفَ يَلِيَا • وَأَسْمَا تَهْطِكُ النَّاءَ الثَّمِينَا
مَنْ سُلَافٍ كَأَنَّهُ كُلُّ طَلِيٍّ • يَمْنَى غُخْبَرُ أَنْ يَكُونَا
أَكَلَ الدَّهْرُ مَا نَجْمٌ مِنْهَا • وَتَبَقَّى بُيَايَا الْمَكُونَا
ثُمَّ تُجِبُّ مَا اسْتَضَحَكَتْ عَنْ لَالٍ • لَوْ تَجَمَّعَ فِي يَدٍ لَأَقْتَنِينَا
وَإِذَا مَا لَمَسَتْهَا قَهْبَاءُ • تَمَنَّعَ الْكَفِّ مَا تُبَيِّحُ الْعُيُونَا

فِي كُؤُوسٍ كَانَتْ تُجُوسُ * جَارِيَاتُ بُرُوجِهَا أَيْدِيَا
 طَالِمَاتٍ مِنَ السَّقَاةِ عَلَيْنَا * فَلَا مَا غَرَبْنَ يَغْرِبْنَ فِينَا
 لَو تَرَى الْقُرْبَ حَوْلًا مِنْ بَعِيدٍ * قُلْتَ قَوْمٌ مِنْ قِرَّةٍ يَصْطَلُونَا
 وَغَزَايَا يُدِيرُهَا بَنَاتُ * نَاعِمَاتٍ يَزِيدُهَا الْعُسْرُ لِينَا
 ذَاكَ عَيْشٌ لَوْ دَامَ لِي غَيْرَ آتِي * عِفَّتُهُ مَكْرَهَا وَخِفْتُ الْإِيْنَا
 أَدِرَ الْكَأْسَ حَانَ أَنْ نَسْقِيْنَا * وَأَقْرِ الْعُودَ إِنَّهُ يُهْلِيْنَا
 وَدَعِ الذِّكْرَ لِلْعُلُوبِ إِنَّمَا * دَاوَتِ الْكَأْسُ بَسْرَةً وَيَمِينَا

ومن قول أبي نواس يمدح العباس بن عبد الله بن جعفر بن أبي جعفر :

غَرَّدَ الْهَيْكُ الْعُدُوحُ * فَاسْقِنِي طَابَ الْمُبُوحُ
 اسْقِنِي حَتَّى تَرَانِي * حَسَنًا عِنْدِي التَّبِيحُ
 قَهْوَةٌ تَذَكَّرُ نَوْحًا * حِينَ شَادَ الْفَلَكَ نُوحُ
 نَحْنُ نُخْفِيهَا وَيَأْتِي * طِيبُ عَرَفٍ فَيُفُوحُ
 فَكَانَ الْقَوْمُ نَهْيَ * بَيْنَهُمْ مَسْكٌ ذَيْبُحُ
 أَنَا فِي دُنْيَا مِنَ الْعَبِ * لَسَ أَغْدُو وَأَرْوَحُ
 هَاشِمِيٌّ جَبْدِي * عِنْدَهُ يَغْلُو الْمَدِيحُ
 عِلْمُ الْجُودِ كِتَابٌ * يَنْ عَيْنِهِ يَلُوحُ
 كُلُّ جَوْ يَا أَمِيرِي * مَا خَلَا جُودَكَ رِيحُ
 إِنَّمَا أَنْتَ عَطَايَا * أَبَدًا مَا تَسْتَرِيحُ
 يَجِّ صَوْتُ الْمَاءِ مِمَّا * مِنْكَ يَنْشُكُو وَيَصْبِيحُ
 مَا لِهَذَا أَحَدٌ فَوْ * قَ يَدِيهِ أَوْ نَصْبِيحُ
 جُدْتَ بِالْأَهْلِ وَالْحَقِّي * قِيلَ مَا هَذَا صَحْبِي
 فَهُوَ بِالْمَالِ جَوَادٌ * وَهُوَ بِالْعِرْضِ شَيْبِي
 صَوْرَ الْجُودِ مَثَالًا * وَلَهُ الْعِبَاسُ رُوحُ

قال محمد بن عيينة : لقيت أبا نواس بسكر مُكْرَمَ فقلت له : أحب أن تشدني من

شعرك شيئا تَضَنُّ به على غيري ، فأتشدني :

يَكْفِي الكَرِيمَ من الكَلَا ■ م لمن يحادثه أَقْلُهُ
والشئُ شئٌ لم يَزَلْ ■ بأدقِّه يَأْتِي أَجْلُهُ
إِنْ لم يُصَبِّكَ من الكَرْدِ ■ م الحُرُّ وابِلُهُ فَطْلُهُ
يُئِدِّي مَكَارِمَهُ كَمَا ■ م يَنْدِي فِرْقَةُ السَّيْفِ سَلَهُ
وَالنَّذْلُ يُوقِعُ نَفْسَهُ ■ م مَتَمِّدًا فِيمَا يُبْذَلُهُ
وَالْحَرُّ يَكْرِمْ نَفْسَهُ ■ م بِالصَّفْحِ عَمَّنْ لَا يُجِئُهُ

وقال أبو نواس يمدح الأمين :

صَبَّهْتُ عَلَى الأَمِينِ ثِيَابَ مَدْحِي * فكلُّ النَّاسِ حَسَنٌ وَأَسْتَجَادَا
وَلَوْ لَا فَضْلُهُ مَا جَادَ شِعْرِي - وَلَا أَعْطَيْتِي الْفَيْطَرُ الْقِيَادَا
وَقَالُوا قَدْ أَجَدْتَ قُلْتُ إِنِّي - وَجَدْتُ الْقَوْلَ يَمَكِّنِي جَفَادَا

ومن نمراته :

ذَكَرَ الصَّبُوحَ بِشُعْرَةٍ فَأَرَاتَا - وَأَمَلَهُ دَيْكُ الصَّبَاحِ صَبَاحَا
أَوْقَى عَلَى شَرَفِ الْجِدَارِ بُدْقِيَّةً * غَيْرَدًا يَصْفُقُ بِالْجَنَاحِ جَنَاحَا
فَأَذِرْ صَبَاحَكَ بِالصَّبُوحِ وَلَا تَكُنْ * كَسُوفَيْنِ قَدَّوْا عَلَيْكَ شِمَاحَا
إِنَّ الصَّبُوحَ جَلَاءُ كُلِّ عَجْزٍ - بَدَرْتُ يَدَاهُ بِكَاسِهِ الْإِضْبَاحَا
وَحَدِيثِي لَذَائِطِ مَطْلٍ صَاحِبٍ - تَهْتَاتُ مِنْهُ فَكَاهَةُ وَمَزَاحَا
نَهْنَهُ وَاللَّيْلُ مَلْتَمِسٌ بِهِ - وَأَزَحَتْ عَنْهُ تُمَاسُهُ فَاتْرَاحَا
قَالَ ابْنِي الْمَصْبَاحَ ، قُلْتُ لَهُ أَتَيْدُ * حَسْبِي وَحَسْبُكَ ضَوْوُهَا مَصْبَاحَا
نَسَكْتُ مِنْهَا فِي الزَّجَاجَةِ شَرْبَةً * كَانَتْ لَهُ حَتَّى الصَّبَاحِ صَبَاحَا

من قهوة جاءتك قبل مزاجها * عطلاً فالبسما المزاج وشاحاً
شكّ الزئال فؤادها فكانها * أهدت إليك برمجها ففاحاً
صفراء فخرس النوص فلا ترى * منها بين سوى السبات جراحاً
ومنها :

لا تبك ليل ولا تطرب الى هند * وأشرب على الورد من حمراء كالورد
كأماً اذا انحدرت في حلق شاربها * أجذته حمرتها في العين والحد
فانغمر ياقوته والكأس لؤلؤة * من كف لؤلؤة ممشوقة القد
نسقيك من طرفها نمرأ ومن يدها * نمرأ فالك من سكرين من بد
لى نشوتان والنذمان واحدة * شيء خصصت به من دونهم وحدي

كان الأعمى يفضل أبا نواس على شعراء زمانه بهذه القصيدة :

أما ترى الشمس حلت الحملأ * وطاب وقت الزمان واعتدلاً
وغنت الطير بعد عجمتها * واستوفت انغمر حوفاً كلاً
واكتست الأرض من زخارفها * وثى ثياب نخاله حلاً
فاشرب على جنة الزمان فقد * أصبح وجه الزمان مقبلاً
من قهوة تذهب الموم فلا * أزهب فيها الملام والعدلاً
كرخية ترك الطويل من العيد * ش قصيراً وتبسط الأملأ
تلمع لمع السراي في قدح ال * قوم اذا ما حبأها اتصال
يقول صرف اذا مزجت له * من لم يكن للكثير محتملاً
فسق هذا بقدر طاقته * وأحمل على ذا بقدر ما احتملاً
عجناً بشيين من طبائعها * حسن وطيب ترى به المثلاً

كان أبو نواس لا يُستَشَدُّ شَيْئاً من شعره إلا أنشد هذه القصيدة :

وَحَيْمَةَ فَأُطَوِّرُ بِرَأْسِ مُنِيفَةٍ * تَهْمُ يَدَا مَنْ رَامَهَا بِرَزِيلِ^(٢)
 إِذَا عَارَضَتْهَا الشَّمْسُ فَأَاءَ ظِلَّالُهَا * وَإِنْ وَاجَهَتْهَا آذَنْتُ بِخُصُوبِ
 حَطَلُنَا بِهَا الْأَتَهَالَ قُلٌّ هَيَّيْ^(٣) * صُورِيَّةٌ تُدَكِّي بِغَيْرِ قَبِيلِ
 ثَانَتْ قَلِيلًا مِمْ فَاوَتْ بِمَنْقَةٍ * مِنْ الظَّلِّ فِي رَثِّ الْأَبَاءِ ضَبِيلِ^(٤)
 كَأَنَّا لَدَيْهَا بَيْنَ عِطْفَى نَعَامَةٍ * جَعَا زَوْرُهَا عَنْ مَبْرَكٍ وَمَقِيلِ
 حَلَبْتُ لِأَصْحَابِي بِهَا دِرَّةَ الصَّبَا * بِصَنْبَاءٍ مِنْ مَاءِ الْكُرُومِ تَشْوِبِ
 إِذَا مَا أَنْتِ دُونَ اللَّهِاءِ مِنَ الْفَتَى * دَمَا هُمُ مِنْ صَدْرِهِ بِرَجِيلِ
 فَلَمَّا تَوَقَّى الشَّمْسَ جَنَحُ مِنَ الدُّجَى * تَصَايِدْتُ وَأَسْتَجِمْتُ غَيْرَ جَمِيلِ
 وَطَاطَيْتُ مِنْ أَهْوَى الْحَلِيتِ كَمَا بَدَا * وَفَلَّتُ صَعْبًا كَانَ غَيْرَ ذَلِيلِ
 فَفَتَى وَقَدْ وَصَدْتُ يُسْرَأَى خَدَّهُ * أَلَا رُبَّمَا طَالَبْتُ غَيْرَ مَنِيلِ
 وَأَتَزَلْتُ حَاجَتِي بِمَقْوَى مُسَاعِدِ * وَإِنْ كَانَ أَدْنَى صَاحِبِ وَخِيلِ
 وَأُمِصْبَحْتُ أَلْحَى السَّكْرَ وَالسَّكْرُ مَحْسِنٌ * أَلَا رُبُّ إِحْسَانٍ عَلَيْكَ تَقِيلِ
 كَفَى حَزَنًا أَنْ الْجَوَادَ مَقْتَرٌ * عَلَيْهِ وَلَا مَعْرُوفٌ عِنْدَ بَيْعِيلِ
 سَأَبْنَى الْفَتَى إِمَّا جَلِيسَ خَلِيفَةٍ * يَقُومُ سِوَاهُ أَوْ غَيْفَ مَسِيلِ
 بِكُلِّ فَتَى لَا يُسْتَطَارُ جَنَانُهُ * إِذَا نَوَّهَ الزَّحْفَانِ بِاسْمِ قَبِيلِ
 لَنُخْصَمَ مَالُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ فَاجِرٍ * أُنْحَى بِطَنَةِ اللَّطِيَّاتِ أَكْوِ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَالَ عَوْدٌ عَلَى النَّدَى * وَلَيْسَ جَوَادٌ مَقْتَرٌ كَبَخِيلِ

(١) الناطور : حافظ الخيل والكرم والزرع وفي الراج : الناطر والناطور بالطاء المهملة حافظ الزرع ، من كلام أهل السواد وليس عربي محض - (٢) الزليل مصدر كالزلال - (٣) أى منهزى هاجرة ، وصورية نسبة إلى الشعرى المبردة وأيام طلوعها أيام الحر الشديد - (٤) أى الشمس ، أى توقفت فى الجوع عند زوالها . وقامت بمنقاة ، أى دخلت عليهم من تلك الخيمة الخلفة التى بُنيت على الأبواء الصفيين المصب الرث فلم تغر الشمس وعليهم لم تمنعهم الخيمة بستر قوى فصير نالا ولكنه شمس وطل ، فشبهت بالملذوذ من الابن ، أى المزوج .

فإن استريد أنشد هذه القصيدة الأخرى :

كان الشباب مطية الجهل .. وحسن الضحكات والمزلي
 كان الجمال إذا أردت به .. ومشيت أخطر صيت النعل
 كان البليغ إذا نطق به .. وأصاحت الأذن لأملي
 كان المشفع في مآربه .. عند الفتاة ومدير التبل
 والامرئ حتى إذا عزمت .. نفى أغان يدى بالفعل
 فالآن صرت الى مقاربة .. وحططت عن ظهر الصبار حلي
 والراح أمواها وإن رزأت .. بلغ المعاشر وقلت ففعل
 صفراء مجدها مرآتها .. جلّت عن النظر إراء والمثل
 دُحرت لآدم قبل خلقته .. فتقدمته بخطوة القبل
 فأناك شيء لا تلامسه .. إلا بحسن غير رزة العقل
 فتروى منها العين في بشر .. حر الصفيحة فاصح سهل
 فاذا علاها الماء ألسها .. حياء شبيهة جلاجل الجمل
 حتى إذا سكنت جوائعها .. خطت بمنزل أكارع الثمل
 خطين من شئ ومجتمع .. غفل من الإعجاب والشكل
 فاصذر أخاك فإنه رجل .. مرنت مسامعه على العذل

ومن طيب شعره، والشطر الأول من القصيدة لفظ ابن الدميني :

أعاذل ما عل وجهي قُوم .. ولا عرَضى لأول من يسوم
 يفضني على الفتيان أتى .. أبيت فلا ألام ولا ألوم
 أعاذل إن يكن برداي رثا .. فلا يعلّمك بينهما كريم
 شققت من الصبا واشتق مني .. كما اشتقت من الكرم الكروم
 فاست أسوم للمات نفسي .. مباومة كما دفع الغريم

ومتصلٍ بأسباب المعالي * له في كل مكرمة قديم
 رفضت له النداء بقم نفثها * وقد أخذت مطالعها النجوم
 بتقدية تزال النفس فيها * وتمتحن الخؤولة والعموم
 فقام وقت من أخوين هاجا * على طرب وليلها يوم
 أجز الزق وهو يحتر رجلا * يحور به الناس ويستقيم
 سلى الندمان ما أولته منها * وسلها ما احتوى منها الكريم
 كلا الشخصين متصف ولكن * قضت وطرا وذا منها سقيم

وقال :

إني صرفت الهوى الى قير * لم تبذله العيون بالنظر
 اذا تأملته تماظلك آل * بإقرار أنه من البشير

ومن قوله :

يا شقيق النفس من حكم * نمت عن ليلى ولم أتم
 فاسقني البر الى آخمرت * بنجمار الشيب في الرحم
 نمت آنصات الشباب لها * بعد ما جازت مدى الحرم
 فهي لليوم التي زلت * وهي زب الدهر في القدم
 عثقت حتى لو اتصلت * باسان ناطقي وفيم
 لأحتب في القوم مانلة * ثم قصت قصة الأمم
 فرعتها بالمزاح يد * خلقت للسيف والعلم
 في تدامى سادة زهر * أخذوا اللذات من أتم
 فتمشت في مفاصلهم * كتمتى البره في السقم
 فعلت في البيت اذ مزجت * مثل فعل الصبح في الظلم
 فاهتدى سارى الظلام بها * كاهتداء السفر بالعلم

ومن طَرْدِيَّاتِ أَبِي نَوَاسٍ فِي صِفَةِ الْكَلْبِ :

أَنْعْتُ كَلْبًا أَهْلُهُ مِنْ كَدَّةٍ * قَدْ سَعِدْتُ جُودَهُمْ بِجَدَّةٍ
فَكُلَّ خَيْرٍ عِنْدَهُمْ مِنْ عَيْنِهِ * وَكُلَّ رِفْدٍ نَالَهُمْ مِنْ رِفْدِهِ
يُظَلُّ مَوْلَاهُ لَهُ كَهَيْبَتِهِ * بَيْتُ أَذْنَى صَاحِبٍ مِنْ مَهْنَةِ
وَإِنْ عَرَى جَلَّاهُ بِبُرْدِهِ * ذَا غُرَّةٍ مَجْجَلًا بِزَيْدِهِ
تَلَذُّ مِنْهُ الْعَيْنُ حَسَنَ قَدِّهِ * يَا حُسْنَ شِدْقِيهِ وَطَوَّلَ قَدِّهِ
تَلْقَى الطَّبَاءُ عِثًّا مِنْ طَرْدِهِ * يَشْرَبُ كَأْسًا شَدَّهَا مِنْ شِدَّةِ
* يَا لَكَ مِنْ كَلْبٍ نَسِيجَ وَحِيدِهِ *

أَبُو نَوَاسٍ وَجَنَانُ

قال أبو الفرج: كانت جَنَانُ هذه جاريةَ آبِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَبْدِ الْمُجِيدِ التَّقِيّ، وكانت حلوةً جميلةً المنظرَ أديبةً، ويقال: إن أبا نَوَاسٍ لم يَصْدُقْ في حبِّ امرأةٍ غيرها، وقيل له يوما إن جَنَانَ قد عزمْتَ على الحجِّ، فكان هذا سببَ محبه وقال: أما والله لا يفوتني المسيرُ معها والحجُّ عاينَ هذا إن أقامت على عزيمتها، وقال وقد حجَّ وطاد:

أَلَمْ تَرَ أَنِّي أَفْنَيْتُ عَمْرِي * بِمَطْلِبِهَا وَمَطْلِبُهَا عَسِيرُ
فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ سَبِيلًا إِلَيْهَا * يَقْرُبُنِي وَأَعِثُّنِي الْأُمُورُ
مَجَّجْتُ وَقُلْتُ قَدْ حَجَّجْتُ جَنَانَ * فَيَجْمَعُنِي وَإِيَّاهَا الْمَسِيرُ

قال مَنْ شَهِدَهُ حِينَ حَجَّ مَعَ جَنَانَ وَقَدْ أَحْرَمَ: لَمَّا جَنَّهُ اللَّيْلُ جَعَلَ يَلْبِي بِشَعْرٍ وَيَحْدُو بِهِ وَيَطْرَبُ، فَغَنَّى بِهِ كُلَّ مَنْ سَمِعَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ:

إِلَهْنَا مَا أَعْدَلَتْكَ * مَالِيكَ كُلِّ مَنْ مَلَكَ
لَيْسَ قَدْ لَيْتُ لَكَ * لَيْسَ إِنْ الْحَمْدَ لَكَ
وَالْمَلِكُ لَا شَرِيكَ لَكَ * وَالْإِلَّاهُ لَمَّا أَنْ حَلَكَ

والساجدات في القلَّك * على مجاري المسلك
 ما خاب عبدُ أمَّك * أنت له حيثُ مَلَك
 لولاك ياربُّ هَلَك * كلُّ نبيٍّ ومَلَك
 وكلُّ مَنْ أَهْلَ لَك * سبَّح أو لبيَّ فَلَكَ
 يا عظيما ما أفضلك * عَجَّل وبادر أَجَلَكَ
 واختم بخيرِ عملِكَ * ليِّك ان الملكَ لَكَ
 والحمدُ والنعمةُ لَكَ * والعزُّ لا شريكَ لَكَ

وفيها يقول :

جَفَنُ عيني قد كاد يس * قطُّ من طوبى ما اختلج
 وفؤادى من حَرَج * بك والمجير قد نَفَّج
 خبري فديتك قد * سى وأهلى متى الفرج
 كان مبعادنا خرو * جَ زيادٍ قد نرج
 أنت من قتلٍ طائِد * يك فى أضيق الحَرَج

قال الأصمغاني : قال محمد بن ابراهيم بن كثير الصوفي : دخلنا على أبي نواس نُؤدِّه
 فى علته التى مات فيها ، فقال له على بن صالح الهاشمي : يا أبا على ، أنت فى أول يوم من أيام
 الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا ، وبينك وبين الله عز وجل هَتَاتٌ ، قُبَّ الى الله عز وجل ،
 فبكى ساعة ثم قال : سائِدُونى سائِدُونى ، ثم قال : أأُخَوِّفُ بالله عز وجل وقد حدثنى حماد
 ابن مسلم عن زيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « لكل نبيٍّ شفاعَةٌ وإنى اختبأتُ شفاعتى لأهل الكبائر من أمتي يومَ القيامة » أقرانى
 لا أكونُ منهم ؟

ومن قوله في مرض موته :

دَبَّ فِي السَّقَامِ عَلَوًا وَسُفْلًا . وَأَرَانِي أَمُوتُ حُضُوزًا فُضُوزًا
لَيْسَ تَمِضِي مِنْ لَحْظَةٍ بِي إِلَّا . تَقْصِنِي بِمَرِّهَا فِي جُزْأٍ
ذَهَبْتُ جِدَّتِي بِحَاجَةٍ قَمِي . وَتَطَلَّبْتُ طَاعَةَ اللَّهِ نَفْسُوا
لَهْفَ قَمِي عَلَى لَيْلٍ وَأَيَا . مِ تَجَاوَزْتُهُنَّ لَيْبًا وَلَهْفًا
قَدْ أَسَانَا كُلَّ الْإِسَاءَةِ نَالًا . هُمْ صَفْعًا عَنَا وَغَفْرًا وَغَفْرًا

ثم قال :

يَشْعُرُنِي أَتَاكَ مِنْ لَفْظٍ مَيِّتٍ . صَابِرِينَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ وَقَفَا
قَدْ بَرَّتْ جِسْمَهُ الْحَوَادِثُ حَتَّى . كَلَدَ عَنْ عَيْنِ الْخِلَالِاقِ يَحْتَمِي
لَوْ تَأَمَّلْتَنِي تُبَيِّرَ وَجْهِي . لَمْ يَكُنْ مِنْ كَلْبٍ وَجْهِي حَرَقَا
وَلَكَّرْتَ طَرَفَ عَيْنِكَ بِيَمَنِ . قَدْ بَرَاهَ السَّقَامُ حَتَّى تَعْفَى

وكان عمر أبي نواس تسعا ونمسين سنة ، وكانت وفاته قبل دخول المأمون مدينة

السلام بست سنين (سنة ١٩٨) .

٢ - العتّابي^(١)

قال أحمد بن منهل: تذاكرنا شعر العتّابي فقال بعضنا: فيه تكلف، ونصره بعضنا،

فقال: شيخ حاضر، ويحكم! أيها إن في شعره تكلفا وهو القائل:

رُسِّلَ الضمير اليك تمرى * بالشوى ظالمة وحسرى

مرجّيات^(٢) ما يدي * نَ صِلِ الوِجَامِ بعد مَسْرَى

ما جَفَّ للعينين مع * لَكَ يَاقِرِيرَ العينِ بحرى

فاسلم سِلِمَتِ مَرَأَى * من صَبَوَى أبدا معرى

(١) هو كلثوم بن عمرو بن أيوب العتّابي التتلي من ولد عات بن أسيد ثم من بني مطب بن وائل، شاعر منسجل بلح مطبوع متصرف في فنون الشعر مقدّم، من شعراء الدولة العباسية، وكان مقطعا إلى الرامكة فوصفوه الرشيد بوصوله به، فلع هذه كل ملح وحسنت فوائده به.

وكان حسن الإعداد في شعره ورسائله وله مصنفات في المطلق والأدب والفقه وكان يميم في رأسه يبيد من دور الخلفاء والأمراء. وبلغ الرشيد قصيدة قالها فأعجب بها فطلب إليه ثيابا، فلبسها فلبسها وحرقة وحسب، وعلى كتفه ملحمة حامية غير سراويل، فطارعه الحر قدومه إلى الرشيد أمر بأن يهرش له بهرة وتقام له وطيفة ففعلوا، فكانت المائدة إذا قدمت إليه أخذها رقاقة وملحها وحلط الملح فآذاب فأكلها، فإذا كان وقت اليوم دم على الأرض، والتخدم يعقدونه ويتصحنون من فعله. وروى الرشيد عنه فاحروه فأمر طرده فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد القطيب وهو في منزله فسلم عليه وانسب له فربح به وقال له «ارمع» فقال «لأذك الخيلوس» قال «أحاحك» قال «دابة ألع عليها إلى رأس عين» فقال «سلام»، أعطه المرسى ففعلها. لا حاجة لي في ذلك ولكن تأمر أن تشتري لي دابة أطلع عليها فقال لعلامه «امض معي فاني له ما ريد» فمضى معه فدخل به العتّابي إلى سوق الخيل فقال للعلام. إنما أمرني أن اتابع لك دابة فقال له «أه أرسلك معي وقد يرسلني إليك فان علمت ما تريد والآن اصرف. فمضى معه فأتى حمارا مائة وحسين درهمًا وقال ادفع له ثمنه ففعل به فرك الحمار عريا فمرشحة عليه وبردة وساناه مكشوفتان، فقال له يحيى بن سعيد «صحبى! أمثل بحمل ملح على هذا!» فصحك وقال «ما رأيت قدرك يستوح أكره من ذلك» ومضى إلى رأس عين.

توفي سنة ٢٢٠ هـ وتجد أحسابه في الأغانى (ح ١٢ ص ٢) وهواب الوفيات (ح ٢ ص ١٣٧).

(٢) أي متبلعات بالقليل حتى يصل إليك.

إِنَّ الصَّبَابَةَ لَمْ تَرَخْ * مَنَى سَوَى عَظِيمٍ مُبَرَّى
وَمِنَامٍ عَبرَى طَى * كَيْدُكَ عَلَيْكَ الدَّهْرَ حَرَى

أو يقال إنه متكلف وهو الذى يقول :

فَلَوْ كَانَ لِلشَّكْرِ مَخْصُوسَيْنِ * إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاضِرُ
لَمَثَلْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ * لَتَعْلَمَ أَنَّي أَمْرٌ شَاكِرُ

وَجَدَ الرَّشِيدُ عَلَى الْعَتَابِيِّ فَدَخَلَ سِرًّا مَعَ الْمُتَطَلِّمِينَ بَغِيرِ إِذْنٍ ، فَثَلَّ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ وَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ آذَنْتِ النَّاسَ لَكَ وَلِنَفْسِي فَيْكَ ، وَرَدَّنِي أَبْتَلَاؤُهُمْ إِلَى شُكْرِكَ ، وَمَا مَعَ تَذَكُّرِكَ قَنَاعَةَ بَغِيرِكَ ، وَلِنِّيمِ الصَّبَاتُ لِنَفْسِي كُنْتُ لَوْ أَعَانَنِي طَيْلُكَ الصَّبْرُ ، وَفِي ذَلِكَ أَقُولُ :

أَخِضَّنِي الْمَقَامَ الْغَمْرَانِ كَأَنَّ غَرَّتْنِي * مَنَا خُلِبَ أَوْ زَلَّتِ الْقَدَمَانِ
أَتَرَكْنِي جَانِبَ الْمَعِيشَةِ مُقْتَرًا * وَكَفَاكَ مِنْ مَاءِ النَّدَى تِكْفَانِ
وَتَجْعَلُنِي سَهْمَ الْمَطَامِعِ بَعْدَ مَا * بَلَّغْتَ يَمِينِي بِالنَّدَى وَلِسَانِي

فَأَعْجَبَ الرَّشِيدَ قَوْلُهُ ، وَخَرَجَ عَلَيْهِ الْخَلْعَ ، وَقَدْ أَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ .

كَلَّمَ الْعَتَابِيُّ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ فِي حَاجَةِ بَكَلِيَّاتٍ قَلِيلَةٍ ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى : لَقَدْ تَزُدُّ كَلَامَكَ الْيَوْمَ وَقَلَّ ، فَقَالَ لَهُ : وَكَيْفَ لَا يَقَلُّ وَقَدْ تَكْتَفِنِي ذَلِكَ الْمَسْأَلَةُ وَحَيْرَةُ الطَّلَبِ وَخَوْفُ الرَّدِّ ؟ فَقَالَ : وَآلَهُ لَئِنْ قَلَّ كَلَامُكَ لَقَدْ كَثُرَتْ فَوَائِدُهُ ، وَقَضَى حَاجَتَهُ .

قَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدِ الْبَرَمَكِيِّ لَوَالِدِهِ : إِنْ قَدَرْتُمْ أَنْ تَكْتُبُوا أَنْفَاسَ كُلِّ نَفْسٍ مِنْ عَمَرِ الْعَتَابِيِّ فَضْلًا عَنْ رِسَالَتِهِ وَشَعْرِهِ ، فَلَنْ تَرَوْا أَبَدًا مِثْلَهُ .

وَقَفَّ الْعَتَابِيُّ بِيَابِ الْمُؤْمِنِ يَتَمَسَّكُ الْوَصُولَ إِلَيْهِ ، فَصَادَفَ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمٍ جَالِسًا يَنْتَظِرُ الْإِذْنَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنْ رَأَيْتُ أَعَزَّكَ اللَّهُ أَنْ تَذْكُرَ أَمْرِي لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دَخَلْتَ فَافْعَلْ ، قَالَ لَهُ : لَسْتُ أَعَزَّكَ اللَّهُ بِحَاجِبِهِ ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَاجِبًا فَقَدْ يَفْعَلُ مِثْلُكَ مَا سَأَلْتُ ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ زَكَاةً ، وَجَعَلَ زَكَاةَ الْمَالِ رِفْدَ الْمُسْتَعِينِ ، وَزَكَاةَ الْجَاهِ إِغَاثَةَ الْمُهْلُوفِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَقْبِلٌ عَلَيْكَ بِالزِّيَادَةِ إِنْ شَكَرْتَ ، أَوِ التَّغْيِيرِ إِنْ كَفَرْتَ .

وإني لك اليوم أصلح منك لنفسك، لأنني أدعوك إلى ازدياد نعمتك وأنت تأتي، فقال له يحيى: أفعَلْ وكرامة، ونرج الإذن ليحيى، فلما دخل لم يبدأ بشيء بعد السلام إلا أن استأذن المأمون للعنابي، فأذن له .

وقيل له : لو تزوجت، فقال : إني وجدت مكابدة العقبة أسير على من الاحتيا ل لمصلحة العيال .

قال دَعِيل : ما حسدتُ أحدا قط على شعركما حسدتُ العنابي على قوله :

هَيْبَةُ الإِخْوَانِ قاطعةٌ * لأننى الحاجات عن طلبه

فإذا ما هَيْبَتَ ذا أَمَلٍ * مات ما أَمَلْتَ من سببه

كان العنابي جالسا ذات يوم ينظر في كتاب، فتر به بعض جيرانه، فقال : أيش ينفع العلم والأدب من لا مال له ؟ فأشدد العنابي قوله :

يَا قَاتِلَ اللَّهِ أَهْوَامًا إِذَا تَقَفُّوا * ذا اللب ينظر في الآداب والِحكم

قالوا وليس بهم إلا نَقَاسُهُ^(١) * أنافعُ ذا من الإقتار والعُدْم

وليس يدرون ما الحظ الذى حُرِمُوا - لحام الله - من عِلْمٍ ومن قَهَمٍ

ومن قوله أيضا :

لئن كانت الدنيا أنالك ثروة * فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عُسِرٍ

لقد كشف الإثراء منك مخازيا * من اللؤم كانت تحت سِتْرٍ من الفقر

وقال أيضا :

رحل الرجاء اليك مغتربا * حُسِدَتْ عليه نواثب الدهر

ردت اليك ندامتى أملى * وثنا اليك عِناته شكوى

وجعلتُ عتبك عتبَ موعظة * ورجاء عفوك منتهى أملى

لما سعى منصور التمرى بالعنابي إلى الرشيد أغتاض عليه فطلبه، فسّره جعفر بن يحيى

عنه مدة وجعل يستعطفه عليه حتى استل ما في نفسه وأمنه، فقال يمدح جعفر بن يحيى :

ما زالت في غمرات الموت مطرّاً * قد ضاق عني فسيح الأرض من حيل
ولم تزل دائباً تسمى بلطفك لي * حتى أختلست حياتي من يدئ أجل
عاد جده الله بن طاهر وإسحاق بن إبراهيم بن مُصعب كلثوم بن عمرو العتّابي في علة
أعتلها، فقال الناس : هذه خَطرة خطرَتْ ، فبلغ ذلك العتّابي ، فكتب الى عبد الله بن
طاهر :

قالوا الزيارة خَطرة خطرَتْ * ويحارُّ برك ليس بالخطر
أبطل مقاتلهم بثانية * تستغد المعروف من شكرى
فلما بلغت أبياته عبد الله بن طاهر ضحك من قوله وركب هو وإسحاق فعاداه مرة
ثانية .

كانت له امرأة من باهلة ، فلما مضى الى رأس عين قالت له : هذا منصور التمرى :
قد أخذ الأموال غلّي نساءه وبنى داره وأشترى ضياعاً وأنت ههنا كما ترى ، فأنشأ يقول :
تلوم على ترك الفنى باهليّة * ذوى الفقر عنها كل طرف وتالد
رأت حولها النسوان يرقلن في الثرى . مقلّدة أعناقها بالقلائد
أسرك أنى نلت ما نال جعفر * من العيش أو ما نال يحيى بن خالد
وأنت أمير المؤمنين أغصني * منصفهما بالمُرَهقات البوارد
رأيت ريعات الأمور مشوبة * بمسودعات في بطون الأساود
دعني تيمّني ميتي مطمئنة * ولم اتجتم هول تلك الموارد

لما قدم العتّابي مدينة السلام على المأمون أدين له ، فدخل عليه وعنده إسحاق بن إبراهيم
الموصلى ، وكان العتّابي شيخاً جليلاً نبيلاً ، فلم فردّ عليه وأدناه وقربه حتى قرب منه ، فقبل
يده ، ثم أمره بالجلوس بفلس ، وأقبل عليه يسأله عن حاله وهو يحياه بالسان دُلقي طلق ،
فاستظرف المأمون ذلك وأقبل عليه بالمداعبة والمزاح ، فظن الشيخ أنه أستخف به ، فقال :
يا أمير المؤمنين ، الإبناس قبل الإبناس ، فاشتبه على المأمون قوله . فنظر الى إسحاق مستغهما ،

فلو ما اليه وغمره على معناه حتى فهم، فقال: يا غلام، ألف دينار، فأُتي بذلك، فوضع بين يدي العتّابي وأخذوا في الحديث، وغمر المأمون إصحاق بن إبراهيم عليه، بفصل العتّابي لا يأخذ في شيء إلا طارضه إصحاق، فبقى العتّابي متعجبا، ثم قال: يا أمير المؤمنين، أأنا ذل في سؤال هذا الشيخ عن اسمه؟ قال: نعم سَل، فقال لإصحاق يا شيخ، من أنت وما اسمك؟ قال: أنا من الناس وأسمى كُلَّ بَصَل، فتبسّم العتّابي وقال: أما أنتَ فعروف وأما الاسم فُنُكْر، فقال إصحاق: ما أَقَلَّ إنصافك! أنتَ كَر أن يكون اسمي كل بصل، واسمك كلثوم، وكلثوم من الأسماء، أو ليس البصل أطيب من الثوم؟ فقال له العتّابي: لله ذلك! فما أَجَبَك، أأنا ذل لي يا أمير المؤمنين في أن أصله بما وصلتني به؟ فقال المأمون: بل ذلك موَفَّر عليك وأمر له بمثله: فقال له إصحاق: أما إذ أقررت بهذه فتوهيتني تجذني، فقال: ما أظنك إلا إصحاق الموصلي الذي يَنَتهَى الينا خبره، قال: أنا حيث ظننت، وأقبل عليه بالتحية والسلام، فقال المأمون — وقد طال الحديث بينهما —: أما إذ قد آتفتما على المودة فانهصرا متتاديين، فانهصرف العتّابي الى منزل إصحاق فأقام عنده.

قال عثمان الورّاق: رأيت العتّابي يأكل خبزا على الطريق بباب الشام، فقلت له: وَيَحَك! أما تستحي؟ فقال لي: أرايتَ لو كنا في دار بها بَقَر كنت تستحي وتحشم أن تأكل وهي تراك؟ فقال: لا، قال: فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر، فقام فَوَعظ وقصّ ودعا حتى كثر الزحام عليه ثم قال لهم: روى لنا غير واحد أنه من بلغ لسانه أرنبة أنه لم يدخل النار، فما بقي أحد إلا أخرج لسانه يومئذ به نحو أرنبة أنه ويقدره حتى يبلغها أم لا. فلما تفزقوا قال لي العتّابي: ألم أخبرك أنهم بقر؟

قال الفضل: رأيت العتّابي بين يدي المأمون وقد أسنّ، فلما أراد القيام قام المأمون فأخذ بيده واعتمد الشيخ على المأمون، فإزال المأمون يَنْهضه رويدا رويدا حتى أقلّه فنَهَض.

وكتب كلثوم بن عمرو العتّابي إلى صديقه له يستجديه :

أما بعد — أطل الله بقاءك وجعله يمتدّ بك إلى رضوانه والجنة — فإنك كنت
عندنا روضة من رياض الكرم، تبهج النفوس بها، وتستريحُ القلوب إليها، وكنا نغنيها
من النجعة^(١) أستمأما لزهرتها، وشفقةً على خضرتها، وأذخارا لثورتها، حتى أصابتنا سنة^(٢)
كانت عندى قطعة من ميني يوسف أشتدّ علينا كلبها، وغابت يقطعها، وكذبنا غيومها،
وأخفقتنا بروقها، وفقدنا صالح الإخوان فيها، فانتجعناك^(٣). وأنا بانتجاعي إليك شديد الشفقة
عليك، مع علمي بأنك موضع الرائد^(٤)، وأنت تغطى عين الحاسد. والله يعلم أنى ما أهدك
إلا فى حومة الأهل^(٥). وأعلم أن الكريم إذا استجيا من إعطاء القليل ولم يمكنه الكثير،
لم يُعرف جوده ولم تظهر همته. وأنا أقول فى ذلك :

إذا تكرمت عن بذل القليل ولم * تقدّر على سعة لم يظهر الجود

بث النوال ولا تمنعك قلته * فكل ما سدّ فقرا فهو محمود

قل فشا طره جميع ماله .

(١) النجعة : طلب الكلا فى موضعه . (٢) الكلب : القحط وبلاء الشتاء ومرض يصيب

الكلاب . (٣) الرائد : الطالب . (٤) الحومة ها : الجماعة والطائفة .

(١١)

٣ - دعب

شاعر متقدم مطبوع هجاء خيث اللسان، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ولا ذواتهاة أحسن اليه أم لم يُحسن، ولا أظنت منه كبيراً أو صغيراً .

وكان دعبل من الشيعة المشهورين بالميل الى على صلوات الله عليه . وقصيدته : «مدارس آيات خلت من تلاوة» من أحسن الشعر وقاصر المدايح المَقُولَة في أهل البيت عليهم السلام، وقصد بها أبا على بن موسى الرضا بخراسان، فأعطاه عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه وخلع عليه خلعة من ثيابه، فأعطاه بها أهل قم ثلاثين ألف درهم، فلم يبيعها فقطعوا عليه الطريق فأخذوها؛ فقال لهم : إنما أراد الله عز وجل وهي عزمة عليكم، فدفنوا اليه ثلاثين ألف درهم، فحلف ألا يبيعها أو يعطوه بعضها ليكون في كفنه، فأعطوه فردكم، فكان من أكفانه .

قال إبراهيم بن المهدي للأمون قولا في دعبل يحترسه عليه؛ فضحك الامون وقال : إنما تحترضني عليه لقوله فيك :

يا معشر الأجناد لا تَقْنَطُوا * وَأَرْضُوا بما كان ولا تَسْخَطُوا
فسوف تُعْطُونَ حَنِينِيَّةً * يَلْتَذُّهَا الْأَمْرُدُ وَالْأَشْمَطُ
وَالْمَعْبِدِيَّاتُ تُقَوِّدُكُمْ * لا تدخل الكيس ولا تُرْبِطُ
وهكذا يرزق قوادّه . خليفة مُصَحِّفه البربط

- (١) هو دعبل بن علي بن رزين من خراة، أصله من الكوفة وجاء بغداد بطلب من الرشيد . وهو شاعر مطبوع هجاء خيث اللسان، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا وزرائهم ولا أولادهم ولا ذواتهاة أحسن اليه أم لم يُحسن، ولا أظنت منه كبيراً أو صغيراً، فكان الناس يخافونه ويتقونهم حتى الامون فإنه هجاه هجاء شديداً واحتمل ذلك منه . توفي سنة ٢٤٦ هـ . وتجد أخباره في الاغانى ج ١٨ ص ٢٩ وابن خلكان ج ١ ص ١٧٨ والنمر والشعراء ص ٥٣٩ والفهرست (ص ١٦١) .
- (٢) يريد أصواتا منسوبة الى حنين الحيرى المعنى .
- (٣) يريد أصواتا منسوبة الى مد المعنى .

قد حَمَّ الصَّكِّ بِأَرْزَاقِكُمْ * وَصَحَّ الْعِزِّمْ فَلَا تَسْخَطُوا
بَيْعَةُ إِبْرَاهِيمَ مَشْغُومَةٌ * يُقْتَلُ فِيهَا الْخَلْقُ أَوْ يَقْتَحَطُوا

فقال له إبراهيم : فقد والله هجأك أنت يا أمير المؤمنين ؛ فقال : دع هذا عنك فقد عفوت عنه في هجائه إياي لقوله هذا ، وضحك . ثم دخل أبو عباد ، فلما رآه المأمون من بُعد قال لإبراهيم : دعبل يحسر على أبي عباد في الهجاء ويحجم عن أحد ! فقال له : وكان أبا عباد أبسط يدا منك يا أمير المؤمنين ؛ قال : لا ! ولكنّه حديد جاهل لا يؤمن ، وأنا أحلم وأصفح ، والله ما رأيت أبا عباد مقيلا إلا أضحكني قول دعبل فيه :

أولى الأمور بضيعة وفساد * أمرٌ يدرُّه أبو عباد
تحرق على جلسائه فكانهم * حضروا الملحمة ويوم جلال
يسطو على كتابه بدواته * قضمت بدم ونضج ميداد
وكانه من دير هرقل مُفْلِتٌ * حرد يمز سلاسل الأقياد
فاشدُّ أمير المؤمنين وثاقه * فأضح منه بقية الحداد

وكان «بقية» هذا مجنونا في البيارستان .

قال أبو خالد الخزازي لدعبل : ويحك ! قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد ووترت الناس جميعا ، فأنت دهرأك كله شريد طريد هارب خائف ، فلو كفت عن هذا وصرفت هذا الشر عن نفسك ! فقال : ويحك ! انى تأملت ما تقول فوجدت أكثر الناس لا يتنفع بهم إلا على الرعبة ، ولا يبالى الشاعر وإن كان يُجيدا اذا لم يُخف شره ، ولئن يتقيد على عرضة أكثر ممن يرغب اليك في تشريفه ، وعبوب الناس أكثر من محاسنهم ، وليس كل من شرفته شرف ، ولا كل من وصفته بالحدود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه أنتفع بقولك ، فاذا رأك أوجست عرض غيره وفضحته آثاك وخاف من مثل ما جرى على الآخر ، ويحك يا أبا خالد ! إن الهجاء المقذع أخذ بضيق الشاعر من المديح المضرع ، فضحك أبو خالد وقال : هذا والله مقال من لا يموت حتف أفه .

كان سبب خروج دعبل من الكوفة أنه كان يتشطر ويصحب الشطار، فخرج هو ورجل من أثميج فيما بين العشاء والعتمة، فجلسا على طريق رجل من الصيارفة، وكان يروح كل ليلة بكيسه الى منزله، فلما طلع مقيلا اليهما وثبا اليه بفرجاه وأخذ ما في كُتبه، فاذا هي ثلاث ومئات في خرقه، ولم يكن كيسه ليشتد معه، ومات الرجل مكانه، وأسترد دعبل وصاحبه وجده أولياء الرجل في طلبهما وجده الساطان في ذلك، فطال على دعبل الاستنار فاضطر الى أن هرب من الكوفة، فما دخلها حتى لم يبق من أولياء الرجل أحد.

قال أحمد بن خالد : كأيوما بدار صالح بن علي من عبد القيس ببغداد ومعنا جماعة من أصحابنا، فسقط على سطح البيت ديك طار من دار دعبل، فلما رأيناه قلنا : هذا صيدنا، فأخذناه، فقال صالح : ما نصنع به ؟ قلنا : نذبحه، فذبحناه وشويناه. وخرج دعبل فسأل عن الديك فعرّف أنه سقط في دار صالح، فطلبه منا فوجدناه وشربنا يومنا، فلما كان من الغد خرج دعبل فصلى الغداة ثم جلس على باب المسجد—وكان ذلك المسجد مجمع الناس يجتمع فيه جماعة من العلماء ويتأهبهم الناس—فجلس دعبل على باب المسجد وقال :

أَسْرَ الْمُؤَذِّنُ صَالِحٌ وَضِيؤُهُ * أَسْرَ الْكَيِّ هَافًا خِلَالَ الْمَاقِطِ

بَعَثُوا عَلَيْهِ يَنِيحُ وَبَنَاتُهُمْ * مِنْ بَيْنِ نَافِثَةٍ وَآخِرِ سَامِطِ

يَتَنَازَعُونَ كَانَهُمْ قَدْ أَوْتَقُوا * خَاقَانُ أَوْ هَزَمُوا قِبَائِلَ نَاعِطِ^(١)

نَهَشُوهُ فَأَتْرَعَتْ لَهُ أَسْنَانُهُمْ * وَتَهَشَّمَتْ أَفْقَاؤُهُمْ بِالْحَافِطِ

فكتبها الناس عنه ومَضَوْا ؛ فقال لي أبي، وقد رجع الى البيت : ويحك ! ضاقت عليك المأكَل فلم تجدوا شيئا تأكلونه سوى ديك دعبل ! ثم أئشدنا الشعر، وقال : لا تدع ديكا ولا دجاجة تقدر عليه إلا اشتريته وبعت به الى دعبل وإلا وقعنا في لسانه، ففعلت ذلك. قال أحمد بن أبي كامل : كان دعبل ينشد كثيرا هجاء له، فأقول له فيمن هذا ؟ فيقول ما أستحقه أحد بعينه بعد، وليس له صاحب، فاذا وجد على رجل جعل ذلك الشرف فيه وذكر اسمه في الشعر.

(١) قيمة من همدان، وأمه جل زلواه ضلوا اليه.

كان دجبل يختطف الى الفضل بن العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث، وهو خرج به وفهقه وأدبه، فظهر له منه جفاء وبلغه أنه يعيبه ويذكره وينال منه، فقال يهجوهُ :
يا بُؤْسَ للفضل لو لم يأت ما عَابَهُ * يستفرغ السَّمُّ من سَمَاءِ قِرْصَابَةٍ
ما إن يزال وفيه العيبُ يجمعه * جهلا لأعراض أهل المجد عَابَهُ
إن طابى لم يعب إلا مؤدبه * ونفسه طاب لما طاب أَدَابُهُ
فكان كالكلب ضَرَاهُ مَكْلَبُهُ * لغيره فعدا فاصطاد كَلَابُهُ
كان دجبل يقول : ما كانت لأحد قط عندى مِنَّةٌ إلا تَمَيَّنْتُ موته .

كتب دجبل الى أبي نَهْشَل بن حُمَيد الطُّوسى قوله :
إنما العيشُ في مُنادمة الإخِوا * ن لا في الجلوس عند الكُتَابِ
ويصرف كأنها أَلْسُنُ البر * في إذا استمرضت رقيقَ السحابِ
إن تكونوا تركتم لَذَّةَ العِد * ش حذارَ العقاب يومَ العقابِ
فدهوني وما أَلَدَّ وأهوى * وأدفعوا بي في صدر يوم الحسابِ

قال محمد بن زكريا الفرغانى : سمعت دجبل يقول في كلام جرى «لَيْسَكَ» فانكرته عليه ؛ فقال : دخل زيد انخليل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : «يا زيد ما وُصِفَ لى رجل إلا رأيتُه دون وصفه لَيْسَكَ» يريد غيرك .

قال عمرو بن مَسْعُود : حضرتُ أبا دُلْف عند المأمون وقد قال له المأمون : أى شىء تروى لأخى خُرَاعة يا قاسم ؟ فقال : وأى أخى خُرَاعة يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومن تعرف فيهم شاعرا ؟ فقال : أنا من أَقْصِيهِمْ فابو الشَّيْص ودجبل وابن أبي الشَّيْص ودادود بن أبى رَزِين ، وأما من مواليتهم فظاهر وأبنة عبد الله ، فقال : ومن عسى من هؤلاء أن يسأل عن شعره سوى دجبل ! هات أى شىء عندك فيه ؟ فقال : وأى شىء أقول فى رجل لم يسلم عليه أهل بيته حتى هُجِّم ، فقَرَنَ إحسانهم بالإساءة وبذلهم بالمنع وجودهم بالبخل ، حتى جعل كل حسنة منهم بإزاء سيئة منه ؟ قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول فى المطَّابِ بن عبد الله

أبن مالك، وهو أصدق الناس له وأقربهم منه، وقد وفد إليه الى مصر فأعطاه الجزيل وولاه، ولم يمنعه ذلك أن قال فيه :

إِضْرِبْ نَدَى طَلْعَةِ الطُّلُوعَاتِ مِتِيْدَا * بِلُؤْمِ مَطْلَبٍ فِينَا وَكُنْ حَكِيْمَا
تُخْسِجُ نُخْرَامَةً مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ * فَلَا تَحْسَ لَهَا لُؤْمًا وَلَا كَرَمًا

فقال المأمون : قاتله الله ! ما أغوصه وألطفه وأدهاه، وجعل يضحك. ثم دخل عبد الله ابن طاهر فقال : أى شئ تحفظ يا عبد الله لدعبل ؟ فقال : أحفظ أبياتا له فى أهل بيت أمير المؤمنين، قال : هاتها ويحك ! فأنشده :

مَقِيًّا وَرَعِيًّا لِأَيَّامِ الصَّبَابَاتِ * أَيَّامِ أَرْقُلٍ فِي أَثْوَابِ لَذَائِ
أَيَّامِ غَضَنِ رَطِيْبٍ مِنْ لَيَّائِهِ * أَصْبُوَالِي غَيْرِ جَارَاتٍ وَكُنَّاتِ
دَعِ عَنْكَ ذِكْرَ زَمَانٍ فَاتِ مَطْلَبُهُ * وَأَقْنِفْ بِرَحْلِكَ عَنْ مَتْنِ الْجَهَّالَاتِ
وَأَقْصِدْ بِكُلِّ مَدِيحٍ أَنْتَ قَاتِلُهُ * نَحْوِ الْهُدَاةِ بَنَى بَيْتَ الْكَرَامَاتِ

فقال المأمون : إنه قد وجد والله مقالا فقال، ونال ببعيد ذكرهم ما لا يناله فى وصف غيرهم.
ومن قول دعبل وفيه غناء :

أَيُّ الشَّبَابِ وَأَيَّةُ سَلَكَا * لَا أَيْنَ يُطْلَبُ صَلٍّ مِنْ هَلَكَا
لَا تَسْجِي يَا سَلَمَ مِنْ رَجُلٍ * ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
يَا لَيْتَ شِعْرَى كَيْفَ يَوْمُكَ * يَا صَاحِبِي إِذَا دَمِي سَفِكََا
لَا تَأْخُذْنَا بِظُلَامَتِي أَحَدًا * قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي أَشْتَرَا

قال إبراهيم بن المدبر : لقيت دعبل بن علي فقلت له : أنت أجسر الناس عندى وأقدمهم حيث تقول :

إِنِّي مِنَ الْقُصُومِ الَّذِينَ سَيُوفُهُمْ * قَتَلْتَ أَخَاكَ وَشَرَفَكَ بِمَقْعَدِ
رَفَعُوا عَمَلُكَ بَعْدَ طَوْلِ نَحْوِهِ * وَأَسْتَقْدُوكَ مِنَ الْخَضِيضِ الْأَوْهَدِ

وأولها :

أخذ المشيبُ من الشباب الأعيد * والثابتُ من الأنام بمَرُصد
فقال : يا أبا إسحاق ، أنا أحل خَشَبِي منذ أربعين سنة ، فلا أجد من يصلبني عليها .

كان دجل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلها ويرجع وقد أفاد وأثرى ، وكانت
الشراة والصعاليك يلقونه فلا يؤذونه ويؤاكلونه وينساربونه ويرون به ، وكان إذا لقيهم وضع
طعامه وشرابه ودعاهم إليه ودعا بسلامته : نمنف وشعف ، وكاتا مفتين ، فأقعدهما يقنيان
وسقام وشرب معهم وأنشدهم ، فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة أسفاره ، وكانوا يواصلونه
ويصلونه . وأنشد دجل لنفسه في بعد أسفاره :

حَلَّتْ مَحَلًّا يَقْصُرُ الْبَرْقُ دُونَهُ . ويعجز عنه الطيفُ أن يَتَجَسَّمَا

قال البحرى : دجل بن طى أشعر عندي من مسلم بن الوليد ، لأن كلام دجل
أدخل في كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبه أشبه بمذاهبهم ، وكان يتعصب له .

كان المعتصم يُغض دجلا لطول لسانه . وبلغ دجلا أنه يريد اغتياله وقتله ، فهرب
إلى الجبل ، وقال يهجوه :

بكى لِسَنَاتِ الدِّينِ مَكْتَلِبُ صَبٍّ * وفاض بفرط الدمع من عينه غَرَبُ

وقام إمام لم يكن ذا هِدَايَةٍ * فليس له دين وليس له لُب

وما كانت الأنبياء تأتي بمثله * يُمَلِّكُ يوما أو تدين له العُرب

ولكن كما قال الذين تابَعُوا * من السلف الماضين إذ عَظُمَ الخطب

ملوك بني العباس في الكُتُبِ سبعة * ولم تأتِ عن مامن لهم كُتُب

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة * خيارٌ إذا عُدُّوا ونامَ منهم كَلْب

وإني لأعجل كلبهم عنك رفعة * لأنك ذو ذنب وليس له ذنب

لقد ضاع ملك الناس إذ ساس مُلكَهم * وصيِّفَ وأشْتَنَسَ وقد عَظُمَ الكرب

وفَضَّلَ بن مروان يَسْلَمُ نُسمة * نَظَلَ لها الإسلام ليس له شَعْب

لما مات المعتصم قال محمد بن عبد الملك الزيات يرثيه :

قد قلتُ إذ غَيَّبوه وأنصرفوا * في خير قبرٍ لخيرِ مدفون

لن يجبر الله أمةً فقدتُ * مثلك إلا بمثل هارون

فقال دعبل يمارضه :

قد قلتُ إذ غَيَّبوه وأنصرفوا * في شرِّ قبرٍ لشرِ مدفون

إذهب إلى النار والعذاب فما * خلَّقتُ إلا من الشياطين

مازلت حتى عقدت بيعةً من * أضرت بالمسلمين والدين

وقال في ذلك وفي قيام الواثق :

الحمد لله لا صبر ولا جلد . ولا عزاء إذا أهل البلاد قدوا

خليفة مات لم يحزن له أحد * وأترقام لم يفرح به أحد

ولقد أحسن في وصف سفر سافره، فقال ذلك السفر عليه، فقال فيه :

ألم يأن للسفر الذين تمحلوا ، إلى وطني قبل الممات رجوع

فقلت ولم أملك سوا بقى عبدة * تطلقن بما ضمت عليه ضلوع

تئين فكم دار تهترق شملها * وتنبلي شيت عاد وهو جميع

كذلك الليالي صرُفهن كما ترى لكل أناس جَذْبُهُ ودريس

ثم قال : ما سافرت قط إلا كانت هذه الأبيات نصب عيني في سفرى وهجيرى ومسلقى

حتى أعود .

ومن قول دعبل وفيه غناء :

سرى طيف لي حين آن هبوبُ . وقضيت شوقا حين كاد يذوب

فلم أر مطروقا يحل برحلة ، ولا طارقا يقري المني ويثيب

ومن قوله :

لقد عجبت سألني وذاك عجبُ . رأت بي تنبأ عجلته خطوبُ

وما شيتني ككبرته غير أننى بدهر به رأس الفطيم يتيب

وقال في صالح بن عطية الأحمم وكان من أقيح الناس وجهاً، وخطاب فيها المعتصم :

قل للإمام إمام آل محمد * قول امرئ حبيب طيك عمام

أنكرت أن تخر عنك صليعة * في صالح بن عطية التجام

ليس الصنائع عنده بصنائع * لكنهن طوائف الإسلام

إضرب به جيش المدوفانه * جيش من الطاعون والبرسام

قال أبو تمام : ما زال دجل مائلا إلى مسلم بن الوليد مقروا بأستاذيته، حتى ورد عليه

يُحريان بغفاه مسلم، وكان فيه بخل، فهجره دجل وكتب إليه :

أبا محمد كنا عبيد مودة * هوانا وقلباناً جميعاً معاً معاً

أحوطك بالغيب الذي أنت حاطي * وأجزع إشفافاً من أن توجعاً

فصيرتني بعد استكائك منيها * لتفنى عليها أرهب الخلق أجمعاً

غششت الهوى حتى تداعت أصوله * بنا وأبتذلت الوصل حتى تقطعاً

وأزلت من بين الجوانح والحشى * ذخيرة ود طالما قد تمتعاً

فلا تلحني ليس لي فيك مطمع * مخزفت حتى لم أجد لك مرفعاً

فهبك يميني استأكلت قطعتيها * وجشمت قلبي صبره قشجعاً

ثم تهاجرا فما ألتقيا بعد ذلك .

أجرى الرشيد على دجل رزقا سنياً، فكان أول من حرّضه على قول الشعر . فوالله ما بلغه

أن الرشيد مات حتى كافاه على فعله من العطاء السنّي والغنى بعد الفقر والرفعة بعد الخمول

بأقيح مكافاة، وقال فيه يهجوه من قصيدة مدح بها أهل البيت عليهم السلام :

وليس سقى من الأحياء نعلمه * من ذى يمان ومن بكر ومن مغير

إلا وهم شركاء في دماهم * كما تشارك أيساراً على جزر

قتل وأسر وتحريق ومنهبة * فعل الغزاة بأرض الروم والخزر

أرى أمة معذورين إن قتلوا * ولا أرى لبني العباس من عذر

أَرَبَّ يَطْلُوسَ عَلَى الْقَبْرِ الزَّكِيِّ إِذَا * مَا كُنْتَ تَرَبِّعُ مِنْ دِينَ عَلَى وَطَرِ
قَبْرَانِ فِي طَلُوسٍ خَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ * وَقَبْرُ شَرِّهِمْ هَذَا مِنَ الْعِبَرِ
مَا يَنْفَعُ الزَّجْسَ مِنْ قَرَبِ الزَّكِيِّ وَلَا * عَلَى الزَّكِيِّ بِقَرَبِ الزَّجْسِ مِنْ ضَرَرِ
هَيْهَاتَ، كُلُّ أَمْرٍ زَوْهَنٌ بِمَا كَسَبَتْ * لَهُ يَأْهَ نُفُذُ مَا شَكَلَتْ أَوْ فَذَرِ

استدعى بعض بني هاشم دعبلا وهو يتولى للمعتم ناحية من نواحي الشام، فقصده
اليها فلم يقع منه بحسن ظن وجفاء، فكتب اليه دعبل :

ذَلِّتَنِي بِغُرُورٍ وَعَدِكَ فِي * مُتَلَاظِمٍ مِنْ حَوْمَةِ النَّرَقِ
حَتَّى إِذَا شِمْتَ الْعَدُوَّ وَقَدْ * شِيرَ آتِنَاظِمُكَ شُهُرَةُ الْبَلَقِ
أَنْشَأْتَ تَخْلَفُ أَنْ وَدَكَ لِي * صَائِفٍ وَحَبْلِكَ خَيْرَ مَتَحَنِقِ
وَحَسْبَتِي قَفْعًا بِقَرْقَرَةٍ * فَوَطَقْتَنِي وَطْأًا عَلَى حَقِّ
وَنَصَبْتَنِي مَلَأًا عَلَى غَرَضٍ * تَرْمِيْنِي الْأَعْدَاءُ بِالْحَلَقِ
وَنَظَنْتَ أَرْضَ اللَّهِ ضَيْقَةً * عَنِّي وَأَرْضَ اللَّهِ لَمْ تَنْصُقِ
مِنْ خَيْرٍ مَا جُرِّمَ سِوَى نِقِيَّةٍ * مَنِّي بِوَعْدِكَ حِينَ قُلْتَ تَنِي
وَمَوْدَةٍ تَحْنُو عَلَيْكَ بِهَا * نَفْسِي بِلَا مَنٍّ وَلَا مَلَقِ
فَلَمَّا سَأَلْتُكَ حَاجَةً أَبَدًا * فَاشْدُدْ بِهَا قَفْلًا عَلَى غَلَقِ
وَقَفَّ الْإِخَاءُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ * هَارٍ فَيَعْبَهُ بَيْعَةُ الْخَلَقِ
وَأَعِدْ لِي قَفْلًا وَجَامِعَةً * فَاشْدُدْ يَدَيَّ بِهَا إِلَى عُنُقِ
أَحْفِيكَ مِمَّا لَا تَحِبُّ بِهَا * وَأَسْدُدْ عَلَى مَذَاهِبِ الْأُنُقِ
مَا أَطْوَلَ الدُّنْيَا وَأَعْرَضَهَا * وَأَدَاتَنِي بِمَسَالِكِ الطُّرُقِ

دخل دعبل على عبد الله بن طاهر فأنسده وهو ينفد :

جَثْتُ بِلَا حُرْمَةٍ وَلَا سَبَبٍ * إِلَيْكَ إِلَّا بِحُرْمَةِ الْأَنْبِ
فَاقْبِضْ ذِي أَمِي فَإِنِّي رَجُلٌ * غَيْرُ مُلَاحٍ عَلَيْكَ فِي الطَّلَبِ

فانتقل عبدالله ودخل الحرم ووجهه اليه بضرة فيها ألف درهم ، وكتب اليه :

أعجلتنا فأتاك عاجلُ رُنا * ولو أنتظرت كثيره لم يقلل

نخذ القليل وكن كأنك لم تقل * ونكون نحن كأننا لم فعل

مات دعبل بقرية من قرى السوس ، بعث اليه مالك بن طوق من ضرب ظهره

بمكازلها زُج مسموم فمات من غد .

٤ - حسين بن الضحَّاك^(١)

« شاعرٌ ظريفٌ شديدُ الظُّرفِ ، ربما أقطع نظيره في شعراء العصر العبَّاسي كلَّهُ ، وهو مع ظُروفه وإسرافه في الهجون ، قليلُ الفحش في اللفظ . غير مُتَّهَكٍ على القول الأليم والألفاظ المتَّكة ، لا يتَّجبرها ولا يقصد إليها ، وإنما يَعرض لها إذا اضطُرَّ إليها اضطُرازا وهو على ظُروفه ورقةٌ حاشيته وحرصه على قَهَاء اللفظ وطُهره شاعرٌ بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ، مجوِّدٌ إذا فكَّرَ ، مظفرٌ إذا بحث ، موثَّقٌ إلى اللفظ المتين ، والأسلوب الرِّصين في غير جفوة ولا غِلظة ، لا يعرف التكلف في لفظ ولا معنى ، وإنما ينطلق لسانه مع بصيَّته ، وبصيَّته مهلهلٌ مرسلَةٌ غنيَّةٌ غزيرةُ المادة ، لا تكاد تنقُصُ ، ولا ينالها إعْياء أو كلال ، وحياته كلها عبرٌ وعظاتٌ ولكنها عبرٌ وعظاتٌ مبتسمةٌ ليست بالمظلمة ولا العابسة ولا بالتي تردُّك وتغرِّك ، ويجعل للحزن والأسى إلى قلبك سيلا ، ولعلك لا تجد من شعراء هذا العصر رجلا مثله ، تقرأ أخباره فتنظِّل مبتسما منذ ابتدئ إلى أن تنتهي دون أن تمس أو تنقلب . وربما تجاوزت الابتسام إلى الإغراق في الضحك من حين إلى حين ، ولكك لن تترك الابتسام إلى الحزن الشديد . وربما أضرَّضتك في طريقك بحبابة محزنة ولكن هذه السحابة رقيقة هادئة هينة ، فهي أضعف من أن تريل ابتسامتك . وكان هذا الشاعر من المعمرين ، بلغ المائة أو كاد ، وطاصر طبقات من الشعراء ، وألوانا من حاشية الخلفاء ، ولكنه ظلَّ محفوظا بشخصيته الواحدة المبتسمة ، فقير الناس وأختلفت الظروف ، وظلَّ هو واحدا

(١) هو مولد بأهله ، ولد في البصرة وقتاً فيها وباءم الخلفاء من بني العباس ، وكان حليفاً فاسداً وكان مع ذلك حسن الصرف والظن ولشعره قبول ورواق ، فهو من المضحين وله مكان جديدة في التفران أبو نواس يأخذها عنه ، ومع أن أبا نواس مات سنة ١٦٨ هـ ، والضحَّاك مات سنة ٢٥٠ هـ قد تناصر لأن مولدهما متقارب لأن ابن الضحَّاك عمر كثيراً . وهو أزل من نادم الأمين وله فيه مدائح كثيرة ، وعمرهما طويلاً حتى قارب مائة السنة ومات في خلافة المصنوع أو المتصرع . ويجد أخباره في الأمان (ج ٦ ص ١٧٠) وابن حلكان (ج ١ ص ١٥٤) .

(٢) من بحوث مدني الدكتور محمد حسين أستاذ الآداب العربية بالجامعة المصرية .

لم يتغير. كان خليعاً، بل كان يُعرف بالخليع، وكان كثير المحون مُسْرِفاً فيه، وما أحسب أن أبانواس سبقه إلى لذة أو برز عليه في مأثم، ولـمـكنه على خلـاعته وإسرافه في المحون وتهالكه على اللذات، احتفظ طول حياته بشيء من كرم الخلق وطهارة العنصر وجودة الأصل، كأنما كانت هذه الآثام والتزليق على نفسه وأخلاقه انزلاقاً دون أن تترك فيها أثراً باقياً، وإنما كانت الآثار التي تركها لياليه الساهرة، وأيامه المملوءة بالعَبَث، هذه الأشعار الجميلة الحلوة التي سأظهرك على طرف منها .

فلم يكن هذا الرجل كغيره من الشعراء الذين إنما كانوا يصلون إلى الخلفاء بعد الجهد والكَد، وبعد التلطف وحسن الحيلة؛ وإنما كان متصلاً بالخلفاء اتصالاً شديداً، يعاشرهم ويرافقهم ويتدخل في حياتهم الخاصة، وربما تدخل إلى أكثر مما ينبغي . وكان الخلفاء يحشون عنه، ويحصرّون على عشرته ويبدلون في ذلك غير قليل من الإلحاح والعطاء، وكان شعره كله أو أكثره مرآة لحياة القصر في أيام طائفة غير قليلة من الخلفاء .

فترى من هذا الوصف أنه شاعر أديب ظريف مطبوع، حسن التصرف في الشعر حلو المذهب، لشعره قبول ورونق صاف، وكان أبو نواس يأخذ معانيه في التمرُّقُيُفِير عليها، وإذا شاع له شعر نادى في هذا المعنى نسبته الناس إلى أبي نواس، وله معان في صفتها أربع فيها، وهابى مسلم بن الوليد فانتصف منه، وله غزل كثير جيد، وهو من المطبوعين الذين تخلو أشعارهم ومذاهبهم جملة من التكلف .

قال : أنشدت أبانواس قصيدتي التي قتلها في الخمر وهي :

بُدَّتْ مِنْ نَفَّحَاتِ الْوَرْدِ بِالْأَءِ^(١) * وَمِنْ صَبُوحِ دُرِّ الْإِبِلِ وَالنَّاءِ

فلما انتهيت منها إلى قولي

حتى إذا أسندت في البيت وأحضررت . عند الصبوح بَسَامِينِ أَكْفَاءِ

فُقِضَتْ خَوَاتِمُهَا فِي نَعْتٍ وَاصْفَهَا * عَنْ مِثْلِ رَقْرَاقَةٍ فِي جَفْنِ مَرَاهَا^(٢)

(١) الآء : ثمر شجر واحدة آءة . (٢) المرهأ : التي لا تكمل .

فصَبَقَ صِغَةَ أَفْرَعْنَى وَقَالَ : أَحَسَلْتَ وَاقَهُ يَا أَشْقَرَ، فَقُلْتَ : وَيْلَكَ يَا حَسَنَ ، إِنَّكَ أَفْرَعْنَى وَاقَهُ، قَالَ : بَلَى وَاقَهُ أَنْتَ أَفْرَعْنَى وَرُغْنَى ، هَذَا مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي كَانَ فِكْرِي لَا يَدُ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَيْهَا أَوْ أُغْوَسَ عَلَيْهَا وَأَقُولُهَا، فَسَبَقْتَنِي إِلَيْهِ وَاخْتَلَسْتَهُ مِنِّي، وَسَتَعْلَمُ لِمَنْ يُرَوَى إِلَى أَمِّ لَكَ ؟ فَكَانَ وَاقَهُ كَمَا قَالَ، سَمِعْتُ مَنْ لَا يَعْلَمُ بِرُويِهَا لَهُ :

لَمَّا قَدِمَ الْمَأْمُونُ مِنْ نَحْرَاسَانَ أَمَرَ بِأَنْ يُسَمَّى لَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ لِيَجَالِسُوهُ وَيَسَامِرُوهُ، فَذَكَرَ لَهُ جَمَاعَةٌ فِيهِمُ الْحُسَيْنُ بْنُ الضُّحَّاكِ، وَكَانَ مِنْ جُلَاءِ نَعْمِ الْمَخْلُوعِ ، فَلَمَّا رَأَى أَسْمَهُ قَالَ : أَلَيْسَ هُوَ الَّذِي يَقُولُ فِي عَمْدِ :

هَلَا بَقِيَتْ لَسَدٌ فَأَقْتَنَا * أَبَدًا وَكَانَ لِفَيْرِكَ التَّلَفُّ

فَلَقَدْ خَلَقْتَ خَلَائِفًا سَلَفُوا * وَلَسَوْفَ يُعَوِّزُ بِعَدِكَ الْخَلَفُ

لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ، وَاقَهُ وَلَا يَرَانِي أَبَدًا إِلَّا فِي الطَّرِيقِ، وَلَمْ يَعَاقِبِ الْحُسَيْنُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ هِجَائِهِ لَهُ وَتَعْرِضِهِ بِهِ، وَأَتَمَحَدَّرُ حُسَيْنٌ إِلَى الْبَصْرَةِ فَأَقَامَ بِهَا طَوِيلَ أَيَّامِ الْمَأْمُونِ .

قَالَ أَبُو صَالِحِ بْنِ الرَّشِيدِ : دَخَلْتُ إِذَا عَلَى الْمَأْمُونِ وَمَعِيَ يَتَانِ الْحُسَيْنُ بْنُ الضُّحَّاكِ، فَقُلْتَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ مِنِّي يَتَيْنِ، قَالَ : أَتَشِدُّهُمَا، فَأَنْشِدُهُمَا :

حَمْدَنَا اللَّهُ شُكْرًا إِذْ حَبَانَا * بِنَصْرِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

فَأَنْتَ خَلِيفَةُ الرَّحْمَنِ حَقًّا * جَمَعْتَ سِمَاحَةً وَجَمَعْتَ دِينَنَا

فَقَالَ : لِمَنِ هَذَانِ الْيَتَانِ ؟ فَقُلْتَ : لِعَبْدِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حُسَيْنُ بْنُ الضُّحَّاكِ، قَالَ : قَدْ أَحْسَنَ، فَقُلْتَ : وَلَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَجُودُ مِنْ هَذَا، فَقَالَ : وَمَا هُوَ ؟ فَأَنْشَدْتُهُ قَوْلَهُ :

أَجْرُنِي فَإِنِّي قَدْ ظَلِمْتُ إِلَى الْوَعْدِ * مَتَى تُجِزُ الْوَعْدَ الْمُؤَكَّدَ بِالْمَهْدِ

أَصِيدُكَ مِنْ خُلْفِ الْمُلُوكِ وَقَدْ بَدَأَ * تَقَطَّعَ أَقْنَأُسُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَجْدِ

أَيْضَلُ قَرْدُ الْحَسَنِ صَنِ بَنَائِلِ * قَلِيلٌ وَقَدْ أَفْرَدْتُهُ بِهَوَى قَرْدِ

رَأَى اللَّهُ عَبْدَهُ خَيْرَ عِبَادِهِ * فَلَمَّا كَرِهَ وَاقَهُ أَعْلَمَ بِالْعَبْدِ

أَلَا إِنَّمَا الْمَأْمُونُ لِلنَّاسِ عَصْمَةٌ * مُمَيَّزَةٌ بَيْنَ الضَّلَالَةِ وَالرُّشْدِ

فَأَطْرَقَ سَاعَةٌ ثُمَّ قَالَ : مَا تَطْلُبُ نَفْسِي لَهُ بِخَيْرٍ بَعْدَ مَا قَالَ فِي أُنْحَى مُحَمَّدٍ مَا قَالَ .

ومن قوله يرى محمدا الأمين :

أِطْلُ حَرَّتَا وَأَبْكَ الإِمَامَ مُحَمَّدًا * بِحُزْنٍ وَإِنْ خِفْتَ الْحَسَامَ الْمَهْنَدَا
فَلَا تَمُتِ الْأَشْيَاءَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ * وَلَا زَالِ تَمَثَّلَ الْمَلِكُ مِنْهَا مُبْنَدَا
وَلَا فِرْحَ الْمَأْمُونُ بِالْمَلِكِ بَعْدَهُ * وَلَا زَالِ فِي الدُّنْيَا طَرِيدَا مُشْرَدَا

ولحسن في محمدا الأمين مَرَايَ كثيرةٌ جيادٌ، وكان كثير التحقيق به والموالاة له لكثرة إفضاله عليه، وميله إليه، وتحمده إياه، وبلغ من جزعه عليه أنه خُوِّلَ فكان يُنكر قتله لما بلغه ويدفعه ويقول: إنه مستر وأنه قد وقف على دُماته في الأمصار يدعون إلى مراجعة أمره والوفاء ببيعة ضنَّا به وشفقة عليه .

ومن جيد مرثيه إياه قوله :

سَالُونَا أَنْ كَيْفَ نَحْنُ ؟ فَقُلْنَا . مَنْ هُوَ نَحْمُهُ فَكَيْفَ يَكُونُ ؟
نَحْنُ قَوْمٌ أَصَابَنَا حَدَثُ الدَّهْرِ * نَرَفْظُنَا لِرَبِّهِ نَسْتَكِينُ
نَتَمَنَّى مِنَ الْأَمِينِ إِيَابَا * لَهْفَ قَمِي وَأَيْنَ مَنَى الْأَمِينِ
ومن جيد قوله في مرثيه إياه .

أَعَزَّنِي يَا عَمَّادُ عَنْكَ قَمِي * مَعَاذَ اللَّهِ وَالْأَيْدِي الْحَسَامِ
فَهَلَا مَاتَ قَوْمٌ لَمْ يَمُوتُوا * وَدُفِعَ عَنْكَ لِي يَوْمَ الْحِمَامِ
كَأَنَّ الْمَوْتَ صَادَفَ مِنْكَ غَمًّا * أَوْ اسْتَشْفَى بِقَرَبِكَ مِنْ سَقَامِ

وقال أيضا يرثيه :

يَا خَيْرَ أَسْرَثَةٍ وَإِنْ زَعَمُوا * إِنِّي عَلَيْكَ لَمُنْتَبِتٌ أَسِفُ
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ لِي كَبْدَا * حَرَى عَلَيْكَ وَمَقَلَةٌ تَكْفُ
وَلَنْ تَنْجِيَتْ بِمَا رُزِئْتُ بِهِ * إِنِّي لَا تُحْمَرُ فَوْقَ مَا أَمِصُ
هَلَا بَقِيَتْ لَسَدٌ فَاقْتَنَا * أَبَدَا وَكَانَ لِعَصْرِكَ التَّلَفُ
فَلَقَدْ خَلَفْتَ خَلَائِفَا سَلَفُوا * وَلَسَوْفَ يُعْزِزُ بَعْدَكَ الْخَلَفُ

لا بَاتَ رَهْطُكَ بَعْدَ هَفْوَتِهِمْ * إِلَى لَهْطِكَ بَعْدَهَا شَنْفٌ ^(١)
 هَتَكُوا بِحَرَمَتِكَ الَّتِي هَتَكَتْ * حُرْمَ الرُّسُولِ وَدُونَهَا السُّجُفَ
 وَتَبَّتْ أَقَارِبُكَ الَّتِي خَذَلَتْ * وَجَمَعُهَا بِالذَّلِّ مَعْرِفَ
 لَمْ يَفْعَلُوا بِالشُّطِّ إِذْ حَضَرُوا * مَا فَعَلَ النَّيْرَانَةُ الْأَنْفُ
 تَرَكُوا حَرِيمَ أَبِيهِمْ قَلِيلًا * وَالْمُحَصَّنَاتُ صَوَارِخُ هَتَفٍ
 أَبَدَتْ مُخَلِّفَهَا عَلَى تَحَشٍّ * أَبْكَارُهُنَّ وَرَتَّ النَّصْفِ
 سَلَيْتَ مَعَاجِرُهُنَّ وَأَجْنَيْتَ ^(٢) * ذَاتُ النَّقَابِ وَنُوزَعِ الشَّنْفِ
 فَكَانَهُنَّ خِلَالَ مُنْتَهَبٍ * دُرٌّ تَكْشِفُ دُونَهُ الصَّدْفَ
 مَلِكٌ تَخْوَفُ مُلْكِهِ قَدْرٌ * قَوْهَى وَصَرَفُ الدَّهْرِ مُخْتَلِفُ
 هَيَاتَ بَعْدَكَ أَنْ يَلُومَ لَنَا * عِزٌّ وَأَنْ يَبْقَى لَنَا شَرَفُ
 لَا هَيَّيْوَا مُخَفَّافًا مَشْرِفَةً * لِلْفَادِرِينَ تَحْتَهَا الْجَدْفُ
 أَقْبَعْدَ عَهْدِ اللَّهِ تَهْتُلُهُ * وَالْقَتْلُ بَعْدَ أَمَانَةٍ سَرْفُ
 فَسْتَعْرِفُونَ فَمَا بَعَاقِبُهُ * عِزُّ الْإِلَهِ فَأَوْرِدُوا وَقْفُوهَا
 يَأْمَنُ يُحْمَوْنَ نَوْمَهُ أَرْقُ * هَدَيْتِ الشَّجُونَ وَقَلْبُهُ لَهْفُ
 قَدْ كُنْتُ لِي أَمْلًا غَنِيْتُ بِهِ * فَنَضَى وَحَلَّ عَمَلُهُ الْأَسْفُ
 صَرِيحُ النِّظَامِ وَطَادَ مُتَكْرِنًا * عُرْفًا وَأَنْكِرَ بَعْدَكَ الْعُرْفُ
 فَالْشَّمْلُ مُنْتَشِرٌ لِفَقْدِكَ وَالْ * لِدُنْيَا سُدَى وَبِالْبَالِ مَنَكْصِفُ

وقال أيضا يرثيه :

إِذَا ذُكِرَ الْأَمِينُ نَحَى الْأَمِينَا * وَإِنْ رَقَدَ الْخَلِيَّ حَمَى الْجُفُونَا
 وَمَا بَرَحْتُ مَنَازِلُ بَيْنَ بُهْرَى * وَكَكَلَوَادَى تُهَيِّجُ لِي شَجُونَا
 عِرَاصُ الْمَلِكِ خَلَوِيَّةٌ تَهَادَى * بِهَا الْأَرْوَاحُ تَنْسُجُهَا فَنُونَا

(١) مبيض شكر . (٢) جمع معمر الكبر وهو ثوب تنتع به المرأة أى نشأه على رأسها .

تَحْزُونُ عِزَّ مَا كُنْهَا زَمَانُ * تَلْعَبُ بِالْقُرُونِ الْأَوَّلِينَ
 فَشَتَّتَ شَمْلَهُمْ بَعْدَ اجْتِمَاعِ * وَكُنْتُ بِحَسَنِ الْفَتَمِ ضَمِينَا
 فَلَمْ أَرِ بَعْدَهُمْ حُسْنًا سِوَاهُمْ * وَلَمْ تَرَهُمْ عِيُونُ النَّاطِرِينَ
 فَوَاسِقًا وَإِنْ شَتَّتَ الْأَطَادِي * وَآهٍ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 أَضَلَّ الْعُرْفَ بِعَدِكَ مُتَّبِعُوهُ * وَرَفَعَهُ عَنِ مَطَايَا الرَّاغِبِينَ
 وَكُنْ إِلَى جَنَابِكَ كُلَّ يَوْمٍ * يَرْحَنَ عَلَى السَّعُودِ وَيَقْتَدِينَا
 هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي هَوَتْ الْمَعَالِي * لِمَلَكْتِهِ وَرَبِّعِ الصَّالِحِينَ
 مَسْتَنْدَبُ بَعْدِكَ الدُّنْيَا جَوَارَا * وَتَسْدُبُ بَعْدَكَ الدِّينَ الْمُصَوَّنَا
 فَقَدْ ذَهَبَتْ بِشَاشَةُ كُلِّ نَبِيٍّ * وَعَادَ الدِّينَ مَطْرُوحًا مَهِينَا
 تَعْقِدُ عِزُّهُ مُتَّصِلٌ بِكَسْرِي * وَمِلَّتُهُ وَفَلَّ الْمَسَامُونَا

وقال أيضا يرثيه :

أَسَفًا عَلَيْكَ مَلَكَ أَقْرَبُ قُرْبَةٍ * مَنَى وَأَحْزَانِي عَلَيْكَ تَرِيدُ

قال أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي : حسين بن الضحhak أشعر المحدثين حيث يقول :

أَيُّ دِيْبَاجَةٍ حُسْنِي * هَيَّجَتْ لَوْعَةً حَزْنِي
 إِذْ رَمَانِي الْقَمَرُ الزَّا * هَرَمَ عَنْ فَتْرَةِ جَفْنِي
 بِأَبِي شَمْسٍ نَهَار * بَرَزْتُ فِي يَوْمِ دَجْنِي
 قَرَّبْتَنِي بِالْمَنَى حَذْ * سَى إِذَا مَا أَخْلَفْتَنِي
 تَرَكْتَنِي بَيْنَ مَبْعَا * دَ وَخُلِيفٍ وَتَجَرُّ
 مَا أَرَى فِيَّ مِنَ الْعَبْثِ * حَوَّةٌ إِلَّا حَسَنَ ظَنِّي
 إِنَّمَا دَامَتْ عَلَى الْغَدِ * رَلَّمَا تَعْرِفَ مِثْلِي
 أَسْتَعِذُّ اللَّهَ مِنْ إِعْرَا - ضٍ مِنْ أَعْرَضَ، عَنِّي

لما ولى المعتصم أمر بمكاتبة بالقلم عليه ، فلما دخل وسلم أستاذته في الإنشاد ،
فأذن له ، فأنشده قوله :

هَلَّا سَأَلْتَ تِلْكَ الْمَشْتَاقَ * وَمَنْتَ قَبْلَ فِرَاقِهِ بَسَلَقَ
إِنْ الرِّقِيبَ لَيْسَ تَرِيبُ نَفْسًا * صُعْدًا إِلَيْكَ وَظَاهِرَ الْإِفْلَاقِ
وَلَيْنَ أَرَبْتُ لَقَدْ تَظَرُّتُ بِمَقَالَةٍ * عَبَّرَى عَلَيْكَ تَحْنِينَةَ الْآمَاقِ
نَفْسِي الْقِدَاءُ لِنَايِفِ مَرْتَقِبٍ * جَعَلَ الْوَدَاعَ إِشَارَةً بَيْنَاقِ
إِذَا لَا جَوَابَ لِمُقْعَمٍ مُصْحِرٍ * إِلَّا الدَّمُوعُ تُصَانُ بِالْإِطْرَاقِ

حتى انتهى الى قوله :

خَيْرُ الْوُفُودِ مَبْشَرٌ بِخِلَافَةٍ * خَصَّتْ يَهْجَتَهَا أَبَا إِسْحَاقِ
وَأَقَاتِهِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ سَلِيمَةً * مِنْ كُلِّ مُشْكَلَةٍ وَكُلِّ شِقَاقِ
أَعْلَتُهُ صِفْقَتَهَا الضَّيَّارُ طَاعَةً * قَبْلَ الْأَكْثَفِ بِأَوَكِّهِ الْمِثَاقِ
سَكَنَ الْإِنَانُ إِلَى إِمَامٍ سَلَامِيَةٍ * عَفَّ الضَّمِيرُ مَهْدَبَ الْأَخْلَاقِ
فَحَمَى رَعِيَّتَهُ وَدَافَعُ دُونَهَا * وَأَجَارَ مُمَاقَهَا مِنَ الْإِفْلَاقِ

حتى أتمها ، فقال له المعتصم : أدن مني ، فدنا منه ، فلما قد جوهرًا من جوهر كان بين
يديه ، ثم أمره بأن يخرج من فمه ، فأخرجه وأمر بأن ينظم ويدفع اليه ويخرج الى الناس
وهو في يده ، ليعلموا موقعه من رأيه ، ويعرفوا فضله ، فكان أحسن ما مَدَحَ به يومئذ .

ومن شعره قوله :

أَمِينَ اللَّهِ تَقَى بِاللَّهِ * نَعَطَ الصَّبْرَ وَالنُّصْرَةَ
كِلِيلَ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ * كَلَّاكَ اللَّهُ ذُو الْقُدْرَةِ
لَنَا التَّصَرُّعُونَ لِلَّهِ * وَالصَّكْرَةُ لَا الْقَمَرَةَ
وَالْأَرْزَاقُ أَعْدَا * تَكُ يَوْمُ السُّوءِ وَالذُّبَرَةِ
وَكَأْسُ تَلْفِظِ الْمَوْتِ * كَرِيهَ طَعْمُهَا مُرَّهُ

مَقُونَا وَسَقِينَاهُمْ * وَلَكِنْ بِهِمِ الْحِرَّةُ

كَذَاكَ الْحَرْبُ أَحْيَانًا * طِينًا وَلَنَا مَرَّةٌ

ومن قوله في غضب حفيظة للوائق من زيارته أخرى في نوبتها :

خَفِضْتُ أَنْ زَرْتُ أُخْرَى حِلْسَةً * فَلَهَا التُّسَى لَدَيْنَا وَالرِّضَا

يَا قَدْتِكَ الْفَسْ كَانَتْ هَفْوَةً * فَاغْفِرِيهَا وَأَصْفَحِي عَمَّا مَضَى

وَأَتْرَكِي الْعَدْلَ عَلَى مَنْ قَالَه * وَأَنْسِي جَوْرِي إِلَى حَكَمِ الْقَضَا

فلقد نهيتني من رقدتي * وصل قلبي كغيران الغضا

كان الواثق يتحفظ جارية له فماتت ، فخرج عليها وترك الشراب أياما ، ثم سلاها وطاد

إلى حاله ، فدعا الحسين ليلة وقال له : رأيت فلاة في النوم فليت نومي كان طال قليلا
لا تمتنع ببقائها ، قل في هذا شيئا ، فقال :

لَيْتَ عَيْنَ الدَّهْرِ عَنَّا عَقَلَتْ * وَرَقِيبَ اللَّيْلِ عَنَّا رَقَدَا

وأقام النوم في مَدَمِهِ * كالذي كَانَ وَكُنَّا أَبَدَا

بَابِي زَوْرٌ تَلَقَّيْتُ لَهُ * فَتَنَفَسْتُ إِلَيْهِ الصُّعْدَا

يَلِينَا أَعْجَكَ مَسْرُورًا بِهِ * إِذْ تَقَطَّعْتُ عَلَيْهِ كَرْدَا

لما أعيته الحيلة في رضا المأمون عنه رمى بأمره إلى عمرو بن مسعدة وكتب إليه :

أَنْتَ طَوْدِي مِنْ بَيْنِ هَذِي الْمِضَابِ * وَشِهَابِي مِنْ دُونِ كُلِّ شِهَابِ

أَنْتَ يَا عَمْرُو قُوَّتِي وَحِيَاتِي * وَلِسَانِي وَأَنْتَ ظُلْفُورِي وَنَابِي

أَتُرَانِي أَنْسَى أَيْدِيكَ إِلَيَّ * حِصْنَ إِذَا أَسْوَدَ نَاقِلُ الْأَمْحَابِ

أَبْنِ أَخْلَاقَكَ الرِّضْيَةَ حَالَتْ * فِي أَمِّ ابْنِ رِقَّةِ الْكَتَابِ؟

أَنَا فِي ذِمَّةِ السَّحَابِ وَأَطْمَأْ * إِنَّ هَذَا لَوَصْفَةٌ فِي السَّحَابِ

فَمِنْ إِلَى سَيِّدِ الْبَرِيَّةِ عَنِّي * قَوْمَةً تَسْتَجِجُ حُسْنَ الْخُطَابِ

فَعَسَلُ الْإِلَهِ يُطْعِنِي عَنِّي * بِكَ نَارًا عَلَى ذَاتِ الْكُتَابِ

فلم يزل عمرو يُطَلِّبُ لِمَا أَوْصَلَهُ إِلَى وَأَدْرَأَ أَرْزَاقَهُ .

ولما عفا المأمون عنه أمر بإحضاره، فلما حضر سلم، فرد عليه السلام ردًا جافيا، ثم أقبل عليه فقال : أخبرني عنك، هل عرفت يوم قُتل أنى عهد هاشمية قُتل أو هُتكت ؟ قال : لا، قال : فما معنى قولك :

وَسِرْبُ ظِلَاءٍ مِنْ ذُرِّيَّةِ هَاشِمٍ * هَتَّيْنِ بِدَعْوَى خَيْرِ حَى وَمَيَّتِ
أَرَدُ يَدَا مَنَى إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ * عَلَى كَبْدِ حَرَمَى وَقَلْبِ مُفَتَّتِ
فَلَا بَاتَ لَيْلُ الشَّامَتَيْنِ بِبَيْطَةٍ * وَلَا بَلَّغْتَ آمَالَهُمْ مَا تَمَنَّتِ

قال : يا أمير المؤمنين ، لوعة غلبتني ، وروعة فاجأتني ، ونعمة فقدتها بعد أن غمرتني ، وإحسان شكرته فأناطفتني ، وسيد قددته فأقلقني ، فإن عاقبت فبحقك ، وإن عطفت فبفضلك ، فدممت حين المأمون وقال : قد عفوتُ عنك ، وأسرْتُ بإدرا رِزْقك ، وإعطائك ما فات منه ، وجعلت حقوقك امتناعي من استخدامك .

ومن قوله :

وَكَا لَوْدَةِ الْحَمَاءِ حَيَا بِأَحْمَرٍ * مِنْ الْوَرْدِ يَمْشِي فِي قَرَاطِقِ كَالْوَرْدِ
لَهُ حَبَاتٌ عِنْدَ كُلِّ تَحِيَّةٍ * بَيْنِيهِ تَسْتَدْعِي الْحَلِيمَ إِلَى الْوَجْدِ
تَمَنَيْتُ أَنْ أَسْقَى بِكَفِّهِ شَرِبَةً * تَذَكِّرُنِي مَا قَدْ نَسِيتُ مِنَ الْمَهْدِ
سَقَى اللَّهُ دَعْرًا لَمْ أَثَرِ فِيهِ لَيْلَةً * خَلِيًّا وَلَكِنْ مِنْ جَبِيٍّ عَلَى وَعْدِ

ومن قوله :

وَإِيَّابِي مُنَحَمٌ لِعَزَّتِهِ * قُلْتُ لَهُ إِذَا خَلَوْتُ مَكْنَنِي
تُحِبُّ بِاللَّهِ مِنْ يَخْصُكُ بِالِ * وَدَّعَا قَالَ لَا وَلَا تَمَا
ثُمَّ تَوَلَّى بِمُقَلَّتِي خَجِلٌ : أَرَادَ رَجْعَ الْجَوَابِ فَاحْتَشَا
فَكُنْتُ كَالْبُتْنَى بِجِلَّتِهِ . بَرَاءً مِنَ السُّقْمِ فَابْتَدَأَ سَمَاءً

وقال في هوى له :

عَالِمٌ بِجَيْهِهِ * مَطَرِيقٌ مِنَ الْيَتِي
يُوسُفُ الْجَمَالِ وَفِرَ * عَوْنٌ فِي قَعْدَتِهِ

لا وحق ما اتايف * له من حطيف أرجيه
 ما الحياة نافعة * لي على تأييه
 النعم يشغله * والجمال يطفيه
 فهو غير مكترث * للذي ألاقه
 تأيئه تؤهده * في رغبتي فيه

ومن قوله في هوى له :

إن من لا أرى وليس يراني * نضب عيني ثمثل بالأمان
 بأبي من ضميره وضميري * أبدا بالمغيب يشجيان
 نحن شخصان إن نظرت ورو * حان إذا ما اخترت يسترجان
 فإنا ما هممت بالأمر أو هم * بنى بدائه وبدانى
 كان وقفا ما كان منه وني * فكأنى حكيتُه وحكاني
 خطرات الجفون متا سواء * وسواء تحرك الأبدان

ومن قوله :

فذبت من قال لي على خصره * وغض من جفته على حوره
 سمع بأشعارك المليح فا * يتفك شاد بها على وتره
 حسبك بعض الذي أذعت ولا * حسب لصب لم يقض من وطره
 وقلت يا مستعير سالفه ال * يخشيف وحش الثبور من نظره
 لا تترك الحبيب من طرب * عاود فيك العبا على كبره

ومن قوله :

سائل بطيمك عن ليلى وعن سهرى * ومن سناح أهاسى وعن فدى
 لم يتحل قلبى من ذكراك إذ نظرت * عيني اليك على صفوى ولا مسرى
 سقيا يسوم سرورى إذ شازعنى * صفو المدامة بين الأس والخمر

وفضل كاسك ياتيني فاشربه * جهرا وتشرب كأمي غير مُستد
وكيف أشبهه ثني والزمه * نحوى وترفعه كفتي الى بصرى
فليت مُلته يومى إذ مضى سلفا * كانت وملة أبيي على قدر
حتى اذا ما أنطوت عتاً بشاشته * صرنا جميعا كذا جارَيْن في الحفر
ومن قوله لهوى كان له :

تَمَزَّيْنا من هوائى فإني * اذا أنصرفت فمضى فهميات عن ردى
إذا خُنتُ بالغيث ودى فإلكم * تَدُلُّونَ إِدلال المقيم على العهد
ولى منك بد فاجتنبى مَدْمُما * وإن خلت أنى ليس لى منك من بد
لما ولى الواقعى الخلافة أنشدته حسين :

أُكَلِّمُ وجدى فما يَنْكَمُ * بمن لو شكوتُ إليه رَحِمُ
وإنى على حسن ظنى به * لأَحْذَرُ إن بُحْتُ أن يَحْتَمُ
ولى عند لحظته رَوْعة * تحقّق ما ظنّه المتهَمُ
وقد علم الناس أنّى له * عَجبَ وأحسبه قد علم
وإنى لَمُنْغِصٌ على لوعة * من الشوق فى كبدى تَضْطَرُّمُ
عَشِيّةٌ ودعت عن مقلة * سَفْوَجٍ وزفرة قلبٍ سَلِمُ
فما كان عند النوى سُبْعِد * سوى العين تمزج دَمْعاً بِدَمِ
سيدكر من بان أوطانه * ويكي المقيمين من لم يُقِمِ

كتب الى الحسن بن رجا فى يوم شك، وقد أصر الواقعى بالإفطار، فقال :
هَزَزْتُكَ للصَّبوح وقد نهان * أمير المؤمنين عن الصَّيام
وعندى من قِيانِ المِصرَ عَشْرُ * يَطِيبُ بهنَ عَاطِقَةِ المِدامِ
ومن أمثالهم اذا آتَشْتِنا * ترانا نَجْتِى تَمَرِ الفِرامِ
فكن أنتَ الجواب فليس تنى * أحبّ لى من حَنَفِ الكلامِ

فوردت رقعة، وقد سبقه إليه محمد بن الحارث بن بُسْخَر وَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِغَلَامٍ تَغْلِيْفُ الْوَجْهِ
وَمَعَهُ ثَلَاثَةُ غِلَامَةٍ أَقْرَانِ حَسَانِ الْوَجْهِ، وَهُمْ رُقْعَةٌ كَتَبَهَا كَمَا تَكْتُبُ الْمُنَاشِيرُ، وَخَتَمَهَا
فِي أَسْفَلِهَا وَكْتُبَ فِيهَا يَقُولُ :

سِرُّ عَلَى أَسْمِ اللَّهِ يَا أَشَدَّ * كَلَّ مِنْ غَضَبِي بَلْحَيْنِ
فِي ثَلَاثٍ مِنْ بَنِي الرَّوِّ * مَ إِلَى دَارِ حُسَيْنِ
أَخْطِصُ الْكَهْلَ إِلَى مَوْ * لَكَ يَا قُوَّةَ عَيْنِي
أَرَاهُ الْعُتْفَ أَنَا أَسْتَدُّ * عَى وَطَالِبِهِ بَدِينِ
وَدَعِ الْفَلْظَ وَخَاطِبِي * هُ بَغْمِزِ الْحَاجِيَيْنِ
وَأَحْذَرِ الرَّجْعَةَ مِنْ وَجْهِ * عَكَ فِي خُتْيِ حُسَيْنِ

لمضى معهم .

ومن قوله لمن أعرض عنه :

تَلَيْسَ طَلِبًا أَنْ رُزِقْتَ مَلَاةً * فَهَلَّا عَلَيْنَا بَعْضُ نَيْبِكَ يَا بَرُّ
لَقَدْ طَالَ مَا تَكُنَّا مِلَاحًا وَرَبْمَا * صَدَدْنَا وَتَهْنَا ثُمَّ ضَيَّرْنَا النُّهْرُ

وله في هوى تُحِبُّ عَنْهُ :

عَلَّنَ مِنْ لَا كَانَ ظَنُّ * أ بِحَبِيْبِي خَمَاءَ
أَرْصَدَ الْبَابَ رَقِيْدَ * مِنْ لَهُ فَاصْتَفَاهُ
فَإِذَا مَا أَشْتَقُّ قَرِيْبَ * وَلَقَائِي مَنَعَاهُ
جَعَلَ اللَّهُ رَقِيْدَ * مِنْ السُّوءِ فِدَاهُ
وَالَّذِي أَفْرَحَ فِي الشَّ * دَنْ قَلْبِي وَلَوَاهُ
كُلَّ مُشْتَقٍّ إِلَيْهِ * مِنْ السُّوءِ فِدَاهُ
يَتِمُّ مِنْ حَالَتِ الْأَحْ * رَاسٍ مِنْ دُونِ مَنْهَاهُ

أمره المتوكل بأن ينادمه ويلازمه ، فلم يطلق ذلك لكبرسته ، فقال للتوكل بعض من حضر عنده : هو يطبق النهاب الى الثرى والمواخير والسكر فيها ويسجى عن خدمتك ، فبلغه ذلك ، فدفع الى أحمد بن حمدون أبيتا قالما وسأله لإصالحها ، فأوصلها الى المتوكل ، وهى :

أما فى ثمانين وثمانيًا * عذير وإن أنا لم أعتذر
فكيف وقد جرثها صاعدا * مع الصاعدين يتسع أثر
وقد رفع الله أعلامه * عن ابن ثمانين دون البشر
سوى من أصّر على فتنة * والحد فى دينه أو كفر
وإني لمن أسراء الإله * في الأرض نصّب صُروف القدر
فإن يقض لي عملا صالحا * أطلب وإن يقض شرا غفر
فلا تلح في كبير هتني * فلا ذنب لي أن بلغت الكبر
هو الشيب حل بعقب الشباب * فمن ذا يلوم إذا ما عذر
وإني تقى كنف مضيق * وعز بنصر أبي المتعصر
يُبارى الرياح بفضل المما * ج حتى تبدل أو تحير
له أكد الوحي مراثمه * ومن ذا يخالف وحى السور
وما للمسود وأشباهه * ومن كذب الحق إلا المجر

فلما أوصلها شيعها بكلام يعذره وقال : لو أطاق خلة أمير المؤمنين لكان أسعد بها ؛ فقال المتوكل : صدقت ، وأمر له بعشرين ألف درهم .

(١١)
• — محمد بن عبد الملك الزيات

كان محمد شاعرا مجيدا لا يقاس به أحد من الكُتّاب ، وإن كان إبراهيم بن العباس مثله في ذلك ، فإن إبراهيم مُقِلٌّ وصاحب قصار ومقطعات . وكان محمد شاعرا يُطيل فيجيد ، ويأتي بالفصار فيجيد ؛ وكان بليغا حسن اللفظ اذا تكلم واذا كتب .

ولما تولى محمد الوزارة أُنْشِطَ ألا بلبس العباء ، وأن يلبس الدَّرَاعَة ويتقلد عليها سيفا بجامل ، فأجيب الى ذلك .

وكان يقول : الرحمة خور في الطبيعة ، وضُحِفَ في المنة ، ما رِجَتْ شيئا قط ؛ فكانوا يطعنون عليه في دينه بهذا القول ، فلما وُضِعَ في التَّحْلِ والحديد قال : ارحموني ، فقالوا له : وهل رحمت شيئا قط قُتِرِمَ ؟ هذه نهادتك على نفسك وحُكِّك عليها .

لما مات أمّ أبنه عمرو ثاها بقصيدة منها :

يقول لي الخِلان لو زُرْت قَبْرَها • فقلت وهل غير الفؤاد لها قَبْرُ
على حين لم أحدث فأجهل قَبْرَها ولم أُلغ السَّن التي معها الصبر

ومن شعره قوله :

ما أعجب السيء نرحره فُحْرَمَه • قد كُتُّ أحسب أني قد ملات يدي
مالي اذا غِثُّ لم أذكُر مصالحة وإن مَرِصْتُ فطال السَّقم لم أعد

(١) هو أرحم محمد بن عبد الملك بن أمان بن حمزة واستمر ابن الزيات لأن حده (أمان) كان يحمل الرتبة من مواضعه أو مداد ، وكان قديما عن أمان الحروف ، وادوان ، ومحفوظ رسائل جيدة ، وكان في أول مره رحلة الحجاب ، وادوان لا يحتمل ولا . ابن . رب هو الميركل قص عليه وامر مادحاله في تورم حديد كان ابن الزيات اهدى اهدى المصالحين وأراد ان الفواوين المطالين . ال وقيد محبة . سر وطلا من حديد ، ثم امر لمصاحبه مد أن كُتِّمِه أرحم يوما ، فوحده دينا وذلك سنة ٢٣٣ هـ . ويعد ترجمه ، الأعلی (ج ٢٠ ص ٤٦) وابن حلكان (ج ٢ ص ١٨) .

ومن شعره قوله :

ألم تحب لمكتئب حزين * خدين صباية وحليف صبر
يقول اذا سأل به بحر * وكيف يكون مهجور بحير

وكان محمد رَدَوْن أشهر لم رَمَثْلُهُ قَرَاهَهُ وَحُشَا، مَعَى بِهِ مُحَمَّد بن حَالِد الى المَعْتَصِم
ووصف له فراحته، بعث اليه المَعْتَصِم فأخذه معه، فقال محمد بن عبد الملك يرثيه :
كيف العزاء وقد مضى لسبيله * عا فودعا الأحسم الأشهب
دَبَّ الوُشَاةُ فأمدوك وربما * عُدَّ القى وهو الأحب الأقرب
فَهْ يَوْمَ مات عَى طاعما * وَسُئِلْتُ قَرَمَكِ أَى طاقِ أَسَلَب
نَحْسُ مَعْرِقَةٌ أَقام مَرَقُها * وَمَعَى لَطِيفَتِهِ فَرِيقُ نُحَبَّ
فَالان اذ كُنت أدانك كلها * ودعا العيون اليك لونٌ مُجِيب
وأختر من سِرِّ الحداثد حرها * لك خالصا ومن الحلل الأعراب
وعدوت طمان الحمام كما * فى كل عُصو منك صَنِيعٌ يصير
وكان سَرَحَكِ إِد علاك عمامه * وكأما تحت العمامه كوك
ورأى طَلَى بك الصديق حلاله * وعدا المدق وصدره يتلهب
أساك لا رال اذا ميه * مَعَى ولا رالت يمينى نك
أصمرتُ منك الياس حين رأنتى * وقوى حالى من قواك تُقَصِّب
وَرَحَّمتُ حين رَحَّمتُك بحسره * فله ما فعل الأحسم الأسهب

ولما وب إبراهيم بن المهدي دلى الخلافة أقصر من ماسر التبحر مالا، فأخذ من
عبد الملك أى محمد عشرة آلاف درهم وقال له : ^{١١} ايتها اذا طاعنى مال، وم يتم أمره،
فأستحيى ثم طهر ورضى عنه المأمون، فطامه اليه من أموالهم، فقال : بما أحسنها للسلمين
وأردت قضاءها من قيتهم، والامر الآن الى عيرى، فعمل محمد بن عبد الملك قصيدة
حاطب فيها المأمون ومضى الى إبراهيم بن المهدي فأقرأه إياها وقال : والله لئن لم تعطى

المال الذي اقترضته من أبي لأوصلن هذه القصيدة الى المأمون، تخاف أن يقرأها المأمون
فيتدبر ما قاله ، فيوقع به ، فقال له : خذ مني بعض المال ونجم على بعضه ، ففعل ؛
والقصيدة قوله :

ألم تر أن الشيء للشيء حيلة * تكون له كالنار تُشَدَّح بالزئد
كانك جربت الأمور وإنما * يُلْثَم ما قد كان قَبْلُ على البعد
وظنني بإبراهيم أن مكانه * سيبت يوما مثل أيامه النكد
رأيت حسينا حين صار محمدا * بغير أمان في يديه ولا عقد
فلو كان أمضى السيف فيه بضربة * فصيره بالقاع مُتَعَفِّر الخد
إذا لم تكن الجُند فيه بقيَّة * فقد كان ما بُلِّغْتُ من خبر الجنيد
ثم قتلوه بعد أن قتلوا له * ثلاثين ألفا من كهول ومن مُريد
وما نصروه عن يد سلفت له * ولا قتلوه يوم ذلك عن حقد
ولكنه الغدر الصراخ وخفة الـ * حلوم وبعْد الرأى عن سُنن القصد
فذلك يوم كان للناس عبرة * سبق بقاء الوشى في الحجر الصلبد
وما يوم إبراهيم إن طال عمره * بأبعد في المكروه من يومه عندي
تذكر أمير المؤمنين مقامه * وأمانه في الهزل منه وفي الحد
أما والذي أمست عبدا خليفة * له شر إيمان الخليفة والعبد
إذا همز أحواد المتابر بأسيته * تقف بليلى أو يمينه أو هند
فوالله ما من قوبة زعمت به * اليك ولا ميل اليك ولا ود
ولكن إخلاص الضمير مقرب * إلى الله زلتى لا تبيد ولا تكدي
أناك بها كرها اليك بأنفسه * على رعيه وأستأثر الله بالحد
فلا تتركن للناس موضع شبهة * فإنك مجزى بحسب الذر تُسدى
قد غلطوا للناس في نصب مثله * ومن ليس للصور باب ولا المهدي

فكيف بمن قد بايع الناس وألحق
ومن سلك تسلماً لعلامة سمعه
وإلى امرئ سمي بها قط نفسه *
وتزعم هذى التائيتة أنه *
يقولون سقى وأية سنة *
وقد جعلوا رخص الطعام بهذه *
إذا ما رأوا يوماً غلاء رأيتهم *
واقباله في العيد يوجف حوله *
ورجاله يشون بالبيض قبله *
فإن قلت قد رام الخلافة قبله *
لم أجزه إذ خيب الله سعيه *
ولم أرض بعد العفو حتى رفعه *
فليس سواء خارجي رعي به *
تعاذت له من كل آوب عصابة *
ومن هو في بيت الخلافة تلتقى *
فولاك مولد وجدك جند *
وقد رآني من أهل بيتك نبي *
يقولون لا تبع من ابن ميمية *
فداها بهانت نفسه دون *
على حين غمر الناس صدى أصفه *
فما كان بها من أب الضم غيره *
وجرد إبراهيم للوت نفسه *
بيعه الزكبان غوراً إلى نجد
يُنَادِي به بين السماطين من بُعْد
ففارقه حتى يُغيب في القيد *
إمام لها فيما تُسير وما تُبْدى
تَمِّم بِصَمَلِ الرَّاسِ جَوْنَ الْقَفَا جَعْد
زعموا له باليمن والكوكب السعد
يَحْنُون نَحْنَانَا إِلَى ذَلِكَ الْمَهْد
وَجِيفَ الْحَيَادِ وَأَصْطَلَكَ الْقَنَا الْجُرْد
وقد تبعوه بالقضيب وبالبرد
فلم يؤت فيما كان حاول من جد
على خطأ إذ كان منه على عمد
ولأنهم أولى بالتقصد والرويد
إليك مَنَاهُ أَرَأَى وَالرَأَى قَدْ يُرْذَى
مَنْ يَوْرِدُوا لَا يُعْصِدُوه عَنِ الْوَرْد
به رَكَ لَا بَاءَ فِي فِرْدَةِ الْمَجْد
يَحْلُ تَجْمَعُ الْقَائِمُ الْمَسَامِينِ فِي غَمْد
رَأَيْتُ ذِمَّ وَحْدًا بِهِ أَيْمًا نِيَجْد
دَسِيرٍ عَلَى أَرْوَءِ ذِي مِرَّةٍ جَلْد
عليه لبي الحال نبي نَنْ يَنْدَى
ش. بن مزدي الوردية والسميد
كريم كَتَمِي مَا فِي الْقَبُولِ وَفِي الرَّد
زأدى سلاحاً فوق ذى مَبْعَةٍ نَهْد

وأبلى ومن يبلغ من الأمر جهده . فليس بمذموم وإن كان لم يُعَدِ
فهذه أمور قد يخاف ذوق النهى * مغبها والله يهديك الرشيد
وكانت الخلافة في أيام الواثق تدور على إيتاخ وكتبه سليمان بن وهب، وصلى أشناس
وكتبه أحمد بن الخصب، فعمل محمد بن عبد الملك قصيدة وأوصلها الى الواثق على أنها
لبعض أهل السكر، وهى :

يا بن الخلائف والأملك إن تُسبوا * حُرَّتِ الخلافة عن آمالك الأول
أجرت أم رققت عينك عن عجب * فيه البرية من خوف ومن وهل
وليت أربعة أمر العباد معا * وكلهم حاطب في جبل محتبيل
هذا سليمان قد ملكت راحته * مشارق الارض من مهل ومن جبل
ملكته السند والشحر من عدن * الى الجزيرة فالأطراف من ملل
خلافة قد حواها وحده فضت * أحكامه في دماء القوم والنقل
وابن الخصب الذى ملكت راحته * خلافة الشام والغازين والفصل
فيل مصر فجر الشام قد جرى * بما أراد من الاموال والحلل
كانهم فى الذى قسمت بينهم * بنو الرشيد زمان القسم للذل
حوى سليمان ما كان الأمين حوى * من الخلافة والتبليغ للأمل
وأحمد بن خصب في إمارته * كالقمام بن الرشيد الجامع السبل
أصبحت لا ناصح بأتك مستترا * ولا علانية خوفا من الحيل
سل بيت مالك أين المال تعرفه * وسل خراجك عن أموالك الجمل
كم فى حبوسك ممن لا ذنوب لهم * أسرى التكذب فى الأفياد والكجل
سميت باسم السيد المرتضى فيه * تسمى الأمور التى تخفى من الزلل
عش فيم مثل ما عاتت يدها معا * على البرامك بالتهديم للأل

فلما قرأ الواثق هذا الشعر غاظه ، ونكب سليمان بن وهب وأحمد بن الخصب ،
وأخذ منهما ومن أسبابهما ألفى دينار جعلها فى بيت المال .

٦ - آيُنُ الْبَوَّابِ^(١)

لما أتى المأمونُ بشعر آيُنِ الْبَوَّابِ الذي يقول فيه :

أَيْخُلُ فَرْدُ الْحَسَنِ فَرْدُ صِفَاتِهِ * عَلَى وَقْدِ أَفْرَدْتُهُ يَهْوَى فَرْدُ
رَأَى اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ • فَلَمَّكَ وَأَنَّهُ أَعْلَمُ بِالْمَبْدِ
أَلَا إِنَّمَا الْمَأْمُونُ لِلنَّاسِ عِصْمَةٌ - مُمَيِّزَةٌ بَيْنَ الضَّلَالَةِ وَالرَّشْدِ

فقال المأمون : أليس هو القائل :

أَعْنَى جُودًا وَأَيْكُنَا لِي مُحَمَّدًا * وَلَا تَذَنُّرًا دَعَا عَلَيْهِ وَأَسْعَدًا
فَلَا فِرْحَ الْمَأْمُونُ بِالْمُلْكِ بَعْدَهُ * وَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا شَرًّا مُطَوَّرًا
وَاحِدَةً بَوَّاحَةً، وَلَمْ يَصْلُهُ بَنِي • وَلَمَّا سَخِطَ عَلَيْهِ قَالَ قَصِيدَةً يمدح بها، ودسَّ مَنْ
غَنَاهُ فِي بَعْضِهَا لَمَّا وَجَدَ مِنْهُ نَشَاطًا، فَسَأَلَ : مَنْ قَالَهَا، فَأَخْبَرَهُ، فَرَضِيَ عَنْهُ وَرَدَّهُ إِلَى رَسَمِهِ
مِنَ الْخَلِيفَةِ، وَهِيَ :

هَلْ لِلْحَبِّ مُعِينٌ * إِذْ شَطَّ عَنْهُ الْقَرِينُ
فَلَيْسَ يَكُنِي لَشَجْوَالٍ * حَزِينٍ إِلَّا الْحَزِينُ
يَا ظَالِمًا غَابَ عَنَّا • غَدَاةَ بَابِ الْقَطِيعِ
أُبْكِي الْعِيُونَ وَكَانَتْ * بِهِ تَفَرُّ الْعِيُونَ
يَا أَيُّهَا الْمَأْمُونُ أَلَا * حَبَارِكُ الْمِيْمُونُ
لَقَدْ صَفَّتْ بِكَ دُنْيَا • لِلْسَّامِعِينَ وَدِينُ
عَالِكُ نَوْرٍ جَلَالٍ وَنَدْوَرُ مُلْكٍ دُيُونِ

(١) هو عبد الله بن عباس بن أبي سفيان، وحسن، عتبه وجماعة صنفه ربيعة بن الحجاج بن يوسف - فزّلوا
عنه بواسطه، فأقامه به سنة - فأجبروا وبلوها طويلاً - من سنة ١٠٠ هـ، ثم انطلقوا من الدولة العباسية إلى الرميح
خدموه، وكان عبد الله بن محمد هذا يخلف أعمس بن الربيع على حجة الخلفاء، وكان صاحب الشعر قليلة وراوية لأخبار
الخلفاء، عالمًا بأمرهم .

القولُ منك قَـال * والظنُّ منك يَـقـين
 ما من يديكَ شِـمـال * كَلَّا يديكَ يـمـين
 كأنما أنت في الجـو * د والتقى هـارون
 مَنْ نال من كل فضل * ما ناله المأمون
 تألف النَّاسَ منه * فضلٌ وجود ولين
 كالبريدو عليه * سَكِينَةٌ وسكون
 فالرزق من راحتيه * مقسَّم مضمون
 وكل خَصْلَة فضل * كانت فنه تكون

ومما يفتى فيه قوله :

أَفَقَ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْمَعْتَبُ كَمْ تَصْبُو؟ * فلا النَّأْيُ عَنْ سَلْمَاكَ يُسَلِّي وَلَا الْقُرْبُ
 أَقُولُ خَدَاةَ اسْتَحْبِرْتُ مِمَّ عَلَيَّ؟ * من الحب كَرْبٌ لَيْسَ يُشِـجُهْ كَرْب
 إِذَا أَبْصَرْتُكَ الْمَيِّتُ مِنْ بَعْدِ غَايَةِ * فأدخلت شكَا فَيَكُ أَتَبَّكَ الْقَلْبُ
 وَلَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمُوكَ لَقَادَهُمْ * نَسِيْمُكَ حَتَّى يَسْتَدْلِكَ الرِّكْبُ

أماق ابن البواب حين جَفَّاه الخليفة وعلَّت مِنَّه عن الخدمة، فرحل الى أبي دُلَاف
 القاسم بن عيسى ومدحه بقصيدة، فوهب له ثلاثين ألف درهم وعاد بها الى بغداد، فما
 نفدت حتى مات؛ وهي قوله :

طَرَفَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ رَبَابُ * وَنَأَتْ فُلَيْسُ لَهَا إِلَيْكَ مَاب
 وَتَصَرَّمَتْ مِنْهَا الْعُهُودُ وَغُلَقَتْ * من دون نَيْلِ طِلَابِهَا الْأَبْوَاب
 فَلَا ضَيْفَقَ عَنِ الْمَسْوِي وَطِلَابِهِ * فَالْحَبَّ فِيهِ بَلِيَّةٌ وَعَذَاب
 وَأَخْصُ بِالْمَدْحِ الْمُهْتَبِ سَيِّدَا * فَقَعَائِهِ لِلْجُنْدِيِّينَ رِغَاب
 وَإِلَى أَبِي دُلَافٍ رَحَلْتُ مَطِيَّتِي * قَدْ شَفَّهَا الْإِرْقَالُ وَالْإِمْتَاب

قَعَلُوا بِنَا قُلَّ الْجِبَالِ وَدُونَهَا * مِمَّا هَوَتْ أَهْوِيَّةُ وَشَعَابُ
 فَإِذَا حَلَّتْ لَدَى الْأَمِيرِ بِأَرْضِهِ * نَلَتْ الْمَنَى وَتَقَضَّتِ الْآرَابُ
 مَلِكُ تَائِلٍ عَنْ أَبِيهِ وَجَدَهُ * بَجْدًا يَقْصِرُ دُونَهُ الطُّلَابُ
 وَإِذَا وَزَّنتَ قَدِيمَ ذِي حَسَبٍ بِهِ * خَضَعَتْ لِفَضْلِ قَدِيمِهِ الْأَحْسَابُ
 قَوْمٌ عَمَلُوا أَمْلَاكَ كُلِّ قَبِيلَةٍ * فَالْنَّاسُ كُلُّهُمْ لَهُ أَذْنَابُ
 خَرِبَتْ عَلَيْهِ الْمَكْرَمَاتُ قِبَابُهَا * فَمَلَا الْعُمُودُ وَطَالَتِ الْأَطْنَابُ
 حَقِمَ النِّسَاءُ بِمِثْلِهِ وَتَعَطَّلَتْ * مِنْ أَنْ تُضَمَّنَ مِثْلُهُ الْأَصْلَابُ

٧ - الخُرَمِيُّ^(١)

كان متصلاً بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة، وله فيه مدائح جَيَّاد، ثم رثاه بعد موته، فقيل له : يا أبا يعقوب، مدائحك لآل منصور بن زياد أحسن من مرثيتك وأجود؛ فقال : كُنَّا يومئذ نعمل على الرجاء، ونحن اليوم نعمل على الوفاء، وبينهما بون بعيد .

وهو القائل في عياله :

أُصْنِي إِلَى قَائِدِي لِيُخْبِرَنِي * إِذَا أَلْتَقَيْنَا عَمَّنْ يُحِبُّنِي
أُرِيدُ أَنْ أَعْدِلَ السَّلَامَ وَأَنْ * أَفْصَلَ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالْذُّونِ
أَسْمَعُ مَا لَا أَرَى فَأُكْرَهُ أَنْ * أَخْطِئَ وَالسَّمْعُ غَيْرُ مَأْمُونِ
لَهُ عَيْنِي الَّتِي يَفْحَتْ بِهَا * لَوْ أَنَّ دَهْرًا بِهَا يُوَاتِينِي
لَوْ كُنْتُ خَيْرْتُ مَا أَخَذْتُ بِهَا * تَعْمِيرَ نَوْحٍ فِي مُلْكٍ قَارُونِ
حَقٌّ أَخِلَاتِي أَنْ يَعُودُونِي * وَأَنْ يُعْزَوَا عَنِّي وَيَكُونِي

وهو القائل :

إِذَا مَا مَاتَ بَعْضُكَ فَأَبْكُ بَعْضًا * فَإِنَّ الْبَعْضَ عَنِ بَعْضٍ قَرِيبُ
يُمْتَنِّى الطَّيِّبُ شَفَاءً عَنِّي * وَهَلْ غَيْرُ الْإِلَهِ لَهَا طَيِّبُ

(١) هو إسحاق بن حسان ويكنى أبا يعقوب، من أحبه، وهو القائل :

لَا أَمْرُؤَ مِنْ سِوَاهِ الْعَبْدِ أَلَسِي * عَرَفَ الْأَعَاجِمُ جَلْدًا طَلَسِي

وكان مولد أبي حريم الذي قال لأبيه : خريم الناعم . وهو خريم بن عمرو بن حمزة بن عوف بن سعد بن ديبان . وعنى أبو يعقوب الخرمي به ما استمر ، وكان يقول في ذلك شعرا ، فيه قوله :

إِنْ تَكْ عَيْنِي نَجَا نَوْدَهَا * فَكَمْ ثَلْثًا نَوْدَ عَيْنِ حَبَا
فَلَمْ يَسْمَعْ ظَنِّي وَلِحْكَمَا * أَرَى نَوْدَ عَيْنِي إِلَيْهِ مَرَى
فَأَسْرَجَ فِيهِ لِي نَوْدَهُ * مَرَا حَا مِنْ أَلَدِ شَفَى الْعَدَى

وقال يذكر بغداد والفتنة التي كانت بها :

قالوا ولم يلعب الزمانُ بيدي * مداد وتفتّر بها عواثرها
 إذ هي مثل العروس بادئها * مهول للفتى وحاضرها
 جنة دُنيا ودارُ مقبلة * قل من الثابت وأثرها^(١)
 دَرّت خلوف الدنيا لساكنها * وقل معسورها وعاسرها
 وأصرجت بالنعم وأتجعت * فيها بلناتها حواضرها
 فالقومُ منها في روضة أثف * أشرق غب القطار زاهرها
 من غره العيش في بلهنية * لو أن دنيا يوم عايرها
 دارُ ملوك رست قواصلها * فيها وقرت بها منارها
 أهل الملا والثرى وأدبة الـ * فغخر إذا عُتدت مفاخرها
 أفراخ نَمى في إرث ملكة * شدّ عُراها لها أكابرها
 فلم يزل والزمانُ ذو غير * يقدح في ملكها أصاغرها
 حتى تسافت كأسا مُتملة * من فتنة لا يُقال عايرها
 وأترفت بعد ألفة شيما * مقطوعةً بينها أوامرُها
 ياهل رأيت الأملاك ما صنعت * إذ لم يزعها بالنصح زاجرها
 أورد أملاكنا قوسهم * هوة غي أعيت مصادرها
 ما ضرتها لو وفّت بموثقها * وأستحكّت في الثقي بصائرُها
 ولم تُسافك دماءَ شيعتها * وتبعل فتية تُكابرُها
 وأفتنتها الدنيا التي جمعت * لها ورغب النفوس ضايرُها
 مازال حوضُ الأملاك [...] * مسجورها بالهوى وسائرُها
 تُنقِ فضول الدنيا مكثرة * حتى أبيضت كمرها ذخائرُها

- يوسع ما جمع الأبوّة له * أبناء لا أربحت متاجرها
يا هل رأيت الخفاف زاهرة * يروق عين البصير زاهرها
وهل رأيت القصور شارعة * تُمكن مثل الدمي مقاصرها
وهل رأيت القرى التي غرس الـ * أملاكك تحضرة دساکرها
محفوظة بالكروم والنخل والـ * تریمان قد دیمت عمارها^(١)
فإنها أصبحت خلايا من الـ * بإنسان قد دیمت عمارها^(١)
قفراً خلاء تموی الكلاب بها * ينكر منها الرسوم دائرها
وأصبح البؤس ما يفارقها * إلقاها والسرور هاجرها
بزند ورد والياسرية والـ * شطین حيث آتته معابرها
وبالرحى والخيزرانية الـ * حيا التي أشرفت فناطرها
وقصر عبديه عبدة وهدي * لكل نفس زكت سرائرها
فأين حراسها وحارسها * وأين مجبورها وجابرها
وأين خصيانها وحشوتها * وأين سكانها وطامرها
أين الجرادية الصقالب والـ * أحش تعدو هذا مشافرها
ينصدع الجند عن مواكبا * تعدو بها سرباً ضوامرها
بالسند والهند والصقالب والـ * خوية شيت بها بربرها
طيراً أباييل أرسلت عبثا * يقدم سودانها أحامرها
أين الظباء الأبقار في روضة الـ * حلك تهادى بها غراتها
أين غضاراتها ولذتها * وأين مجبورها وجابرها
بالمسك والعتبر ايماني والـ * يلتهجوش شجوبة مجامرها
يرفلقن في الخنز والمجاسد والـ * حوسر مخطومة مزامرها

(١) كذا في الطب في حوادث سنة ١٩١ هـ، طبع بلاي وطلع، أ. ر. ب.

فَايَن رَقاصها وزَامرها * يُجِن حيث آتت حَلِجَها
 تَكَادُ أَمَمَها تُسَلِّ اذا * عارض عِبدانها مَزارها
 أَمست بِكُوفِ المَمارِ خالِيةً * يَسعَها بِالْجَهمِ ساعِرها
 كَأَنما أَصِبتْ بِساحتِهم * عادُ ومَستَهم صَراصرها
 لا تَصلُمُ النَفسُ ما يَأُوتِها * من حادِثِ الدَهرِ أَوِيّا كَرها
 تُضجى وتَمسى دَريّةً غَرضاً * حيث أَسْتَقَرَّتْ بِها شَراشرها
 لَأَهمِ الدَهرِ وهو يَوشِيقُها * مَحْطُها مَرةً وباقِرها
 يابُوسَ بَغدادِ دارِ مَملَكةٍ * دارِثَ عَلى أَهلِها دَوائِرها
 أَهلُها أَفَهُ * عاقِبَها * لما أَحاطَتْ بِها كَبائِرها
 بِالخَيفِ وَالنَظفِ وَالْحَرِيقِ وَبالِ * حَربِ التي أَصِبتْ تُساوِرها
 كَمَ قَدِ رايَنا مِنَ المَعاصِي بِها * كَالماهرِ السَوءِ
 حَلَّتْ بِبَغدادِ وَهى آمِنَةٌ * داهِيَةٌ لَم تَكن تُحاذِرها
 طالَمَها السَوءُ مِنَ مَعالِمِهِ * وَأَدركَتْ أَهلَها بِجَرائِرها
 رَقى بِها الدَينَ وَأَسخَفَ بَنى الـ * غَفلَ وَعَرَ النَشاكَ فَادِها
 وَخَطَمَ العَبدُ أَنفَ سَيِّدِهِ * بِالزَعمِ وَأَسَمِبتْ غَداوِها
 وَصارَ رَبُّ الجِيرانِ فَاسِقُهم * وَأَبقَرَ أَمَرَ الدَروبِ ذاعِرها
 مِنَ يَربَغدادَ وَالجَنودُ بِها * قَدِ رَافَقَتْ حَولَها عَساكِرها
 كُلُّ طَحوينَ شَبياءَ بِاسِلَةٍ * تُسَقِطُ أَجبالَها زَماجِرها
 تُلقى بَنى الرَدى أَوائِسَها * يَوهقُها لَلقَواءِ طاهِرها
 وَالشَيوخُ يَعدو حَزمًا كَلْبَهِ * يُهَيِّمُ أَعْجازَها يَعاوِرها
 وَلزُهرُها بِالقَولِ مَأْسَدَةٌ * مَرقومَةٌ صُلْبَةٌ مَكاامِرها
 كَتابُ المَوتِ نَحْتَ أَلوِيَةٍ * أَبْجَحَ مَنصُورُها وَناصِرها

يُعلم أن الأقدار واقعة * وقعا على ما أحب قادرها
فتلك بندق ما بين من ال * مدله في دورها عصافرها
مخوفة بالردى منطق * بالصقر محصورة جبارها
وين شط القرات منه الى * دجلة حيث آتت معابرها
كهادي السقراء نافر * تركض من حولها أشاقرها
يُحرقها ذا وذاك يهيمها * ويشغى بالنهاب شاطرها
والعكرخ أسواقها معلقة * يستتر عيارها وعائرها
أنرجت الحرب من سواقيطها * آساد غيل غلبا ثساورها
من البوارى ترأسها ومن ال * حوص اذا استلأمت مغافرها
تغدو الى الحرب في جواسينها ال * صوف اذا ما علت أساورها
كتائب الهرش تحت رايته * مساعد طرأرها مقامرها
لا الرزق تبغى ولا العطاء ولا * يحشرها للقاء حاشرها
في كل درب وكل ناحية * خطارة يستل خطرها
بمنل هام الرجال من فلق ال * صخر يزود المقلع باثرها
كأنما فوق هامها علف * من القعا الكندر حاج نافرها
والفوم من تحتها لم زبل * وهي ترمى بها خواطرها
بل هل رأيت السيوف مضلة * أشمرها في الأسواق شاهرها
والخيل تستتر في أزقتها * بالترك مسنونة خناجرها
والنقط والنار في طرائقها * وهابا للدخان عامرها
والتهب نعدوبه الرجال وقد * أبدت خلايلها حرارها
معضوصبات وسط الأزقة قد * أبرزها للعيون ساترها
كل رؤود الضحى نخبأة * لم تبد في أهلها محاجرها

بَيْضَةٌ خَذَرُ مَكُونَةٍ بَرَزَتْ * للناس مَشُورَةٌ غَلَاثَرُهَا
 تَعَلُّدٌ فِي ثَوْبِهَا وَتُحِيلُهَا * كَبَّةٌ خَيْلٌ زِيَعَتْ حَوَافِرُهَا
 تَسَالُ أَيْنَ الطَّرِيقَ وَالْهَمَّةُ * وَالنَّارُ مِنْ خَلْفِهَا تَبَادِرُهَا
 لَمْ تَجْتَلِ الشَّمْسُ حَسَنَ بَهْجَتِهَا * حَتَّى أَجْتَلَهَا حَرْبٌ تُبَاشِرُهَا
 يَاهِلُ رَأَيْتَ الْفَسْكَى مُؤَلَّوِلَةً * فِي الطَّرْقِ تَسَى وَالْجَهْدَ بَاهِرُهَا
 فِي إِثْرِ نَعَشٍ طَلَبَهُ وَاحِدُهَا * فِي صَدْرِهِ طَعْنَةٌ يَسَارِيرُهَا
 فَرَوَاهُ تُلْقَى الشَّارُ مِنْ يَدِهَا ^(١) * يَهْزَاهُ بِالسَّانِ شَاجِرُهَا
 تَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ وَتَهْتِفُ بِالْ * شَكْلِ وَعِزِّ الدَّمُوعِ خَاصِرُهَا
 غَرَّغَرُ بِالنَّفْسِ ثُمَّ أَسْلَمَهَا * مَطْلُولَةً لَا يُخَافُ ثَاوِرُهَا
 وَقَدْ رَأَيْتَ الْفَتِيانَ فِي عَرَصَةِ الْ * حَمْرِكَ مَعْفُورَةٍ مَنَاحِرُهَا
 كُلُّ فَنَى مَنَاعٌ حَقِيقَتَهُ * تَشْقَى بِهِ فِي الْوَعَى مَسَاعِرُهَا
 بَانَتْ عَلَيْهِ الْكَلَابُ تَهْتَشُهُ * مَخْضُوبَةً مِنْ دِيمِ أَظْافِرُهَا
 أَمَا رَأَيْتَ الْخِيُولَ جَائِلَةً * بِالْقَوْمِ مَكُوبَةً دَوَائِرُهَا
 تَعْتَرُّ بِالْأَوْبَةِ الْحَسَانِ مِنْ الْ * قَتْلِ وَظَلَّتْ دِمَا أَشَاعِرُهَا
 يَطْلُتْ أَجَادَ فَنِيَةِ الْمُجْدِ * يَفْلِقُ هَامَاتِهِمْ حَوَافِرُهَا
 أَمَا رَأَيْتَ النِّسَاءَ تَحْتَ الْحِجَابِ * نَبِقَ تَعَادَى شُعْنًا ضَفَائِرُهَا
 عَقَائِلُ الْقَوْمِ وَالْمَجَازِ وَالْ * حُنْسِ لَمْ تُخْتَبَرْ مَعَاصِرُهَا
 يَحْمِلُنَ قَوَاتٍ مِنَ الطَّعِينِ عَلَى الْ * أَكْثَافِ مَمْضُوبَةٍ مَعَاجِرُهَا
 وَذَاتَ هَيْشٍ صَنُوكَ وَمُقَصَّةُ * تَسْدُخُهَا حَخْرَةٌ تُمَازِرُهَا
 تَسَالُ عَنْ أَهْلِهَا وَقَدْ صُلِبَتْ * وَأَبْتَرَتْ عَنْ رَأْسِهَا غَفَائِرُهَا
 يَا لَيْتَ مَا وَالِدُهَا ذُو دُوبٍ * تَرْجَى وَأُخْرَى تُخْشَى بَوَادِرُهَا

(١) هكذا في هامش النسخة الأوربية من الط. ي. وفي نسخة وولاق وأورما (في ملها) :

« فَرَوَاهُ يَقِ الشَّارُ مَرِيدُهَا » وهي رواية طاهر عليها التحريف ومصاد الحق .

هل ترجعن أرضنا كما خَيت * وقد تهاوت بنا مصايرها
 من مبلغ ذا الراسين رسا * لا تَأْتِي للنصيح شاعرها
 بأن خير الولاة قد علم الذ * سَأْسُ إذا عُدَّتْ مآثرها
 خليفة الله من بريته ال * مأمون سائسها وجابرها
 سمّت إليه آمال أمته * منقادة برّتها وفاجرها
 شاموا حيا العدل من تحايّله * وأخفرت بالتقى بصايرها
 وأحمدوا منك سيرة جلّت ال * شك وأخرى صحت مآذرها
 وأستجمعت طاعة برقك لـ * مأمون تجليتها وغايرها
 وأنت تتمتع في العالمين له * ومقلّة ما يَكِلُ ناظرها
 فاشكر لذى العرش فضل نعمته * أوجب فضل المزيّد شاكرها
 وأحذر فداء لك الرعيّة وال * أجناد مأمورها وأمرها
 لا تَرْدَنَ غمرة بنفسك لا * يصدر عنها بالرأى صايرها
 عليك صفّاحها فلا تلج ال * غمر ملتجة زواجرها
 والقصد إن الطريق ذو شعب * أشامها وعثها وجايرها
 أصبحت في أمة أوائلها * قد فارقت هنيئها أوأجرها
 وأنت سرسورها وسائسها * فهل على الحق أنت قاسرها
 أدب رجالا رأيت سيرتهم * خالف حكم الكلاب سايرها
 وأمدد إلى الناس كف مرحمة * نسد منهم بها مفاقرها
 أمكك العدل إذ هممت به * ووافقت مدّه مقاديرها
 وأبصر الناس قصد وجههم * وماكنت أمة أخايرها
 تُشرع أعناقنا إليك إذا ال * مآدات يوما جئت عشايرها
 كم عندنا من نصيحة لك في الـ * وقُربى عزّت زواجرها

وحرمية قرئت أو اصرها * منك وأخرى هل أنت ذاكرها
 سئى رجال في العلم مطلبهم * راعىها باكر وباكرها
 دونك غراء كالوذيلة لا * تفقد في بلدة سواثرها
 لا طمعا قلتها ولا بطرا * لكل نفس نفس تؤامرها
 سيرها آفة بالنصيحة وال * خشية فاستدجت مرآثرها
 جاءتك تحكى لك الأمور كما * يفشّر بزّ التجار ناشرها
 حلتها صاحبا أبا حقبة * يظل عجباً بها يحاضرها
 ومن جيد شعره قوله :

الناس أخلاقهم شتى وإن جيلوا * على تشابه أرواح وأجساد
 للخير والشر أهل وكنوا بهما * كل له من دواعي نفسه هاد
 منهم خليل صفاء ذو عافضة * أرمى الوفاء أواخيه بأوتاد
 ومشر النذر عني أضالعه * على سريرة غمر ظلها باد
 مشاكس خدع جثم غوائله * يبدى الصفاء ويخفى ضربة الهادى
 يأتيك بالغي في أهل الصفاء ولا * ينفك يسى بإصلاح لإفساد
 ومن جيد شعر الحريرى قوله :

أضاحك ضيفى قبل إزال رَحله * ويخصب عندى والمحل جديب
 وما الحصب للأضياف أن يكثر القرى * ولكننا وجه الكريم خصيب
 ومن جيد شعره قوله :

زاد معروفك عندى عظاما * أنه عندك محفور صغير
 وتاسبه كأن لم تأته * وهو عند الناس مشهور كبير

وهو القائل :

وإن أشد الناس فى الحشر حسرة * لمورث مال غيره وهو كاسبه
 كفى سقما بالكهل أن يتبع الصبا * وأن باقى الأمر الذى هو عائبه

وَيُسْتَجَادُ لَهُ قَوْلُهُ :

وَدُونَ النَّدَى فِي كُلِّ قَلْبٍ نَبِيَّةٌ ■ لَهَا مَصْعَدٌ وَعَرٌّ وَمُنْتَحَدٌ سَهْلٌ
وَوَدَّ الْفَتَى فِي كُلِّ نَيْلٍ يَنْبُلُهُ * ■ إِذَا مَا أَقْضَى لَوْ أَنَّ نَائِلَهُ جَزَلٌ
وَأَعْلَمَ عِلْمًا لَيْسَ بِالْفَلْتِ أَنَّهُ * ■ لِكُلِّ أَنَاسٍ مِنْ ضَرَائِبِهِمْ شَكْلٌ
وَأَنَّ أَخْلَاءَ الزَّمَانِ غَنَائِهِمْ * ■ قَلِيلٌ إِذَا الْإِنْسَانُ زَلَّتْ بِهِ التَّعَلُّ
تَرَوُّدٌ مِنَ الدُّنْيَا مَتَاعًا لَغِيْرَهَا ■ ■ قَدْ شَمَرْتُ حَذَاءً وَأَنْصَرَمُ الْجَبَلُ
وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْغِدِ * ■ لِكُلِّ أَنَاسٍ مِنْ طَوَارِقِهَا أَلْشَكْلُ

وَفِي هَذَا الشَّعْرِ يَقُولُ :

أَبَا لَصْفَدٍ بَأْسٌ إِذْ تَعَيَّرَنِي بِجُمْلٍ * ■ سَفَاهًا وَمِنْ أَخْلَاقٍ جَارَتِي أَلْجَهْلُ
فَإِنْ تَفْخَرِي يَا جَمْلٌ أَوْ تُجْعَلِي * ■ فَلَا تَفْرَ إِلَّا فَوْقَهُ الدِّينَ وَالْعَقْلُ
أَرَى النَّاسَ شَرْطًا فِي الْحَيَاةِ وَلَا يُرَى * ■ لِقَبْرِ عَلَى قَبْرِ عِلَاءٍ وَلَا فَضْلُ
وَمَا ضَرَّتْنِي أَنْ لَمْ تَلِدْنِي يُحَايِرُ * ■ وَلَمْ تَسْتَمِلْ جَرْمٌ عَلَيَّ وَلَا عُكْلُ

وَهُوَ الْقَائِلُ :

مَا أَحْسَنَ الْغَفِيرَةَ فِي حِينِهَا * ■ وَأَقْبَحَ الْغَفِيرَةَ فِي كُلِّ حِينٍ
مَنْ لَمْ يَزَلْ مِنْهُمَا عَرْسَهُ * ■ مُتَأَصِّبًا فِيهَا لِرُبِّ الظُّلُونِ
أَوْشَكَ أَنْ يُفْرِيهَا بِالَّذِي * ■ يَخَافُ أَنْ يُرْزَا لِلْعِيُونِ
حَسْبُكَ مِنْ تَحْصِينِهَا وَضَعُهَا * ■ مِنْكَ إِلَى عَرِيضٍ صَحِيحٍ وَدِينِ
لَا تَطَّلِعْ مِنْكَ عَلَى رِيْبَةٍ * ■ فَيَتَّبِعُ الْمُقْرُونُ جَبَلَ الْقَرِينِ

٨ - عبد الله بن طاهر^(١)

كان يحمل من علو المرتلة وعظم القدر ولطف مكان من الخلقاء، يُستغنى به عن التقريظ له والدلالة عليه، وأمره في ذلك مشهور عند الخاصة والعامة، وله في الأدب مع ذلك المحل الذي لا يُدفع، وفي السماحة والشجاعة ما لا يقاربه فيه أحد.

وكان أديبا ظريفا جيد الغناء، نسب إليه صاحب الأغني أصواتا كثيرة أحسن فيها وقلها أهل الصنعة عنه، وله شعر رائع ورسائل ظريفة، فمن شعره قوله :

نحن قومٌ تليُّنا الحَدَقُ النُّجُ * لُ على آتنا تليُّن الحديد
طَوْحُ أَيْدِي الْقُطَبَاءِ قَتَادَنَا الْعِي * بن وقتاد بالطعاب الأسودا
تَمْلِكُ الصَّيْدُ ثُمَّ تَمْلِكُنَا إِلَيْهِ * ضُ المصوناتُ أَعْيُنًا وَخُدُودَا
تُنْقِي مَخْطِنَا الْأَسْوَدَ وَنُخْشِي * مَخْطِ الْخُشْفِ حِينَ يُبْدِي الصُّبُودَا
قَرَانَا يَوْمَ الْكُرْمَةِ أَحْرَا * رَا وَفِي السَّلَمِ لَأَخْوَانِي عَيْسِدَا

أعطاه المأمون مآل مصر لسنة، نراجها وضياعها، فوهبه كله وفرقه في الناس ورجع صفرًا من ذلك، ففاظ المأمون فعله، فدخل إليه يوم مقدمه، فأنشده أبياتا قالها في هذا المعنى، وهي :

(١) هو أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق كان سيدا نبيلًا على الهمة شهما، وكان المأمون كثير الاتحاد طيه، حسن الالتفات إليه لقائه ورواية خلق والده وما أسلفه من الطاعة في خدمته، وكان واليا على الدينور فلما خرج بابك الخرمي على خراسان وأوقع الخوارج بأهل قرية الحرراء من أعمال نيسابور وأكثرها فيها الفساد واتصل الخبر بالمأمون بعث إلى عبد الله وهو بالدينور يأمره بالخروج إلى خراسان، فخرج إليها وحارب الخوارج وقدم نيسابور في رجب سنة ٢١٥ هـ. وكان المطر قد انقطع عنها تلك السنة، فلما دخلها مطرت مطرا كثيرا، فنام إليه رجل بزاز من حاتونه وأنشده :

قد حُطَّ النَّاسُ فِي زَمَانِهِمْ * حَتَّى إِذَا جِثَّتْ جِثَّتْ بِالْهَرَرِ
غِيَّانٌ فِي سَاعَةٍ لَمْ قَدَمَا * فَرَحًا بِالْأَمِيرِ وَالْمَطَرِ

تولى الشام والعراق ومصر. وتوفي سنة ٢٣٠ هـ. ومجده ترجمته في ابن خلكان (ج ١ ص ٣٦٩) والأغانى

نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْأَعْنَاقُ خَاضِعَةٌ * لِلنَّائِبَاتِ أَيُّهَا غَيْرَ مُهْتَمِّمٍ
 إِلَيْكَ أَقْبَلْتُ مِنْ أَرْضِ أَقْصَى بَهَا * حَوَّارِينَ بِمَدَنِكَ فِي شَوْقٍ وَفِي أَلَمٍ
 أَقْفُو مَسَاهِيكَ اللَّائِي خُصِمَتْ بِهَا * حَلَوُ الشَّرَّاءِ عَلَى مِثْلِ مِنَ الْأَدَمِ
 فَكَانَ فَضْلِي فِيهَا أَتَقَى تَبَعٌ * لِمَا سَنَنْتَ مِنَ الْإِنْسَامِ وَالنِّعَمِ
 وَلَوْ وَكَلْتُ إِلَى نَفْسِي حَيِّتَ بِهَا * لَكِنْ بَدَأَتْ فَلَمْ أُعْجِزْ وَلَمْ أَلَمِ

فضحك المأمون وقال : والله ما نَفِستُ عليك مكْرمةً ثَمَّهَا ، ولا أُحْدِثُوهَ حَسَنَ عِنْدَكَ
 ذِكْرَهَا ، ولكن هذا شيء إذا عَوَدْتَهُ نَفْسَكَ انْفَعَرَتْ ، ولم تهمل على لَمْ شَعْنِكَ وإصلاح
 حالِكَ ، وزال ما كان في نفسه .

لَمَّا فَتَحَ عَبْدُ اللَّهِ مَصْرَ سَوْغَةِ الْمَأْمُونِ تَوَاجَعَا ، فَصَعِدَ الْمُبْتَرِّعُ فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى أَجَازَ بِهَا
 كُلَّهَا ثَلَاثَةَ آلَافٍ أَلْفٍ دِينَارٍ أَوْ نَحْوَهَا ، فَأَتَاهُ مُعَلَّى الطَّائِي وَقَدْ أَعْلَمُوهُ مَا صَنَعَ بِالنَّاسِ
 فِي الْجَوَائِزِ وَكَانَ عَلَيْهِ وَاجِدًا ، فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ تَحْتَ الْمُبْتَرِّعِ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، أَنَا مُعَلَّى
 الطَّائِي وَقَدْ بَلَغَ مِنِّي مَا كَانَ مِنْكَ مِنْ جَفَاءٍ وَظَلَمٍ ، فَلَا يَقْلُظُنَّ عَلَى قَلْبِكَ ، وَلَا يَسْتَخْفِنَكَ
 الَّذِي بَلَغَكَ ، أَنَا الَّذِي أَقُولُ :

يَا أَعْظَمَ النَّاسِ عَفْوًا عِنْدَ مَقْدِرَةٍ * وَأَظْلَمَ النَّاسِ عِنْدَ الْجُودِ لَلْأَلِ
 لَوْ أَصْبَحَ النَّيْلُ يَجْرِي مَاءً ذَهَبًا * لَمَّا أَشْرَتْ إِلَى تَرْزِيٍّ يَمْتَقِلُ
 تُقْبَلُ بِمَا فِيهِ رِقٌّ الْحَمْدُ تَمْلِكُهُ * وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعَاضَ الْحَمْدَ بِالْغَالِي
 تَفَكُّ بِالْإِسْرَافِ الْعُسْرُ مِنْ زَمَنِ * إِذَا اسْتَطَالَ عَلَى قَوْمٍ بِإِفْلَاحِ
 لَمْ تَحُلْ كَفُّكَ مِنْ جُودٍ مُخْتَبِطٍ * وَمُرْهَفٍ قَاتِلٍ فِي رَأْسِ قَتَالِ
 وَمَا بَنَتْ رَيْحِلَ الْخَيْلِ فِي بَلَدٍ * إِلَّا عَصَفَتْ بَارِزَاتٍ وَأَجَالِ
 إِنْ كُنْتُ مِنْكَ عَلَى بَابٍ مَنَنْتَ بِهِ * فَإِنَّ شُكْرَكَ مِنْ قَلْبِي عَلَى بَالِ
 مَا زِلْتُ مُقْتَضِبًا أَوْ لَا بِجَاهِرَةٍ * مِنْ أَلْسِنِ خُضْنٍ فِي صَدْرِي بِأَقْوَالِ

فضحك عبد الله ومُربما كان منه وقال : يا أبا السَّراء، أفرَضني عشرة آلاف دينار فإِ
أُسميتُ أملكها، فأقرضه فدفعها إليه .

كان موسى بن خاقان مع عبد الله بن طاهر بمصر، وكان نديمه وجليسه، وكان له مؤثرا
مقدما، فأصاب منه معروفا كثيرا وأجازه بجوائز سنية هناك وقبل ذلك، ثم إنه وجد عليه
في بعض الأمور بفخاه وظهر له منه بعض ما لم يحبه، فرجع حينئذ الى بغداد وقال :

إِنْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ خَلَا * لَا مُبْدَأَ عُرْفًا وَإِحْسَانًا

حَسْبُنَا اللَّهُ رِضِينَا بِهِ * ثُمَّ بَعْدَ اللَّهِ مَوْلَانَا

يعنى به المأمون، وغنت فيه جاريته وسمعه المأمون، فاستحسنه ووصله ولماها، فبلغ
ذلك عبد الله بن طاهر، فغاطه ذلك وقال : أَجَل ! صنعنا المعروف الى غير أهله فضاع .

ولعبد الله أَلحَانٌ صاغها، فمنها ومن غنارها وصدورها ومقمتها لحنه في شعر أخت
عاصية فإنه صوتٌ نادر جيدٌ صحيحُ العمل مُرْدَوِجُ النغم، يَنْ لَيْنٌ وَشِدَّةٌ عَلَى رَسْمِ الْحُلَاقِ
من القُدَماء، وهو :

هَلَا سَقَيْتُمْ بَنِي سَهْمٍ أَسِيرَكُمْ * نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ذِي غُلَّةٍ صَادِي

الطاعنُ الطعنةَ النجلاءَ يَتَبَعُهَا * مُضَرَّجٌ بَعْدَ مَا جَادَتْ بِإِزْبَادٍ

ومن غنائه أيضا :

رَاحَ صَحْبِي وَعَاوَدَ الْقَلْبَ دَاءُ * مِنْ حَبِيبِ طَلَّابُهُ لِي عَنَاءُ

حَسَنُ الرَّأْيِ وَالْمَوَاصِدِ لَا يُلْغِي لَشَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ وَقَاءُ

مَنْ تَعَزَّى عَمَّنْ يَجِبُ فَإِنِّي * لَيْسَ لِي مَا حَيْثُ عَنْهُ عَزَاءُ

ما قيل في هجاء الأمين ورثائه

قيل في هجائه :

لم نُبَيِّكْ لِمَاذَا لِلطَّرَبِ * يَا أَبَا مُوسَى وَتَرْوِجِ اللَّعْبِ
 وَلِسَرَّكَ الْخَمْسُ فِي أَوْقَاتِهَا * حَرَصًا مِنْهَا عَلَى مَاءِ الْعَنْبِ
 وَشَيْفِيفٍ أَنَا لَا أَبْكِي لَهُ * وَعَلَى كَوْتَرٍ لَا أَخْشَى الْعَطْبِ
 لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ مَا حَذَّ الرِّضَا * لَا وَلَا تَعْرِفُ مَا حَذَّ الْغَضَبِ
 لَمْ تَكُنْ تَصْلُحُ لِلْمَلِكِ وَلَمْ * تُعْطِكَ الطَّاعَةَ بِالْمَلِكِ الْعَرَبِ
 أَيَا الْبَاكِ عَلَيْهِ لَا بَكَتْ * عَيْنٌ مِنْ أَبْكَالِكَ إِلَّا لِلْعَجَبِ
 لَمْ نُبَيِّكْ لِمَا عَرَضْتَنَا * لِلْجَانِيقِ وَطُورِ السَّلْبِ
 وَلِقُومِ صَبْرِنَا أَعْبُدًا * لَمْ يَدُوْ عَلَى الرَّأْسِ الذَّنْبِ
 فِي عَذَابٍ وَحِصَارٍ مُّجْهِدٍ * سَدَّدَ الطُّرُقَ فَلَا وَجْهَ طَلَبِ
 زَعَمُوا أَنَّكَ حَى حَاشِرٍ * كُلٌّ مِنْ قَدْ قَالَ هَذَا قَدْ كَذَّبِ
 لَيْتَ مَنْ قَدْ قَالَهُ فِي وَحْدَةٍ * مِنْ جَمِيعِ ذَاهِبٍ حَيْثُ ذَهَبِ
 أَوْجِبَ اللَّهُ عَلَيْنَا قَتْلَهُ * فَإِذَا مَا أَوْجِبَ الْأَمْرَ وَجَبِ
 كَانَ وَاللَّهِ عَلَيْنَا فِتْنَةٌ * غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَكُتِبِ

وقال عبد الرحمن بن أبي الهُداهد يرثيه :

يَا غَرْبُ جُودِي قَدْ بَتَّ مِنْ وَدَمِهِ * فَقَدْ فَقَدْنَا الْغَزِيرَ مِنْ دِيَمِهِ
 أَلَوْتُ بِدَنِيَاكَ كَفَّ نَائِبَةً * وَصِرْتَ مُقْضَى لَنَا عَلَى يَقَمِهِ
 أَصْبَحَ لِلْوُتْ عِنْدَنَا عِلْمٌ * يَضْحَكُ سِنَّ الْمُنُونِ مِنْ عَالَمِهِ
 مَا أَسْتَرَلَتْ نَزْوَةُ الْمُنُونِ عَلَى * أَكْرَمِ مَنْ حَلَّ فِي ثَرَى رَحِمِهِ
 خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي بَرِّيَّتِهِ * تَقْصُرُ أَيْدَى الْمُلُوكِ عَنْ شِمِهِ

يَنْشَقَّ عَنْ نوره دُجَى ظُلُمِهِ * يَنْشَقَّ عَنْ وَجْهِهِ سَنَا قَمَرٍ *
 زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ مِنْ جَوَانِبِهَا * اذْ أُولَعَ السَّيْفُ مِنْ نَجِيمِ دَمِهِ *
 مَنْ مَكَتَ نَفْسُهُ بِمَضْرِبَةٍ * مِنْ عُثْمِ النَّاسِ أَوْ ذَوَى رِجْلِهِ *
 رَأَيْتُهُ مِثْلَ مَا رَأَاهُ بِهِ * حَتَّى تَذُقُوا الْأَمْرَ مِنْ سَقَمِهِ *
 كَمْ قَدْ رَأَيْنَا عَزِيزَ مَمْلُوكَةٍ * يُنْقَلُ عَنْ أَهْلِهِ وَعَنْ خَدَمِهِ *
 يَا مَلِكًا لَيْسَ بَعْدَهُ مَلِكٌ * لِحَاثِمِ الْأَنْبِيَاءِ فِي أُمَمِهِ *
 جَادَ وَحَى الَّذِي أَقَلَّتْ بِهِ * نَحْمُ غَزِيرَ الْوَكَيْفِ مِنْ دَيْمِهِ *
 لَوْ أَحْجَمَ الْمَوْتُ عَنْ أَحَى نَفْسَةٍ * أَسْوَى فِي الْعِزِّ مُسْتَوَى قَدَمِهِ *
 أَوْ مَلِكٍ لَا تَرَامُ سَطْوَتُهُ * إِلَّا مَرَامَ الشُّتَيْمِ فِي أَجْمِهِ *
 خَلَّكَ الْعِزَّ مَا سَرَى سَدَفٌ * أَوْ قَامَ طِفْلُ الْعَشَى فِي قَدَمِهِ *
 أَصْبَحَ مُلْكٌ إِذَا أَثَرَتْ بِهِ * يَفْرَعُ سَنَ الشُّقَاةِ مِنْ نَدَمِهِ *
 أَثَرْدُو الْعَرْشِ فِي عِدَاكَ كَمَا * أَثَرُ فِي عَادِهِ وَفِي إِمَارَتِهِ *
 لَا يُبْعِدُ اللَّهُ صَبْرَةَ تَلَيْتَ * لِحَبِيرِ دَاخِ دَعَا فِي حَرَمِهِ *
 مَا كُنْتُ إِلَّا حُكْمُ ذِي حُلْمٍ * أَوْجَحَ بَابَ السَّرُورِ فِي حُلْمِهِ *
 حَتَّى إِذَا أَطْلَقْتُهُ رَقْدَتُهُ * عَادَ إِلَى مَا آصَرَاهُ مِنْ عَدَمِهِ *

وقال أيضا يرثيه :

أَقُولُ وَقَدْ دَنَوْتُ مِنَ الْفِرَارِ * سَقِيتَ النِّيثَ يَا قَصْرَ الْقَرَارِ *
 رَمَتْكَ يَدُ الزَّمَانِ بِسَهْمِ صَيْنٍ * فَصِرْتَ مُلَوِّحًا بِدُخَانِ نَارِ *
 أَيْنَ لِي عَنْ جَمِيعِكَ أَيْنَ حَلَا * وَأَيْنَ مَزَارِعِهِمْ بَعْدَ الْمَزَارِ *
 وَأَيْنَ عِمْدُ وَأَبْنَاءِ مَالِي * أَرَى أَطْلَالَهُمْ سُودَ الدِّيَارِ *
 كَأَن لَمْ يُؤْتَسَوْا بِأَنْبِيَسَ مُلْكٍ * يَطْلُوعُ عَلَى الْمُلُوكِ بِخَيْرِ جَارِ *
 إِمَامٌ كَانَ فِي الْحَدَثَانِ عَوْنًا * لَنَا وَالنِّيثُ يَمْنَحُ بِالْفِطَارِ *

لقد ترك الزمانُ بَنَى أبيه * وقد غمرتهم سُود البحار
أضاعوا شممهم بقرتِ بحيس * فصاروا في الظلام بلا نهار
وأجلوا عنهم قرا منيرا * ودأستهم خيولُ بني الشرار
ولو كانوا لهم كفواً ومثلاً * إذا ما توجوا تيجانَ عار
ألا بآن الأمامُ ووَآرائه * لقد خَرم الحشى منّا بنار
وقالوا الخلدُ بيع فقلتُ ذلاً * يصير بيائمه الى صغار
كذاك الملك يُتبع أوليه * إذا قُطِع القرار من القرار
وقال مُقدّس بن صَبْنَى يرثيه :

خليل ما أنتك به الخطوبُ * فقد أعطاك طاعته العجيب
تدلت من شमारِخ المنايا * منّا ما تقوم لها القلوبُ
خلالَ مقابر البستان قبر * يُجاور قبره أسدٌ غريب
لقد عظمت مُصيبته على من * له في كل مَكْرمة نصيب
على أمثاله العبراتُ تُدرى * وتُنتك في مآئمه الجيوب
وما أدخرتُ زُبيدة عنه دما .. تُخصّ به النسبية والنسب
دعوا موسى ابنه لبكاء دَهِير * على موسى ابنه دخل الحزيب
رأيتُ مشاهد الخلفاء منه * خلاء ما بساحتها عجيب
لَينك أننى كهلٌ عليه * أذوبُ وفي الحشى كبد تَذوب
أُصيبَ به البعيد نَفَر حزنا * وطاين يومه فيه المرئيب
أنادى من بطون الأرض شخصاً - يحترقه النداء فما يُجيب
لئن قَتَت الحروبُ اليه نفساً * لقد قُفِعَت بمصرته الحروب

وقال خزيمة بن الحسن يرثيه على لسان أم جعفر :

نحير أُمَامٍ قام من خير عُنُصُر ۞ وأفضل سَامٍ فوق أَعْوَادِ مِنبِر
لِوَارِثِ عِلْمِ الْأَوَّلِينَ وَفَهْمِهِم ۞ وَلِلَّكَ الْمَأْمُونُ مِنْ أُمِّ جَعْفَرٍ
كَتَبْتُ وَعِنِّي مُسْتَهْلٌ دَمُوعُهَا ۞ إِلَيْكَ أَبْنِ عَمِي مِنْ جَفُونِي وَمَحْجَرِي
وَقَدْ مَسَّنِي ضُرٌّ وَذُلٌّ كَأَيَّةٍ ۞ وَأَرَقَّ عَيْنِي يَا ابْنَ عَمِي مَهْكَرِي
وَهَمْتُ لِمَا لَا يَبُتُّ بَعْدَ مَصَابِهِ ۞ فَأَمْرِي عَظِيمٌ مُتَكَرِّجٌ مُتَكَّرِ
سَأَشْكُو الَّذِي لَا يَبُتُّ بَعْدَ فَقْدِهِ ۞ إِلَيْكَ شَكَاةُ الْمُسْتَهَامِ الْمُقَهَّرِ
وَأَرْجُو مَا قَدَّمَ بِي مِنْ قَدَدْتِهِ ۞ فَأَنْتَ لِبَنِي خَيْرِ رَبِّ مُغِيرٍ
أَتَى طَاهِرٌ لَا طَهْرَاقَهُ طَاهِرًا ۞ فَمَا طَاهِرٌ فِيمَا أَتَى بِطَهْرٍ
فَأَخْرَجَنِي مَكْشُوفَةً الْوَجْهَ حَاسِرًا ۞ وَأَنْهَبَ أَمْوَالِي وَأَحْرَقَ أَذْرِي
يَعِزُّ عَلَى هَارُونَ مَا قَدْ لَقِيْتُهُ ۞ وَمَا مَرَّ بِي مِنْ نَاقِصِ الْخَلْقِ أَعُورٍ
فَإِنْ كَانَ مَا أَسْدَى بِأَمْرِ أَمْرَتِهِ ۞ صَبَرْتُ لِأَمْرٍ مِنْ قَدِيرٍ مُقَدَّرِ
تَذَكَّرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قِرَاقِي ۞ فَدَيْتُكَ مِنْ ذِي حَرَمَةٍ مُتَدَكَّرِ

وقال أيضا يرثيه :

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ الصَّمَدِ ۞ مَاذَا أَصْبَنَا بِهِ فِي صُبْحَةِ الْأَحَدِ
وَمَا أُصِيبَ بِهِ الْإِسْلَامُ قَاطِبَةً ۞ مِنْ التَّضَعُّعِ فِي رُكْنَيْهِ وَالْأَوْدِ
مَنْ لَمْ يُصَبِّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ ۞ يُصْبِحْ بِمَهْلَكَةِ وَالْمُهِمِّ فِي صُغَدِ
قَدْ أَصْبَحَتْ بِهِ حَتَّى تَبَيَّنَ فِي ۞ عَقْلِي وَدِينِي وَدُنْيَايَ وَفِي جَسَدِي
يَا لَيْلَةً يَسْتَكِي الْإِسْلَامُ مُنْتَهَا ۞ وَالْعَالَمُونَ جَمِيعًا آخِرَ الْأَبَدِ
غَدَرَتْ بِالْمَلِكِ الْمِعْمُونِ طَائِرُهُ ۞ وَبِالْإِمَامِ وَبِالضَّرْغَامَةِ الْأَسَدِ
سَارَتْ إِلَيْهِ الْمَنَايَا وَهِيَ تُرِيحُهُ ۞ فَوَاجَهَتْهُ بِأَوْفَادِ ذَوِي عَدَدِ
بُسُورَجِينَ وَأَغْثَامٍ يَقُودُهُمْ ۞ قَرِيْشٌ بِالْبَيْضِ فِي قَمِيْصٍ مِنَ الزَّرْدِ

فصادفوه وجيداً لا ميين له * عليهم ظائب الأضفار بالمسد
 فجوعوه المنايا غير ممتنع * قودا فإياك من مستسلم فرد
 يلقي الوجوه بوجه غير مبتل * أبهى وأثقى من القوية الجسد
 واحسرتا وقريش قد أحاط به * والسيف مرعده في كف مرعده
 فما تحرك بل ما زال متصباً * منكس الرأس لم يبدى ولم يعد
 حتى إذا السيف وافى وسط مفارقة * أذرتة عنه يلاه فصل متدد
 وقام فاعتقت كفاه لئنه * كفيغيم شرس مستسلم ليد
 فاجتره ثم أهوى فاستقل به * للأرض من كف ليت محرج حرد
 فكاد يفنسه لو لم يكاره * وقام متقلبا منه ولم يكدر
 هذا حديث أمير المؤمنين وما * قصت من أمره حفا ولم أزد
 لا زلت أئذبه حتى المات وإن * أخنى طيه الذي أخنى على لبس

وذكر عمر بن شبة أن محمد بن أحمد الهاشمي حدثه أن لبابة أخته علي بن المهدي قالت

اليدين الآتين وقيل أنهما لابنة عيسى بن جعفر وكانت مملكة بمحمد :

أبيك لا التعم والأنس * بل للعالي والريح والترس

أبي على هالك لجعت به * أرملى قبل ليلة العرس

هجاء يحيى بن أكرم^(١)

وعندنا في المجلد الأول أن تذكر مثلاً من الهجاء قاله بعض الشعراء في يحيى بن

أكرم، وما هو ذا :

أَرْقَهُ بَرْحُ الْمَوَى وَسَيْدُهُ * وَمَلَهُ الْحُبُّ فَبَاتَ يَالْمُتُّ
 طَوْرًا يُعَانِيهِ وَطَوْرًا يَسْتَمُّهُ * مِثْلَ الْحَرِيقِ فِي الْحَشَا يُضْرَمُهُ
 فَفَاضَتِ الْعَيْنُ بِدَمْعٍ تَسْجُمُهُ * نَمَتْ عَلَيْهِ كُلُّ شَوْقٍ يَكْتُمُهُ
 وَبَاحَ بِالْحُبِّ الَّذِي يُجِجُهُ * وَبَاتَ وَالْقَلْبُ يُسَامِي هِمَّهُ
 مِنْ لَحِبٍ قَدْ تَرَاهُ يَرْحُمُهُ * أَصْبَحَ بِالْبَاسَاءِ عَارِ أُنْفُسِهِ
 طَالَ تَصَابِيهِ وَطَالَ سَقَمُهُ * وَبَلَى الْجِسْمَ وَرَقَّتْ أَظْفَالُهُ
 يَشْهَدُنِي اللَّهُ عَلَى مَنْ يَظْلِمُهُ * يَمْنَعُهُ طَعْمَ الْكَرَى وَيَحْرِمُهُ
 وَأَمَّا لَهُ بِصِرْمٍ مِنْ لَا يَصِرُّهُ * أَصْبَحَ هَذَا الدِّينَ رَأْيًا رِمُّهُ
 عَطَّلَهُ الْجَوْرَ وَطَالَ قِدَمُهُ * تَحَتَّ مِنْ الْجَوْرِ طِيَهُ دِيمُهُ
 قَبَادَ مَغْنَى رَبْعِهِ وَأَرْثُمُهُ * إِلَّا بِهَا يَا قَوْمِهِ وَجُمُهُ
 أَوْطَنَهُ الْجَوْرَ فَاضْحَى مَعْلَمُهُ * يَرُودُ فِيهِ شَاؤُهُ وَنَعْمُهُ
 مِنْ يَشْهَدُ الْجَوْرَ فَتَحَنَّنَ نَعَامُهُ * أَنْوَكَ قَاضٍ فِي الْبِلَادِ نَعَامُهُ
 يَقُولُ حَقًّا لَا تُعَيِّتُ تَرْحُمُهُ * مَدَّ وَلِيَ الْحَكْمَ أُبَيْعَ حَرَمُهُ
 وَأَتُهِكَّتْ مِنَ الْقَضَاءِ حُرْمُهُ * وَأَضْطَرَبَتْ أَرْكَائُهُ وَدِعْمُهُ
 وَاللَّهُ يَنْبِيهِ وَنَحْنُ نَهْدِمُهُ * يَا لَيْتَ يَحْيَى لَمْ يَلِدْهُ أَكْنَمُهُ
 وَلَمْ تَطَأْ أَرْضَ الْعِرَاقِ قَدَمُهُ * مَلْعُونَةٌ أَخْلَافُهُ وَشَيْمُهُ^(٢)

(١) أطلر ما كتبناه من يحيى بن أكرم في المجلد الأول (ص ٤٤٠) . (٢) حلما بعد هذا البيت

أربعة أبيات رأينا أنها تنافي الآداب العامة .

واقه والله لقد حلّ دمه * لو أن للدين عمادا يدعّمه
 يسيل منه الميل أو يقوّمه * لكان قد رنت عليه ماتمه
 أرجو ويقضى الله لا يسألّه * من وجهه هذا ولكن يقصمه
 * بالسيف إذ حلت عليه نقمه *

وصف ثورة بغداد وحريقها

أما ما أصاب بغداد من سلب ونهب وتحريق وتخريب وقتل شعواء وقتل ودماء،
فانا نترك الكلمة في ذلك لشعراء ذلك العصر .

قال الأعمى يصف دمار الحرب :

تقطعت الأرحام بين العشار * وأسلمهم أهل التقى والبصائر
فذاك انتقام الله من خلقه بهم * لما أجترموا من ركوب الكبائر
فلا نحن أظهرنا من الذنب توبة * ولا نحن أصلحنا فساد السرائر
ولم نسمع من واعظ ومدكر * فينجح فينا وعظ ناه وآمر
فابك على الإسلام لما تقطعت * عراه وربى ضره كل كافر
فأصبح بعض الناس يقتل بعضهم * فمن بين مقهور عزيز وقاهر
وصار رئيس القوم يحمل نفسه * وصار رئيسا فيهم كل شاطر
فلا فاجر للبر يحفظ حرمة * ولا يستطيع البر دقا فاجر
تراهم كأمشال الذئاب رأث دما * فأمته لا تلوى على زجر زاجر
وأصبح تساق القبائل بينهم * تسلى على أقرانها بلخناجر
فابك لقتلى من صديق ومن أخ * كريم ومن جار شقيق مجاور
ووالدة تبكى بحزين على أبنا * فيكى لها من رحمة كل ظائر
وذايت حليل أصبحت وهى أيم * وتبكي عليه بالدموع البوادر
نقول له قد كنت عزاء وناصرا * ففئب عنى اليوم عزى وناصرى
وأبك لإحراق وهدم منازل : وقتل وإنهاب اللهم والذخائر

ولابرار ربّات الخلود حواسرا * نحيب بلا تُمسِر ولا بَمَازِد
تَراها حَيَّارى لَيسَ تَعرِف مَدْعَبًا * نوافِرَ أمثالَ الطُباءِ النوافِر
كَأَن لَمْ تَكُن بِغَدادُ أَحسَنَ مَنظَرًا * ومَلهى رَأتَهُ عَينُ لَآءٍ وَناظِر
بلى هَكذا كَانت فَأَذَهبَ حَسنُها * وَبَدَدَ مِنها الشَّمْلَ حَكْمُ المَقادِر
وَحَلَّ بِهَم ماحِلَ بِالناسِ قَبلَهُم ■ فاضْمُوا أحاديثا لَبادٍ وَحاضِر
أَبْغَدادُ يا دارَ المُلوكِ وَمُحَسَّى * صَروفِ المَنايا مَسْتَقَرَّ المَنابر
وَيَا جَنَّةَ الدَنيا وَمُطَلَّبَ الفَني * وَمَسْتَبطَ الأَموالِ عَندَ الضرائِر
أَبْنى لَنا اِبنَ الَّذين عَهِدْتُهُم * يَحْلونَ فى رَوضٍ مِنَ العَيشِ زاهِر
وَإِبنَ مُلوكِ فى المَواكِبِ تَقْتَدى * تُسَبِّحُ حَسانا بِالنَجومِ الزَواهِر
وَإِبنَ القَضاةِ الحاكِونَ بِأَهِم * لَوَرَدَ أُمورَ مَشكَلاتِ الأَوامِر
أَو القائِلونَ الناطِقونَ بِحِكمَةٍ * وَرَصفِ كَلامٍ مِنَ خَطيِّبِ وَشاعِر
وَإِبنَ مَراحٍ لِلْمُلوكِ عَهِدُها ^(١) * مَن خَرفَةً فىها صَنوُفُ الجَواهِر
تُرَشِّ بِماءِ المَسكِ وَالوَرَدِ أَرْضُها * يَفُوحُ بِها مِنَ بَعدِ رَيحِ المَجامِر
وَرُوحَ النَدامى فىهِ كُلَّ عَشيَةٍ * الى كُلِّ قَياضِ كَريمِ العِناصِر
وَإِبنَ قَياضِ تَسجِيبِ لَغمِها * اِذا هَوَلَبَها حَتِيبُ المَزامِر
وَإِبنَ المُلوكِ الفُرمِ مِنَ آلِ هاشِم * وَأَشياعُهُم فىها اِكتَفوا بِالمَعاذِر
يَروحونَ فى سُلطانِهِم وَكَأنَهُم * يَروحونَ فى سُلطانِ بَعضِ العِشائِر
يَجادِلُ عَما نالَهُم كَبراؤُهُم * فَناثَهُم بِالكَرِّ أَيْدى الأَصاغِر
فَأَقِمْ لَو أَنَّ المُلوكِ تَاصَروا * لَزَلَتْ لَها خَوقًا رِقابُ الجَبابِر

وقال عمرو بن عبد الملك الوراق يبكي بغداد ويهجو طاهرا ويعرض به :

من ذا أصابك يا بغدادُ بالعين * ألم تكوني زماناً قُتِرَ العينُ
 ألم يكن فيك أقوامٌ لهم شرف * بالصالحات والمعروف يلقونى
 ألم يكن فيك قومٌ كان مسكنهم * وكان قُرْبهمُ زينا من الزين
 صاح الزمانُ بهم بالبين فانقضوا * ما ذا الذى بفتحنى لوعة البين
 أستورعُ الله قوماً ما ذكرتهمو * ألا تحترم ماء العين من عيني
 كانوا ففرقهم دهرٌ وصدعهم * والذهر يصدع ما بين الفريقين
 كم كان لى مُسعد منهم على زمتى * كم كان منهم على المعروف من عون
 لله در زمان كان يجمعنا * أين الزمان الذى ولى ومن أين
 يا من يُحترَب بغداداً ليعمرها * أهلكَت نفسك ما بين الطريقين
 كانت قلوبُ جميع الناس واحدة * عيا وليس يكون العين كالذين
 لما استنبهتهمُ فرقَهم فرقا * والناس طرأ جميعا بين قلوبين

ولبعض فتيان بغداد :

بكيتُ دماً على بغداد لما * فقدتُ غصارة العيش الأنيق
 تبدلنا هموماً من سرور * ومن سعة تبدلنا بضيق
 أصابتنا من الحساد عينٌ * فأفنت أهلها بالمتجنيق
 فقومٌ أحرقوا بالنار قسراً * ونائحةٌ تسوح على غريق
 وصاحبةٌ تُكادى وأصابها * وباكيةٌ لفقدان الشفيق
 وحوراء المدام داتٌ دلت * مضمخة الحساد بالحلوق
 قفز من الحريق الى اتهاب * ووالدها يفر الى الحريق

وَمَالِيَةُ الْفَزَالَةِ مُقَاتِلِيهَا * مَضَاهِكُهَا كَلَالَةُ الْبُرُوقِ
 حَيَارَى كَالْهَدَايَا مُبْهِكَرَات * طِينِ الْقَلَائِدِ فِي الْحُلُوقِ
 يُنَادِينَ الشَّفِيقَ وَلَا شَفِيقُ * وَقَدْ قُتِدَ الشَّفِيقُ مِنَ الشَّفِيقِ
 وَقَوْمٌ أُخْرِجُوا مِنْ ظِلِّ دُنْيَا * مَتَاعُهُمْ يُبَاعُ بِكُلِّ سُوقِ
 وَمُغْتَرِبٌ قَرِيبُ الدَّارِ مُلَقَى * بِلَا رَأْسٍ بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ
 تَوْسَطَ مَنْ قِتَالَهُمْ جَمِيعَا * فَمَا يَدْرُونَ مِنْ أَى الْفَرِيقِ
 فَلَا وَلَدٌ يُقِيمُ عَلَى أَبِيهِ * وَقَدْ هَرَبَ الصَّدِيقُ مِنَ صَدِيقِ
 وَمَهْمَا أَتَسَ مِنْ شَيْءٍ تَوَلَّى * فَإِنِ ذَاكَ دَارَ التَّزْيِيقِ

بيان المصادر العربية والافرنجية الهامة

التي عولنا عليها في المراجعة لكتاب عصر المأمون

ثبتت لك هنا الهام من مراجع الكتاب هذا دواوين الشعراء ومعجمات اللغة التي أشرنا اليها في مواضعها من الكتاب وهوامشه . وهي :

المصادر باللغة العربية :

- | | |
|---|--|
| تاريخ دمشق لابن عساكر، مخطوط . | تاريخ الطبري ، طبعة مصر وليدن . |
| تاريخ المشاركة لصليبا بن يوحنا ، مخطوط . | تاريخ الكامل لابن الأثير، طبعة مصر. |
| تاريخ بغداد لخطيب البغدادي ، مخطوط . | تاريخ مروج الذهب للسعودي ، طبعة مصر وباريس . |
| تاريخ بغداد لابن طيفور (الجزء السادس طبعة أوروبا) . | تاريخ يعقوبي ، طبعة لندن بأشراف المسيو هنتما . |
| تاريخ التشريع الاسلامي للرحوم الخضرى بك ، طبعة مصر . | تاريخ أبي الفدا لللك المؤيد ، طبعة الأستانة . |
| تاريخ الآداب السلطانية والدول الاسلامية لابن طباطبا ، طبعة أوروبا . | تاريخ علماء الأندلس لأبي الوليد عبد الله محمد بن يوسف ، طبعة أوروبا . |
| تاريخ النجوم الزاهرة لابن تغريبردى ، طبعة أوروبا . | تجارب الأمم لابن مسكويه ، طبعة مصر. |
| البدء والتاريخ لأبي زيد البلخي ، طبعة باريس سنة ١٨٩٩ «أرنست لرو» . | تاريخ العرب والمبتدا والخبر لابن خلدون ، طبعة مصر . |
| الآثار الباقية للبيروني ، طبعة ليسك . | الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ، طبعة لندن . |
| | نظم الجوهر لابن البطريق ، طبعة أكسفورد سنة ١٦٥٩ للمستشرق ادوار بوكوك . |

تراجم الحكماء للقفطى ، طبعة مصر .
طبقات الأدباء لعبد الرحمن الأنبارى ،
طبعة مصر .

وفيات الأعيان لابن خلكان ، طبعة
مصر .

وفات الوفيات لابن شاکر الکتبی ،
طبعة مصر .

الملل والنحل للشهرستانى ، طبعة مصر .

ألف باء ليوسف البلوى ، طبعة مصر .

مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى ،
طبعة دار الكتب .

فتوح البلدان للبلاذرى ، طبعة ليدن .

كتاب البلدان لابن الفقيه الهمداني ،
طبعة ليدن .

كتاب البلدان لليعقوبى ، طبعة ليدن .

مسالك الممالك للاصطخرى ، طبعة
ليدن .

المسالك والممالك لابن حوقل ، طبعة
ليدن .

أحسن التقاسيم للقدسى ، طبعة ليدن .

المسالك والممالك لابن خرداذبه ، طبعة
ليدن .

الأعلاق النفيسة لابن رسته ، طبعة ليدن .

حسن المحاضرة للسيوطى ، طبعة مصر .

بلوغ الأرب فى أحوال العرب للألومى
طبعة بغداد .

مقدمة الياذة هو ميروس تعريب الإستاتنى
طبعة مصر .

مختصر تاريخ الدول لأبى الفرج المطلبى ،
طبعة بيروت .

تاريخ الامم ، طبعة أوروبا .

فتوح الشام للواقدي ، طبعة مصر .

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، طبعة
مصر .

ولاية مصر وقضائها للكندى ، طبعة
بيروت .

مختصر أخبار الخلفاء لابن الساعى ،
طبعة مصر .

كشف الظنون لحاجى خليفة ، طبعة
الأساتنة وليسك ومصر .

المستطرف للأشيشى ، طبعة بولاق .

معجم البلدان لياقوت الحموى ، طبعة
ليسك ومصر .

المزهر للسيوطى ، طبعة بولاق .

الأحكام السلطانية للاوردى ، طبعة
أوروبا .

أعلام الناس للاتيدى ، طبعة مصر .

كتاب المعارف لابن قتيبة ، طبعة أوروبا .

معجم الأدياء لياقوت الرومى ، طبعة
مصر واشراف مر جليوت .

الفهرست لابن النديم ، طبعة ليسك .

طبقات الأئم لابن صاعد ، طبعة بيروت .

طبقات الأطباء لابن أبى أصيعة ،
طبعة مصر .

كتاب الكشكول للعالمى ، طبعة مصر .
 سراج الملوك للطوطوشى ، طبعة مصر .
 كتاب الخراج لقدامة بن جعفر ، طبعة
 لندن .
 كتاب الخراج لأبى يوسف ، طبعة
 بولاق .
 تاريخ الوزراء المنسوب للصولى ، طبعة
 بيروت .
 أشهر مشاهير الاسلام ، للرحوم رفيق
 العظم بك ، طبعة مصر .
 كتاب نفح الطيب ، طبعة مصر وأوربا .
 مفاتيح العلوم للخوازمى ، طبعة مصر .
 مفيد العلوم للخوازمى ، طبعة مصر .
 كتاب المواهب الفتحية للرحوم
 الشيخ حمزة فتح الله ، طبعة مصر .
 كتاب السيرة لابن هشام ، طبعة مصر .
 مقدمة ابن خلدون ، طبعة مصر .
 خطط الشام للاستاذ محمد كرد على ،
 طبعة دمشق .
 مجموعة مجلة المشرق ، طبعة بيروت .
 مجموعة مجلة المجمع العالمى ، طبعة دمشق .
 مجموعة مجلة الهلال ، طبعة مصر .
 مجموعة مجلة المقتطف ، طبعة مصر .
 بعض فصول ومباحث من المجلة
 الأسبوعية .
 حديث الأربعة للدكتور طه حسين ،
 طبعة مصر .

حضارة الاسلام فى دار السلام لجليل
 مدكور ، طبعة مصر .
 كتاب الأغانى للصهبانى ، طبعة بولاق
 والساسى .
 الجزء الأول من كتاب الأغانى ، طبع
 مطبعة دار الكتب المصرية .
 نهاية الأرب ، طبع مطبعة دار الكتب
 المصرية والنسخة الفوتوغرافية
 بالدار .
 صبح الأعشى ، طبع مطبعة دار الكتب
 المصرية .
 كتاب الساج المنسوب للمحافظ ، طبع
 مطبعة دار الكتب المصرية .
 كتاب الأمانى لأبى على الصالى ، طبع
 مطبعة دار الكتب المصرية .
 كتاب الكامل للبرد ، طبعة مصر .
 كتاب البيان والتبيين للمحافظ ، طبعة
 مصر .
 العمدة لابن رشيقي ، طبعة مصر .
 كتاب المحاسن والمساوى للبيهقي ، طبعة
 فردرك شوالى .
 كتاب المحاسن والاضداد للمحافظ ، طبعة
 لندن .
 كتاب البغلاء للمحافظ ، طبعة مصر .
 كتاب الحيوان للمحافظ ، (نسخة
 فوتوغرافية محفوظة بدار الكتب
 المصرية) .

حلبة الكيت، طبعة بولاق .
 خزانة الأدب لابن حجة الحموي، طبعة
 بولاق .
 خزانة الأدب للبغدادى، طبعة بولاق .
 محاضرات الفلسفة لستلائله بالجامعة
 المصرية .
 محاضرات علم الفلك بالجامعة المصرية
 للسنور كرولتينو، طبعة روما .
 مفتاح السعادة ومصباح السيادة
 لطاشكبرى زاده، طبعة
 حيدرآباد .
 محاضرات الشيخ عبد الوهاب النجار
 بالجامعة المصرية .
 محاضرات المرحوم الشيخ محمد المهدي
 بالجامعة المصرية .
 محاضرات الأستاذ الخضرى بك فى تاريخ
 الأمم الإسلامية، طبعة مصر .
 محاضرات الأستاذ الخضرى بك فى تاريخ
 الدولة الأموية، طبعة مصر .
 التمدن الإسلامى للرحوم جورجى بك
 زيدان، طبعة مصر .
 تاريخ آداب اللغة العربية للرحوم
 جورجى بك زيدان، طبعة مصر .
 طبقات ابن سعد، طبعة أوروبا .
 طبقات الشافعية للسبكي، طبعة مصر .
 المتشور والمنظوم لابن طيفور .
 رسالة بنى أمية للحافظ، خطية .

منهل الرقاد فى علم الانتقاد لقسطاكي
 الحمصى بك، طبعة مصر .
 محاضرات الأستاذ الاسكندرى
 المدرس بدار العلوم، طبعة مصر .
 الوسيط للأستاذ الاسكندرى المدرس
 بدار العلوم، طبعة مصر .
 أدبيات اللغة العربية للأستاذ مصطفى
 صادق الرافعى، طبعة مصر .
 أدبيات اللغة العربية للرحوم عاطف
 بركات بك وزملائه، طبعة مصر .
 مذهب الأغاى للرحوم الخضرى بك ،
 طبعة مصر .
 بلاغة العرب للدكتور أحمد ضيف ،
 طبعة مصر .
 الشعر والشعراء لابن قتيبة، طبعة ليدن .
 طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى،
 طبعة ليدن ومصر
 كتاب الأذكياء لابن الجوزى ، طبعة
 مصر .
 العقد الفريد لللك السعيد، طبعة مصر .
 العقد الفريد لابن عبد ربه ، طبعة
 مصر .
 لطائف المعارف للثعالبي، طبعة ليدن .
 صيون الأخبار لابن قتيبة ، طبعة
 دار الكتب وأوروبا .

رسائل البلقاء للأستاذ محمد كرد علي ،
طبع مصر .

جمهرة أشعار العرب لأبي زيد ، طبعة
مصر .

المفضليات للضبي ، طبعة مصر .

حماسة البحترى ، طبعة بيروت .

الصناعتين لأبي هلال العسكري ، طبعة
مصر .

الموشى لأبي الطيب ، طبعة أوروبا .

ديوان الحماسة لأبي تمام ، طبعة مصر .

مجانى الأدب وشرحه ، طبعة بيروت .

مختارات البارودى ، طبعة مصر .

حياة الحيوان للدميرى ، طبعة مصر .

عيون التواريخ لابن شاعر الكتبي
(أجزاء منه محفوظة بدار الكتب
المصرية) .

الفرج بعد الشدة للتونجى ، طبعة مصر .

كتاب الوزراء والكتاب لأبي عبد الله

محمد بن عبدوس الجهمشيارى طبعة

فيتا سنة ١٩٢٦

كتاب الاشتقاق لابن دريد الأزدي

طبعه جوتيجن سنة ١٨٥٤

الأوراق للصولى ، خطية .

مطبوعات تذكاري جيب الانجليزية

وخاصة مؤلفات الأستاذين

مرجليوث وبرون .

زهر الآداب للمصرى ، طبعة مصر .

المشتبه فى أسماء الرجال للذهبي ، طبعة

أوروبا .

الوافى بالوفيات للصفدى (المحفوظ

بدار الكتب المصرية تحت

رقم ١٢١٩) .

أخبار أبي نواس لابن منظور ، طبعة

مصر .

المصادر الأفرنجية :

- Histoire des Arabes par Cl. Huart: Paris.
 Life of Mohamet by Sir W. Muir. (London).
 The Life and Teachings of Mohammed and the Spirit of Islam by Ameer Ali. (London).
 D. S. Margoliouth: Mohammed and the Rise of Islam. (London) in "Heroes of the Nations' Series".
 H. Lammens: "Etudes sur les règnes des Califs Omayyades Moawia 1^{er} et Yasid 1^{er}". (Beyrouth).
 Library of Universal History (N. Y.).
 History of Arabic Literature: Cl. Huart. (London).
 A Literary History of Persia: Ed. G. Browne. (London).
 A Literary History of the Arabs by R. A. Nicholson. (London).
 Short History of the Saracens by Ameer Ali, (London).
 The Caliphate: its rise decline and fall by Sir W. Muir. (London).
 Annals of the Early Caliphate by Sir W. Muir. (London).
 Baghdad during the Abbasid Caliphate by G. le Strange. (Oxford).
 Encyclopaedia of Islam. (Luzac).
 Encyclopaedia Britannica. (London).
 La Grande Encyclopédie. Paris.
 The Historians' History of the World by H. S. Williams. (New York).
 Ency. of Religion & Ethics by I. Hastings. (London).
 The History of the Decline and Fall of the Roman Empire by Gibbon. (London).
 The History of Philosophy in Islam by J. de Boer translated by Jones. (London).
 Muhammedanische Studien by Ignaz Goldziher, (Halle).
 Histoire des Musulmans d'Espagne Jusqu' à la Conquête de l'Andalusie par les Almoravides by R. Dozy. (London).
 Development of Muslim Theology, Jurisprudence and Constitutional Theory by D. B. Macdonald. (London).
 Margoliouth's Works Etc.
 R. Dozy: Supplément aux Dictionnaires Arabes. 1927.
 Bibliothek Arabischer Historiker und Geographien: Hans V. Mzik. (Leipzig).